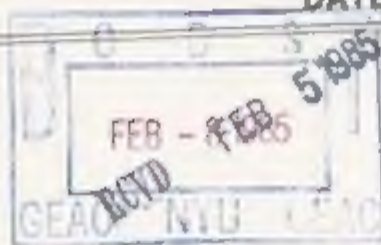


3 1142 00228 2260



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE





ماجد سعيد

بيروت في ٢٥ / النور / ١٩٥٣

Ūmarā' al-shi'ra al-'Arabī

أُمَرَاءُ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

فِي

الْقَصْرِ الْقُبَّاسِيِّ

وهو دراسات تحليلية لأدب ثمانية من أشهر شعراء العرب
والجور الذي نشأوا فيه

al-Hadīṣī, Anīs
al-Khūrī
أنيس المقدسي

استاذ شرف للأدب العربي في جامعة بيروت الاميركية
وعضو المجمع العلمي العربي



NE62-1607

الطبعة الرابعة

الطبعة الاميركانية (بيروت)

١٩٥٣

West East

PJ

7553

.M3

C.1

توطئة

في الغرض من هذا الكتاب

لدرس الادب طريقتان - الاولى الطريقة الاجمالية ، وهي المثبة في المدارس الثانوية والاورساط الادبية العامة . وروادها الاطلاع على كل ما انتجته قرائح الادباء والعلماء في مختلف المصور . وقد كان المرحوم العلامة جرجي زيدان اول من نظم هذه الطريقة في تاريخ الادب العربي ، ثم تلاه جملة من الاساتذة والادباء ، ففُتروا بذلك ووضعوا من المؤلفات ما يعني بحاجات الطلبة والمتأدبين .

والطريقة الثانية طريقة التقصي الدقيق ، وهي المثبة في معاهد البحث الخاصة في الجامعات وسواها . وفيها ينحصر جهد الباحث في وجهة معينة يتقنها - كأن ينصرف مثلاً الى فرع معين من فروع البلاغة ، او باب من ابواب الفيلولوجيا (فقه اللغة) - او يقتصر على حياة شخص من اشخاص التاريخ كالمثني او الفزالي او ابن خلدون ، او كتاب خاص من كتب الادب كالمقد الفريد او الصمدية او الزوميات . وهذه الطريقة يُدرَّب الطالب على جمع المعلومات من شتى المصادر ، ويخرج في اصول النقد وسلوك السبيل العلمي في الكتابة . وهنا يشترك الاستاذ والطالب توصلًا الى هدف واحد هو دقة الاستقراء والنظر في الاصول نظراً لا تشويه شائبة الترضي او المتابعة العمياء.

وبين هاتين الطريقتين طريقة وسطى نطلق عليها اسم « التخصص الاول » . وفيها يُعمد الى فرع واسع من فروع الادب كالشعر مثلاً ، فيختار للتأديب نجمة من امرائه ، ويُدرس كل منهم درساً وافياً يجمع بين البحث العلمي والتحليل الادبي جمعاً يمكن المتأديب من الانتقال بعدئذ الى درجة التقصي الدقيق .

وقد حاولنا في هذا الكتاب ان نثقي هذه الناية فاخترنا الشعر في العصر العباسي

وتناولنا من امرائه ثمانية فدرسنا عصرهم وشعرهم على الطريقة التحليلية الحديثة ، وقرنا ذلك بذكر اهم المصادر التي يرجع اليها في دراستهم ، وبطائفة كبيرة من روايتهم الشعرية . فتم لنا بذلك غرضان - غرض علمي وهو الجري في ميدان البحث الحر ، وغرض ادبي وهو التفقه بالادب نفسه .

ونحن نعلم ما ستمتدح له بسبب اختلاف الآراء . فان مقاييس البحث في الادب ليست مقاييسه في العلوم الطبيعية والرياضية . وانما نحن نعرض هذه الابحاث للتأديين المفكرين ، ولطلاب التخصص الاولي ، مدرجة الى التخصص العالي وسعياً وراء الحقيقة العلمية . وانا اترحب بكل انتقاد مبني على الدرس والانصاف واصول البحث والمنطق .

وقد كان مولانا في اختيار هؤلاء الثمانية شهرتهم ، وانهم اعمق اثرأ من سواهم في تربيخ الشعر العباسي . ولا يعني ذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او من يفوقهم في بعض المناحي ، وانما يعني انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسهم درس لذلك العصر ودرس للحركة الادبية فيه .

وما نحن نتقدم الى العالم العربي بالطبعة الرابعة من هذا الكتاب بمد ان بذلنا الجهد في ضبطها وتنقيحها . نفعل ذلك ترولاً عند رغبة مكثيرة من الادباء والطاء والاساتذة وحباً بدراسة وافية لهذه السلسلة الشعرية العظيمة التي تمكس لنا المواطن العربية في انصب الجهود الادبية .

جامعة بيروت الامبركية

١٠٠٠ م



العوامل السياسية في الخلافة العباسية

نظرة عامة

حكم العباسيون في بغداد خمسة قرون كان عرشهم فيها ملجأ للاهوا. والحركات السياسية المختلفة . وقد رأينا تمهيداً لهذا البحث ان نقسم مدة حكمهم اقساماً توضح لنا العوامل التي كانت تعمل فيها والتي أدت أخيراً الى انحلالها . وهي عند التحقيق خمسة نطلق عليها اسم « ادوار سياسية »

الدور الاول - دور القوة المركزية

اي قوة الخلافة . ويمتد من بدء الدولة الى اواخر حكم المتوكل ، فيشغل نحو قرن من الزمان بلغت فيه الخلافة اقصى قوتها وازهى مظاهر مجدها . وفي هذا الدور كانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد من حدود الهند الى افريقيا (تونس)

الدور الثاني - دور الجبهة

كان الخليفة المتصم قد نظم من قتيان الاتراك جنداً يعتمد عليه في حماية العرش . فلما مات المتصم أصبح نفوذ امراء الجند شديداً في الخلافة . ولم يكف يقاتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ حتى أصبح الخليفة في قبضتهم يتصرفون به كما يشاؤون . ويمتد هذا الدور الى سنة ٣٣١ هـ . على ان الخلافة فيه بقيت برغم استبداد الجند محافظة على شيء من دولتها ، وكان لها وزارة وعمال . وما يذكر في هذا الدور ان ديوان الخلافة كان قد نقله المتصم سنة ٢٢١ هـ الى ساراً وبقي فيها نحو اثنى عشر سنة ثم أعيد الى بغداد

الدور الثالث - الدور البربري (٣٣٤ - ٤٤٧)

وفيه كانت السلطة الحقيقية في يد بني بويه وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال

اليهم ، واصبح الخليفة لا يملك من المال الا راتباً يتقاضاه . على ان البويهيين كانوا اهل سياسة ودعا . فابقوا للخلافة نفوذها الاسمي وصاروا يحكمون في الدولة ظاهراً بامرة الخلفاء . ويقوا كذلك الى ان ضعفوا ثم زال ملكهم بقيام السلاجقة

الدور الرابع - الدور السلجوقي (٤٤٧ هـ - ٥٩٠)

فيه كانت السلطة للسلاجقة ، وم دولة تركية قوية عرضت مملكتها واستولت على الاسر في بغداد وضربت باسم سلاطينها النقود وخطب لهم على المنابر . على انهم كانوا كالبويهيين يحافظون على الخلافة ويظهرون التسجيل لصالحها .

الدور الخامس - دور الاغبياء

انقرضت دولة السلاجقة من بغداد ايام الناصر ، ولكن الانحلال كان قد تمكن من جسم المملكة الباسية . فلما ذهب بنو سلجوق لم يبق للخلافة في بغداد سوى بعض انحاء العراق . فكانت الخلافة في طور الاحتضار ، ولم تزل كذلك حتى جاءها المغول سنة ٦٥٦ هـ فنهروا بغداد وقتلوا آخر خلفائها ونحو ما كان قائماً من معالمها .

* * *

هذه نظرة عامة نلقياها عن بعد على العصر الباسي . وثنا نحن في ذلك كالمواقف على روية مشرفة على سهل عامر يسرح نظره في اقسامه العامة ويتبين معالمه الرئيسية دون ان يتنخلل فيه ليطلع على دوائله وخوافيه . وغايتنا من ذلك معرفة الخطط السياسية العامة تمهيداً للدرس حالة العصر النفسية ، وتوصلاً الى فهم آدابه . فنحن هنا انما نحاول درس الجبر الذي نشأ فيه ادب القوم لا تاريخهم السياسي ، والا فالافضل الرجوع الى المطالعات التاريخية كالتاريخي والمسعودي وابن الانبر ومسكويه وصاحب الفخري والذهبي وابن خلدون وسواهم ممن خاضوا عباب هذا البحث وجاءوا بالاخبار الوافية .

• • •

ولما اقبلنا نظرتنا العامة على هذه القرون الخمسة ظهر لنا في حياة الدولة الباسية وما تقالب عليها من غير الدهر ظواهر كبرى تمثل لنا ما نحن بصدده . اهتأها ما يلي :

العوامل السياسية

- ١ - التنافس على السيادة بين العناصر الجنسية
- ٢ - ضعف الخلافة وتجزؤها الى امارات مستقلة
- ٣ - الحركات الهدامة الداخلية
- ٤ - عادات الروم والافرنج على اطرافها

وقد كان يحذر بنا ان نتجاوز ذلك الى الكلام عن احوال الممالك الاسلامية ، ولا سيما البلاد العربية بعد سقوط بغداد ، وزسط ذلك بقيام العثمانيين وانتراهم الخلافة من الماسيين في مصر ، وما كان من احوال الادب في ايامهم ، ثم نسوق الكلام الى حالة الناطقين بالعربية في العصر الاخير ، وما كان لهم من الهضة بعد الحرب الكبرى ، وانما ذلك خارج من موضوعنا فتتركه لغير هذا المقام ^(١) . ونعود الآن الى الظواهر السياسية الكبرى في العصر الماسي .

التنافس بين العناصر الجنسية واخصها العربي والفارسي

في لغزوح الاسلامي الاولى وضع حجر الزاوية بساء الملك العربي العام . فبعد ان كان معظم العرب في جاهليتهم قبائل متفرقة ضاربة في احوال الفلاة ، وبعد ان كانت حكوماتهم في العراق والشام وسواها خاضعة لاحدى الدول السائدة من فارس او روم اصبحت في عهد الراشدين دولة واحدة ذات سيادة ، مما فيهم حب الفتح والسلطان ووصل الحمة اشده في دمشق ايام الامويين ، واستمر على ذلك في بغداد الى ايام المتوكل . فمصر السيادة العربية لم يثب بقاء . فانهاء الدولة الاموية بل بقي نحو قرن بعدها . نعم ان عوامل الضعف كانت قد بدأت تعمل في جسم الدولة والخلافة ، ولكن سيادة المصير العربي لم تهبط الا تدريجياً وبقي العرب على شيء كبير من القوة والنفوذ طيلة العصر الماسي الاول .

في هذا العصر بلغت الخلافة اوج قوتها ، وكوت بغداد كما كانت دمشق قبلها .

(١) راجع كتابنا الجديد « الانتماءات الادبية في العالم العربي الحديث »

عاصمة سلطنة مغرامية الأطراف لا تقل عن سلطنة رومة في أبان مجدها ، وكان الخليفة العوي الحاكم المطلق يتصرف بشؤون الدولة واموالها كما يشاء .

اما الروح الفارسية التي كانت تمثل عطية الفوس الماضية وآمالهم في استرجاعها فقد كانت في احط دركاتها ايام الامويين ، ولكنها اخذت تنتعش في اواخر حكمهم ، ولم قلبت ان تجسست بروح الثورة الخراسانية بقودها ابو مسلم لنصرة العباسيين . وعرف العباسيون ذلك بفرس فاتكلموا عليهم في الادارة والوزارة ، ولما رأينا نفوذهم يتعاظم ورأينا التنافس بينهم وبين العرب يشتد . وعلى ذلك يمدح المحاضر دولة العباسيين اعجبية خراسانية ودولة بني مروان عربية اعرابية وفي اجناد شامية ^(١) . وقال ابن خلدون : « كان بنو امية يستطهرون بمجربهم وولاية امهاتهم برجال العرب مثل عمر بن سعد وعبدالله بن زياد والتمام بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وحالد القسري وابو هبيرة وبلال بن ابي ردة ونصر بن سيار وامثالهم ، وكذا صدر من دولة بني العباس حكام الاستظهار فيه ايضا برحلات العرب . فلما صدرت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطول للولايات صدرت الوزارة لاسمهم والصنائع من الدواخكة وبني سهل وبني طاهر وسراهم ^(٢) . »

على ان العباسيين الاول كانوا اصحاب بطش وقوة ، فانهم مع اتكالمهم على الفرس لم يستسلموا لهم ، بل ابقوا للعلاقة العربية جلالها . يدل ذلك على ذلك ما فعله المنصور بابي مسلم حين خشي من الطغيان ^(٣) ، وكذا ما فعله الرشيد بالدواخكة حين اخذته الثيرة من تهظيمهم وأهبة دولتهم ^(٤) ، والمتصم بالافشين لطمه او لانه على ما قيل كاتب بعض امراء المعجم واحب ان ينقل الملك اليهم ^(٥) : بل كانت سياستهم حفظ التوازن بين المضرة واليسنية والخراسانية معاً لاستعداد قريب بالدولة ^(٦) . وكانت جيوشهم مؤلفة من عرب وفرس ثم جاء المتصم فقطع من هؤلاء المال وجعل جنده من الاثراك .

ومما يدل ذلك على هذا التنافس بين العنصرين العربي والفارسي مدائح الشعراء الذين

(١) البيان والنبير (تحقيق السديني) ٣١٧-٣ (٢) مقدمة ابن خلدون (بيروت) ١٨٣

راجع هنا قصيدة المهدي في رثاء الموكل ، المعتمد (المطبعة الخيرية) (١٣٣١) ١٨٦-٢٤

(٣) المسعودي (باريس) ١٨٣-٦ (٤) المقدمة ١٦ و١٧ الفجري (مصر) ١٣١٧ (٥) ٩٩٠

(٥) مختصر الدول لابن العربي (١٨٩٠) ٢٦٢ والبيهقي (لندن) ٥٨٢-٣

(٦) ابن الاثير حوادث ١٥١

تبعوا في ذلك انصر . واذا اعتدت اهل شعرائه تجددهم في اول الامر يتساقون الى باب الحبيبة ويتنامسون في مدحه ، ثم تجددهم يتحولون الى امراء الدولة من عرب وفوس . ويؤداد هذا التحول مع الزمن الى العصر اللاحق . فقد تبغ بين ايام المأمون والمتضد ثلاثة من اكبر شعراء العرب هم ابو تمام والبحتري وابن الرومي ، وكلا اكثر مديح الاول (وهو اقدمهم) في المتصم وبعض حكام العرب كأي سديد الثغري والقاضي احمد بن دؤاد وخالد بن يزيد ومالك بن حلق والي ذلك المعلي . ومدح الثاني المتوكل واختص به ، ومع ذلك كانت مدائحه في كمد الدولة من الفرس تفوق مدائحه في امراء العرب . اما ابن الرومي فليس له في الحناء شيء يذكر ، واهم بمدحيه من الاعاجم كآل وهب وآل طاهر وامثالهم . وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا عن الشعراء واحوال مدحهم .

ولو تحريت الاسباب التي آلت الى ومن العرب ، وهم اصحاب الخلافة ، ومساعدة الاعاجم لهم في الرئاسة والادارة ، ثم تعلبهم عليهم لرأيت من امها - هذا انقسامهم بين عينية ومضرة - فتأخرهم على الامر بين عباسية وعلاوية ، بل العباسيون انفسهم لم يكونوا يبدأ واحدة فراجت بينهم سوق الاقتتال والفساد والفتن . من ذلك قتل المنصور لعمه جده (١) ، وقتلة الامين والمأمون وثورة ابراهيم بن المهدي عم المأمون وطلعه الخلافة ، وما كان من قتل المتوكل ومعه ذلك من الحركات السياسية التي اوهنت قوى العصر السائد ، وصهدت السبل للاحلال عصيته .



بدأ نفوذ الفرس في الدولة العباسية منذ فتح الخراسانيون في الدعوة ابي العباس ومبايعة المأمون . وقد ضلت كفة العرب وكفة الفرس متكاثرين حتى انتصرت خراسان مرة اخرى وجلس المأمون على العرش . فتعاطم نفوذ الفرس جداً ، وما زال كذلك حتى بلغ اوجه ايام عهد الدولة البويهية الذي قضى على زمام الامر في بغداد ، فتحول الامر بعد ذلك الى نزاع بين الفرس والترك انتهى بقيام السلاجقة كما سيذكر في حينه . ولم يبق للعرب في الدولة من قوة تذكر الا في بعض امارات حكموها ، كالامارة بني حمدان في حلب وامارة بني الاعراب في تونس ، وسواها من الامارات التي ستذكر في كلامنا عن تجزؤ المملكة العباسية .

ضعف الخلافة

وتجزؤها الى امارات مستقلة

كانت خلافة الراشدين زعامة دينية دنيوية والدين فيها اقوى واظهر ، واصبحت في عصر السيادة العربية (العصر الاموي وصدر العصر العباسي) ملكاً عظيم الشأن واسع الاطراف ذا قوة مركزية عظيمة . فلما انقضى هذا العصر ، وفقدت عصية العرب التي كانت ركن القوة الحربية في الدولة ، اخذت الخلافة تتحول تدريجياً من سلطة ملكية مهيمنة الى زعامة دينية مستضعفة . قال ابن خلدون ثم تغلب المعجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة ، فلم تمكن تمدد اعمال بغداد حتى زحف الديلم اليها وملكوها وصار الخلفاء في حكمهم ، ثم افترض امرهم ومكس السلطوية فصاروا (الخلفاء) في حكمهم (١) .

وجاء في الفخري قول صاحبه واصفاً دولة بني بويه : « قدرحت الامم وادلت العالم واستولت على الخلافة ، فمرت الخلفاء . وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لاحكامها امور بلاد المعجم والعراق ، واطاعتهم رجال اسولة بالانفاق (٢) » . وكذلك كان السلافة كما ذكر ابن خلدون ، على ان هذه الدول المسيطرة لم تتناول الى مقام الخلافة فكانوا يديرون بطاعة الخليفة قراًكاً (٣) . وكانوا على ما ذكر الفقيهندي مع ملتهم على امر الخلفاء ، يقتصرون على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف بالاموال ، ويبكون امر الولايات الى الخليفة مباشرة باسمه فتكتب عنه العهود والتفايد على ما يشهد به الموجود من افشاء الصالحين وغيره (٤) .

وقد وصف صاحب كتاب الفخري هذه الحالة احسن وصف اذ قال : « ثم طرأت عليها (اي على الدولة العباسية) دول كدولة بني بويه وفيها كبشهم ولهم عضد الدولة ، ودولة بني سلجوق وفيها مثل طغرل بك ، وكالدولة الخوارزمية وفيها مثل علاء الدين ،

(١) المقدمة ١٥٥ (٢) معجمى ٦ مصر ١٣١٧ (٣) المقدمة ٢٠٨

(٤) صبح الاعين (الطبعة الاميرية - مصر ١٩١٤ - ١٣٣٤)

وجريدة عسكريه مشتملة على اربعين ألف مقاتل ، . . . الى ان يقول ولم تقو دولة على ازالة ملكهم ومحو اثرهم بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحتشد ويجزو الساكنة العظيمة حتى يصل الى بغداد . فاذا وصل الشمس الحضور بين يدي الخليفة ، فاذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى ما يتناه ان يولي الخليفة ، ويعقد له لواء ويخلع عليه ^(١) . فمن كل ذلك نستنتج ان هؤلاء الملوك كانوا يتصرفون بامور الدولة كما يشاؤون ألا انهم كانوا يظهرون الشجيرة لصاحب الخلافة فيقدمونه ويقبلون بيده ويتبركون به ، وهم في الواقع اصحاب الامر ليس للخليفة مد شي ، وانما كانوا ينفذون ذلك لما حكان للخلفاء من المنزلة الدينية في نفوس الناس .

* * *

ولم يكده يدخل القرن الرابع الهجري حتى ضفت الحكومة المركزية في بغداد جداً ولم يبق للخلافة من نفوذ فعلي في المسكنة . فكانت خلافة اراضي ، وبلاد فادس في يد بني بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طنج ثم في ايدي الفاطميين ، وخراسان والبلاد الشرقية في ايدي السامانية . وثبتت امارات اخرى ، واليك ذلك ببعض التفصيل :

الامارات المستقلة في بلاد فارس

وقد نشأت وانقرضت في مدد مختلفة بين سنة ٣٠٥ هـ و ٤٣١ هـ وهي

الطاهرية في خراسان	الصفارية في فارس
السامانية ما وراء النهر	الساجية في اذربيجان
الزيرية في جرجان	

اما الامارة السامانية الكبرى فقد مر ذكرها وهي البويهية (٣٢٠ - ٤٤٧) ورجع نسب ملوكها الى ابي شعاع بويه بن فناخسرد من ولد يزودج آخر ملوك العرس ^(٢) . نشأت في بلاد الديلم واخذت بالتقدم حتى استولت على بلاد فارس ثم استولت على بغداد

وأصبح لها الأمر والنهي في العراق وفارس - وكان الخليفة يعيش في ظلها من إقطاع يمينه له الملك الويعي^(١) . وهذه الدولة شعبة لم تكنها لم تفرض للخلافة العباسية (وهي سنية) بل ابتقتها على حالها وانقت للنفاء حتى اصدار المراسيم وحلح . وهذا كبيرهم ضد الدولة لما استولى على بغداد وعلى شؤون الدولة ، لم يرد بدأ من تعظيم الخلافة^(٢) مع انه لا يعتقد باطاً بحق العباسيين فيها وقد زوّج الخليفة انتة وعرضه ان تعد ذكراً فيجعله ولي العهد وتكون الخلافة في ولده^(٣) .

الامارات التركية

ومنها الطولونية في مصر والشام ٢٥١ - ٢٩٢

الاحشيدية في مصر والشام ٣٢٣ - ٣٥٨

الفرنية في خراسان وافغانستان ثم الهند ٣٥١ - ٥٨٢

قال ابن خلدون وقد بلغت هذه الدولة من الغز المبالغ المعطية^(١) اما الامارة التركية الكبرى فهي السلجوقية ، وقد نشأت اولاً في تركستان ثم جمع جدهم سلجوق عشيقته ونفرهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين ، فلما دخلها اظهر الاسلام وعلى ذلك نشأ اولاده . وما زال امرهم يعظم حتى ملك طغرل بك ، وهو اول سلاطينهم ، بلاد المجمع وكان قيامه في خلافة القائم العباسي ، ثم تقدم الى بغداد مدمرة من القاتم لينصره على نادر اسمع الباسيدي^(٢) . فاستولى عليها وأخطب له بالسلطة على منابر بغداد وذلك سنة ٤٩٧ هـ . ونولى خلفاؤه الامر بعده ، وما زالوا يسوسون الامور في بغداد حتى ضعف امرهم . ثم زالت دولتهم في خلافة الناصر سنة ٥٩٠ هـ وكان السلاجقة في ابدان مجدهم اصحاب شوكة عظيمة . وهم مدة فروع امتد سلاطنتهم من افغانستان الى البحر المتوسط . ولما ضعف امرهم استبد بهمهم (الاتاك) بالاحكام في اماراتهم المختلفة ، ولم يبق لهم بعد ذهاب دولتهم في بغداد وعادة المنول على المملكة العباسية الا آسيا

(١) ابن العربي ٢٩١ (٢) مسكويه - تجارب الامم (مصر ١٩١٥) ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) مسكويه ج ٢ - ٤١٤ (٤) ابن خلدون (تصحيح الموريني) ٦ - ٣٦٠

(٥) ملك هذا الناصر الامر حيناً في بغداد ودعاهم لثناطين

الصغرى ، فقد حظروها حتى جاء الاتراك المماليكون فاستولوا عليها وامسوا على انقراض
السلطنة سلطنتهم العظيمة ، ثم لم يقتصروا ان اصبح سلاطينهم خلفاء العالم الاسلامي
ودخلت اكثر البلدان العربية في حوزتهم . ولهم تاريخ خاص لا يدخل في مجتاهنا هذا

الامارات العربية

نشأ في ابدولة الممالية بضع امارات عربية مستقلة ، علي انها - اذا استثنيت العلوية
والادريسية منها - كانت جميعها تحبب للخليفة الممالي وتعهده لرعيه الاسلامي الاكبر .
ومنها :

الادريسية - في مراکش ١٧٢ هـ - ٣٧٥ وكانت معادية للمماليين

الاعلوية - في تونس ١٨١ - ٢٨٩ امراؤها من قديم

الحمدانية - في حلب ٣١٧ - ٣٩١ شيعية وامراؤها من قنطب اشهرهم

سيف الدولة محمود الثاني

المزيدية - في الحلة ١٠٣ - ٥١٥ وهم من بني اسد

العقيلية - في الموصل ٣٨٦ - ٤٨٩ دولة مضرة

المرداسية - في حلب ٤١١ - ١٧٢ وهي مضرة وامراؤها من بني كلاب

على ان اهم الدول العربية التي نشأت في انشاء العصر الممالي اثنتان الفاطمية
والاندلسية . واليك كلفة وحيرة في كل منها :

الدولة الفاطمية (٢٩٦-٥٦٧)

وهي علوية اسماعيلية . بذلك يقول ابن خلدون ^(١) وابن لاثير ^(٢) وابن الطقطقي ^(٣)
وريشك غيهم في اصلها العلوي .

وكان بدء امرها في افريقيا ايام المتوكل العباسي ، ثم انتقلت (في ٣٠٨ هـ) الى مصر
وبقيت هناك حتى ازالها صلاح الدين الايوبي ٥٦٧ هـ . وهذه الدولة مغالبة الشأن ، تختلف

(١) ابن خلدون ١ - ١١ (٢) ابن الاثير (ليبس) ٨ - ١٨٧ (٣) الطقطقي ٢٣٧

من سواها من الدول التي نشأت أيام الباسيين انها قوتت الملك بالدين فنشأت خلافة تراحم الخلافة الباسية . وقد تسلطت فاستولت على افريقيا ومصر وسوريا والحجاز وبسارة ابن خلدون قاضت الباسيين شق الألفة ، ثم اغتبت بالانحدار ومسا زالت كذلك حتى استولى صلاح الدين على مصر . فلما مات العاضد (آخر خلفائها) قطع صلاح الدين الخطبة للفاطميين وحولها الى العاسيين .

وللدولة الدالية يد على الادب العربي ، فهم الذين انشأوا الطابع الارهر ، وكانوا ينشطون العلماء والادباء بالعطف عليهم واقتناء لمكتاتب الكبرى وفتح ابوابها لهم .

الدولة الاموية الاندلسية (١٣٨ - ٤٣٨)

تبدأ بعبد الرحمن الداخل (حفيد هشام بن عبد الملك بن مروان) الذي فر من وجه الباسيين الى افريقيا ، ثم تمكن من دخول الاندلس والاسنيلاء عليها . وما زال الملوك من آله يتوارثون الحكم فيها حتى قام عبد الرحمن الناصر ببلقت به الدولة الاموية في الاندلس اوحيا ، وهو اول من طمع بالخلافة من امرائها فلقب بامير المؤمنين ^(١) . قال مسكويه فعل ذلك لما ضعف امر الامة ووهت اركان الدولة الباسية وتملت القرامطة والمبتدعة على الافاليم ^(٢) . وقد ازدهرت في ايامه الاندلس ابنا ازدهار ، ونقيت كذلك ايام ابنه المستر ثم اخذت دولة بني امية تضعف واحد الفساد يستولي على امارتهم ، فتحررت واصبها ما اصاب الدولة الباسية من ضعف العرش واستبداد الامراء باماراتهم المختلفة . وهذه الدولة تاريخ خاص خارج من تاريخ الدولة الباسية وقد نشأ فيها من الاداب والعلوم والفنون ما يقتضي سفراً خاصاً . وقد ذكرناها في مرض هذا البحث زيادة للايضاح وتسمية للكلام عن الدول العربية التي انفصلت عن الخلافة الباسية .

* * *

ومن الامارات المشهورة التي كان لها شأن يذكر في الخلافة الباسية الدولة الكردية المعروفة بالايوبية (٥٦١ - ٦٤٨) واشهر ملوكها مؤسسها السلطان صلاح الدين الذي اشتهر بوقاته مع الصليبيين .

(١) ابن خلدون ٤ - ١٢٢ (٢) تجارب الامم ج ٢ - ٦٠

تأثير هذا التجزؤ في الادب العربي

وكان من نشوء هذه الدول في العالم الاسلامي ان الادب تحول من بغداد الى مراكز اخرى . فكان الخليفة الراضي الذي يبيع ٣٢٢ هـ آخر خلفه دُونَ له شعر ، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوارته وخدمته وحياته تحوي على قواعد الخلفاء المتقدمين ^(١) . ومعنى ذلك ان العرش العباسي لم يعد المثل الاكبر للادب والادباء ، وانه نشأ في الامارات المستقلة حواضر زاهت بغداد في الشعر والعلم ، نذكر من ذلك بلاط سيف الدولة في حلب ، وتلك حلقة الادبية التي كانت تحيط به مثل ابن خالويه وابن نباتة والي هراس والمتنبي والسامري والفارابي والسري الرما - والحلديين ، وبلاط آل بويه ومن كان يتصل بهم كان العميد والوالي والصاحب بن عباد ، وامراء سامان وما كان لهم من عطف على العلم والعلماء . وقس على ذلك سائر الامارات في مصر والعراق والانديس وهراس والمغرب ، فان اللغة العربية طلت الى ابهام العشي لفة الادب والدين والسياسة في اكثر الممالك الاسلامية . وكان الاسراء من عرب وغير عرب يتنافسون في العطف على الادباء والعلماء وفي جمع الكتب وخدمة العلم . واظهر من فعل ذلك من غير العرب الملوك الايوبيون في اماراتهم المختلفة ^(٢) . وهذا التنافس على الادب يقترن لنا تلك الظاهرة التاريخية القريبة - استمرار الادب العربي مع صف العرب ودهاب السيادة من ايديهم . واذلك بعض امثلة من رجال العلم في ذلك العصر توضح لك ما نحن بصدده :

ابن سينا الطبيب الفيلسوف توفي ٤٢٨ هـ كان في بخارى في خدمة نوح بن منصور الساماني وفي خوارزم عند حامون بن مامون

البيروني - المالكى المشهور توفي ٤٣٠ هـ كان في الهند واقام مدة في خوارزم وقد قدم بعض كتبه للسلطان محمود الغزنوي

الحواري - صاحب الصحاح توفي ٥٣٦ هـ كان في نيسابور وقد ألف كتابه لابي منصور البشيكى

ابن دريس - اللقوي المشهور توفي ٥٣٩٠ هـ - له كتابه الصاحب للصاحب بن عباد
ابن دريد صاحب الحمرة والمقصورة توفي ٥٣٩٠ هـ . صاحب ابن ميسكال امير فارس
والف له بعض كتبه
السعدي - المؤرخ المشهور توفي ٥٣٩٩ هـ . نشأ في بغداد وطاف البلدان ثم استقر
في مصر

مسكويه - المؤرخ والفكر توفي ٥٤٣١ هـ . صاحب ابن الصيد وخدم بني بويه
ابن البطار - البائي المشهور وكان في خدمة الملك الكامل الايوبي
وامثال هؤلاء الاعلام كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم . اما المدن التي شاركت بغداد
او زاحتها في الادب والعلم فنذكر منها - مصر وحلب ودمشق وقرطبة واشبيلية
والقيروان وغوادره وديساور وبخارى . ومن الامراء الذين اشتهروا ببيعتهم الى الادب
وعلمهم على انحاء دكن الدولة البويهية ومنصور الساماني وشمس المعالي قابوس ونعمود الغزنوي
والعزيز والحاكم الفاطميان وصلاح الدين الايوبي وغيرهم .

الحركات الهدامة الداخلية

كانت الدولة العباسية منذ نشأتها مرتعة خصباً للثورات ، وتاريخها وثيق الارتباط
بها . وهذه الثورات تظهر في مظهرين كبيرين - حركات الحوارج والحركات العلوية .

حركات الحوارج

ويرجع تاريخها كما هو معروف الى ايام صيبن والتحكيم . من ذلك الحين ظهر
الحوارج وشأوا حرمات معادياً للخلافة فثاروا الامام علياً بعد ان كانوا قبل من انصاره .
ولهم مع الامويين وقائع مشهورة ، وقد كانوا من اشد الاخطار على دولتهم حتى قهرهم
الحجاج بن يوسف والمهلب ورجلها ، فضف امرهم وتشتتوا في الخفاء مختلفة ولم تقم لهم
قاعة بعد ذلك حتى خلافة المنصور العباسي . ففي ايامه حووا في عمان بقيادة زعيمهم شيبان
ابن عبد العزيز ولكن المنصور ارسل اليهم جيشاً قوياً قهرهم وقتل حيوهم .
والا كانت خلافة المعتز - والرش العباسي في حال اضطراب من جراء المستنقذين

به — عادوا الى حركاتهم فغرحوا في ولاية الموصل بقيادة مساور بن عبد الله ، وتمكسوا سنة ٢٥٥ هـ من دخول الموصل والاستيلاء على كثير من احياء العراق . وبلغ من امرهم ان زعموا على بغداد نفسها ، لكن جيوش الخليفة ردتهم فغرحوا . واقام مساور في الموصل حتى اعتزل سنة ٢٥٨ هـ ولم يبق للحركة الخارجية بعد ذلك من قوة سياسية في العراق . على انما بقيت في الحرية العربية وفي الفريق تحت اسم الاباضية (وهي فرع منها) قوة لا يستهان بها . ثم اعقرهم الزمن فتضعفت احوالهم ، ولم يلشوا ان انسحبوا من معترك الجهاد السياسي والحربي ^(١)

الحركات العلوية

وهي اما ثورات قام بها آل البيت انفسهم حروجا على الخلافة العتقية او حركات هدامة مؤسسة على المبدأ العلوي . وقد بدأت الاولى (ثورات الابنية) منذ انتزع الامويون الملك من آل البيت . ومنها قيام الحسين الى الكوفة ومقتله في كربلاء . وما تبع ذلك من دموات وثورات طيلة الحكم الاموي ، كثورة المختار في العراق ثم الثورة الحراسانية ، وكانت علوية في اول الامر ثم تحولت الى الماسيين .

ولما قام الماسيون وانفردوا بالملك دون العلويين رجع النزاع الى ما كان عليه بين الشيعة والخطاء . فتمركت الشيعة حركات مدعاه الماسيون مهيأنا ، كخروج النفس الزكية في المدينة ايام المنصور ، وخروج يحيى بن عبد الله في الديلم ايام الرشيد ، ويحيى ابن هرون في الكوفة ايام المتعين ، وظهور الكوكبي بقزوين وطرده آل طاهر ^(٢) ، لكن الخلفاء تمكسوا من الثائرين وقتلهم .

وفي بدء خلافة المأمون (وذلك قبل ان يقدم من خراسان الى بغداد) كثرت حركات الشيعة حتى رأى ان يعهد بالامر بعده لملي الرضا ^(٣) ، ولكن استياء الماسيين وموت علي الرضا حالا دون ذلك . ثم سكت حروجهم في احواز واليمن والعراق وفارس وتتابعت

(١) واحداهم متفرقة في امهات كتب التاريخ العربي : ومن الكتب الحديثة مختصر تاريخ الخوارج لمحمد شريف سليم ، والخواارج في الاسلام ليعز (مكتبة المعارف) وسواها

(٢) الطبري احدث سنة ٢٥١ (٣) ابن خلدون ٦-٩

دعائهم . وهم ، وفي لم يستطيعوا تقويض العرش الماسي ، فقد احدثوا فيه اضطراباً شديداً كان من جملة الاسباب التي ادت الى انحلال الدولة . ولا يخفى ان الخلافة الفاطمية التي ذكرناها آنفاً كانت من ثمار الحركات العلوية ومن اشدّ الضربات على الخلافة العباسية .

* * *

اما الحركات الهدامة المؤسّسة على المبدأ العلوي فقد قامت بها هيئات منطبة احدثت تأثيراً كبيراً في المملكة العباسية ، وامها حركات الزنج والقرامطة والحشاشين (الباطنية

الزنج

حوالى منتصف القرن الثالث الهجري في أيام الخليفة المعتد قام رجل اسمه علي بن محمد يدعى السب العلوي . وسأل اليه قلوب الميّد من الزنج بالبصرة وواجبها وافادهم على مواليتهم حتى اجتمع اليه منهم ومن سوام خلق كثيرين ، وما لبث حتى عظم شأنه واشتدت شوكرته . واتفقت له حروب وعروات نصر بها ، فتفاد شره وابست مسكوه السودان في البلاد العراقية والبحرين والاهوار . وفي ٢٥٧ هـ اماروا على مدينة البصرة فنهبوا واحرقوها وحدثوا فيها فظائع ذكرها ابن الرومي في قصيدة ستذكر في كلامنا من هذا الشاعر . وكانت بينهم وبين جود الخلافة حروب عظيمة دامت سنين كثيرة وذهب فيها الوف من القتلى ولسكنها انتهت سنة ٢٧٠ هـ بقرهم وتحرير البلاد من شرهم . وكان قائد الماسيين الاكبر في حروبهم الموفق اما الخليفة المعتد . ومن كبار رجاله موسى بن بشار وابراهيم بن المديني ، وابو العباس ابن الموفق ، وسوام ممن يرد ذكرهم في مدائح الشعراء (١)

القرامطة

كان ابتداء ظهورهم سنة ٢٧٨ هـ بسواد الكوفة ، وقد قاموا يدعون لآل البيت .

(١) لزيادة الاطلاع راجع ابن خلدون ص ١٨ - ٢٢ ، المصري ٢٢٧ ، الطبري في احبار حنة ٢٦٧ و٢٨٥ الح

وقوي امرهم هناك ثم ظهر منهم جماعة في البحرين وعاثوا في البلاد يسوون البصرة - فناديهم
عمال الباسين ولكن القرامطة انتصروا عليهم واستفعل امرهم في العراق ، فانضم اليهم
جموع من اعراب الشام وهاجروا دمشق . وكان بينهم وبين عامل الطولونيين فيها وقائع
شقي . وما زال امرهم يتعاظم ونفوذهم يتسع في العراق والشام والجزيرة العربية حتى امت
طرق الحج بايديهم فصادوا يستدون على الحاج . وفي سنة ٣١٧ هـ دخلوا مكة فهبوا
اموال الحاج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم اقتلوا الحبر الاسود من الكعبة وحملوه الى
هجر فبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة . قال ابن الاثير : لما بلغ ذلك الخليفة الفاطمي
المهدي كتب الى زعيمهم ابي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ويقيم عليه القيامة
ويقول : قد حلفت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد ما فعلت ، وان لم ترد
على اهل مكة وعلى الحاج وغيرهم ما اخذت منهم ، وترد الحبر الاسود الى مكانه ،
وترد كسوة الكعبة فانا نرى ، منذ في الدنيا والآخرة . فله وصله هذا الكتاب اعاد
الحبر الاسود واستعاد ما امكنه من الاموال .

وبقي امرهم الشغل الشاغل لولاء الامر في بغداد اكثر القرن الرابع الهجري ، واثبت
لنصف مبلغ ما احدثه في نفوسهم من كسب كتبه الصالح على سان الخليفة^(١) . ثم
ضعف امرهم وتفرقوا في البلاد^(٢)

الطاشو

وهم من الباطنية - ظهوروا اولاً في ساوه ايام ملكشاه الساجق فهاضهم ، ثم لا
لكنهم لم يستطيعوا قهرهم . فلما مات ملكشاه استفعل امرهم في اصفهان . وفي ١٩٣ هـ
استولى عليهم ومؤسس فرقتهم الحسن بن الصباح على قلعة أدوت وهي من نواحي قزوین
وجعلها مقر الحكم الاسعاجي ، ومنها تصدر الاوامر الى كل النواحي وكان يدعو
للخليفة الفاطمي بمصر . وفي ١٩٨ هـ ظهر امرهم في الشام فسلخوا حصن اعابية وقطروا
الطرق واخذت شوكتهم تتعاظم حتى كانت سنة ٥٢٠ هـ فاستولوا على مانيس ثم على

(٢) راجع بعض احاديثهم في

(١) راجع رسائله (المطبعة الشامية ١٨٩٨) ٢٦٦

ابن خلدون ٢ ص ٨٦ - ٨٨ و ص ٣٠٩ و ٣٠٩

امحس ، حتى وكان مطشهم شديداً بالمسلمين والافرنج الصليبيين ، وكان دأبهم اغتيال
الامراء والزعماء . ومما يدل على شدة شكيتهم ان صلاح الدين الايوبي حاربهم في
الشام ثم رأى ان يصالحهم .

وقد ظلوا اصحاب قوة وعطش وظلّ تعوذهم عظيماً من تركستان الى البحر المتوسط
حتى اواخر الدولة لبياسية وقيام دولة التتر ، فهاجمهم هولاء في العراق وغرب قلاهم
واعاد عيهم في الشام ذلك الظاهر ملك مصر . وهكذا أخذت شوكتهم وتشتتوا
شرذم في الاقطار الاسلامية ، وذلك بعد ان اضطربت لهم ملوك المسلمين والصليبيين
نحواً من قرن ونصف .

والعاطية التي ينتمي اليها الحشاشون تعضد المذهب الشيعي فكانت لذلك من اكبر
انصار الدولة الفاطمية ، ومن افعال العوامل دينياً وسياسياً في تقويض سلطة الدولة العباسية

العوامل الهدامة الخارجية ومنها غارات الروم

كانت بلدان الشرق الادنى المتاخمة لبحر الروم قبل الفتح الاسلامي جزءاً من مملكة
الرومان الشرقية (البيزنطية) . فلما حدث الفتح الاسلامي تقلص ظلّ الروم امام العرب
الفاتحيين . فاحتل العرب مصر وسوريا وانضموا جزءاً من الاقاصول وبقي اكثرها تابعاً للروم
لان العرب لم يستقرؤا هناك . والمتاخمة الاقاصول لسوريا والجزيرة العراقية نشأ بين الفريقين
منذ المئتين الاولى للهجرة حروب متواصلة كان النصر فيها سجالاً . في ايام معاوية مثلاً
توالت حروب العرب حتى القسطنطينية ثم تراجعت^(١) ، واضطر معاوية سنة ٤٣٢ هـ ان يصالحهم
على مئة الف^(٢) . وفي ايام عبد الملك هجم الروم على سوريا فبلغوا حماء وقفسرين
والمواصم ثم هاجموا السواحل حتى خضع لهم قسم من الجيسل . قال البلاذري وصالح
عبد الملك الروم ، بعد موت ابيه وطلب الخلافة ، على شيء كان يؤديه اليهم^(٣) . وفي
ايام سليمان بن عبد الملك عاد العرب فهاجموا القسطنطينية^(٤) . وبقي الحال على هذا
الموال بين الروم والمسلمين اكثر ايام العباسيين . ولا يتسع المقام هنا لذكر الزعماء او لتعداد

(١) الطبري ٥ - ٢٨٨٨ واس غلغون ٢ - ٢٢٨ (٢) الطبري ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٣) فتوح البلدان ١٨٨ (٤) ابن الاثير في حوادث سنة ٩٨

المدن والحصون التي كانت تتداوله أيدي العريقين على أنه لا مد من القول أنه كان لهذه الحروب أثر كبير في لأدب العربي . يمكننا أن نشير هنا إلى ما سنذكره من روائع أبي تمام والمعتري والمسي في انتصارات المستصم وامتوكل وسيف الدولة . ولم تبح الممالك الإسلامية من خطر الروم الذين كانوا يواصلون الغارات من الشمال حتى استقر الاتراك في الأناضول وحاولوا دون تقدم الروم نحو الجنوب .

(٢) غارات الصليبيين

وبما سكان الروم يهددون الدولة العاسية من الشمال العربي ، وكان السلاح يوظفون نفوذهم في عاصمتها ، انفق الافرنج على اكتساح الشام وما إليها بحجة انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين . وهكذا بدأت الحروب الصليبية وأحد الإوربيين يواصلون الغارات على الأنحاء الساحية من سوريا وفلسطين ومصر .

* * *

وبعد مصر الحملات الصليبية من ١٠٩٦ م - ١٢٩١ م وقد كانت الخلافة العاسية في أوائله متفككة العرى ، والفاطميون في مصر يترأصون العرص للإيقاع بها . وكانت سوريا - اندثر الدام يومئذ - قد خرجت من حكم الدولة السلجوقية الرئيسية وأصبحت إمارات يتنازعها أتاسكهم وخلفاء مصر . فاعثم الافرنج تلك الفرصة وغزوها أولاً عن طريق الروم ثم من طريق البحر ، ولم يمضوا أن احتلوا القدس وأسسوا فيها ، لعسكة لائنية بقيت محورة قرن ونصف (١١٠٠ م - ١٢٩٣ م) . ولم يكتفوا بذلك من مدوا نفوذهم على القسم الغربي من سوريا إلى ما وراء أنطاكية ، فأسسوا الإمارات المختلفة وأبنتوا القلاع الحصينة ، ساعدتهم على ذلك تنازع الحكام في البلاد وضمف الخلفاء في بغداد والقاهرة . ولكن الصليبيين كانوا من عاصر وبلدان شتى ، فنشبت بينهم مساومات كثيرة أدت أخيراً إلى قتلهم وخروجهم من البلاد ^(١) .

ومن كان له اليد الطولى في خضد شوكة الافرنج صلاح الدين الأيوبي مدك مصر

(١) قال ابن الجوزي في مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ أخبار سنة ٥٨٢ هـ فيها ظهر الخلاف بين الفرنج ونحرفت كلمتهم وكان لساعدة الاسلام

واخوه الملك المادل، ووقائهما مع الصليبيين في مصر والشام مشهورة . ولصلاح الدين وآله في الاسب العربي اثر كبير يظهر في المدائح التي قالوها من شعراء زمانهم . تذكر منهم ابن الساعاتي^(١) وابن النيه وابن قلاوس وابن مفرج البجلي وابن النعاري (وقد ذكره ابن خلكان ذكراً خاصاً في سيرة صلاح الدين وذكر بعض مدائحه) . فاهيك بالرسائل التي كان يتبادى بها منشو ذلك الزمان وعلى رأسهم القاضي الفاضل وعبد الدين الاصفهاني^(٢) وورع ما كان بين الشرق والغرب في حلال تلك الحروب من المداخيل المستعرة والقراع المستعرة ، حرج الفريقين من صهيروها بقوائد اجتماعية دينية عظيمة . وربما كانت عائلة النوردين اعظم ، فهم رجعوا عن الشرق العربي وقد اقتسوا من حضارته يومئذ ما كان له اثر كبير في حياتهم الاجتماعية .

والخلاصة

ان الدولة العباسية لم يسكد يميني محمد خضاعها الثابتة الاول حتى ظهرت فيها عوامل الفساد التي ادت الى تحللها . وهذه العوامل داخلية وخارجية - والداخلية هي (١) ضعف السلطة المركزية لسلط المستدين مما من عجز واتراك (٢) استقلال الإمارات المختلفة وتذرعها (٣) عوامل الفتن والثورات من خوارج وطوية .

ولخارجية - عارات التفرق من الشرق ، وعارات ازوم الصليبيين^(٤) من الغرب . وهناك عوامل اخرى يرجع فيها الى المطولات التاريخية

(١) نشرنا ديوانه حديثاً من نسخ خطية مريده

(٢) راجع احذر صلاح الدين في مرآة الزمان للبحوري ج ٨ ص ٢٧ - ٢٨٠ في احبار سنة

٥٨٩ وراجع الكلام على الرسائل في تطور الاساليب الشعرية لسوق

(٣) من اراد التوسع في الحروب الصليبية فراجع من بين المصادر الكثيرة

مرآة الزمان للبحوري ج ٨

ماورد في الجزء الخامس من ابن خلدون

احبار الصليبيين في دوا لغارف ولا سيما العرطانية والاسلامية

كتاب The Crusades and the East للمؤرخ ستيفنسون (Stevenson)

رسائل الكتاب ايام صلاح الدين في صبح الاعشى

تطور الحياة الاجتماعية

في العصر العباسي

المحاضرة في فجر الاسلام

من المعلوم ان بلاد العرب لم تكن في زمن الجاهلية حلوة من حضارة ما . وفي القرآن الذي هو نص تاريخي صادق نجد الدليل على ذلك في ذكر التاجر العربية والحرة والشركات ولاحتكارات والتشوي والصناع والحكثانة والملاهي والتقود وبعض اعطاف فاذا اضمت ذلك الى ما يقفه المؤرخون من احصاء اليمن وورش والامارات العربية القديمة في العراق وحوارن وتدمر وسواها ، عرب به كان لعرب قبل الاسلام اتصال بالعمران السائد يومئذ . وهذا لاسلام وحدثت اقترح ارداد هذا الاتصال وتنظيم ، وكان له بعد ذلك آثاره المعروفة .

بيد ان الروح الدينية كانت في فجر الاسلام قوية جداً ، فوفقت بهم قبلاً عن الاخذ «سبب اوجاء الحضري ، وكان لها اثر بين في تنظيم حكمهم الاولي ، حتى كان بعض امرائهم الاولين يسلكون مسلك التفتش وشددون في تنفيذ احكام الدين يسبون الخلق اذ وقع من لاثوب ويتجافون عن اطيب الطعام ويسبون في الاسواق كعامة الناس . والشواهد على ذلك من اقوال المؤرخين كثيرة متعارفة لا يسها هذا المقام (١) . فكتفي منها مثال رواه لنا الطبري عن عمر قال « ان سلعة بن قيس بعث برسوله الى عمر بنشفتح بلاد الاكراد ويحمل اليه حلي وجواهر . قال الرسول فاقبت امير المؤمنين وهو يقضي الناس متكتناً على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع ويقول يا يرفاً رد هؤلاء لحاء ، زد هؤلاء خيراً ، زد هؤلاء مرقه . فاذا طلعام فيه خشونة . ثم اتته الى داره فذا هو جالس على مسج ، متكى على وسادتين من ادم محشوتين ليفاً فنذ الى

(١) راجع وصف الحلم في مقدمة ابن خلدون ٢٠٥ والفجري ٦٥

أحداها خلعت عليها ، وإذا هو في صفة فيها بيت عليه ستر . فقال يا أم كلثوم (روحه
 عمر) عذرا . ورحلت إليه خذة بزيث في عرضها ملع لم يديق « الى آخر الحديث ^(١) .
 على ان هذا التبرج كان على أشده في خلافة عمر . ذكروا انهم استأذوه في بناء
 الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل ، فقال اقموا
 ولا يزيدن احدكم على ثلاثة آيات ولا تطأوا في الديان والزموا السنة ^(٢) . ومادا يراد
 بالسنة هنا غير ما عهدوه من مقتضيات لتكشف أقباعا لاحكام الدين ؟ وتأبيداً لذلك
 فنقل العلماء الاوون كعب بن جابر وابن سعد وسواهم كثيراً من الاحاديث النبوية التي
 تخص على الساطعة والتكشف فلما جاء عهد عثمان اخذوا يتساهلون في ذلك فقد روى
 المسعودي ان الصحابة ايم عثمان اقتنوا الصياغ والمال واشتروا اسود ذات الشرفات ^(٣) .
 ولما حدثت الفتنة على ذلك الخليفة اراد خصومه ان يستألفوا هذ الساهل العمري فذكروا
 من جملة ما تقوم عليه بناء الدار ^(٤) . وقد فسر ذلك المستشرق كاسانوف بقوله « ان
 العوم الذين شأ فيهم عثمان (اي الامويين) كانوا اقل اهتماماً بأمور الدين والآخرة منهم
 بأمور الدن ، فكان مهمهم الفتح وجمع المال » ^(٥) . ولعل الاصول ان نقول ان التبرج
 السني ضد الحصار وازفاعة امر غير طبيعي فلا يلبث ان يؤول وهكذا كان بعد
 الحكم العمري ، برسم ان بعض الصحابة والتابعين طنوا على سنة عمر .

الدولة الاموية

ولما انتقل مركز الخلافة الى الشام خطا العرب الى الامام في سبيل الحضارة السياسية
 والاجتماعية . « وكان معاوية مؤسس الدولة الاموية اول من اقام الحرس والشرط والرايين
 في الاسلام وارعى الثنور ، ونشي بين يديه بالحرب وجلس على السرير والساس
 نحتة » ^(٦) . وقد ظهر على معاوية الميل الى محاكاة الاعاجم في آيتهم منذ كان حاملاً على
 الشام . ذكر ابن خلدون انه لما لقي معاوية عمر بن الخطاب عند قدومه الى الشام في ليلة
 الميث وزينه من العبد والعدة استنكر ذلك وقال احكروية يا معاوية ؟ فقال يا امير

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨

(١) الطبري (ليدن) ١ - ٢٧١٩

(٣) اليعقوبي ٢ - ٢٥٣

(٤) المسعودي (باريس) ٢ - ٢٥٣

(٥) اليعقوبي ٢ - ٢٧١ الفخري ٧٨

(٦) Moh. et la fin du monde ٥٨

المؤمنين أن في شعر تجاه العدو ، وسنا الى مهامهم بزيادة الحرب واجهاد حاحة ^(١) وبعد ان كانوا في المدينة لهدم الارل يحسون التجاني عن الرفه والرخاء واحباً دينياً صاروا لا استقر ملكهم في الشام يتأثرون في اسباب الحياة الخضرة ، فسوا الخلل المزركشة واقدموا الانية الفاحرة ، وانصرفوا الا الفلائي منهم الى الملاهي . ولم ينحصر ذلك في دمشق بل تراه في كثير من الحواضر كالكوفة والحيرة والمدينة ومكة . ومن السديهي ان يقبل الخاصة ومن يليهم من العامة على ما يقبل عليه امراؤهم ، حتى ان بعض ابناء الصحابة واحدهم اصبحوا من اكثر الناس استمتاعاً بالملاهي .

ومن امثلة ذلك عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فقد تشامخ بالقاء والحواري حتى عيب عليه سعيه في عدم مروته . ومعه الوليد بن عقبة اخو عتبان بن عذن فقد شهد عليه اهل الكوفة انه صاعى بهم اصبح ثلاث ركعت وهو مسكران ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب حذو عمرو بن العاص بصر شرب الخمر . ومنهم وليد بن عتبان بن صفان ، وحفيده العرجي الشاعر ، وابن ابي هنيئ حفيد بني مسكو ، وغيرهم من ابناء الصحابة الذين اقتضت السياسة الاموية منهم من الاشتغال بالسياسة فاندفعوا في سبيل النهو والنحو ^(٢) . وصار النهو الشغل الشاغل لبعض المتفرفين حتى في مناسك الحج ^(٣) وهذا الاقبال من الامراء ومن دونهم على الدنيا كان له بلا شك تأثير كبير في تشييط الصناعة والتجارة والادب ، ودل على دمشق وسائر الحواضر العربية عدد من الصانع والمصن والحواري والشمر . مما زاد حركة الاعمال واحداث فيها حاة اجتماعية لم يعهدها الراشدون .

ومع كل ذلك بقيت للندوة تومة في نفوس الامويين . فلم يصحكن امراؤهم برعم سياستهم التي كانت ترمي الى تعظيم البيت الاموي يرفعون من معايشة رعاياهم ومخاطبتهم والسماح لهم بالكلام مدمم . فقد نقل عن الوليد بن يزيد والفير اخيه انها لما ماتت مبيد (المعني المشهور) مشيا بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد ^(٤) . وكان عبد الملك اول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء . وتقدم فيه وتوعد عليه ^(٥) . ولا عربة فقد

(١) المقدمة ٢٠٣ (٢) (٣) (٤) (٥) جامع اخبارهم في ما يلي :

الكامل للمبرّد (عصر ١٣٠٨) ١ - ٣٩٢ و ٣٩٣

المقد (بولاق) ٣ - ٥٠٦ و ٥٠٧ والويري (دار الكتب المصرية) ١١٣ - ١١٩

(٦) الاعاني (دار الكتب) ١ - ٣٧ (٥) البيان والنتيبي (ص) ٢ - ١٩٢

كان بعضهم يكلمه بما لا يكلم به الملوك ، كما روى الحافظ عن رجل من بني مخزوم وكان رديفاً . قال دخل على عبد الملك فقال له عبد الملك اليس قد ردك الله على حقيقتك ؟ فقال أو من ردك إليك فقد رد على عقبه ؟ فاستحي وعلم انه قد اساء ^(١) . ودخل كثير على يزيد بن عبد الملك يسأله عن معنى بيت للشاعر فاستحقه واخرجه ^(٢) . ويشت ذلك انهم كانوا حتى أيام الوليد يسبون خلفاءهم باسمائهم قال البيهقي كان الوليد يقول لا ينبغي لطيفة ان يناشد ولا يكذب ولا يسيه احد باسمه ، وعاقب على ذلك ^(٣) . وعن ابن خلدون انهم تحذروا عن القاب التعظيم مع المضاضة والسذاجة لان العروبة في سائرهم لم تعارفهم حينئذ ، ولم يتحول منهم شعار الدابة الى شعار الحضارة ^(٤) ، وعقل كانت اعطيتهم كثرة الاول احدث بذهاب العرب وداوتهم ، ومثلهم كان عيالهم .

وقد نقل ابن خلدون حديث الحجاج ووليته في اختان بعض ولده ، قال فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولانهم اعرس فقال شهدت بعض مرازمة كسرى وقد صنع لاهل فارس ضياعاً احضر فيه صحاب الذهب على احرمة الفضة ، ارمياً على كل واحد ، تحمله اربع وصائف ، ويحس عليه اربعة من الناس ، فاذا اطعموا أتبعوا ارسقهم المائدة بصحافها ورحائهم . فقال الحجاج وقد علم انه لا يستقل بهذه الالة يا علام البحر الخزر ^(٥) . ويظهر مما ذكره في موضع آخر ان نظامهم الحربي ظل بدوياً فكانت اسفادهم لحروبهم وغزواتهم بظلمتهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد ^(٦) . ومع ما دونه الفتح عليهم من امال وما مهدت لهم من سبل الحضارة لم يخرجوا خروجا تاماً من منارخ البادية في حياتهم الا انهم توسعوا كثيراً في الملاهي فتشطت في الامصار المختلفة حركة الفناء واللعب على الآلات وشأت في المدن المختلفة ولا سيما مدن الحجاز محاس خاصة وحلقات خاصة من مشين ومضيات اتخذت الفناء مهنة تورتق بها . وقد بلغ ذلك منهم حتى صار فيهم دور خاصة ادملاهي والمطالعة . جاء في كتاب الاعاني ان عبد الحكم بن عمرو الحمصي اتخذ بيتاً في المدينة جميل فيه شطرنجات وزدات وغرفات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اولاداً فمن جاء علق ثيابه على وقد مسحها ، ثم جرد دفتراً فقرأ او بعض ما ينبغي به .

(١) البيان والتهذيب (س) ٣ - ٣٦٢ (٢) البيان والتهذيب (س) ٢ - ١٩٦

(٣) البيهقي ٢ - ٣٨٨ (٤) المقدمة ٢٢٨ (٥) المقدمة ١٧٤

(٦) المقدمة ٣٦٨

غلب به مع بعضهم^(١) . وإذا قالم ذلك عا كانت عليه المدينة أيام الي بسكر وعمر مثلاً
تجد فرقاً كبيراً في اتحاء الاسكر نحو الملاهي .

اما في دمشق - عاصمة الدولة يومئذ - فقد كان الخلفاء انفسهم الا القليل منهم ينشطون
هذه الحركة . وكان يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء . وآوى
المعنيين وشرب الخمر^(٢) . واشهرهم في ذلك سليمان بن عبد الملك ، وزيد بن عبد الملك
والوليد بن يزيد^(٣) . وفي أيامهم كثرت الملاهي ولم تنحصر في الخاصة بل تعدت الى العامة ،
فنشأت طبقة من المتخصصين في صناعة اطرب كان لهم اتواع يدربونهم على الفاء والآلات
تدريماً قياً . وطهر في الحمار جماعة من المعين بلغوا من الشهرة مبلغاً عظيماً - منهم :

ابن مسنح (مكسي) وابن ملحور (محكي) وطويس (مدني) وابن سريج
(مكسي) ومعد (مدني) وحيلة (وكانت مفعلة القبات في المدسة) ومرة الميلاء . وحسين
والعريض واصراهم ممن تجد انصارهم ، تفصيل في كتب الادب^(٤)

وقد رافق تقدم الفاء في هذا العصر تقدم اشعر العربي ، ولا عرر فيها ريباً عاطفة
واحدة . ومن الشعراء الذين عرروا بأسر والفنشي وب الى ذلك من هو ومجون

الأحوص وهو مدني من الأوس

يزيد بن الطائية وهو شاعر مدوي

نصيب مولى عبد العزيز بن مروان وقد اشتهر ايضاً بالفناء

هر بن الي ربيعة هو مشهور واحتص شعره بوصف الفاء وحاله معهن

الفرحي وقد مر ذكره وكان شعراً باللهو والصيد والشباب

ومن طفتهم كثيرون لا يتسع هم المقام^(٥)

* * ■

(١) الاعالي (بولاق) ج ٤ - ٥٢ (٢) الاعالي ١٦ - ٧٠

(٣) المستطرف (بولاق) ٢ - ١٨٨ (٤) راجع كتاب الاعالي ، ج ١ - ١٥٢ ،

ج ٣ - ٨٦ ، ج ٢ - ١٢٦ ، واما كس اخرى له . ونهاية الارب سوبري (دار الكتب المصرية)

ج ٢ ص ٢٣٢ - ٢٩٠ (٥) وتجد احدهم في الاعالي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة

ووجبات الاعيان وسواها

ومن مظاهر التطور الاجتماعي أيام الامويين نشوء دور التعليم وازدياد عدد المتعلمين . فقد صكك العرب في اول امرهم اميين ، الا افراداً قلائل تلقوا في الحجاز اول الدعوة الاسلامية سبعة عشر شخصاً^(١) ثم اخذ عدد القراء والكتبة يتزايد : قال ابن خلدون « لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا المالك ونزوا الكوفة والبصرة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلوا صناعته وتعلمه ، وتداولوه فترقت لاجادة فيه^(٢) وطبعي ان تتقدم القراءة والكتابة ، وان ينشأ في مساجد الخواضر حلقات تعليمية ويكون فيهم معلمون لصبيانهم . وقد ورد ذكر معلم الكتاب في شعر جرير اذ قال - « هدي دواة معلم الكتاب » . وفي اخبار الوليد بن عبد الملك انه مر بمعلم صبيان يعلم جارية الغ^(٣) .

ودكر الخافظ امثال الناس من المطيع . وفي دفاعه عنهم حملهم ثلاث طقات - مؤيدي اولاد الملوك - ومؤيدي الخاصة - ومعلمي كتابي القرى . وذكر بضعة من كبار المؤيدين في العصر الاموي مثل الجهمي والشمسي وعبد الصمد الاعلى وكيت بن ريد وقيس ابن سعد وعطاء بن ابي رباح وعبد الحميد الكاتب والعماج بن يوسف ، يوم كان يعلم في الطائف^(٤) . وبعبارة اخرى فرق بين الاساتذة المؤيدين وبين معلمي الكتاب الذين لم يلقوا مكانة في العلم والتأديب . وقال ان امثال العامة قد تصدق على بعض هؤلاء . على الطبقة الاولى التي ينتمي اليها كبار العلماء والعقلاء وقادة الافكار . وقد نقل ابن قتيبة وصايا بعضهم لمعلمي العصر الاموي فتراجع^(٥) .

وبذلك على انتشار التعليم في هذا العصر نشاط حركة النسخ والتدوين : ذكرنا انه في معركة صفين رفع نحو خمسة نسخة من القرآن^(٦) . ومع انه لم يصلنا شيء يذكر مما دون في هذا العصر فلا شك ان التدوين سابق للعصر العباسي . ومن ادلة ذلك نقلهم الدواوين الاممية الى اللغة العربية . ويجدنا يعقوبي ان زياد ابن ابيه كان اول من دون الدراويش ووضع النسخ للمكتب^(٧) .

(١) ابلاذري (ليد) ٤٧١ (٢) المقدمة (بيروت) ٤٢٠

(٣) البيان والتبيين (س) ٢ - ١٦٦ (٤) البيان والتبيين (س) ٢١٠

(٥) عيون الاخبار (دار الكتب) مج ٢ - ١٦٦

(٦) السعدي (باريس) ٤ - ٣٧٨ (٧) اليعقوبي ٢ - ٢٢٩

وفي هذا العصر بدأت حركة النقل والفرجة ، واول من فعل ذلك خالد بن يزيد . ففي الفهرست نقل له الكيمياء . وحل اسمه اسطغان^(١) . ويقول ابن النديم ان سالماً كاتب هشام نقل بعض رسائل ارسطو وذكر كتباً في مواضيع مختلفة دونت في هذا العصر .

فما مرّ يستنتج ان احتكاك العرب بسوامم احدث فيهم ميلاً الى الاخذ عنهم ، فزاد فيهم عدد المتعلمين وكثر الاقبال على القراءة والكتابة ، واصبح في كثير من المساجد مراكز تعليمية للعلوم الدنيوية والدينية .

على ان المدارس لم تكن قد تنظمت تماماً وذلك :

١ - لعدم توفر الادوات الكتابية وافتقارها

٢ - لقصر مدة الامورين ولاشغالهم بالحروب والفتن

* * *

وبقي الامر كذلك حتى قام العباسيون وانتقلوا الى بغداد ، ثم انصرفوا الى العلوم والمدارس فتنظمت اسباب التعليم والتدوين والتصنيف ، وحدثت تلك الحركة الفكرية المشهورة .

فالعصر الاموي عصر انتقال اجتماعي تطورت فيه نوعاً عادات العرب ومعارفهم ودخل اللغة كثير من المصطلحات الادارية والاجتماعية والعلمية التي لم يكن للجاهلية عهد بها^(٢) .

حضارة العصر العباسي

في هذا العصر بلغ التطور الاجتماعي اوجه ويظهر ذلك في ما يلي :

١ - نشوء قومية عربية جديدة

٢ - عمران بغداد وسواها من الحواضر

٣ - اتساع الثروة وترف الخاصة

٤ - النهضة الفكرية العامة

ولنتشرح كلاً من هذه الظواهر الاجتماعية بالتفصيل

(١) الفهرست (ل) ٣٦٢ و ٣٦٦

(٢) راجع امثلة ذلك في تاريخ اللغة العربية لزبدان ص ٢٠ - ٣٠

نشوء قومية عربية جديدة

واساس هذا النشوء (١) انتشار العرب في الامصار بعد الفتح (٢) امتزاجهم من سبيل الزواج بعناصر اخرى (٣) تعرب الامم المغلوبة .

خرج العرب من الحرية العربية فاحتجوا وانتشروا في الانظار التي افتتحوها كالعراق وفارس والشام ومصر وافريقيا والاندلس وانتشروا فيها مستعمرات خاصة صادت بعدئذ مدناً هامة كالبصرة والكوفة وواسط والاسار ودمداد والقاهرة والقيروان وسواها . وكانوا في اول امرهم يحلون في اثر الفتح فائز ومثو فيقيمون في الامصار ويتحضرون . والظاهر ان هذه الهجرة الى الامصار المغلوبة كانت من سياسة القادة والامراء . فقد ذكر البلاذري مثلاً ان ابا عبيدة رثب بالاس (مناجية حب) جماعة من المقاومة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا باسم قاتلوا بعد قدوم المسلمين ، وقوماً لم يكونوا من العوث نزحوا من اسوادي من قيس (١) . وذكر ان مسلمة بن عبد الملك اسكن مدينة الدار في الحضر اربعة وعشرين الفا من اهل الشام (٢) ، وان هرثة اختط الموصل واسكنها العرب (٣) . وقال القنسي كانت تدعى اولاً خولان حتى وصل بها العرب فاجتمعوا ومقرها (٤) . وقد سبق هذه المحركات الاسلامية الاولى الى الاسمار المجورة لملاذ العرب محركات قديمة يدنا على ذلك انه قبل الاسلام وجدت امارات وقبائل عربية في العراق وسوريا وفلسطين كالكلميين والفساسنة وتدمريين والانساط وسواهم . وكثير من هؤلاء القبائل تحضر واصطاع دسفة البلاد الدينية والاجتماعية

واستمر الامر على ذلك شطراً من الدولة العباسية . فقد بنى المصور ملطية من ثغور الروم (وكان قد رثب فيها معاوية واسطة من المسلمين ثم خربت) واسكن فيها الوفاء من اهل الحرية (٥) . وفي ايام المهدي عز الحسن بن حطية بلاد الروم بجيش مؤلف من اهل خراسان والموصل والشام ودمداد اليمن ومطوعة العراق والحجاز ، وبني طرطوس (وكانت قد خربت) ومصر (٦) . ويذكر سياسة التدمير هذه انه لما اراد المؤمن عرد الروم

(١) البلاذري ١٥٠ (٢) البلاذري ٢٠٧ (٣) البلاذري ٣٣٣

(٤) الحسن التميمي (لبن) ١٣٩ (٥) البلاذري ١٨٧ (٦) البلاذري ١٦٩

قال أوجه الى العرب فأتي بهم من الوادي ، ثم اتولم كل مدينة افتتحها حتى اضرب الى القسطنطينية . على ان الاجل لم يمده ان يتم هذا الفتح ^(١) .

ومن ذلك تحرك العصيت في الامصار المختلفة كربيعة ومضر ايام الوليد في خراسان ، والقيسية وليانية ايام المأمون في مصر ، ولحم وجذام سنة ٢٥٧ هـ ^(٢) في فلسطين ، ناهيك عن كان قد رحل من العرب الى افريقيا والاندلس .

والى انتشار العرب بعد الفتح واستقرارهم في الامصار يشهد ابن خلدون في قوله - « وكان قد وقع في صدر الاسلام الالتئام الى المواطن فيقال حشد قسرين وجند دمشق وجند المواسم ، وينقل ذلك الى الاندلس . ولم يكن (ذلك) لأطراح العرب امر النسب وانما كان لاحتصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وعادت لهم علامة رائدة على النسب . ثم وقع الاحتياط في الطواصر مع المعجم وعدم وفست الاساب بالحلة وفقدت ثروتها من المصلحة وطُرحت . ثم تلاشت المنازل ودثرت المصلحة بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان » ^(٣) .

وإذا نظرت الى هذا الامتزاج من جهة اخرى تجد ان الجزيرة العربية لم تكن مركز الملك العربي الأبحر من ربع قرن . ثم تحول الامر الى دمشق فبغداد وبشأت على اثر ضم الخلافة في بغداد حواضر لامارات مستقلة . ومعنى ذلك من الوجهة الاجتماعية ان اعتصر العربي العانع استقر قسم كبير منه بعد الفتح خارج الجزيرة حتى قدّر بعضهم من دخل سوريا منه بنحو ربع مليون ^(٤) . ولا نستطيع ان نحزم بضعة هذا العدد ولكننا لا نشك ان الفتح سهل للعرب الانتشار والاستقرار في البلاد التي افتتحوها ولا يقلل ان يحدث ذلك دون امتزاج او احتكاك قوي بالامم الاخرى . ففي الشام سكن الروم والسريان واليهود ، وفي العراق الاراميون والفرس ، وفي مصر الاقباط ، وسواهم في سوى ذلك . وقد اتصل العرب بهذه الامم اتصالاً وثيقاً واحتملوا ثقافتهم وحياتهم الاجتماعية . وكان اكثر امتزاجهم بامرس - اولاً لاسراع هؤلاء باعناق الاسلام ، وثانياً لما كان لهم من التأثير السياسي بعد ان اصحمت بغداد عاصمة الخلافة .

(١) البيهقي ٢ - ٥٧٣ (٢) راجع البيهقي ٢ - ٣٩٩ و ٥٦٧ و ٦٣٣

(٣) المقدمة ٦٣٠ (٤) La Syrie Iammens 119-210

واذا تخيرت ذلك من الرخوة النعومة يتضح لك روعة الامتزاج - فان اكثر الالفاظ المقتسة اما يونانية او فارسية - على ان اليونانية راحة ملاحكثرة الى حياة اليونان العلمية والعلمية دلالة على ان الامتزاج كان على هذا السيل^(١) . اما الالفاظ الفارسية فمظها اجتماعي - وقد تخيرنا اكثر من مئة فظة فارسية الاصل فوجدنا مظهرها من باب لاسكل والمشرى والمدرس والمعرش والملمى ومن الادوات المنزلية والصناعية وما الى ذلك ، مما يدل على شدة تأثرهم من حياة الفرس الاجتماعية^(٢) .

واذا نظرت الى اللسان العربية اليوم وجدت في الفاظها العربية الحديثة قياساً منطقياً لما حدث في الماضي . فاكثر الفاظها المعية مقتسة عن لغات اوربا الحديثة . اما الاجتماعية ففي العراق تكثر منها المقتسات الفارسية والتركية ، وفي سوريا الايطالية والافرنسية ، وفي مصر التركية والاوروبية . وما وحود هذه الالفاظ الأ دلالة على احتكاك سكانها بالامم التي اقتسموا معها . وذلك ما حدث للدولة العربية في تعداد وسواها . وهذا الامتزاج العربي الاجتماعي طبيعي بين الشعوب تتبادل فيه الالفاظ كما تتبادل السلع . فكما ان العرب احدثوا اولاً عن الفرس والروم والبرمان والاقباط الذين استقروا بينهم كثيراً من الفاظهم ومصطلحاتهم ، عاد هؤلاء فاحدوا من العربية ما لا يمكن حصره ها ، ولا سيما الفرس الذي اصحت لغتهم مزيجاً من الفارسية القديمة والعربية . وكذلك اخذ غيرهم كالأتراك والاسبان . وكل ذلك دليل على تبادل امباب الحياة الاجتماعية ، ويكون الاقتباس هوياً على احد سبيلين

(١) الامم المفلورة من الامم الدلية

(٢) اللغات المتأخرة في نوع من انواع الحضرة من اللغات المتقدمة فيه

الامتزاج بالزواج

ولم تقف عملية الزح في الاقطار الاسلامية عند هذا الحد ، بل تمدتها الى ما هو اعلى فقد احتلط احسن العربي لسواه على سبيل الزواج - احتلط اولاً بالامم التي اعتنقت

(١) تحد كثيراً من هذه الالفاظ في الكتب الطبية والعلمية لذلك العهد

(٢) راجع امتنسات الاممية في نشاء الطيل النعاجي وفي العرب للجواليمي والالفاظ المعربة

لادني شير وسواها

الاسلام من فارس وترك وبرز وسواهم ، ثم هلامهم الاخرى عن طريق الساما والحواري اللواتي بعن دوراً مهماً في تاريخ الاسلام الاجتماعي . وقد كان الامويون اولاً يتعصرون ضد ابناء الاماء ولا يستخلفونهم . فقد أقب عبد الملك علي بن الحسين الزوجه جارية ، وعنه هشام بن عبد بن علي بن الحسين بقوله : انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت اس أمة ^(١) . ولا روج ابراهيم بن النعمان بن شيبه الانصاري يحيى بن حصة مولى عثمان بن عفان استه على عشرين الف درهم قل قتل يعبره ^(٢)

اسمري لقد حلت بعك حرية وخافت فعل الاكثري الاكابر
ولو كان حذاك اللباس تناصا بدربك اما صايح الألائم

على ان ذلك لم يمس حتى بعض الخلفاء الامويين من الزوجه هلام . فكنت ام يزيد بن الوليد فيروز شامي ابنة شجيرة ^(٣) ، وام يزيد بن عبد الملك شاهفريد بنت فيروز ابن كسرى ^(٤) ، وكانت حدة مروان بن محمد كدية اما منو العباس فكذلك بينهم ، حتى كان كثير من حلفائهم ابناء اماء ^(٥) . منهم المصور والرشيدي وابراهيم بن المهدي والمأمون والمنصور والمتين والمتز والمهدي والمقتدر والمعتكفي والمستضي والناصر . وقس على ذلك سائر الطبقات حيث احتلط الدم العربي بمياه اختلاطاً واسع النطاق

تعرّب الامم المغلوبة

من هذه الامم من تعرّب تعرباً جزئياً وقتياً كدانس والاندلس مثلاً ، ومنها من تعرّب تعرباً كلياً دائم كعصر والشام والمراق وشمالى افريقيا . وقد حدث هذا التعرّب فيها تدريجياً - بدأ منذ الفتح الاولى وقبلها هجرة العرب واشتد بنشر الاسلام ، ثم تحول دواوين الحكومة ايام الامويين ، وتا كان للعرب او للسليمن من امتيازات في المملكة الاسلامية . واخذت حركة التعرّب تتقدم مع الايام حتى استقرت العربية في هذه الاقطار . والمشهد ان ذلك جرى في الاقطار السامية الاصل او التي قمت الى الساميين

(١) المسودي ٥ - ٦٦٨ (٢) كامل العمدة (ايرك) ج ١ - ٢٢١

(٣) من الملاحظ (راجع رسائل الملاحظ مطبوعة البصرة مصر من ٥١)

(٤) تاريخ التمدن الاسلامي (ثريدان) ٦ - ٥٥٣

بنسب شتى ، اما في سواها فلم يكن الا جزئياً كما ذكرنا ولوقت معين . ففسارالت شوكة العرب زالت الصبغة العربية عنهم وبقي اثرها في لسانهم ومدينتهم وهكذا نشأ في الافطار الاسلامية العربية (ما نسميه اليوم بالشرق العربي) قوميات شتى ، تجمعها جامعة معنوية قوية هي جامعة اللغة والثقافة . وليس من نصيبهم اليوم انهاء العرب (خارج الجزيرة العربية) الا مزيجاً من مظاهر شتى اصطفت بالصبغة العربية وارتبطت بتاريخ العرب وميراثهم الادبي . وهذا الامتزاج القومي اللغوي التساريحي اثر في لادب العربي تأثيراً يئناً ، فكثرت فيه المناسبات الاحدية ، واحتمرت فيه الحياة الفكرية اختاراً ادى الى نشوء الحضارة العربية المعروفة في القرون الوسطى .

عجيزة بغداد بغداد هاضمة العباسيين

كانت بغداد في ايام العرس قرية بقوم لا سوق لهم ، ودار عليها المثنى فانتسها (١) ، ثم لم تكد بعد ان احترها المصور العباسي مركزاً لدونته وبني فيها مدينته ، حتى رحلت بالمران واصبحت من اعظم العواصم في القرون الوسطى . وانما نحن نذكرها هنا ذكرأ خاصاً لعلاقتها الكبيرة باشعراء الدين بدرس حياتهم وشعرهم ، ولانه فيها تشعلى الحضرة العربية في ابعى ظواهرها .

وقد مرنا في عرض كلامنا عن « العوامل السياسية في اندولة العباسية » ما كان من تنازع المصالح المختلفة في بغداد ، وان اهمها ثلاثة (١) العرب - ويمثلهم البيت المالك وبعض الامراء والعمال (٢) الفرس - ويمثلهم الوزراء والسكرتة ومعظم رجال العلم ثم امراء الديلم المتطلون (٣) الاتراك - وكان منهم امراء احد ثم السلاخقة ورجالهم . ففي بغداد التقت مظاهر شتى واحساس كثيرة تنافس على السيادة ولرزق وكان لهذا التنافس اثره في احوالها الاجتماعية . ولما كانت هذه المدينة عاصمة الخلافة والدولة ، ولا سيما في القرنين الاولين من العصر العباسي ، كان من الطبيعي ان تتدفق فيها اموال الاقاليم عن طرق شتى اهمها - الحباية والمصادرة والتجارة والزراعة . ولتناول حكلاً منها بقليل من الاسباب .

(١) مراد الاطلاق (ليند) ١ - ١٦٣

الحياة والمصادرة

بلغت رقعة المملكة العباسية في ايام قوتها حداً عظيماً من الانساع فكان ينجي اليها
 مما وراء النهر الى المغرب الاقصى . قيل وقد حسب خراج الروم بمقتضى قبيل اقل من
 ثلاثة آلاف الف . فكتب الى ملك الروم ان اخس ناحية ، عبيداً اخر عبيدي ،
 خراجها اكثر من خراج ارضك ^(١) . واذا صحت هذه الرواية لم يكن المقتصر مبالغاً ،
 فقد ترك لنا قدامة بن جعفر قائمة مسببة في الخراج لهدد المقتصر يسبق مجموع اكثر من ٣٣٨
 مليون درهم ^(٢) . واحصى ابن خلدون الخراج ايام المأمون وقضاه اقليلاً اقليلاً فاذا مجموع
 يزيد على الاربع مئة مليون درهم ^(٣) . وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية يعطون
 النصارى بالاموال والارواح ، تنجي اليهم الاموال الطائلة فيدفعونها في رجايم وحاشيتهم
 وملاهيهم ، ويختارون منها ما يروونه طين الخيانة . فان امصور حلب لانه المهدي ما يريد
 عن ٦٠٠ مليون درهم و١١ مليون دينار ^(٤) . وحسب ابو شيد نحو ٩٠٠ مليون درهم ^(٥) .
 هذا مع كل ما اشتهر به من السطاء والاسراف ، حتى قال الصدي منه انه لم يؤخر خيفة
 اعطى منه ^(٦) . وكانت علة امة الخيران في العام ١٦٠ مليون درهم . اما رجال الخلفاء
 وورادتهم فكانوا يحيطون الاموال الطائلة ويشارون في انفاقها . فقد بلغت عبادة الفضل
 ابن سهل ايام المأمون على ما رواه الطبري نحو ثلاثة ملايين درهم ، وذهب انقض بن يحيى
 البرمكي اب الف درهم ل محمد بن ابراهيم العباسي ^(٧) . والبرمكية مشهورون بحكومتهم
 ورخائهم ، وكانوا أصحاب الدولة والمجد حتى نكسبهم الرشيد واستصفياه والمهم ، على ان
 الكرم والى لم ينعصرا فيهم . ومن يراجع اخبار الوزراء والعمال يدهش انك . ما كان
 يصلهم من المال ، وما كانوا يبقونه في سبيل مآرهم وملاذاتهم . جاء في شرح الملوك
 للطرطوشي ان الصل (اي الحاكم) ايام عمر بن الخطاب كان راتبه مع معاوية ٦٠
 درهم في الشهر ^(٨) ، فصار الحال ايام الامويين يتقاضون الرواتب الكبيرة . على انهم لم
 يبلغوا عموماً مبلغ ملاذاتهم في العصر العباسي .

(١) احسن التقاسيم لعمادى (ليدن) ٦٤ (٣) تاريخ البلدان الاسلامي ٢ - ٥٦

(٢) الملحة ١٧٩ - ١٨١ (٤) المعهودي ٦ - ٢٢٣

(٥) ابن الاثير ٦ - ٧٦ والطبري ج ٣ - ٧٦٤ (٦) الطبري ج ٣ - ٧٤١

(٧) الفجري ١٥١ (٨) سراج الملوك (١٢٨٩) ٢٢٥

ولم يكن هذا المال من طريق الحياة المشروعة فقط بل كان للمصادرة شأن كبير في العصر العباسي . والمصادرة ما يقبضه السلطان من الوزير وهذا من المال والمال من الرتبة .

وقد نعت في الدولة العباسية ان انشأوا مديناً خاصاً . واخبرني بني العباس حادثة بذكر المصادرات ، وكذلك اخبار وردائهم وعملهم . من امثلة ذلك فائمة ما قبضه ابن الفرات وهي انموذج لانواع المصادرة ومقاديرها ويبلغ مجموعها ملايين الدراهم ^(١) . وقد قال ابن الفرات من ذلك ما لساو الكهرا . فقد قال عن نفسه - تأملت ما صار الى السامان من مالي ووجدته عشرة آلاف الف دينار ، وحسنت ما اخذته من الحسين بن عبد الله الطوحي بن اخصاص فكان مثل ذلك واليك مثله احدى ما يرويه اليعقوبي وسخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه وامواله ونفذه ، ثم رضي عليه ورده ، وسخط على احمد بن خالد المعروف بابي الوزير فاستصفي ماله ثم رضي عليه . ولما سخط على الكتاب قال لاسحق بن ابراهيم انظر لي رجلاً احدهم لديوان الخراج ، والآخر لديوان الضياع (المصادرة) ، ثم يذكر ما فعله هذا الخليفة بايتاغ التركي وحرقة حامل معمر ، ويقول : ووجه الحسين بن اسماعيل مسكان محمد بن ابراهيم ، وامره ان يعذبه حتى يستخرج الاموال التي صارت اليه ، فعذب حتى مات . وفي مكان آخر يذكر قبضه ضياع ابن ابي دؤاد وامواله ، وانه احصر الى بغداد فلم يبق قليلاً حتى مات ^(٢) . وفي المعري (المصادرة) على هذه المصادرات ، منها مصادرة المستبد للوزير الى الصقر بن بلبل ، وام المقندر لكانتها ابن الحبيب ، وابن الفرات لابن مقلة على مئة الف . قال وفي ايام المقندر وياهم وزيره الى القائم كثرت المصادرات ولم يبق الوزير نفسه منها فصادره الخليفة وابعده . واعجب من ذلك ما فعله القاهر بأم المقندر . فقد عذبه وصادره منها مئة وثلاثين الف دينار ^(٣) . هذا مما صادره الاتراك والديلم وكثير من الوزراء وكبار المال ، لا يسمه هذا المقام ^(٤)

وكانت هذه الاموال الوفيرة ينفق اكثرها في بغداد فليس من الغرابة ان نسمع عن

(١) راجع عصر المأمون للرقاعي ١ - ٢٣١

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ من ٥٩٢ - ٥٩٧

(٣) كتاب المعري في اخبار المقندر والقاهر

(٤) راجع امثلة ذلك في تجارب الاسامكوية في احبار سنة ٣٥٠ و٣٦١

كثرة البدخ والسخا. في دور الخنساء والامراء^(١) وقد تناول ربدان في تاريخ التمدن الاسلامي^(٢) نفقات الدولة العباسية ، وبعد ان بحث فيها اسباب ونقل ما نشره دون كريم من محمد بن محمد الصدي ، وما اشترطه هذا على نفسه ان يقدمه من صيانة لبيت المال (وفيه ما كان ينفقه بيت المال ايام المعتضد) ، وحد ان مجموع النفقات كانت نحو مليونين ونصف مليون دينار في السنة ، باعتبار سبعة آلاف دينار ممكن يوم . فادنا حسنا ان النفقات كانت متقاربة ايام المأمون والمعتصم والمعتضد ، واحرحتا ذلك من معدل ارتفاع الحياطة كى اوردها ابن خلدون وتدامة ، استنتجنا ان محراً من ٣٠٠ مليون درهم كانت تبقى في بيت المال يتصرف بها الخليفة كما يشاء . فهل يستغرب او ينكر بعد هذا دفعهم (حتى في ايام ضعفهم) ايهب الدنانير للشراء والمقاييس والمعد ، او في سبيل الحوارى وسائر الملاهي التي اشتهروا بها وراجت سرقها في رماهم ؟ وايضاحاً لذلك ننقل بعض امثلة من بذخهم .

مدابح المرفق والمكثمي

اشتهر هذان الخليفان بكثرة ما حبا من الاثواب وكثرة التأنق في اللبس حتى كان المرفق ستة آلاف توب من جسر واحد^(٣) ، وكان للمكثمي من الاثواب ما يبلغ عشرات الآلاف^(٤) .

جواهر المقتصد واسرافه

كانت خزانة الدولة في ايامه مفرقة بالجواهر ، من جعلتها حجر الزايفوت الذي اشتراه الرشيد بتلاتة الف دينار ، والندرة البينية التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسة ، فقرعها واتلفه في ايسر مدة^(٥) . ولا عجب فقد كان له احد عشر الف خادم من الروم والسودان وهم بثابة حاشيته وحرسه .

(١) راجع مثلاً لذلك بدخ المتوكل - المصمدي ٧ - ٢٧٦

(٢) ج ٢ - ص ٦٥ - ٧٢ (٣) البخري (١٣١٧) ٢٢٨

(٤) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥ - ١٠٧ (٥) البخري ٢٣٦

بذخ ام جعفر وامم المستعين

ذكر المؤرخون انه كان لام المستعين بساط فيه نقوش على اشكال الحيوانات والطيور احدها من الذهب وعيونها من الحواجر وقد قدروا قيمته بنحو ١٣٠ الف دينار^(١). وذكر ابن حلكان ان ام جعفر الزمككي كانت في ايام عمرها تمني ووراها اربعمئة وصيفة ، وقد يسكب في ما ذكره صانعة والسك يشير الى عني وافر وبذخ عظيم .

الرهاني والرشيد والنائس ومطربوهم

قيل ان المهدي اعطى يوم الموالي في يوم واحد ١٥٠ الف دينار^(٢) . ومضى ان محرز في حصرة رشيد بسات مطلقا « وادعوا ليام الحلي ثم انشي » فاستجاب الرشيد بطرب وامره بثقة الف درهم ، وفعل مثل ذلك بدمحان الاشقر^(٣) . وهات هدا الحليفة لدمانه وشعرانه اكثر من ان تحصى ها واقصى الوثائق بحدة فوهب اسحق وقد عني في حصرته مئة الف درهم^(٤) .

الولائم والافراح والمساكن

ذكروا ان المال الذي اتفق يوم زفاف بوران الى المأمون على الفؤاد فقط بلغ نحواً من خمسين الف الف درهم^(٥) . وذكر صاحب التكملة ان ابا الفضل الشيرازي عمل دومة اتفق فيها الف الف درهم وذهب فيها جوارى وعباداً وضياعاً النع . وفي يوم زفاف ابنة القاسم بن عبيدالله الى احمد بن المكتفي اتفق ما يزيد على عشرين الف دينار^(٦) .

-
- (١) المستطرف (ولان) ١ - ١٩١ (٢) الاعاني ٥ - ٦
 (٣) المستطرف ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ (٤) المستطرف ٢ - ١٨٥
 (٥) الطبري حم ٣ - ١٠٨٣ وتزيين الاسواق للاطفاكي ٣ - ١١٧
 (٦) صلة الطبري آخر اخبار سنة ٣٥٦

أما المساكن فنكتفي منها بذكر دار الوزير ابن القرات التي ابن طيب مني الف دينار ، ومثلها على ما قيل دار ابن مقلة ^(١) .

* * *

وأما هذه - ثلاثة قليلة سقناها لموضح ما نحن مصدده من توفر المال لدى الخاصة ولا سيما قبل الحلال الدولة - وفي أحوار العاسيين ورجالهم مما تحده في تضاعيف حكايات الأدب وإنه ربح ما يملأ صفحات عديدة - ولم يكروا ليضطربوا القيام هذه النفقات الطائلة وهذه لاجبة لعظيمة (مهم كان معلماً فيها) لولا تدفق الأموال عليهم من الأقاليم المختلفة ، وقد بقي لهم حق في أيام ضعفهم وخروج السلطة من أيديهم حفظ وأمر من المال من البويهيين لما استولوا على الأمر بعدد مبروراً ، وللعظيمة خمسة آلاف درهم كل يوم ^(٢) . وفي سنة ٣٣١ هـ بين لطيف المأدوم ^(٣) ، وهو مبلغ كبير إذا قيس بموالت الحكام - ولم يكن ما يقضه الخليفة المستعصم يومئذ الأشياء بسراً بالية أي ما كان يتقاضاه صاحب الأمر وعينه . وهذه لأمر الباطنة كان من كثره في بغداد ، وكان نصيب الأدب منها وأمر . ولما تخرجت المملكة في الإمارات مستقلة ، ينتمى الحال كثيراً على الإدياء والمصايف ورسل العرب ، إذ أصبحت حر صر هذه الإمارات تنافس بغداد في المعى والدخ والافتق على العلم والأدب ، وإن لم تملع ما بلغته العاصمة الكبرى في زمان مجدها .

الهمدان التجاري والزراعي

لم تكن بغداد مركزاً للعلاقة والسلطة حسب بل كانت مركزاً حكيماً للتجارة أيضاً ، وسعددها على ذلك مركزها الجغرافي على نهر كبير صايع لملاحة وإنها في نقطة وسطى بين الشرق والغرب . والمعروف أن المسلمين حكانوا في العصر العباسي سلاطين البحار تغر سفنهم إلى سومطرة وبنجبار وكالكتا وجزائر الهند والصين ^(٤) ولمعسكر ،

(١) حله الطبري أخبار سنة ٣١٨ أن الأثير أخبار سنة ٣٣٤

(٢) تجارب الأمم أخبار ٣٣٤

(٣) ترجم مؤرخاً في روسيا كتاب صيني يرجع إلى القرن الحادي عشر منظم من ترجمة العرب - راجع كتاب روبر A Moslem Seeker After God p. 30 وفيه أنه وجد مسكوكات سكوفية في اسكتلندا فيما ترجع إلى العرب الحادي عشر

وتحوت البحر المتوسط الى لاندلس وسواها . وقد تركوا اثر تمولهم التجاري في
المصطلحات التي اقتبسها لغات العرب عنهم - مثل

Garracca	حرقة	Cable	جبل السفينة
Tarif	تعريفة	Amiral	امير البحر
Musline	موصلين	Arsenal	دار الصناعة
Damask	دمقس		

وما اشبه من الالفاظ التي دخلت اوروبا من طريق التجارة (١)

ويوازي اساطيلهم التجارية في الاهمية قواهم البحرية التي كانت تحمل المتاجر من كل
اجزاء وقد ذكر المقدسي في احسن التقاسيم انواع التجارات من الاقاليم المختلفة واهبها -

اليافوت والاندلس والفاخير والارد من الهند

البزلق من البحرين

المزوحات من ايران

الحصر والقباطي والفراتيس من مصر

الزجاج والحزف من البصرة

المسك والسكر من الصين

الرفيق الابيض من تركستان والاندلس وبلاد الصقاله وسواها

الرفيق الاسود من السودان

وعبر ذلك من المتاجر الواسعة التي لا يتسع المقام لذكرها . ولا شك انه كان لبعضهم يد

كبرى في التجارة ، فان حوهرياً من الكرخ ساومه بجي الدمكي على سبط من الجواهر

تبلغ سبعة ملايين درهم (٢) وقد عرف من كبار التجار آل اجصا (مؤ ذكرهم في

باب المصدرة) - والشريف عمر - ذكر ابن الاثير ان دخله السنوي كان الف الف وخمسة

الف درهم . وكانت ثروات بعض تجار المراكب في اسيرة تقدر بالملايين . وقد دعت

التجارة بعضهم الى اقصى البلاد : ذكر المقرئ ان عبي بن بشار الدمكي قدم الاندلس

تأخر سنة ٣٣٧ هـ (٣) . وامثال هذا التاجر كثيرون ممن كانوا يرحلون من الشرق الى

(١) راجع كتاب مون كروتر The Orient Under The Caaphs Tr Bnkhsh 362

(٢) راجع المتطع ديسمبر ١٩٣٠ ص ٥٣١ (٣) مع الطيب (نولاق) ٢ - ٢٢٢

العرب وبالعكس . وكان لعدد نصيب وافر من ذلك تعكسه لنا بعض قصص الف ليلة وليلة ، فهي وإن تكن أساطير لا صحة لها تمثل روح العصر الذي قامت فيه بغداد والنصرة أوج حضارتهما التجارية .

أما الزراعة فقد كانت أيام العباسيين على درجة عظيمة من الارتقاء . فأنهم هل ما يستدل من أخبارهم جعلوا همهم اعتماد الأنهر والشاء الحشور والزرع ، حتى جعلوا ما بين دجلة والكوكة سواداً مشتركاً مع جيرة تحققة انهار الفرات ^(١) . وقد ذكر المؤرخ مسكويه في عرض كلامه عن عهد الدولة تلافيه بعدد ما لميرة بعد ان حوت لشكة الفتن والمصادرات ولاضطرابات . قال « وكان بغداد انهم كثيرة (ذكر منها نحو عشرة بعضها من دجلة وبعضها من الدجيل) فاندفعت بحارها وفت رسومها » . ثم ذكر مصالح السواد وتعبير القدر على انهاره وحماية مزارعه وما بلغ همة عهد الدولة من العمران بعد الحروب ^(٢) . وفي كل ذلك اشارة الى عهد زراعي راقى عرفته بغداد والعراق عروماً أيام زهو الخلافة .

ومثل ذلك في كتاب الفخري الى يوسف الى هارون الرشيد كما نقله عون كرمي في كتابه الشرق تحت حكم الخلفاء ^(٣) . فان ابا يوسف يذكر من واجبات الحاكم تعمير الاقضية للري وتنظيف الأنهر التي تحمل المياه من الفرات والدجلة الى السواد ، وما الى ذلك من الجور والسدود والقناطر والملاحة . وبؤيد ما ذكرناه من هذا العمران الزراعي ان ارتفاع المطراج من السواد ايام المعتصم (كما في قائمة قدامة بن حنبل) بلغ من القمح والشعير نحو ثلث ارتفاع الاقاليم كلها اي حوالي ١١٥ مليون درهم ، ونقي على هذه النسبة الى اواسط القرن الثالث الهجري (راجع قائمة ابن خردادبه) . وليس ذلك دليلاً على ثقل الجبايات فقط ، ولكن على هبة الارض ايضا وتمكن الناس من القيام بما يتطلب منهم للدولة . ولم ينحصر هذا العمران الزراعي في السواد العراقي ، بل زده ايام فرز العباسيين في اقاليم اخرى كخراسان ومصر وسواها .

في التجارة والزراعة ، وما كان يجبي الى بغداد ايام عزها ، توفرت فيها اسباب العمران حتى فقت سواها واصبحت عروس الخواضر في القرون الوسطى ، او كما قالت دائرة

(١) الاصطوري (طبعة برلين) ٨٥ (٢) تجارب الاسم اخبار سنة ٣٦٩

(٣) نسخة لاسكيزية ٧٣٨ (ترجمة Bukhsh)

المعارف الاسلامية (في كلامها عن بغداد) انبثقت في ايام زهوها المقام الاول بين المدن في العالم المتحضر يومئذ . وقد زارها ايام المستعبد السائح اليهودي سب-مين الطليطلي وقال بها (ولم تكن يومئذ في بن محمدا) * بها اغزر مدن العالم لا يقلها الا القسطنطينية^(١) ، وزارها الرحالة ابن حبير في سنة ٥٨٠ هـ اي في اواخر العصر العباسي وقال عنها * واما حماماتها فلا تحصى عدتها : ذكر لك احد اشياخ اللداهيا بن الشرقية والغربية نحو الالهية حمام وكذلك مساحد لا يأخذها التقدير ، وانداس فيها نحو الثلاثين واما فيها من مدرسة الا وبقصر القصر السديع عنها ، واعطى واشهرها النظامية . الى ان يقول * فشان هذه اللدة اعظم من ان يوصف واين هي بما كانت عليه هي اليوم داخلة تحت قول جيب (الى عام)

لا انت انت ولا الديار ديار خف اموى وتولت الارطار^(٢)

ويبقى لاس حذر ان يقول ذلك متأسفاً ناديا عمرا بغداد . فقد ذكر الطليطلي لغد دي بغداد في يام المامون وقال كان فيها حصة وستون الف حمام^(٣) . ويظهر لنا في ذلك بعض المداحة ، وسكنه بها كان ، فهو يدل على عطية المدينة وتوسع عمرانها حتى لقد قدرت مساحتها بنحو ستة عشر الف فدان ، وعدد سكانها بنحو مليون ونصف او اكثر^(٤) .

ولم ترتق هذه الارتفاع العظيم في مدة لا تتجاوز الستين سنة الا لانها كانت مركز دولة تسيطر على اقاليم وشعوب تضرع ما كانت عليه الدولة الرومانية في عنفوان قوتها . ويؤيد ذلك ما نلناه من وصف اقاليمها في كتب الاصلطحي وابن حوقل والمقدسي وابن جبير وابن خردادبه وقدامة وسواهم من ارباب الرحلات وكتب الخراج .

(١) Coke-Bagdad the City of Peace (London 1927) ١٣٦

(٢) رحلة ابن حبير (٢٠٧ و ٢٠٨)

(٣) نقل ذلك ريدان بن ابن خلدون وعن ابن الملوک (راجع تاريخ التمدن الاسلامي

ج ٢ - ١٩٠) (٤) تاريخ التمدن الاسلامي ٢ - ١٩٢

بعض صور اجتماعية يعكسها الادب العباسي

١ - كثرة الجوارى والعلماء - من نتائج المال والترف في العصر العباسي اقتناء الجوارى والعلماء . وكان في بغداد - كما كان في البصرة وسواها من الحواضر الكبرى - سوق لبيع الرقيق من عبيد وامساء : حكى عن ابي دلامة الشاعر انه مر " بنحاس يبيع ارقيق فرأى عنده من كل شيء ما يصرف بهوماً ودخل الى المهدي فاشده قصيدة بها :

ان كنت تبغني العيش حلواً صافياً فالشر أعزُّه ولكن نحاساً ^(١)

وذكر الاصفهاني انه كان للرشد رهاء المي جارية ^(٢) ، وعن السمردي كان المتوكل أربعة آلاف جارية ^(٣) . ولم يقصر العاصيون في مصر عن العيش في بغداد . فقد كان في قصر اuct احكامهم باسم انه ثمانية آلاف جارية ^(٤) . ومثل هؤلاء مالوك الاندلس وسوهم . على ان ذلك لم يقتصروا في قصور الملوك والامراء ، بل تعداهم الى منازل الخاصة وارباب اليسار من تجار وملاكين و... ، ومن بينهم من طغت انشعب . وكانت ائمة الجوارى تختص من عشرات الدنانير الى لآلوف وقد يبيع الشعب بعض الامر . ان يدفع مئات الآلوف من الدراهم في - بيل احد هن - وكانوا يشاهدون الجوارى ، فقد اهدى طاهر ابى المتوكل هدية فيها ٢٠٠ وصيفة ووصيب ^(٥) ، بل كانت الامراء احباً تهدي زوجها بعض الجوارى كما فعلت زبيدة مع الرشيد ^(٦) . وقد طلع اهتمامهم بتشريف الجوارى والعلماء وتعليمهم مبلغاً عظيماً اذ كان ذلك يزيد انماهم ويأتي بالروح الى المتعرجين هم .

ومع اننا نجد في العصر العباسي بعضاً من النساء الرافيات علماً وثقافة ، واننا نجد في كتب التاريخ شواهد على انه كان يتاح للنساء ان تتعلم كما نرى ، لا نجد الادب العباسي يعكس لنا من حالة المرأة ما يحيطها في مقام رفيع : فخذ الشعر مثلاً نجد من هذا القبيل نوعين - الغزلي والحديثي - فالغزلي كثر الى نواس واضرائه اكثره مقرون بحياة الجوارى

(١) الاغانى ٩ - ١٣٨ (في اخبار ابي دلامة)

(٢) الاغانى ٩ - ٨٨ (في اخبار حبة) (٣) مروج الذهب ٧ - ٢٧٦

(٤) حطط القريري (مصر ١٣٢٤) ج ٢ - ٢٣٣ (٥) المسودى ٧ - ٢٨١

(٦) الاغانى ١٦ - ١٣٧ (في اخبار دنابير)

الزواني كمن يشتري ويتهاذى بهن^١، وهو يصود لث عبث الشباب الماجن . اما الحادي كشرع
المرعي فتشائم ينظر الى المرأة في المدخل نظرة سوداء ، ولعله متأثر مما بلغته من التأخر
الاخلاقي بعد ان زاعمتها الحاربة فاعتقلت وحيل بينها وبين الرقي العسمي والادبي . ويظهر
ذلك في الادب المنشور كما يظهر في الشعر ، ولا ينشئ من هذا الحكم الاقلان لا يبي
عليهن حكم عام .

وما يذكر هنا ما ملته بعضهم من التهلك والاحتياط الاخلاقي الاجتماعي ، حتى صاروا
يستخدمون الفنان كالحواري ، ومن ذلك نشأ عزل الذكر كمن زناه في شعر بعض من
متنكبي ذلك العصر .

٢ - مجالس الشرب والنساء - توفرت في الخواضر ولا سيما بين الخاصة في بغداد
مجالس الشرب ، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام . وكان بعضهم يتذرع الى ذلك -
على مناقضته لاوامر الدين - بان الشرع حلل نبيذ التمر . وعليه بنى ابن خلدون دفاعه عن
الرشيذ اذ قال « وانما كان الرشيذ يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق ، وفتاويهم
فيها معروفة . واما الخمر الصرفة فلا سبيل الى اتهامها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها » .
الى ان يقول « وحال ابن اكثم والمأمون في ذلك حال الرشيذ ، شرابهم انما كان النبيذ ،
ولم يكن محظوراً عندهم ^(١) » . على ان شرب الخمر على انواعها كان شائعاً كما يشين من
درس الشعر السامي ، وكذلك بحجاسة الدماء والمعين والقيئ . ولم يكن ذلك يدعة
في الدولة العباسية ، فقد سبقهم الى ذلك الامويون ، واحبار يزيد والوليد وسليمان وغيرهم
كافية لدلالة على ما ذكرناه . فبعد ان كان المسلمون ايام الراشدين يتعجبون من الخمر
ويعاقبون شاربها ، اصحوا بعد ذلك يرون في بعض خلفائهم وقصصهم مسا يستحل لديهم
معاقرتها : نعم ظلت الشريعة نافذة في حد السكرى ، ولكن ذلك لم يبع الساس من
تطاطي السكر وارتداد الحانات . ومهما كان من المماناة في ما يتقوله عن الهادي والرشيذ
والامين والواثق والمتوكل ، ومن جرى مجراهم من الملوك او نادمهم من الشعراء والمصنفين ،
فاجماع اكثر المؤرخين على شربهم الخمر وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهلك ، حتى روى
الانثيبي ان الواثق كان يرقد في المصطكان الذي يشرب فيه ، ويرقد معه ندماءه ^(٢) .

وكان الشراب مادة مقدّرة بالنساء ، ففي كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر اولو الفن فيضون او يرقصون ، ويشرب الحاضرون ، ويقصون وقتهم على ذلك . ومن امثلة ذلك ما نقله ابن لاثير عن الامين انه امر يوماً قتيمة حواربه ان تهني له مائة جارية فتصعد اليه عشراً عشراً بايديهن الصندان يثنين بصوت واحد ^(١) . وكتب الاديب ملاي باحار المصين والمصيات ، وما كان يبدل لهم من الاموال الطائلة ، وسئم شيء من ذلك في كلامنا عن الشعراء .

٣ - نشوء حركة زهدية مضادة لترف العصر - وسنتكلم على في غير هذا المقام .
٤ - التأثير في العيون الحضرية - ويدخل تحتها تشييد المدرل وبيع الثياب والمعروشات وطهي الطعام وبناء المراكب وصنع الآلات الموسيقية ، وما الى ذلك من سبب الحضارة . وقد بلغت المدن الاسلامية من ذلك في العصر العباسي مبلغاً عظيماً ؛ يذكر على ذلك وصف القصور والمساجد التي كان بينها الملوك والامراء في الخواضر الكعوى ، كما يمكنه لنا الشعر العربي في ذلك العصر كما سترى عند كلامنا عن الشعراء . وكذلك وصف لولام والرياش وسائر اسباب الحضارة الصنامية .

ذكر ابن خلدون انه كان لملوك دور في قصورهم لنسج انوارهم تسمى دور الطرار ، وكان القائم عليها ينظر في امور الصاع فيها وتسهيل آلائهم واجراء اذواقهم ^(٢) . ولما احتك الصليبيون بالترقيين وحدوا في رقي الشرق الصاعى والاحتامي والترامي مما حدا بهم الى اقتباس كثير من فنونه وموافقه ، وقد رجعوا الى اوربا يحملون معهم من الشرق ما كان له تأثير في نهضة اوربا لاحاقية في القرون الوسطى - كقرينة دود الحرير وصناعة النسيج والاعجاد والسكر والزجاج والحرف والبارود ، وما الى ذلك مما تحده . فضلاً في المباحث الخاصة عن الحروب الصليبية ^(٣) .

٥ - انتشار المدارس والعلوم - ذكرنا قسلاً ان الانية كانت سائدة في العرب بميل الاسلام ، وانهم اخذوا بعد ذلك يحطون في سبل الثقافة ، وما عتقوا ان انشأوا حلقات العلوم الدينية والفنية في المساجد والكتاتيب المبطة في القرى . ولما استقر الامر للعباسيين زادت حركة التعلم والتتيف وتنظمت دور العلم في الامصار المختلفة ، ولا سيما

(١) ابن الاثير ٦ - ٢٠٦ (في سيرة الامين) (٢) المقدمة ٢٦٧

(٣) راجع دائرة المعارف العريانية تحت Crusades

في بغداد ومصر : قال المقرئ « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعة من سني الهجرة ^(١) ، ثم يذكر بعض المدارس المهمة ويتناول مدارس مصر خاصة فيصفها مدرسة مدرسة . ولا شك ان المقرئ يعي بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توفرت لها الاوقاف والاموال ، وتجري على نظم معينة كالنظامية في بغداد ، ودار المعلم والاهل في مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ونسكه لم يتطعم الا بعد القرن الرابع الهجري . واهم مراكز التعليم في العصر العباسي بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ، ويليهما حلب وطرابلس ومدائن كثيرة من اقطار مختلفة ^(٢) .

* * *

ومن اسباب الرقي العمي في هذا العصر تلك الحركة الكبيرة - اعني حركة النقل العمي عن اليونان والفرس والمجود التي مرقت اهل العربية بالعلوم الكونية القديمة واخرحت منهم بعدئذ مشاهير في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيا وسواها . ولا كذا فقد حصصنا الفصل الذي نلحظ في هذه الحركة الفكرية ذلك بحجتي هنا بالاشارة اليها وندكر ظهورها العامة وهي -

- ١ - نفاوس الامراء في العالم الاسلامي على بناء المدارس والكتليات والسفاه عليها
 - ٢ - نمو حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد الكتب وانتشارها ^(٣)
 - ٣ - ائش. المكتبات العامة والخاصة
 - ٤ - حظوة العلماء والادباء لدى الملوك والامراء
 - ٥ - الرحلات العلمية من الاندلس الى الشرق وبالعكس
 - ٦ - المذاهب الفكرية المختلفة ونشاط ادبائها في الدفاع عنها
 - ٦ - احتداد العقلية العربية « علوم الطبيعية والفلسفية
- كل ذلك احدث في العصر العباسي تجديدًا ظاهر الاثر في الشعر الذي يمثل تأثر الامة بما يحيط بها من اسباب العمران .

(١) المقرئ (مصر ١٣٣٦) ج ٤ - ١٩٢

(٢) راجع من العائنة التي نظمها خليل طوطح في كتابه The Contribution of the Arabs to Education 23

(٣) راجع مقدمة ابن خلدون في صناعة الوراق

مجاري الحركة الفكرية

ليس للحركة الفكرية في أمة من الأمم منشق خاص تتدفق منه تدفُّق اليأس من جوانب التلايل . بل هي كسيول الأودية تفيض المياه القليلة المتحدرة من ههنا ومن هناك فلا تلتصق أن تصير معجزة شديدة الشكسية . كذلك حياة العرب الفكرية كثيرة الأصول متشعبة الروافد ، وهيهات أن نحول لأن البحث عن كل أصل وكل رافد منها ، فانه متصل بظلمات يتبني فيها الاستقراء المعمي والقياس المسطفي . ف تاريخي الذي نبسطه ههنا الا وحذف احتمالي للمجاري الفكرية التي نل لنا طول البالوع في حياة السطفيين والعربية .

على انه لا نرى مدوحة عن الله نظرة الى الماضي العربي في القدم ليطلع على بعض العوامل الرئيسية التي كان يد يد في ترقية هذه الحركة الفكرية العربية ، فوسط الماضي بالاضطرار رطبا يسهل ما فهم مصاديق والظفر في رجاء ، ما احدثوا وما اعملوا . وحدث ما حدثنا الى ان نعمل كلامنا في مسحين رئيسيين

- ١ - المصادر الرئيسية التي استمدت منها العربية مجريها الفكرية
- ٢ - وصف بعض المجاري الفكرية في اثر يذكر في الادب العربي

في المصادر الرئيسية

وهو يتناول ما استمدته العرب من فلسفة اليونان ومن الحركات الفكرية في الهند وايران وهو بحث واسع يلخصه صلات الادب فيما يلي استناداً الى مراجع تذكر في حينها .

المصدر اليوناني

كان اخو الذي ظهرت فيه النهضة العربية (لاسلامية) مشعباً بنظريات اليونانية . لهذا اعاد الاسكندر على آسيا زاحقاً الى اهدء احدث العلوم اليونانية تنتشر في الشرق^(١) ،

وتخبر عقول المفكرين بمبادئ الفلسفة الذين انجذبهم بلاد اليونان ولم ينض الرومان ومدبروا روافدهم على شاطئ البحر المتوسط - على البلدان التي ورثها خلفاء الاسكندر - قضوا على سيادة العصر اليوناني السياسية، لكنهم لم يقضوا على مدينتي اليونان لان الرومان انفسهم كانوا يعدون اليونان اساتذة هم في العلم والحضارة . فكان في العالم الروماني مركزان كبيران للحركات الفكرية اثبا في الغرب ، ومحركي الفلسفة فيها ادبي اجتماعي ، والاسكندرية في الشرق ومحركي الفلسفة فيها ديني روحي ^(١) . وكان طلاب العلم يقصدون هذين المركزين للتحري في العلوم والفلسفة ، حتى الرومان انفسهم كانوا يؤمنونها هذه الغاية ^(٢) .

وفي اوئل القرن السادس لميلاد اشتد اضطهاد الحكومة الرومية على مفكرين اثبا الذين كانوا يتشبهون بالتعاليم اليونانية القديمة (الوثنية) ، واضطر هؤلاء الى هجرة لاورطان والصرى في رحاب الارض ، وسار حالهم يشد

وفي لارض مائى للكريم عن الاذى وفيها ان خاف لقل متفرل

فساقتهم الاقدار الى ملاط كبرى اوشروا ، ذلك السهل الفارسي لخص للعلم والفلسفة ، ودرهم على الرحب والسعة ، ولم يقتضوا ان احدثوا في بلادهم حركة فكرية جديدة فظهر آذنيها في مدرستي نصيبى وحنديسابور ^(٣) . ولكنها لم تلبث ان ضعفت لوجوع هؤلاء المفكرين الى بلادهم .

وكأنما قدر مع فارس ان تكون الصلة الادبية بين الشرق والغرب ، وهذا الفخر الذي فات العصر العربي انقلب الى العنصر السرياني (السوري) الذي عرف الشرقيين بفلسفة اليونان وعلومهم . ففي اوائل القرن السابع لميلاد كانت بلاد العرب تتمنض مولود حديد ، مدنية دينية مركزها الحجاز ، حتى اذا تعرضت وامتد سلطانها واستوت على سوريا ومصر وصراها من بلدان البحر المتوسط ، استقرت تطلبت غير الفتح المادي من اسباب التقدم والحضارة ، فانصرفت الى تحصيل العلم والفلسفة واتحدت ادلتها في ذلك

(١) Alexander-Short H st. of Philosoply 117

(٢) Mosheim. Ecclesiastical Hist. (1832) 1-77

(٣) Arabic Thought (N Y 1922, 42— Les penseurs de l'Islam 111-7

واستندتها مفكرى اليونان الذين كانت تعاليمهم كما ذكرنا قد ملأت العالم المتبدن شرقاً وغرباً ، ولا سيما تصانج فيثاغورس واطلاطون وارسطو . ذكّر ابن القبطي ان خمسة هم اساطين الحكمة ، وهم ابيدقيس وفيثاغورس وسقراط واطلاطون وارسطوطاليس ^(١) . ولا شك ان الاحيرى اشدّهم علاقة بحياة العرب .

قد نه كمال في العالم القديم قبل الاسلام مركزان رئيسان للعالم والفلسفة اثينا والاسكندرية ، على نهما و يكونا وحيدين . ففي القرن الخامس للميلاد كان للعلم والفلسفة بضمة مراكزهما ، عدا اثينا والاسكندرية ، القسطنطينية وبيروت وروما وارثها (ارد) وهي في القسم الشمالي الغربى من الجزيرة ، ونصيبى في شمالي الجزيرة ، وحندياپور في بلاد فارس ، وحرّث . وكان للمدرسة اليونانية الحفظ الاوفر في هذه المراكز العلمية ، اذ عني دراسة لليونان كمال المعول في الطبيعيات والاهيات والرياضيات . قال هوسيم في كلامه عن العلم والفلسفة في القرن الخامس بعد الميلاد ^(٢) : « كان طلاب الشرائع يؤمنون بديوت وطلاب الطبيعيات والكسبياء يؤمنون الاسكندرية . وقد اشتهر معلمو القسطنطينية والرها والاسكندرية في فن التعليم . على ان اساتذة البيان والشعر والفلسفة وسواها من العيون لم ينحصروا في هذين المركزين بل انتشروا في كل الجهات وانشأوا لانفسهم نوادي ومدارس » .

فاشرق الادنى قبل الدفورة الاسلامية كان تحت تأثير الروح اليونانية الفلسفية . نعم ان تلك الروح كانت تتبين مظاهرها بصفة الى اماكن ظهورها ، ففي مدارس القسطنطينية المسيحية ، وفي مدرسة حران العاصمية ، ومدرسة حندياپور الفارسية ، والرها السريانية ، وفي مدرسة الاسكندرية اليونانية الوثنية كان الفكر اليوناني سائداً ولكن سيادته كانت على درجات متفاوتة .

في هذا الجو اليوناني نشأت حياة العرب الفكرية مستمدة من الشرق روحها ومواطنها الدينية التي يعكسها لنا الشيخ السجستاني بقوله « ان الشريعة مأخوذة من الله عز وجل بواسطة السفير يسه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور

(١) القبطي اخبار الحكماء . ٦٠

(٢) Mosheim—Ecc. Hist. I—380

المعجرات . وفي انسابها ما لا سبيل الى البحث عنه والفرص فيه ، ولا بد من التسليم المدمر اليه ، وهناك يسقط بهم ويبطل كيف النج^(١) - ومن العرب نظرياتهم الفلسفية ومبادئها العلمية المبينة على المنطق والنواميس الطبيعية . وقد دخلت هذه النظريات الى الآداب العربية عن طريق النقل او الترجمة وكان لها في حياة العرب الفكرية تأثير بعيد المدى . ومن المعلوم أن نقل العلوم او الفلسفة بدأ منذ العصر الأموي^(٢) ، على أن العصر الأموي لم يتسع لتقدم هذه الحركة ، فلما انتقلت الخلافة الى بغداد اخذت حركة النقل تنمو نمواً سريعاً وزادها تشاهاً تطمح بيت الحكمة في بغداد واهتمام بطلب الكتب العلمية من بلاد الروم^(٣) . ورعاية الخلفاء . ولا سيما المأمون اخذ جماعة من تشاري الشام يترجمونها الى العربية ، وقد اشتهر منهم جماعة كانوا من اركان النهضة العلمية في ذلك الحين ، وتسهم سواهم حتى بلغت الترجمة اوجها في القرن الرابع الهجري . ومن اراد الاصلاح على ارجاء المثقلة والكتب التي يتقونها فندرج كتب المهرست لابن السديم فإنه جمع دوماً . وقد تناول النقل الطب والرياضيات والفلك واصناف العلوم الفلسفية

ولم تقتف النهضة عند هذا الحد بل اخذ العلماء من الناطقين بالعربية يدرسون هذه المنقولات ويشرحونها ويضمنون الكتب في موضوعاتها ، وتوسعوا في بعض الفروع الى درجة بعيدة بحيث كانوا يذكرونهم في تدريخ الفكر العام .

ومع ان اكثر الناقلين عن اليونانية والسريانية كانوا من السريين واكثر المصنفين يتون بانسابهم الى غير العرب ، فان اللسان العربي كان الاداة التي استعملت في النقل والتصنيف ، فأصبح لغة العلم والثقافة في ظلمات القرون الوسطى ، ودرج اليه كثير من الاصطلاحات الجديدة والمعاني الجديدة ، كما يمكنه من الشعر والنثر في العصر العباسي .

ولعلنا لا نخطئ . اذا قلنا ان الذي تأثروا من ابنه العربية بالفكر اليوناني كانوا فرقتين - فرقة اعتمدت فلاسفة اليونان ولا سيما ارسطو فشرحت اقوالهم وانصرفت الى دوس نظرياتهم استكشافاً لاسرار الحكمة وسمياً وراء البحث العلمي ، وهؤلاء هم المعروفون بالفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد واضرابهم - وفرقة اعتمدت نظرياتهم

(١) المهرست (د) ٢٨٣

(٢) المهرست (د) ٢٨٣ واحبار الحكماء ١١٩

واساليبهم في الضال الروحي او الكلامي وهم المتكلمون الذين سيمر بنا شي من اقوالهم وآرائهم .

فلنتقدم من هنا الى ذكر شي من المصادر الشرقية التي استمد منها العرب كثيراً من حركاتهم الفكرية .

المصدر الفارسي

قال الأستاذ جاكسون استاذ اللغات الايرانية الهندية في جامعة كولومبيا سابقاً * ان فتح المسلمين لفرس اشبه بفتح النورمان لانكلترا . وما معركة الفدسية ونيهاوند الا مثال لمعركة هاستمس ^(١) ، وكأنه بذلك يعني ان العرب وان كانوا احضروا فارس وحكموا المنصر الفارسي ، لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الفارسية الفكرية فقيت متقدة في صدور الشعب تعار كذا سمعت لها فرصة . ولا شك ان الاداب العربية ربحت شيئاً كثيراً من الفرس يدل ذلك على ذلك المدد الكبير من رجاله الذي هم من اصل فارسي . قال ابن خلدون في مقدمته ^(٢) - « ان حملة العجم في المسلة الاسلامية اكثرهم المعجم . . . وكان صاحب النور سيويوه والفارسي ، وزجاج من بعدهم ، وكلهم معجم في انسابهم ، وكذا حملة الحديث . وكان عليا . اصول الفقه كلهم معجم كي يعرف ، وكذا حملة هم الكلام ، وكذا اكثر المعمرين . ولم يبق بمعظم العلم وتدوينه الا الاعجم وطهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تملق العلم ما كدف السماء . ناه قوم من اهل فارس . ولم يزل ذلك في الامصار (اي حمل المعجم للعالم) ما دامت الحضارة في المعجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما حارب تلك الامهار وذهبت منها الحضارة ذهب العلم من المعجم » اه . والذي يحقق النظر في علاقة المعجم بعرب سياسياً وديبياً وفكرياً لا يستطيع الا ان يرى ان التيار العسكري من قبل المعجم كان قوياً في حياة العرب ، واظهر ما يكون ذلك فيما يلي :

(١) Jackson, Early Persian Poetry (N. Y. 1920), P. 14

(٢) مقدمة ٥٤٣ و ٥٤٤

١ - في من لافطار المعجبة هي الحقل الذي تمت فيه بذور الشيعة وبانتشر الشيعة بين المعجم اكتسبت اللغة العربية كثيراً من الدواطف والافكار الفارسية . قال الدكتور مود استاد التاريخ الديني في جامعة هارفرد سابقاً « ان ما زاه من الفقه والتعصب عند بعض الطوائف الشيعية ناشى . بلا ريب عن ان كثيرة من اقباع زرادشت انضوا الى الاسلام تحت نواء الشيعة ^(١) » . وفي ذلك اشارة الى ما تسرب الى اللغة العربية من ديانة المعجم اقدمية بانضمام المحوس الى الاسلام وتمزجهم .

٢ - في ان زعماء الحركة العسكرية العربية اكثرهم من المعجم ، وقد تقدمت الاشارة الى ما ذكره ابن خلدون من ذلك . وتزيد هنا ان ملوك بني ساسان ولا سيما كسرى او شروان الذي سبق لدعوة الاسلامة بقليل من الزمن كانوا قد اهتموا جداً باحياء العلوم والاداب الايونية ، وان العرب انفسهم كانوا ينظرون الى المعجم بظفرهم الى قوم متقدمين عليهم في الحصار والعم ، وعدمهم لكسرى المذكور . قام فريد . وكان في البلاد المعجبة قبل الاسلام مراكز مهمة للعلم اهمها جنديسابور حيث التقت تحت رعاية العرش الفارسي الفلسفة الهندية بالفلسفة اليونانية ، وقد مرر الكلام على هذه المدرسة في كلامنا عن اليوناني .

٣ - في المكتبة التي نقلت عن الفارسية . ذكر ابن الدليم ما يزيد على اربعين كتاباً اكثرها يرجع الى اصل فارسي والباقي كتب تحت رعاية الفرس ^(٢) . ومن اهم ما تسرب من الفرس الى حياة العرب الادبية الرسائل او الكتب التي تبحث في الفلسفة الادبية . كتاب مكتوبه « ادب العرب والفرس » . قال العلامة الروسي انو ستراوف ان هذا الكتاب يرجع الى اصل فارسي . وكذلك كتاب الادب لابن المقفع وكتب اخرى في هذا الباب . ومن اراد معرفة ايمانها فليراجعها في الترجمة الانكليزية لكتابه « تأثير ايران في آداب العرب » ^(٣) .

وقد ذكر المهرست اسما الذين نقلوا من الفارسية الى العربية نخص منهم هنا ابن

Moor, Hist. of Religion N Y 1919) 458 (١)

(٢) المهرست (ل) ٣١٣ - ٣١٦

Iranian Influence on Moslem Lit (Tr Nariman 1918 P 53 (٣)

المقتنع المشهور وآل نوبخت - موسى ويوسف ابني خالد - ابن الحسن علي بن يزيد التميمي - حسن بن سهل الغفكي - اللادري - حلة بن سالم كاتب هشام - اسحق ابن ريد - هرير فرحان وسواهم^(١). ولو ان المقام يقتضي الاسهاب في ذكر اعمالهم وشرح ما نقلوه لذكرنا هنا الكتب التي نقلوها كتاباً كتاباً وسكن ذلك ليس عرضنا هنا .

١ - في العلاقة الجغرافية والدينيّة التي زعمها بين الفرس والحاهلية . من ذلك ان مملكة اخيرة العربية كانت مركز النفوذ الفارسي بين عرب الجزيرة ، وان ذلك اقتضى ان يكون بين الحاهلين احتكاك ادبي اجتماعي . وما يشير الى هذا الاحتكاك ما ذكره القفطي^(٢) من ان الحارث بن كلفة طبيب العرب ان اصله من تقيف من اهل الطائف وقد رحل الى فارس واحد اطب عن اهل تلك الدار من اهل حنديسابور وغيرها . ومن يدري انه لم يكن غير الحارث من عرب الحاهلية الذين رحلوا الى فارس في طلب العلم ؟ وهذه الصلة الادبية لم تنقطع وظهور الاسلام فان انتشار العرب بالفتح في الاقطار الفارسية جعل احتكاكهم بالفرس اشد مما كان قديماً . ومع ان القسم الكبير من كتب الفرس ذهب بعد انحلال دولتهم فقد حافظ الجوس على عدد مهم منها بقي في اندولة العباسية الى ايام جدها بن طاهر الذي اطلق يد التلغ فيها^(٣) . والذي يدق في تاريخ فارس يرى ان الآداب والعلوم والتقاليد الوطنية الفارسية بقيت سالمة بعد الفتح الاسلامي في الولايات الشرقية واحوية كخراسان وفارس وبذلنا على ذلك ان خراسان كانت بؤرة الحركات السياسية التي ادت الى اسقاط الامويين .

اما ولاية فارس (وهي في حدود ايران) فقد كانت حصن الجوس . هناك حفظت كتبهم ومعتقداتهم الدينية والفلسفية وكان بعض مؤرخي العرب يرجعون اليهم^(٤) . وقد وصف جغرافيو العرب كالاصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت واليمقوني تلك البلاد وصفاً يدل على ان الجوس (اتباع ردادشت) كانوا يتمتعون بالحرية الدينية في ولاية فارس ، وانهم كانوا لا يزالون محافظين على الشيء الكثير من الكتب الفارسية القديمة .

(١) الفهرست ٢٤٤ (٢) اجبار الحكماء ١١٣

(٣) Browne, Lat Hist of Persia 1928 1-347

(٤) Iranian Influence 21, 25, 26

وها لا يسمنا الا ان نذكر « لشورية » وهي فرقة من اصل عجمي كانت طبعاً تنصب للعجم وتفضلهم على العرب . ولا شك انها كانت من حملة ارواح الفارسية الى اللغة العربية ، وكذلك كان الزنادقة الذين كان يثبهم عندهم بعض من اكابر الادباء واشعراء كشار و ابن المقفع وسره . وكانت الزنادقة تصق بالاكث على المجوس او الشوية^(١) اي على تبع زردشت او اتباع ماني الحكيم وكلاهما فارسيين .

المصدر الهندي

يصب تعيين السيل الذي جرى فيه الفكر الهندي الى نفوس الناطقين بالعربية وسكن ما لا ريب فيه انه كان للفسفة والمعلوم الهندية تأثير شديد في تكوين فلسفة العربية . وقد تقدم معنا ان مدرسة حنبليان كانت قبل الاسلام ، ولا سيما في ايام كسرى انوشروان ، مركزاً علمياً انتقت فيه علوم الهند معلوم اليونان ، ومنه من الشيء الكثير الى العرب . ولمح شيئ من العلاقة الفكرية بين الهند واسم الشرق الادنى قديماً في ما اتاه سكرتير المتحف الشعري في بلاد افنيا على الجمعية العلمية الاميركية حيث يقول ان الهنود كانوا يرسلون سفراء الى سلوقية وانطاكية واسكندرية وغيرها ، وكان هؤلاء السفراء ايضاً دعاة دينيين^(٢) . حتى ان احتكاك العرب بالعربية بالعقلية الهندية لم يسبق كماله الا بعد الاسلام ، ون امتداد العرب بالفتح قارب العناصر الهندية من العاصر السامية العربية وحمل بينها علاقة كبيرة في التجارة والعلم والدين .

من ايام بني امية الى ايام محمود بن سكتكين (اواخر القرن الرابع للهجرة) كان الفتح الاسلامي ماناً لقرب المادى . الفلسفة الهندية الى نفوس العرب . وتوام الفلسفة الهندية التي ظهر اثرها في تاريخ الفكر العربي الزهد والفناء الروحي ، وقد انتشرت هذه المادى . الروحية بانتشار البوذية في ولايات ايران الشرقية واحتكاكها هناك بالاسلام بعد الفتح^(٣) . واذا اعتدنا ما اخذه الاطالون وفيثاغورس من فلسفة الهنود يحق لنا ان نقول ان شيئاً من فلسفة الهنود وتعاليمهم وصلت الى العرب عن طريق اليونان ايضاً .

(١) عن لسان العرب والقاموس

Early Communication Between China and the Medit. (1921) (٢)

Moore-Hist. of Religion 447 (٣)

وفي الفهرست لابن النديم ذكر الكتب الهندية المشهورة والذين نقلوا منها إلى العربية، ومنها كتب الطب والحرفات والآبار والأحاديث والتوهم أو الشعر والمواظع والحكم، ومنها كتاب مثل الهند وديانها^(١) وجاء فيه نقلاً عن الكندي «حكى بعض المشككين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث رجلاً إلى الهند ليأنيب بمعتقدات موحدة في بلادهم وإن يكتب به أديانهم فكتب له هذا الكتاب». قال محمد بن اسحق: الذي عني بالمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة الغرامكة وأهملها ما مر الهند وأحضارها عشاء طلبها وحكمتها^(٢). ويردكر الحافظ عن لسان أبي الأشعث أن يحيى بن خالد احتب أطباء الهند مثل مسكه ودرينكر وقلدرق وسدمار وفلان وفلان^(٣).

و الخلاصة أن مجرى الفكر العربي له روافد ثلاثة كبرى، اليونان وهو أهمها ثم الفرس وهذا، وإن ما اكتسبه العقل السامي العربي من هذه المصادر غير السامية يقطع فيه حركة قوية طهرت قارها الفلسفية والعلمية في أدب التمدن الإسلامي. وسنشير إلى كل من هذه المصادر في سياق كلامنا على المجري الرئيسية في حياة العرب الفكرية.

المجاري الفكرية العامة

للمحركة الفكرية عند العرب ثلاثة مجاري كبرى — الفلسفة والكلام والتصوف. وعناية الفلسفة التوصل إلى المبادئ الأولى عن طريق العلم، وأصلها في الغالب اتباع اليونان وتجدد لهم في الشعر العربي نغفات تسم على آرائهم كقصيدة ابن سينا في النفس التي يقول فيها^(٤)

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تغرّز وغشع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي صفوت ولم تتبرقع
وصلت على كرمك إليك ورعا كرهت فراقك وهي ذات توجع

(١) الفهرست (ل) ٣١٥ و ٣١٥ و ٣١٧

(٢) الفهرست ٣٢٥ (ب) البيان والتبيين (س) ١٠ - ٩٠

(٣) راجعها في دائرة المعارف للفلسفة تحت ابن سينا

أُيُتِمَّتْ وَمَا أَفَلَّتْ فَلَمَّا وَاصَلَتْ
الْعَتَّ مُحَاوَرَةَ الْخُرَابِ الْقَلْعِ
وَإِظْلَامَهَا نَيْتَ عَهْدٍ بِالْحَيِّ
وَمُنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْعِ

ومنها -

فَلَا يَشِيءُ أَهْطَتْ مِنْ شَاهِقِهِ
إِنْ كَانَ أَهْطَ الْإِلَهِ لِحُكْمِهِ
إِذَا عَاقَبَهَا الشَّرْكَ الْكَثِيفُ فَصَدَّهَا
وَسَكَتْهَا بَرْقٌ تَأْتِي بِالْحَيِّ
سَامِعٌ إِلَى قَمَرِ الْخَمِيزِ لَا وَضِعَ
صُوبَتْ عَنْ الْقَطَنِ السَّبَبِ الْأَرْوَعِ
قَعَصٌ مِنَ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْفَعِ
ثُمَّ انْصَرَى فَكَأَنَّه لَمْ يَلْمَعِ

وفي اشعر المرن كثير من الاشارات المسموعة والاضاع المعية التي كانت شائعة في العصر المباني

كقول ابني القاسم الاصفهاني يصف حمداً في دار صديق له (١)

وَدَعَتْ سِنَّهُ وَرَدَتْ حَبِيبَهُ
وَالشَّرْفِي وَجْهَ الْفَلَامِ نَتِيجَهُ
وَقَوْلِ ابْنِي عَلِيِّ الْمُهَنْدِسِ (٢)

تَقَسَّمْ قَلْبِي فِي حُبِّهِ مَشْرِعٍ
كَأَنَّ فُؤَادِي مَرْكَزَ رَهْمٍ لَهُ
مَكَلٌّ فِي مَنَهِمِ هَوَايَ مَوْطُ
مَحِيطٌ وَاهْوَايَ أَدِيهِ خَطُوطُ

ولم ينحصر ذلك في اقوال العلماء والفلاسفة بل تعداهم الى اهل الادب ، كقول المتنبي مشيراً الى اختلاف المفكرين في مصير النفس

نَحَابُ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَقَبِيلٌ تَحْلُسُ نَفْسَ الْمَرْءِ سَالِفَةً
وَقَوْلُهُ ذَاكِرُ فَلَاسِفَةِ الْأَقْدَمِينَ
الْأُحَى عَلَى شَعْبٍ وَالْخَلْفُ فِي الشَّعْبِ
وَقِيلَ تَشْرُكُ حَسَمَ الْمَرْءِ فِي الطَّبِيعِ

من مبلغ الأعراب ابني بعدها جالست رسطا ليس والاسكندرا

وصحبت بطليموس دارس كتبه مشحكاً متبدياً متحجراً
وبهيت كلّ الفضيحة كأنما ردّ الآلهة نعوسهم والاعصرا

وقول المعري في عالم الافلاك

العالم العالي برأي معاشر كالعلم المروي بحسن ويعلم
دعوت رجل ان يسأله تسق العقول وانها تتكلم
وقوله - اركان ديانا هرات اربع جطلت لمن هي فوقها اركانها
وقوله - في مصير الروح

قد قيل ان الروح تألم بعدما تدعى من الحسد الذي عبت به
ان كان يصحبها الحمى فلعلها تدري وتفطن الزمان وعته
او لا فكلم هديان قوم عابري في الكتب ضاع مداده في كتبه
والمعري كثير من انقشاث الفلسفية وسقى ذلك في حينه .

ولو نحريراً جميع ما دخل الشعر العربي من هذا الباب لعرفنا ما كان للفلسفة والعلوم
الطبيعية من التأثير في الادب . وقد كما نود ان نشأت حسا ريدة الآراء الفلسفية التي
اقتبسها العرب عن سواهم ولا سيما عن افلاطون وارسطو والافلاطونية الجديدة . ولكننا
نكتفي هنا بالإشارة اليها ونحيل المتصق الى مصادرها الرئيسية .

اما الكلام فجاء شئ يخص منها بالذكر المختلة والاشعرية .

المختلة

ظهر الاسلام قاعشق العرب وامتد بامتوح الارلى الى غير العرب ، ولم يكن كل
الذين اعتنقوه وقاموا بفروضه ونوافله في دوحه واحدة من خلوص الايمان والاعتقاد ، بل
كان شأنهم في ذلك شأن المسيحيين ايام قسطنطين الكبير . فان انقلاب الدولة الرومانية
بشفة من الوثنية الى المسيحية يسر دليل على ان كل الدين دانوا يومئذ بالدين الجديد
استأصلوا من اعقاب نعوسهم مبادئهم الاولى ، بل بقي بعضهم محافظين باطناً على

على معتقدات غير مسيحية لم تلتصق ان ظهرت في تاريخ المسيحية واشتد خطرهما على المادى الحقيقية ، حتى كان ما كان من الاصلاح ، وما نجم عنه من التطورات الجديدة .

هكذا لاسلام اعتنقه كثيرون من بقي في عوسهم اثر من عبده ، ولكن ذلك الاثر لم يظهر الا بعد ان صلح له الجو ، ولا سيما بعد ان حوت الدولة العربية تدريجياً من بساطتها الاولى الى حياة الحضرة ولعلم هذه امور ليس بالهين اقامة الدليل التاريخي عليها لانها من قبيل لعوامل الحمية التي ندرتها بالاحتداد والاستثناج ، ولكن لا بد من ذكرها عند التوسط في الحقائق اراهنه . والذي لا جدال فيه انه في الدولة الاموية بدأت تبشير حركة فكرية متمددة في ايام الراشدين ، وما ذك الا لان العقل كان قد بدأ يستدير بالور جديدة . وصعب هذه الاسفارة تطورات فكرية — منها حركة المعتزة التي نحن بصدددها . ول معتزلي حسب النص التاريخي هو وهش بن وهب ، وكان من اتباع الحسن المصري ، ثم احد مذهب في الانتشار حتى بلغ اده في ادم المؤمن العباسي ، ولكنه عاد الى التقهر والضعف حتى قصي عليه ، ولم يعد الى الظهور كذهب خاص .

والمعتزة ، على اضطراب كثير من نظرياتها ، تحاول اخضاع النظريات الدينية لحكم العقل . وهي بلا ريب نزعة مطلقة لا حشك الملثة بالدين . فقد جاء الاسلام وتماييه واضعة ونصوصه محدودة ، وهي منية كسائر النصوص الدينية على التسليم فله والايمان بوحية الملوك . ولم يخامر قلوب المؤمنين الاولين شك فيها ولا شغبهم بحث عن اسرارها ، فلم يهجم اراء تقواهم البسيطة الخالصة من شوائب الريب ان يحكموا النقد العقلي في كل ما آمن به قلوبهم واطأنت اليه نفوسهم — وتعدت نزعة الايمان الراهن .

وانك اذا استقصيت اخبار الدعوات الدينية لتعده من الصعات الملائمة للدعاة الاولين . فلما لعبت في الجو الاسلامي رياح الفلسفة ، وتسرب الى العقول شي من نظريات الحكمة اليونانية ^(١) ولا سيما المثالية (الارسطوية) شرع المفكرون يبحثون ويقيسون ويقولون علام ولم ؟ فقادهم ذلك الى مسائل ابعدهم من بساطة المعتقد المبني على التثريب ^(٢) من

(١) راجع الكلام من النظام في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ١١٣ . وعن الحافظ في الملل والنحل للشهرستاني

(٢) نقد العلم والطماء ٩٥ (عصر ١٣٤٠) والبغدادى ٩٤

هذه المسائل - مسألة حاق القرآن ، ومسألة صفات الله ، وحرية الارادة ، وقدمية الكون وكيفية المادة وما شاكل .

وقد رفض المعتزلة ازالة القرآن وجعلوه مخلوقاً^(١) ، وكان من اهم انصارهم في ذلك المؤمن وامره مشهور .

وكذلك نعتوا الصمد الالهية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسبع والصبر والكلام . قال ابن خلدون في كلامه عن المعتزلة : « فقتلوا بنفي صفت المائي لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم^(٢) ذلك لانهم نظروا الى الصفات كوجودات يلزم منها تحديد وحود الله المطلق وهذا عندهم منافق للاحكام العقلية » .

على ان منهم من لم ينكر صفات الله وانما سرمدية بل ذهب مذهب ابن العلاف (المتوفى ٢٢٨ هـ) ان صفات الله ليست شي . خارج عن جوهر الله بل هي اشكال يتشكل فيها ذلك الجوهر . وكان يقول ان علم الله هو الله ، و ان قدرة الله هي الله^(٣) . فالارادة مثلاً ليست صفة خارجية يتصف بها الخالق بل هي صورة اخرى لعله وهكذا جميع الصفات مظاهر مختلفة لجوهر واحد . وقد راد على ذلك احد تلاميذ ابراهيم البطلم المتوفى ١٣١ هـ ، فقال ان الله لعله السرمدي ماخو لا يريد غيره - ان ارادة الله هي علمه . فالطلق عندهم (الله) لا يوصف بنفي ولا اثبات ، فلا يقال هو واحد او اكثر . ولا يوصف بالقدم عندهم غير الله . ومع ان بعضهم اثبتوا لله احوالاً اربعة هي العالمية والقادرية والحشية والوحدانية ، فقد فرقوا بين الثبوت والوجود بالذات وقالوا انها موجدات غير موجودة^(٤) : فكانهم يعنون بذلك ان هذه الصفات حالات تطهر فيها الذات لا صفات زائدة عليها . وهذا قريب من مذهب ابي حاشم ابن الحائبي المتوفى ٣٢١ هـ ، اذ جعل الجوهر لله احوالاً اثني يظهر فيها . ومع ان هذه الاحوال لا توجد نفسها ولا تصور بدون الجوهر فهي تتأخر عنه وبها يعرف الجوهر^(٥) . ومنهم من يذهب الى ان الله يعلم

(١) مقدمة ابن خلدون ٩٦٤ وقلعة ابن رشد ٥٧

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون تحت علم الكلام

(٣) نقد البطلم والطائفة ٨٨

(٤) شرح غريب الكلام ١١١

(٥) المال والنحل للشهرستاني حاشي ابن حزم (مصر ١٣١٧) ١ - ١٠٢

جمل الأشياء، ولا يعلم تفاصيلها وأنه لا يقدر أن يخلق الذات، وإنما هو قادر أن يخرجهم من العدم إلى الوجود (١).

المعتزلة في ذلك تحالف الصفاتية، أي التي تثبت الصفات لله. والارادة عندهم حرة وقد عثر الخاطئ (وهو معتزلي) الارادة بأنها حال من احوال المعرفة، وحرية العمل أو الارادة ان يعرف العمل من فاعله. فالامساح عند المعتزلة بخير لا مسير، وهو مسؤول عن افعاله، وأنه على اكتسابه يتقرب العقاب والثواب (٢).

ويصادفهم في ذلك الجبرية. وهم يقولون لا حلة ولا معاول في الأشياء التي زأها أو مشربها، لأن كل شيء مسبب مباشرة عن الله. فإذا تمت فانتعاش وضع في بعمل خاص من الله، وإذا كتبت فتعريك القلم واردة الكتابة وما يتعلق بها قد اتصت في رأساً من الله. فلا دافع لما يريد الله، وما الإنسان إلا واسطة لتنفيذ ارادة الله (٣) وعلى ذلك الاسامرة الذين يذهبون إلى أن الله يخلق كل عمل. وزاد عليهم البقلاني تعارفاً بقوله بل الله يحدد كل شيء. (حتى اللون مثلاً) كل لحظة. فأيضاً الله الآن وما يخلقه قد يجيء في اللحظة التالية ما يناقضه - كل شيء، كل عمل، كل حركة في الكائنات متوقفة مباشرة على ارادة الله.

هذه التعاليم التي ترفع كل شيء إلى ارادة الله مباشرة تدور لنا شريعة القضاء والقدر في اعظم مظاهرها. وليست المعتزلة على ذلك، لأن القول بحرية الارادة ومسؤولية الإنسان يناقضه. وحجتهم أنه لو كان المبدع غير خالق لافصاله الاختيارية لكان القول بالثواب والعقاب لغواً.

قدسية الكون

وهذه المسألة زأها في كل نظام فلسفي، فالعلاقة المادية مثلاً تجعل للكون قدسية (أي إرلياً لا بداعة له) والروحية تجعله محدثاً. وواضح أن الدين والكلام بذهبان إلى

(١) في العلم والعلماء ٨٨ (٢) فلسفة ابن رشد ١٠٠

(٣) الشهرستاني هامش ابن حزم ١ - ١١٠

حدوث الكون بقدره الخالق المدع المرید . فاقول المعتزلة في هذا الشأن ؟ قال ابن رشد في كلامه عن المعتزلة ^(١) : « واما المعتزلة فانه لم يصل اليها من كتبهم في هذه الجزيرة (الاندلس) شيء تقب منه على طريقهم في هذا المعنى ويشبه ان يكون طريقهم من جنس طرق الاشعرية » . فكأنه يقول ان المعتزلة والاشعرية سيان في نظرها الى قدم الكون . وهو على ما ارى غاية ما يصل اليه الناحث عن معتقدهم فانهم وسر المتكلمين سواء في هذا الصدد ، الا ان نظرهم الى الله غير نظر اهل السنة . فهم اميل الى جعله مصدراً للمفسر العاقل الذي تفيض منه عوالم النفس والطبيعة . وهذا يجعل الحق والخارص والحكم في نظرهم غير الاحوال المحسوسة التي يصورها الدين . ولا ريب ان لفظة اليونانية تأثيراً ظاهراً في سادتهم ، فالقول في ازالة صفات الله وتفسدهم تلك الصفات بانها هي نفس جوهر الله او انها اعراض لجوهر واحد ، وقول شيخهم الطائفة ان النفس مجسم الحسد وعلى شكله تتخلل دقائقه كما تتخلل الزبدة دقائق اللبن ، مأخوذ من قول ارسطو في المادة وصورتها . وقول معمر السلمي في صفات الله ومطلقته يقود الى الرأي الاتحادى (اى ان الله والكون واحد) الذي هو اثر من آثار الافلاطونية الجديدة . مصوغ بالصبغة الهندية . واما نظرية بعضهم ان الله لمعرفته الكلية بالخير لا يستطيع ان يريد غيره لبياده فيقرب ان يكون نفس ما حلم به الرواقيون ^(٢) . وللطائفة رأي في الخلق يكاد يكون نفس الافلاطونية الجديدة .

والخلاصة ان الاعتزال مدأ فكري يحاول ان يستبد بالمثل ويخضع كل شيء لاحكامه ، لكنه اراد ان يجمع بين العقل والنقل متمسكاً بكلية فلم يوفق تماماً ، ولذلك كثرت اضداده ومعتقدوه .

الاشعرية

وهم ينتسبون الى ابي حنن الاشعري المتوفى ٢٥٣ م ، وكان من تلامذة المعتزلة في بغداد ولكنه لم يبق كذلك بل انقلب عليهم وصارت فرقته اشد الفرق في منازلتهم ^(٣) ، واليك بعض اوجه النضال بين الفرقتين .

(١) راجع فلسفته ٢٥ (٢) راجع النظامية في الفرق بين الفرق ١١٣ والبهشية ١٦٩

(٣) ابن حنبل ١-٣٣٦

في ماهية الله

كان المجهود من المؤمنين ينظرون الى ما ذكره الكتاب المتزل عن اعضاء الله الجسدية كاليد والعين والاذن نظراً حرفياً . اما المعتزلة فالتحذت ذلك من قبيل التأويل ، فقالوا لا بد حقيقة لله وانما هي اشارة الى قوته وسطته ، وهكذا فسروا سائر الاعضاء . فقام الاشعري وعلم ان الله يمكن رؤيته في الآخرة وان له محمداً ونصراً ويدين ووجهاً الخ ، ولكن ماهية تلك الاعضاء خارجة عن محمول الانسان او هي وراء العلم ^(١) .

المعاد

ذهبت المعتزلة الى ان الدليل العقلي هو الهادي الذي يهدينا الى معرفة ما وراء الطبيعة ^(٢) ، وان حانة النفس من عذاب او نعيم انما هي حانة عقلية لاحدية . فقال الاشعري بل العقل لا يستطيع الهداية ، فما علينا الا التصديق والايمان بالوحي المتزل وان الامور التي ذكرها الكتاب كجنوس الله على العرش والارض والرفق والفرودوس والملائكين والملكوت وما شاكل - كل ذلك حقيقة راعنة لا صور تخيلية كما يدعي المعتزلة .

صفات الله

وفي هذا الباب يسلط الاشعري مسلطاً وسطاً بين السنة والمعتزلة فهو يقول بصفات الله وقدميتها على ان تلك الصفات اشكال او تشكيلات لجوهره ، فلا هي عين ذاته ولا هي غيرها ^(٣) .

(١) الشهرستاني هامش ابن حزم ١ - ١٣١ و ١٣٢

(٢) راجع مناقشات ابن تيمية في ذيل فلسفة ابن رشد ٨

(٣) او كما يقولون هي منسوبة الواحد الى الشئ فهو ليس بالشيء ولا غيرهما

رأيه في القرآن

سلك في ذلك مسلكاً أصح معول أهل الكلام ، وهو أن القرآن كلام نبي قديم
غير مخلوق ، وإنما المخلوق هو الصور اللفظية لذلك الكلام النفسي .

الجبر والاختيار

(القضاء والقدر وحرية الإرادة) . ليس عند الأشاعرة من إرادة حرة ، فإنه (القديم
الأولي) عدم هو المطلق المدبر لكل حركة - حلق الإنسان وأعماله وما الإنسان إلا
آلة في يد الله ، مهيئ عقلاً وجسداً بإرادته الإلهية ، وليس له من غير الأكل - وهو
كما في العاموس «تعلق قدرة العبد وإرادته بأمره المقدور» أي تطبيق إرادة الله على
العبد . وهذا طبعاً يقود إلى الاعتقاد بأن الله خالق الخير وشر وهو محال لمبدأ الاعتزال
القائل بأن الله لا يستطيع أن يريد غير الخير ، وإن الخير والشر يدرهما الإنسان ما بين
وعلى ذلك فهو مسؤول عن أعماله .

وبعداً لأشعرية يعني من الطبيعة نظم الملة والمعمول ، لأنه يحصل الله على كل شيء ،
صغيراً كان أم كبيراً ، حديقاً أم عقلياً . هذا مصدر النار مثلاً لم تحرقك النار لأن الحرق
من طبيعتها ، بل لأن الله يحققه عند ذلك أياماً . وعليه لا يتعرب أو لا يشجع أن
يحدثك شعور بالبرودة عند مسك النار لأن نوع الحرق دافع رأساً أي أردته فما العجب
أذن بجوارق لنظام الكون ، بل هي من أعمال الله غير المبررة عدناً .

قلنا إن المبدأ الأشعري معول أهل الكلام . والصال الذي احتدم بين لأشعرية
والمعتزلة انتهى بانتصار الأولى ، ولم ينقض القرن الرابع للهجرة حتى انقضى معها عصر
المعتزلة .

التصنيف

تأينت الآراء في أصل هذه الكلمة فذهب بعضهم إلى أنها من صفاء النفس ، وهو

قول المتصوفة . وقال عزم بن هي من اصل يوناني معناه حكمة . على ابن ابن خلدون يرى كما يرى كثيرون غيره ان اشتقاق اسمهم من الصوف (١) .

كان المؤيدون الارثوذكس من الصحابة والاشعري معروفين بنشاعة ما كفي على الصلاة والصدقة معرضين عن رحوف الدنيا وريبتها ، فله تقدم اسمهم في الحضارة ومالوا الى الترف في العصر الايوبي وما بعده ، نشأت بين اهل الدين حركة مرماها الرجوع الى بساطة الايمان الاولى وزند الشهوات المادية على ان هذه الحركة لم تكن الا توصلة للتصوف الحقيقي الذي عرف بعدئذ ، فاننا نراه في اياه توطأ روحياً حاصلاً تحت شي من القراية الى أنظمة روحية سامية مما هي هذه الاطعمة ؟ قال المستشرق هون كروير (٢) ان اصل الصوفية عربي يرجع الى مطام الزهد والنسك الذي كان شائعاً في المسيحية قبل الاسلام . والدليل على ان عرب احذية احتكروا زهاد المسيحيين وعرفوهم ، ما ورد في اشعارهم

والذي يطر لنا ان في كلام هون كروير بعض الحقيقة لا كلها . فقد يكون لناك المسيحية لشك الذي تحدها متصوره الاسلام ، ولكن النظام اللاهوتي الصوفي لا يقف عند ذلك ، بل يرجع الى مصادر يونانية وهندية وفارسية . فالافلاطونية الحديدة التي مر ذكرها ، كانت قد حثرت الفكرية الشرقية بكثير من المادى . اللاهوتية ، ومنها التصدد ، وعودة النفس الى اصلها (العقل الفعال او الله) . اما الاثر الهندي في التصوف فترده واضحاً في فكرة لاتحاد الروحي . فمعلقة الهندية تعلم ان الروح الاعظم والعالم المادي واحد (وحدة الوجود) وكل ما في العالم يجري من ذلك الروح واليه يعود — هو المرحود الساطع الذي يرى في قرص الشمس كما يرى في عين الانسان . هو النور الوضاء الذي يضيء في السماء وفي الارض وفي نفس الانسان . وهو الذات العاقلة الخالدة السعيدة . على ان الرجوع الى الروح الاعظم يقتضي فهم اسفاره المقدسة (الفيدا) وعارسة

(١) راجع المقدمة الصوفية لابن الوردي وادامة ابن خلدون ٢٦٧ ودائرة المعارف البريطانية تحت Sufism . ويظهر ان لس الصوف قديم في الاسلام فقد ذكره ابن قتيبة في عجوب الاحبار وارجعته الى زمن الحسن العصري

O'leary, Arabic Thought 1922, 185 (٢)

العقوس والمعاداة الخاصة ، ولا سيما مراسم التقوى والتوبة ، و« يظهر العقل من كل فساد ممارسة الفضيلة لنفسها دون النظر الى ثواب » ولا يستحق الاتحاد بالروح الاعظم (وهي) الا الذي يتصف بالصفت التالية -

- ١ - التمييز بين ما يبقى وما يفي
- ٢ - عدم الاكثار لثواب او مسرة
- ٣ - الحصول على السكوت لثام وضبط النفس
- ٤ - الرغبة في الخلاص

فهناك شبه بين الانحاد الصوفي والفناء الهندي « الرفقا » ولكن الاختلاف بينها بين ، لان الاول يقضي باستقلال ذاتية النفس في لوجود الاعظم ، وان يمكن قد توكل بعضهم في القول بالوحدة ^(١) ، والثاني يقول ثلاثيا ، وسترى في شرح الصوفية بعد ان فيها اثر كبيراً من التعاليم الهندية التي كانت منتشرة في بلاد المعم واهد قبل الاسلام ، والتي جمعت للتصوف صفة غير الصفة الزهدية التي عرف بها اتقاء المسلمين الاولين : هؤلاء لم يؤمنوا لاهوتاً جديداً ولا خرجوا عن نصوص القرآن في ماهية الله وحالة النفس بعد الموت .

اما الاثر الفارسي فقد ذهب بعضهم الى انه يرجع الى المانوية والمزدكية اللتين كان للزهد فيهما شأن يذكر ^(٢) . ولعل اهم اثر فارسي في الصوفية وفي سواها من الحركات الفكرية في الاسلام ان الذين قاموا بهذه الحركات استكثروا من اهل فارس ، فهم ورتة العقلية الفارسية التي كانت قد تأثرت من تعاليم الهند ومن تعاليم الزمان الموحدين ، كماني الحكيم وسواه . وماني ثوبي ، وخلاصة تعليمه كما شرحه ابن السديم ^(٣) : ان للكون مبدأين النور والظلمة ، ولكل من هذين المبدأين اجزاء ، وباشتراك الاجزاء النورانية بالآخرى حدث الكون . فالخلاص (او السعادة) قائم على تطهير العالم من اجزاء الظلمة المشتكة من اجزاء النور . وسيظهر اثر ذلك في الصوفية .

(١) داجع مقدمة ابن خلدون ١٢٢٧ و١٢٣٧

(٢) Arabic Thought 190

(٣) المهرست (د) ٣٢٧ - ٣٣٨

بؤخذ من تعاليم ائمة المتصوفين ان نقطة الدائرة في نظامهم هي الوحدة ^(١١) اي الاتحاد النفس بالله . وهذا المبدأ يوافق المبدأ الهندي كما مر معنا ، والمبدأ اليوناني (الافلاطونية الحديدة) ، الا أنه يختلف عن هذا بان الحصول على الوحدة لا يتوقف بالاكتر على العقل بل على التقوى وقمع الشهوات . قال الخنيد العدادي : التوحيد معنى تضمنه فيه ارسوم وتندرج العلوم وبسكون فيه الله كما لم يزل ^(١٢) . واحد منه الخلاص المتوفى ٣٠٩ وذهب مذهب العلاء من الشبهة ، وقال : حاول اي حاول الله في الاحسام وباتسليمه ، وقد قتل باقتا . اكثر علماء مصره ^(١٣) .

وفكرة الحلول ظاهرة تماماً في كلام ابن زيد السطامي وهو اول من قال بالامساك ^(١٤) ، او الذي خطا الخطوة الاولى من التصوف الى الحلول ^(١٥) . ومن مبادئهم ان الله هو الموحود الحقيقي - لا وعود حقيقي - راء (افلاطونية) ، واسكن في لسان نفساً عاقلة هي صورة منسوخة عن نفس الله ، وهي قدرة ان تقترب من الحقيقة الالهية . وما انه لا وعود حقيقي لغير الله فمعرفة الله لا تحصل بواسطة مادية ، بل بحسب او اسبيل (بل بالهام روحي) ، وان هذا الالهام يحصل في حالة تتعبد عن الدنيا ^(١٦) . ومع انه لا وعود حقيقي لغير الله نجد هذا الوعود مترجماً بغير الحقيقي . وهذا الاقتراح اساس العالم لمادي (قابل ديك ، النوبة) ، فالشر نتيجة لازمة لا مترجحات الوعودين . وعاء النفس الاتحاد بالله ، وكل ما يساعد على بلوغ هذه العاية هو صالح ، وكل ما يحول دونها فهو شرم (ويهد تنفق جميع الادبائ والادباء) وهذا الشوق الى الاتحاد بالحقيقة الالهية هو الحب الذي يتهى به الصوفيون ، ويجعلونه اساس ايمانهم (راجع اشعر من العارض اكبر شاعر متصوف عند العرب)

ومن اكار المتصوفين عند العرب يحيى الدمى من لعربي المتوفى ٦٣٨ هـ . كان اولاً من اتباع ابن حزم المشهور وفي تعاليمه يظهر منه انحول والوحدة تمام اليهود . في اقواله في الله

(١١) ابن خلدون ٦١٣ (١) رسالة القشيرية (١٣٣٠) ١٣٥

(٣) ابن خلدون ٦١٣ - ٢٠٩ وابن النديم ١٩٥

(٤) دائرة المعارف البريطانية تحت Sufism

(٥) Nicholson, Lat Hist. of Arabs 390

(٦) نسخة ابن رشد ٤٤ ومقدمة ابن خلدون (التصوف)

« فذلك قال تعالى انا عند ظن عبدي بي - اي لا اظهر له الا في صورة معتقده فان شاء اطلق وان شاء قيد . قاله المعتقدات تأخذ الحرد وهو الاله الذي وسعه قلب عبده ، فان الاله المطلق لا يسعه شي . لانه عين الاشياء وعين نفسه . والثاني لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسها » اه (١) .

ومن شراح ابن العربي عبد الرزاق المنوفي ٥٢٣٠ هـ ، وهو يقول بجمرة الارادة لان النفس البشرية عنده فيض من روح الله ، فهي تشارك الله في القدرة على الاختيار ، وان العالم على احسن ما يمكن ان يكون ، وان الاشياء ستبقى اختياراً في وجود الله الصكون الحقيقي الوحيد . ويقسم البشر الى ثلاثة اصناف وهم

العالمون - اي محو الذات الدين تدور حياتهم حول نفوسهم وهؤلاء لا يكثرثون للدين والمبادئ الروحية .

المفكرين - وهم هم الفكر الدين يرون الله بنور العقل في مظاهر الوجود

الروحانيون - وهم الذين يرون الله بالكشف اي بالغام روحي يوافيهم من الحضرة الربانية .

* * *

والخلاصة ان الصوفية بدأت مظهرأ من مظاهر الورع الديني ، ولكنها انتهت في غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة . ومجور مذهبهم الكشف الرباني بالانحراف عن العالم وبالطلب الاهمي . وقد علق عليهم من تعاليم الهند و لروم الوحدة والحلول والعناء في وجود الله ، على انهم تادرا في مسألة الكشف والكرامات الى حد ان بعضهم صار يستعمل بدت طرق الشعوذة والسحر والتدليس .

من اراد التوسع في درس الحركة الفكرية في هذا العصر فليراجع

Lit. Hist. of Persia	برون
Le Dogme et la Loi	سكول دزير
Arabic Thought	اوليري
Les Penseurs de l'Islam	كارا دي هو
The Mystics of Islam	سكلور
الملل والنحل	— ابن حزم
« «	— الشهرستاني
الفرق بين الفرق	— البهادوي
تقد العلم والمناه	— ابن الجوزي
المقدمة	— ابن خلدون
	دوائر المعارف المختلفة



القسم الثاني

الشعر في العصر العباسي

مزاياه - امراؤه (دراسات تحليلية وانتقادية) - الخنار من دواوينهم

بحسب تمهيدى

بـ

خصائص الشعر العربي

إذا وازنت بين الشعر القديم والشعر المولد فلا شك أنك تجد في الأخير أثر التقدم ظاهراً للعباءة ، على أن ذلك لم يمسح به مسامحاً مجرعه عن المذاهب التي اختطها الأقدمون . خذ الوصف مثلاً ، ذلك نمطه عريق في الشعر يرجع إلى ما قبل الإسلام ، على أنه كان قديماً ينحصر في الدأوة وما يشاكلها ، فصار - بعد أن اتسع الأفق العمراني لدى المسلمين ، وبعد أن طرأ بحر أروقة على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي - يتفنن في نمط أسباب الحضارة كالقصور والبرك والحدائق والولائم والخيوش والمراكب . ومثل ذلك تعشقه في الحمر وأنواع العزل والمديح ، وما إلى ذلك من ضروب النظم . ولا ينكر أن المولد قد غفوا الأقدمين في ذلك ، ولكنهم لم يبتدعوا أساليب جديدة أو مواضع جديدة فنجوز لنا أن نقول أن الشعر طرأ عليه في زمانهم تطور كبير .

والشعر نوهان رئيسيان وجدائي وموضوعي . فالوجداني يدور على نفس الشاعر - على تأثره من أمر ما ، وإظهار ذلك التأثر بالكلام المنظوم . ومن ذلك مدحه لأميره ، أو تفرله بفتاته ، أو هجائه لدوئه ، أو وصفه لما تقع عليه عينه ، أو تحريضه على ما يشعر بصلاحه .

أما الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه - على صفات يتخيلها أو يراها في حوله من ظواهر الطبيعة أو النظر في حياة الإنسان ، وما إلى ذلك من المواضيع الأخلاقية والأدبية التي تقتل للجسمود ما يشعرون به في الحياة ، أو تحسبهم على اجنحة الخيال إلى ما وراء المحسوسات ، فتتفرق فيهم حب الجلال وتدفعهم في سبل التكامل .

وانت إذا رجعت إلى معظم دوائر الشعر في العصر العباسي ، ثم دقت في المقاييس

الادبية التي وضعها هذه البلاغة ونقطة الشعر امثال قدامة والاصمغاني والامدي والمسكري والشامي والجرجاني وابن اثير واضراهم ، رايت ان التعدد الشعري في العصر العباسي لم يعتمد في اغلب صناعته الشعر ، وانه منحصر في اوجداني منه . وهو يظهر لنا في ثلاثة مظاهر :

(١) رقة العبارة

(٢) اشغال في المدي

(٣) التوقف على السديع اللطفي

وقد يضاف اليها التوسع في المصطلحات اللغوية .

على انه من الانصاف ان نقول ان الشعر المراءى يثل - ايضاً - نمحداً في الدحية (الروحية من الشعر ، بحية الزهد و لورع والاصلاح - وتلك حركة خاصة سئذوها في غير هذا المقام .

رقة العبارة

وحكمنا من هذا القيل اجمعي لا حصر فيه . فلا العهد القديم يتفرد بنحشونة الاسلوب وضخامة الالفاظ ، ولا المولد بالعمومة والسلامة وعذوبة الصارة . ومن البين ان العذرة كثيراً ما تتوقف على الموضوع . فاشعر القديم (بدويّاً كان ام حضرياً) اذا تغزل اوردني او تأمل جد بالرفيق الناعم ، كقول عروة يصف ما فعل به الوجد

حملتُ سرّاف اليامة حاكمه وعرفان مجيد ان همما شيماني
فقالا نعم نشفي من الداء كله وقدمنا مع العرّاد يتدراين
فما تركنا من رقية يطانها ولا سلوة الا وقد سقياني
فما شفي الداء الذي بي حاكمه ولا ذرا نصفاً ولا ألواني

وقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدته المشهورة في قتاته نعم

وبتُ اتاجي النفس اين خباؤها وكيف لما آتني من الامر مصدرُ
ندلُ عليها القلب رياء عرفتها لها وهري النفس الذي كاد يظهرُ

وقول أبي ذؤيب في رثاء بيه

والعس رامة اذا رَعَّها وادا تُردُّ الى قلب تقع
وإذا الميتة انشئت اظفارها الفيت كل قيمة لا تنفع

الى ما يجري مجراه من الشعر المذب الذي لا يمكن حصره هنا . فاذا تعدت ذلك الى ما يختص بعبشة الاعراب ووصف مسزهم ودواهم اصبح الشعر حشاً مشوعراً ، كالذي تجده في صمت الطول والجمال والقسي واواند القمر ، وما الى ذلك . يبعث به الشعر القديم وكذلك الشعر المولد تجده في ادوار تختلف باختلاف مواضعه واحوال قائله . فانه الذي يسيل عدوبة ويبلغ الدرحة العليا من الالاقة ، وسيمر بنا كثير منه . ومنه ما يتنسب متى الى العهد القديم ، تفرقه فتعده فيه عجيبة البداءة وتوعرها كقول ابن دريد يصف حصانه

ومشرفُ الانظار خاطر تحضه حالي التَّصَيُّرُ مُرْشِعُ مُرْدِ التَّابِ (١)
ساسي الثُّبُلِ في دَسِيعِ مُفْهِمِ رَحِمَ اللَّبَنِ في امِيناتِ الْمُعْصِ (٢)
ومنها في وصف حاله -

ما خلتُ ان الدهر يتبني علي ضراء لا يرضى بها ضبُّ الكدَى (٣)
ارمق البش على برض فان رمت ارتشاقاً رمت صعب المرتقى
في كل يوم مقل مستوبل يشفُ ماء مهيتي او محتوى
وقول المري في سقط الزند

لعل نواها ان تبيع شطونها وان يتعلّى عن شمس شطونها (٤)
دا ما اغنسا حرّة فوق حرّة يكنى رحمة الوجاء فيها وجيها (٥)
والمعري ولا سيما في شعر شابه كثير من هذا الصرب .

(١) حصان مر ومع اجواب معجم شديد الصب

(٢) مرتفع السق واسع الصدر قوي الارياض

(٣) الكدَى الضحور (٤) راح وجع . شطون بريد . شطون دحون

(٥) حرّة اي ناقة كريمة . حرّة اي سوداء . الوجاء ناقة . الوجع الارض النبطية

ومثله أبو تمام ، وسندباول ذلك في دراسته وتحليل شاعريته ، وأنا سكتني هنا بآياته
التالية في وصف قتال حدث في الشتاء .

لقد انصتَ والشتاء له وحدهُ يراه الرجال جميعاً قطوباً
مَدْرَأَتُ^(١) إذا الحروب أبيضت هاج صُرمها فكادت حروبا
فضربتَ اشتاء في أخدميه حمرته عاودته قوداً وهكوبا

وهذا أبو نواس وهو في طليعة المولدين ديباجة ودونة لا يحلو شعره أحياناً من القزعة
الأعرابية سقوله -

إن اليك من الصليق فدايم طلع الجعد بنا وجيب الأيت
يتبعن مائة الملائكة^(٢) كأنها تزو بعني مُنْقَر لم ففروق
وسأرى ذلك في درس شعره

فنحن اذن في نمنا الشعر المولد بالرفقة لا ننسى الحشونة البدوية من بعضه ، ولا محصر
الحرمة والعلاسة فيه . على اننا برغم ذلك نجد ان التطور الاجتماعي قد انشأ في العصر
العباسي حوا حضرياً رائقاً ، فقصى على الفاظ وتعاير واتت عرضها ما هو اشد ملازمة
لروح العصر . ومن ذلك ميل الادباء من اسلوب النظم القديم . وهو كما وصفه ابن قتيبة
« ان يبتدى . الناظم بذكر الديار والدمع والاثار ويشكو وبكي ويحاطب الرع ويستوقف
الرفيق . . . ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشرق ولم الوجد والفراق ثم يرحل
ويشكو النصب والسهو وسري الليل وانضاء الراحة الخ »^(٣) . ومع ان هذا الميل الى
التجديد لم يكن شاملاً ، فان له ائراً يتأ في المباحث النقدية التي عني بها علماء الشعر في
ذلك العصر . ويوضح لنا ذلك ما ذكره ابن رشيق يصف الحالة الشعرية في زمانه ، اي في
القرن الخامس الهجري (وقد سبقه الى ذلك نقدة الشعر منذ القرن الثالث) - قال

« وليس بالحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها والتعار ومياها ، وحر
الوحش والبقر والخصات والوعول ، ما بالاعراب واهل البادية ، لمة الناس في الوقت لمن

(١) مَدْرَأَت حدوات باردة . ابيضت حدث

(٢) ناقدة مصطرة الاعضاء (٣) الشعر والشعراء (١٣٣٢) ص ٧

ثلاث الصفات ، وعلمهم ان الشاعر انما يتكلمها تكلفاً ليحري على سن الشعراء قديماً . . . الى ان يقول « والاولى بنا في هذا اوقت معات الحر والقيان وما شاكلهما وما كان مناسباً لهما ، كما كثر من « القائي والاماريق وتفتح التبعيت وبلقات الزهر ، الى ما لا بد منه من صفات الحدود والحدود . ثم صفات الرياض والعرك والقصور وما شاكل المولدين (١) » .

وله في العمدة مقالة جيدة عن طريقة القدماء وطريقة المولدين في « باب المبدأ والخروج والنهاية » فلترجع هناك (٢) .

ومن دلائل التحدود اللغوي في العصر البيهقي ظهور « النقد البيهقي » الذي جعل اساس السلاسة في الالفاظ السهولة والحلاوة والحلاوة . وامثلة ذلك ما جاء لابي هلال العسكري في كتابه « الصاعتي » اذ قال « ودا كان الكلام قد جمع المذونة والحلاوة ، والسهولة والبصيرة ، مع السلاسة والصناعة ، واشتمل على الروق والطلاوة ، وسلم من حيز التأنيب ، وبعد عن ساحة التركيب ، وورد على الهمم الشاقب عنه ولم يرد ، وعلى السمع المصائب استوعبه ولم ينفقه . وانفس تقل اللطيف وتسو عن اعليط وثقل من الحامى الشع وانفهم يأس من اسكلام المأمروف ويسكن الى اناوف » الى آخر كلامه (٣) . ومثل ذلك قول الطرخاني « واما رجوع الاستعسان الى اللفظ فلا يكاد يمدح عطاء واحداً وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً قريباً او عامياً سخيلاً » (٤) .

ولا ينكر ان « النقد البيهقي » لم يصح فناً ذا قواعد مرعية الا في القرن الرابع الهجري وما بعده ، بيد ان الروح النقدية التي تمثل التطور الصناعي في الشعر قديمة ترجع الى اوائل العصر البيهقي .

(٢) العمدة ١ ص ١٢٥ - ١٦١

(١) العمدة (عصر ١٩٢٥) ٢ - ٢٢٢

(٣) كتاب الصاعتي (الطبعة ١٩٢٠) ٢١

(٤) لسان البلاغة (تصحيح رشيد رضا ١٣٢٠) ٣٤

وهذا المعنى (أي تشبيه المصلوبين بالفوارس الراكبين ولا يرحلون مكانهم) استغفاه
أولئك من رؤية بعض القائلين على الطبيعة المعصم مصلوبين على خشاب عالية

مثال ٢ -

وراثتي كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعاتبها وبانت في عظامي
كأن الصبح يطردها فتجري مدامها باربعة سهام

شعر المتنبي بالحسن ، وشاهد كيف كانت تزوره ليلاً وتدب في حسنه وكيف كانت
تهبط صباحاً ويبتل حسنه بالعرق من جوار ذلك ، فوصفها كزائرة ذات حياة لا تزور
حبيبها إلا ليلاً ، وتحمل الصبح يطردها فتعطل لذلك مدامها

مثال ٣ -

ضربت سيف الدولة خيمة عظيمة ، هبت ربيع شديدة فمقطت ، وحسبان المتنبي
حاضراً فقال في ذلك

أيقده في الحية الدلّ وتشل من دهرها يشمل
إلى أن يقول

رأت لون فورك في لونها حكايون الغزاة لا ينمل
وان لها شراً باذخاً وان الحيام بها تحمل
فلا تنحكن لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل

فانظر كيف جعل مقطوعاً مسياً عن شدة ما نالها من القنار والزهر ثم ساق الكلام
إلى قوله

ولما امرت تطنيبها أشيع بانك لا تحمل
فا اعتمد الله تقريصها ولحسن اشار بما تفعل

لجعل تقويض الله لها فكذباً لما أشيع عند تطنيبها من أنك لا تقوي عزوا لمدو .
وقد أجاد المتنبي في انتزاع هذا المعنى والاسم ثوب الجوار والخيال

ومن القمم الثاني (اي المعاني المتكررة من غير شاهد حال) قول علي بن جبلة مادحاً

تكفل ساكن الدنيا حبيد فقد اضمت له الدنيا عيالا
كأن أباه آدم مكان أروى إليه ان يعولهم فصالا

اراد ان يثبت بمدوحه بالكرم المطمح الشامل ، فجعل العالم عياله وتخيّل ان آدم ابا البشر
او صاه باعالتهم ففعل .

وقول ابني قنم مدح اميراً اقام على بابيه حاجياً يمنع الناس

يا ايها الملك الثاني برؤيته وجوده للرامي جوده كسب
ليس الحجاب بمقص عليك لي املاً ان الماء ترعى حين تحتجب

وقوله في الخاسد والخسود

واذا اراد الله شر فضيلة طويت ، اتاح لها لسان حمود
لولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يُعرف طيبُ حرف العود

ومثل ذلك في الحسن قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرئاً لنواله واطال فيه فقد اساء هجاء
لو لم يقدر نعم بعد المستقى مند الورد لما اطال رشاء

ومن لطيف المعاني قول ابن بقي الاندلسي

بأبي غزلاً غارته مقلتي بين المذنب وبين شطي برق
حتى اذا مات به سنة الكوى زحزحته شيئاً وكنان ممانقي
ابعدته عن اضلع تشاقه كي لا ينسام على وساد خامق

وامثلة ذلك كثيرة في الشعر الموكل . واذا تأملتها تجد اكثرها او كلها من قبيل
التفنن في الجوز والتشبيه ، وليس للاخير السعيب الاوفر مما يدخل في باب المعاني . وقد
خصه ابن رشيق بالذكر اذ قال : « ان المعاني انما اتست لاتساع الناس في الدنيا وانتشار
المرء بالاسلام في اقطار الارض ، فحسروا الامصار وحسروا الخواضر وتأفقوا في الملاصق
والمطاعم ، ومرغوا بالهيان حاكمة ما دلتهم عليه بداعة العقول من فضل التشبيه وغيره . »

وانما خصصت التشبيه لآية اصعب انواع الشعر وابعدها متعاطى^(١) وقال في موضوع آخر يقابل المحدثين بالقدماء « واذا تأملت ذلك تبين لك ما في اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التورية والادب والعمق المعينة ، ثم اتى بشاعر بن برد واصحابه فزادوا معاني ما حوت قط بحاطر جاهلي ولا يحضرون ولا اسلامي ، والمعاني اشد تقردد وتثوب ، والكلام يفتح بعضه بعضاً^(٢) ، ولم يرد ابن رشيق بالمعنى الشعري غير ما ذكرنا من التصرف في وعره الصناعة المنيوية وأعطى عنده التشبيه ، والذي يطالع دروين كسار الشعراء في العصر العباسي ، ويقابلها بما بعدهم في العهد لاموي وما قبله ، يجد صفة ما ذهب اليه ابن رشيق وسواه من تفوق المولدين في ذلك ولا نطق الا ان هذه المعاني التخييلية اخذت تتضاءل بعد عصر الشعر الذهبي ، وقد ضاعت حداً بعد القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلاد وبقيت كذلك الى اوخر القرن التاسع عشر ، ثم اخذت بالانتماش على يد شعراء القرن العشرين .

النوفر على البربع اللطفي

وما يقال من رقة العبارة واختراع المعاني ، من حيث ان المولدين فاقرأها الاقدمين ، يقال عن البديع لللطفي - فقد حموا الاخيرة فناً معروفاً وجروا فيه الى الفسافة . وانواع البديع كثيرة وقد اتمت فيها كتب تدارسها الطلاب في كل جيل واول من صنف فيها عبدالله بن المعتز اشعر المشهور (في القرن الثالث الهجري) دخل منها مضة عشر نوعاً ، ثم قدمه بن جودر جامع منها نحو عشرين ، وجاء المسكري في القرن الرابع طبعها خمسة وثلاثين ثم اعد البيهقي ولسيدون يسمون فيها حتى بلغت ما يزيد على المئة والخمسين ، واصبح للبديع في اوخر القرن عباسي سيطرة كبيرة لا على الشعر فقط بل على النثر ايضاً ، كما يتضح من الرسائل الدعوية والادبية في القرنين السادس والسابع .

على ان المولدين لم يستكروا البديع استكراً مطلقاً بل توسعوا فيه حتى رثا سواهم : قال المسكري في كتاب الصنائع رداً على الذين يعرون فضل اشكارة المحدثين (اي اديبه العصر العباسي) « فهذه انواع البديع التي اذمى من لا روية ولا رواية عنده ان المحدثين

اشكروها وان القديما لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يعظم امر المحدثين ، لان هذا النوع اذا سلم من التكلف وبرى من العيوب كان في غاية احسن وسهولة الخودة ^(١) .
والمسكوي كما مر بنا من اهل القرن الرابع الهجري ، وكان الشائع في زمانه على ما يفهم من دفاعه ، ان اديب العصر العباسي هم الذين اشكروا انواع الدبج فني ذلك وقال بوجودها في الشعر القديم . وذلك مطوم ، ولكنه لا ينبغي ان هذا الفن الكلامي لم يتضم ولم يوضح الا في العصر العباسي . ولا يعرف عصره سماع اية ولوع المثنى والشهراء باستديع اللفظي كذلك العصر . قد ايام مدام والي ثمة اي ايام من انقراض وصفي الذي الحلبي نجد راجع الناس ما يدعي يريد مع الاحوال . وبقي كذلك في ايام ابن معتوق ثم الى مستهل النهضة الاخيرة ، لم يقف عليه غير ما اصاب لادب في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي وفي القرن العشرين من تطور المعنى والظلي .

ولا ينبغي المقيد ذكر كل انواع استديع اللفظي والمثنى عليهم ، بيد انه لا بد من القول ان الطلاق والجلس هما الركبتان الاساسيتان وعليهما يقوم اصغر الشعر ، وبسببها رد الشعر على الصدر ، والمكس ، ووصيغ فاسر لانواع .

وقد تناول ابن رشيق امر المنة بين القديما والمحدثين فقال : ان المحدثين اصغر انشد على ان الملك الاسلامي عظم في ايامهم . واكثر القديم يقولون ذلك ، ويصوت به ان اتباع الحضرة فتح لا شعر . ابوا حبيبة لهما في ، كانوا صحر الحمر والاسد . والقلان والفتاة وسائر اسباب الكبر والقصب ، وان ذلك لا في بعض اشعر شعور . وكأ ما لبهم الى الزهد والوصف ومكارم المباد . وفي ذلك ما فيه .

على اننا عند التحقيق نجد ان هذا التحدد في اية في محصر ما كثر في محري الدبج لم يتعد الى انتمون الحياية العليا المنية على معرفة اوسع في الكون والادب ، وعلى نظرات ادق في الطبيعة والامران . ولم تكن الاشعار ابروجية والادبية عموماً تطلات فلسفية في الحياة ، بل حظرت تألي في سياق وعظ او انتقاد ، او غير ذلك من المناسبات .

التوسع في المصطلحات اللغوية

وعدا باب واسع يعبر الخوص فيه ها ، وهو مباحث تاريخ اللغة وتطورها اولى . على ان النظر في تطور الشعر المولد لا يسعه الا ان يقف قليلاً عند هذه الظاهرة الادبية العامة ، وهي تمثل لنا امرين - (١) اختلاط العرب بالاعاجم (٢) الميل الى التحرر من بعض القيود النغمية . اما الاول فقد مررنا في الكلام عن تطور الحياة الاجتماعية ، فلا لزوم لاعادته . ويمكنني هنا ان تقول ان هذا الاختلاط كان له اثره في الانفاظ الشعرية : قال الجرجاني في الوساطة ، ان المحدثين قد اتسموا فيه حتى جاؤوا الحد لما احتاجوا الى الافهام وكانت تلك الانفاظ اعلم على اهل زمانهم واقرب من افهام من يقصدون وقد افراط الانواس حتى استعمل زمرده - وياربته - وماريكنده الخ . (١)

ومن ذلك لابن الرومي شعر وهي الاسد في العارسية - زرباي اي ماء الذهب - الدوشب وهو التند الاسود - الكوش اي الادن . وللمعري عرزان ومرزاي وبيادق من اسماء الشطرنج - والزبيج والاسطرباب من ادوات الفلك - وبعض الفاظ عامية مثل آرا يعني نعم وامثالها .

وقد كان القدماء يشتملون الفاظ المعجم عند الحاجة ولكنهم لم يملوا من ذلك ما بلغه المولدون (٢) . وعن الحافظ كان الشاعر يتسلح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان (٣)



واما الخروج عن نصوص الامة في بلغت النظر وقد اشتهر بذلك بعضهم كالمتنبي وابن الرومي من كلام الاول قوله

اذلت له بدل اذله من
احاطره في روحي اراهنه

(١) و (٢) الوساطة انصحاح احمد الربيع ٣٥١ ٣٥٢

(٣) البيان والتبيين (١) ١ - ١٣١

فريص جمع فرائص
يتفارسن أي كل يطلب اقتباس الآخر
مرد رجل أي رجل واحدة
الخدور والحلوب وتترك وما تشاكل هذه الصيغ
السم المزعج (ولعله أول من وصف السم بالتعريح)
الطق أي اللسن
وعشرات مثلها تجدها في نضائيف ديوانه^(١)

ومن أمثلة الثاني

مفانش - يزندقون - لاشرات - الأذهاب - هيجح - نهبارك انهر - الايام
الاطاول - الملاحم - اللصاء جمع لاص ، وكثير غيرها

ولست هذه الظاهرة شائعة ولكنها تكاد تكون عامة في العصر الماسي ، ولها
اسباب لا تدخل في بحث الآن . ويدخل فيها المصطلحات والمسميات الجديدة التي نشأت
بتقدم الحضارة . ولا شك ان هذا التجدد اللغوي بدأ في اللغة منذ اقدم عهودها وجرى
فيها مع الزمن ، حتى كانت النهضة العربية الاجتماعية في العصر الماسي ، فظهر فيها عظم
كثير ، كما ظهر في نهضة العلمية الحديثة . ومع تخرج الشعر في المحافظة على الارضاع
اللغوية الصربية لم يستطع التخلص من تأثير الارضاع الاجبية ، كما تشهد بذلك النصوص
الشعرية في كل زمان .

(١) راجع - انكره الطاهر - من شعره في كتاب الوصاية للبحراني ٣٢٩ - ٣٦٩

امراء الشعر المولد

ابو نواس - ابو العتاهية - ابو تمام - النحري - ابن الرومي - المتنبي -
الحري - ابن الفارض

يختلف الباحثون في من تقدم من شعراء العصر العباسي . ولا سبيل الآن الى البحث في اختلافاتهم والنظر في اسبابها فلكل نظرة الخاص ، ولكل آراء يدها بحجج مقولة . على اننا قد احقرنا منها لدراستنا التحليلية هؤلاء الثانية ، وهم بلا جدال من الطلقة الاولى بين المولدين .

وقد كان مولدنا في اختيارهم شهرتهم ، واسمهم ائزاً من سوامم في تاريخ الشعر العباسي . ولا نقصد بذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او يعوقهم في بعض المناحي . فكأننا فراس مثلاً او الشريف الرضي ، بل انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي دهرهم درس لذلك العصر والروح الشعرية القائمة به .

للـ

أبو نواس

الحسن بن هاني

ولد بين (١٤١ و ١٤٥) هـ - وتوفي بين (١٩٦ و ٢٠٠)

حوالي (٧٦٠ - ٨١٦) م

مصادر دراسته - بيئته - ميله الشعري - مقامه الادبي - شخصيته الشعرية

مصادر دراسته

- ١ - ابن قتيبة توفي سنة ٢٧١ هـ (٨٩٠ م) الشعر والشعراء المطبعة العمومية مصر ١٨٩٨ ليدن ١٩٠٢
 - ٢ - ابن المعتز توفي ٢٩٦ هـ (٩١١ م) طبقات الشعراء نشره عباس اقبال ١٩٣٩ ص ٨٧ - ٩٩
 - ٣ - الطاهري توفي سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١
 - ٤ - الاصبهاني توفي سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) الاعاني يولات ج ١٨ ومتفرقات في ج ١٦ و ١٧
 - ٥ - اجرجاني « ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) الوساطة حيدا ١٢٣١
 - ٦ - المرزباني « ٣٨١ هـ (٩٩١ م) الموشح مصر ١٣١٣ من ص ٢٦٢
 - ٧ - ابن الديم « ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) الفهرست لييك ص ١٦٠
 - ٨ - ابن شرف القيرواني توفي ٤٦٠ هـ (١٠٦٩ م) اعلام الكلام ص ٢٢ - ٢٣
 - ٩ - الخطيب البغدادي « ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) تاريخ بغداد ج ٧ من ص ٤٣٦
 - ١٠ - ابن عساكر ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) تهذيب التاريخ الكبير مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ ج ٤ ص ٢٥٩ - ٢٧٩
 - ١١ - الانباري توفي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) طبقات الادباء من ص ٩٦
 - ١٢ - ابن خلكان « ٦٨١ هـ (١٢٨١ م) وفيات الاعيان (ميدي) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٢
 - ١٣ - ابن منظور توفي سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) اخبار ابي نواس (مصر ١٩٢٤)
 - ١٤ - المويري « ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) نهاية الادب (دار الكتب المصرية ١٩٢٥) ١ - ص ١١٩ - ١٢٣
 - ١٥ - طاش كوري زاده توفي سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦١ م) مفتاح السعادة (حيدر آباد)
 - ١٦ - البغدادي توفي سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) خزائن الادب (يولات) ١ - ١٦٨
- وفي مواضع شتى من الكامل للمود ، والمعدة لابن رشيق ، والمغربي لابن الطقطقي ، وزهر الآداب للعصري ، ويختصر مقدمة الشعر لابن منقذ ، ومعاهد التنخيص للعباسي ، نجد زبدة الاخيرين في ذيل ديوان مسلم النوجي (Goozi)

وقد ترجم له مؤرخو الاداب المتأخرون كالثاني في دائرة المعارف ، وزيدان في آداب اللغة وصواها .

ومن ثابوه في دراسات نقدية الاساتذة طه حسين في حديث الارما ، وعباس مصطفى عمار في كتابه (ابو نواس حياته وشعره) وعمر عرواح في كتابه (ابو نواس)

بنته وعصره

ولد شاعرنا في خورستان من بلاد المجمع ، وانتقل به والده وهو طفل الى البصرة فنشأ فيها . وبطهر ان اياه مات وتركه صغيراً في كدلة امه ، فسلمته الى عطار ليتعلم تلك المهنة . ولا يعرف شيئاً كثيراً عن مهنة « المطري » ، من التاريخ يتحطى ذلك سريراً ويعبره لثا في صحة الشاعر والامة بن الحباب . ثم لا يلبث ان زاه حوالي الثلاثين من عمره ، وقد استقر في بغداد ومدح الرشيد واتصل بسلاطه . ويقول بن رشيق انه كان نديم الامين طول حياته ^(١) . اما كتاب المعري فينقل لنا انه كان من شعراء الفصيح الربيع المنقطعين اليه ^(٢) . وليس من تناقض بين القويين فان الفضل كان حاجب الرشيد ومن رجال دوائه والوزير المقرب في دولة الامين ، فقد يصحكون انصل به اولاً ثم تادم الامين ومدحه . وتوفي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خراسان .

نشأ ابو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية — عصر القوة والرخاء . وقد رأينا في كلامنا عن تطور الحياة الاجتماعية كيف كانت بغداد في ذلك العصر ، من حيث غناها وعمرانها وبذخ المقرين فيها . ومن يطالع اخبار الامراء والوزراء ومن اليهم من ارباب الفنى ، وكيف كانوا يتمتعون بأسباب الحضارة من عبيد وجوار وقصور ، ويسقون في سبل النهر من شرب ومنا . ودق ، يعرف شيئاً من الجور الذي وجد فيه شاعرنا والذي اثر في اخلاقه ايماً تأثيراً .

طبع ابو نواس على الطرف والمجون ، وواقفته الانذار في صحة ابن الحباب ، فخذ عنه مذهبه في الشعر والحياة . وكان الشعر آتشد في ايدي عصبة من اهل الاسراف

(٢) المعري (عصر ١٣١٧ - ١٩٢٠)

(١) المجلد ج ١ ص ٢٢

والخلاعة ، نذحكر منهم مطيع بن اياس - حماد عمرد - مسلم بن الوليد - داود بن رزيق - الواسطي - الحسين بن الضحاك - الفضل الرقاشي - عمر الوداعي - الحسين الحياطي - علي بن الحليل - اسماعيل القراطيسي وامثالهم . وفي القراطيسي يقول الاصمغاني « كان مألماً لاشعراء فكان ابو نواس وابو التائية (طعناً قبل ترجمته) ومسلم وطبقتهما يجتمعون عنده وبةصفون ويدعولهم الثقيان وغيرهن من الفنان (١) .

في عصبه كهذه العصبه وقع شاعراً . وليس شعراء لدى التحقيق الا امرأة لحياته واحوال معاصريه . ولقد بلغ من الناذي في عبثه وتهتكه ان صار مثلاً في ذلك .

روى الحصري « انه لما خلع المأمون اخاه الامين ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربتة كان يعمل كسّاً يصوب اخيه تقرأ على الماير بخراسان . فكان لما عابه به ان قال انه استخلص رجلاً شاعراً مباحاً كافرأ يقال له الحسن بن هاني ، استخلصه ليشرب معه الخمر ويترك المآثم ويهتك المعصام » ثم يقول . . . ويقوم بين يديه رجل فينشد اشعار ابي نواس في الجون » (٢) . واننا لنظلم ابا نواس اذا حصرنا حياته وادبه في هذه الدثرة التي وضعت فيها كتب المأمون . فقد كان بعد ذلك (كما سنذكر في كلامنا عن مقدرة الذقوية) ولكن الجون قلب عليه ، وصرف في سبيله مواهبه .

قال ابو جبد الله الجناز يصف ابا نواس (٣)

« كان اطرف الناس مطلقاً ، واغزهم دماً واقدرهم على الكلام ، واسرههم حوارياً ، واكثرهم حياء » . وبعد ان يصف شكله ولبسه يقول -

« كان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حلو الثمانن ، كثير السواد ، واعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية بلاشعار علامة بالاحمار ، كأن كلامه شعر موردون » .

(١) الاغانى ج ٢٠ ص ٨٨

(٢) زهر الآداب (شرح ذكي مبارك) ج ٢ - ١١١

(٣) ٢٠٢ - ١٠٠

كان الرجل واسع المعرفة - متصلاً بحياة عصره السياسية والفكرية ولكن انصرافه إلى الخمر واسترساله في الموبقات حالاً دون أن يترك لنا أثراً أدبياً كبيراً في غير سغائف الحياة .

ميله في أدبه إلى الشعوبية

قد تعجب من هذا الزعم بعد أن عرفت أنه كان يلازم الفضل بن الربيع والأمين بن الرشيد ، وهما - فقد المصيبة العربية في ذلك الوقت . ولكن لا عجب فأبو نواس كما مر معنا من أم فارسية ، وقد ولد في بلاد فارس ، ونشأ لا تعرف له عصبية واضحة في العرب . وهم ينسبونه إلى قبيلة حَكَم اليمنية فيقولون الحكمي ، ولكن ابن منظور صاحب اختياره يقول : « كان أبو نواس دميّاً يخلط في دمونه » ^(١) أي أنه لم يكن ثابت الانتماء إلى أصل من الأصول ، هو تارة يدمي النسب الجاهلي ، كقوله في حديثه مع الحُذَافِ

ههنا إن رأي رقي ادمي تكلم مع مذخور اللسان

وقل أمن تميم ؟ قلت هكذا واحكي من الحلي الجاهلي

وتارة يهجو البنية كقوله في حياء هاشم بن حذيف وهو كندي من صميم اليمن

يا هاشم بن حذيف لو عددت أبا مثل القدس لم يعلق لك الدس

ولقد نُسِّحَ له رؤساء كنانة وهي من عجم اليمن كما هو معروف . وفي هذه القصيدة يمدد كرماء ثور الدس يفتخر بهم ، ويستعرب ذلك ممن له عصبية شديدة في اليمن . ونقل ابن منظور « أنه حكاه يترنّز ويدّعي القفر دق ، ثم انقلب على الرارية وادّعى أنه من « حاء وحكم » فرجعه يزيد بن منصور الخيري حال المهدي وقل له انت خوزي (أي من خوزستان) فإنت ولدك وحكم ، فقال فإما موى فتركوه » . وقال بعضهم لبعض أنه ظريف اللسان عزيز الدم قدعوه ، وهذا الولاء يتعصب لنا ويكيدنا ويهجو الرارية ، فكان كما قالوا . وكان يسكن أولاً باب فارس فعُدل عن ذلك واكتفى بأبي نواس تشبهاً بكنية

(١) أخبار أبي نواس ١٦

في نواس ، كما كانت اليمس تسكني وقيل عير ذلك ^(١) . ويذكر في محل آخر انه كان
في دعاويه يتاجرن ويعت ويخفي اسمه واسم امه لتلاجهي ، وذلك مشهور عنه . والمذكور
من امره انه كان مولى الحكيميين يقتحر باليمس ويدعهم لذلك ، ويدع المحرم ويذكرهم
لانه منهم ^(٢) .

في ذكر آتف يستدل ان ابا نواس كان من اصل وضع وانه كان ينسب الى
الحكيمين الاولاء . والامر الواهن انه فارسي الصنع يحد واحد الشعوبية في الاستغفار
بالعبادة العربية . ويزيدنا ثقة بذلك انه كان يحدد السلام من الي عبدة ويحدده ويحد
الاصمعي ^(٤) . والى ذلك يذهب ابن رشيق او يقول « وكان شعوبى اللسان وما ادرى ما
وراء ذلك واب في اللسان وكثرة ولوعه » نبي . لشهدا عدلاً لا ترد شهادته ^(٥) . ويروي
له ابن عسرة ايئناً ويقول انه قدما على مذهب الشعوبية ^(٦) . ونقل الطبري ان الرشيد
حبسه بحانه قريش ^(٧) . وابتدئ في شعره استهزاء بالعرب كقولهم

وج الشقي على رسم يائه
يسكني على طلل لماضي من اسد
ومن قيم ومن قبلى وللهما

لأرض ناعد الرحمن
ولم يحل مصايدها
ولصكن حور غرلافه
فذاك الشئ لا يبد
إذا ما كنت بالاشياء
فانك أيما رحل
عنها الطلح والعُشرا (١)
يرامعاً ولا وَحراً (٢)
توامي باللا بقرا
تقفرتها ولا وبرا (٣)
في الاعراب معترا
وردت فلم تجد صدرا

ويأخذ من هنا بدم أهل البادية رجلاً ونساء . وشعره يسبح : يا بدل على شعبه تاربخ
الفرس وثافة الحصر ، ويعوره من الحياة ليدوية التي كان يمشي بها الأقدمون . ومن ذلك
أيضاً قوله

دع المشي يسكني على ظِلِّه
وقل كنتوم (١) المثل بأشعر بطيل الإعراض من جلته
واعد على اللوم غير متفر
عنه فهذا أول مقتله
أما ترى جدّة الزمان وما
أبدع فيها أربع من عمله
والى وحوه الزمان حادية
عند اقتراب الشتاء من أحله
عاشرب على حدة الزمان فقد
والى بطيب الهوى ومُمتدله
من قهوة تُذكر السرور وتُسي الهم
عند اعتراض مشتكله

وقوله

لقد جُنّ من يسكني على رسم مقل
وبندب اطلالاً حورن مجرول
فان قيل ما يسكنك قال حمامة
تنوح على فرخ بصوات مُعول
تذكرني حباً حلالاً بفقرة
وأخبة شجّت بفهر وجندل (٢)

(١) من اشجار الفرس (٢) الوجه من النطاء (٣) كاجراذين وسم ابرص

(٤) السيد الذئب والوبر حيوان أصفر من السنور

(٥) حو العتاني الشاعر المشهور (٦) آخبة أي حود دقيق يوضع بين حجارة المناط

لشدة آية الدابة ، والمهر المهر وكذلك الجندل

ومما يشعر ميله الى الفرس وانحرافه عن مذاهب العرب قوله من قصيدة

دع الاطلال تغيب احبوب وتكفي عهد جدتها الخطوب
وخلل لراكب الوحشا ارضاً تحتها لها البقية والنحيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهواً ولا عيشاً فعيثهم حديب

ثم يصف حشرة عيشهم ويقابل ذلك بصفاء العيش في الحضارة والتشبع بالحرق ، الى
انه يقول

هذا العيش لا عيش الوادي وهذا العيش لا الارض الحليب
فان الدود من بوان كسرى واما من الميسادين الزروب

* * *

كان النضال في عصره مستعزاً بين المحافظين والحدادين - بين الذين يرون التسكك
بمقاييس الشعر القديمة ، وبين الذين يرومون استبدالها بمقاييس اخرى موقف الى جانب
هؤلاء . على انه لم يقل ذلك في كل شعره ، وسرى انه تابع المحافظين حيناً وجرى معهم
بعض الاحيان في سبيلهم الموهودة

فلما ان انا نواس كان يأخذ في شعره اخذ الشعوبية . وعلى ذكر الشعوبية نقول بها
حركة قام بها في صدر الدولة العباسية جماعة من المثقفين الى اصل فارسي ، وعابثتهم تعظيم
العرب وحضارتهم ومقاومة ما كان قد نشأ في نفوس العرب (ولا سيما ايام الامويين) من
روح التعوق والاستئثار بالحد . وقد قام من المريقين جماعة يناضلون عن مذهبهم ويؤمنون
بحصونهم بليم سهامهم . يذكر من الفريق العربي ابن قتيبة والطاحط وابن دريد ، ومن
الفريق الشمراني اما عبيدة ووسيل بن هرون والبروني وحمزة الاصمغالي . وقد كان هذه
الحركة السياسية الاجتماعية تأثير ملحوس في الادب ، وقد اشرنا الى تأثيرها على ابي نواس

مقامه الادبي واسلوبه الشعري

ذكرنا سابقاً انه كان واسع المعرفة متصلاً بحياة عصره الفكرية وفي شعره ما
يشعر باطلاعه على آراء الفلاسفة والمتكلمين . على ان اهم ما يذكر له هنا تنطوره في العلوم

صاحب ابى نواس اتعرف امرأه الله احسن من هذا ، وانشد شعراً فقال لا والله . فمن هو ؟ قال للذي يقول

رسم الكرى بين الجفون حيل^١ عني عليه بصراً عليك طويل
يا فظلاً ما اقلمت نظراته حتى تشخط يمين^٢ قتييل

فطرب الشيخ وقال له : ويحك لمن هذا ؟ فوافه ما سمعت اجود منه قديم ولا لحدث ؟ فقال لا اخبرك او تكتبه ، فكتبه . فقال للذي يقول

ركب^٣ ساقوا على الاكوار بيهم كاس الكرى فانتشى المستي^٤ والساق
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلة حتى اتاغوا اليحكم قبل اشراق
من حكل جانلة الطرعين ناحية مشتاقه حملت اوصال مشاق

فقال لمن هذا ، وكنه . فقال للذي ندمته ونميت شعره ابى عبي احكمي . فقال الشيخ اكتم علي^٥ ، فوافه لا اعود لذلك اعداً

وهذه القصة اذا صحت تدل على تمصّب « الأعرابيين » (اي اهل البادية الى شعر الامراب) على المحدثين كالابى نواس واضرابه .

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يتعصّب على ابى نواس ويقول : هو يخطى . وكان اسحق في كل احواله ينصر الاوائل ، فكنت انشده جيداً اتوال ابى نواس ، فلم يحل به ، لما في نفسه . فاشدته

وخيمة فاطور برأس منيف^٦ تهم^٧ يدا من راسها يزليل

فكان على امره . فقلت : والله لو كانت لبعض اعراب هديل جلجلتها افضل شيء سمعته قط (١) .

والغريب ان ما اصاب ابى نواس من تعصّب اسحق اصاب اسحق نفسه من تعصّب اهل اللغة (٢) . وهذا التعصّب قحده في كل عصر وفي كل حيل .

(٢) راجع حديثه مع الاصمعي في ابن حساكر ٢ - ٤٥٤

(١) الموشح ش ٢٦٣

من كل ، ذكر يؤخذ ان ابا نواس كان من كبار اهل اللغة و . منهم من الاحتجاج بقوله لا ارفته و نه من المحدثين . وقد وصف اسلوبه الفني بالسهولة وبصحة عن التكنيف . قال محمد بن داود اخراج كان ابو نواس احود الس يدية وارقم حاشية ، لسا بالشعر يفوه في كل حال ، و زدي . من شعره ، حفظ عنه في سكره ^(١) . ومثل ذلك قول ابن رشيقي : لم يكن يؤثر التصنع ولا يراه قصيدة ما فيه من الكفة و . يحيى بالشعر على سجيته ^(٢) . وقد انمى ابن عدره على المرد باللائحة لسو . ما اختاره من شعر ابي نواس ، وقال قلما يأتي له بيت ضيف لركة فضته ، وسوطة بنته ، وعدوة اعاضه . وكل اشعاره الخريات بدبعة لا نظرها . ونقل ما ذكره الحافظ في كتاب الموالى من ان ابا نواس اقدر الناس على الشعر واعطاهم به ^(٣) . على ان ابن شرف القيرواني يخاف من تقدم ويصف شعر ابي نواس بالضعف وانه فاقق عند العوام كاسد عند النقاد ^(٤) .

ومع ما في اقوال هؤلاء العلماء مما يهت في درس شعرنا لا نستطيع ان نعتمد عليها كل الاعتماد ، لانهم كثيراً ما يسيئون الكلام حرافاً ، وكثيراً ما يدعهم الى القول نكتة في شعر او محال وصف في صرة . ولسا نرى اداهم - على صحة الكثير منها مستندة الى دراسة نقدية يصح قولها . فلا بد ان من الرشح الى ديوان الشاعر والتحقيق فيه . وقد ظهر لنا انه ان ابا نواس يقف في شعره ، موقفين متناقضين - موقف المقلد وموقف المحدث . ففي فئة من قصائده يسير على - من القدماء ، حتى كانه احدهم . وفي فئة اخرى يفرغ الى التجديد ، فيسكر الاساليب القديمة ، ويدمها ويحاول القضاء عليها . ولتقدم الى تأييد ذلك بادرة من ديوانه

الموقف الاول

وفيه (كما ترى في اكثر شعره المدحى والرائى) يتكلف الاسلوب الاعرابى ، فيقف في مدحه على الطلول ، ويتركب النياق ، ويقطع المواجهل ، ويأتى بتوهم الالفاظ ، مما يدل

(١) عن حمزة الاصماني مقدمة الديوان (مصر ١٨٩٨) (٢) المدة ١ - ٢٠٠

(٣) راجع تفصيل ذلك في المقدم ٣ - ٢٦٨ و ٢٦٩

(٤) راجع تفصيل ذلك في اعلام الكلام (مصر ١٩٣٦) ٢٢٤

على سعة معرفته بأرادة الامة وأنه متأثر من محفوظاته الواسعة . وربما كان موقفه هذا هو الذي حل الشيباني وسواء من علماء اللغة على الثبوت بتقديره اللغوية واحلايه المحل الرفيع بين اربابها قال من قصيدة يمدح بها الرشيد

يا احدا سفوان من مقبوع	ولما جمع الهوى سفوان ^(١)
واذا عودت على الديار مسلماً	ولغير دار امية الهجران
ان سبينا والماس خطة	حتى ربيت بنا وانت حصان ^(٢)
لما ترعت من الترواة والصبا	وحدث في الشذية المدعان ^(٣)
سبط مشافره دقيق خطما	وحكأن سائر خلقها بنيان
واحتازها لون سحرى في حلاها	يقف سكقرطاس الوليد هيجان

ثم يصل على هذه الناقه الى المدح ويمد فضائله

وله من قصيدة يمدح الامين

اقول واليس تعرفوري الفلاة بنا	ضمر الائمة من مثنى ووحدان
لذات لوث عرفناؤ مذافرة	كان تصيرها تصير بنيان ^(٤)
يا ناق لا نسالي او تلقي ملحكا	تقبل راحته والرحمن سيان

وقد يمدح العباس بن جده الله بن ابي جعفر المنصور من قصيدة مطلعها - يا ايها المنتاب من عفره *

ذا ومفر عسارمة	تحمس الانصار عن قطره ^(٥)
لا ترى عين البصير به	ما خلا الاجال من بقره
خاض في لحيه ذو جرر	يضم الفضلين من عفره ^(٦)
يحصني عتونه ريداً	فصيله الى تحره ^(٧)

(١) سفا اي تعرنا في الشر (٢) الشذية المدعان اي الناقه السلسة الى اس

(٣) ذات لوث اي ذات شدة . عرانة شديدة كالاسد . تصيرها اي اكنثار اللحم فيها *

(٤) صف اناص الصعرا . ويريد صبر المحارم اي فقر كالح الطرق تكال الاجساد دونه

(٥ و ٦) ذو جرر اي حمل سكتة اللحم شديد . الصفر جمع صفار وهو حزام الرجل . المشون الدفن . الصيل ، الخنث

ثم يغمم^(١) الخجاج به كما تمام العوف في مُشره^(٢)
 حكل حاجتي تناولها وهو لم تقص قوى أشره
 ثم ادثاني الى ملك يامن اطاني لدى حُخره

وهش ذلك ادجرت به في الفضل من الربيع واولها « وملة فيها رور »

وهي طويلة يصف ركوته ورجله الى المدح في عدة ابيات . منها

مفتها على خطر	وغور من القور
يسارل حين قَطُر	يهز جن ^(٣) الاشر ^(٤)
لا منشك من سدر	ولا قريب من حور ^(٥)
سكاه بعد الضمر	وبعد ما جال الصعر
واقج في ^(٦) خمر ^(٧)	جال رناع المشر ^(٨)

وكلها على هذا المثال

فانت ترى في كل هذه القصائد محاكاته للشعر . الا عرب من وصف ناقة او فرس
 يركبها غوصلا الى اميره . وربما كان يقصد ذلك احيانا تنزيها لمركوه الاذي بين ادماء
 ذلك العصر . قال ابن رشي بعد ان ذكر ان المولد كان يتكلف ذلك ليجري على سبيل
 الاقدمين « وقد صنع ابن المعتز وابو نواس قبله ، وموت معها في تلك الطريق ما هو
 مشهور في اشعارهم^(٩) .

ويظهر ذلك في رثائه لاستفاده خلف الاحمر ، ولراويته الى البيداء الرباعي . فمن
 رثائه للاول -

- (١) الخجاج ، ما حول البعير ، والعوف الشعر . والمشر شعر . وهي الايات : قطعت الى
 المدح صحراء واسعة لا يكتفها غير البحر الوحشي وكنت بمثابة حلالا لني من المشاق والحرم ما لدي
 وهو مع ذلك لم يرن في شاطئه حتى يلمت به الى ملك . . . الخ
 (٢) البارل الجمل الذي طلع ناه . جن الاشر عنوا بالطر
 (٣) السدر تحير الطر من شدة الحر . والحور الصفر
 (٤) اي حري فأجبا
 (٥) حار وحش قتي
 (٦) الممثلة ٢ - ٢٢٧

لا تزل العصم في الحصاب ولا شعواء تغزو مرخين في حفر^(١)
 تحو محوشوشها على ضرم كقعدة المنحني من الحرف^(٢)
 ولا شوب نالت توارقه الشدة مها بوبل قص^(٣)
 عدا كوقوف أهلك ، ينهت القصص قط عن منبته واجتنب^(٤)
 ولي مرثائه لابي اليباء بقول -

هل غطى حنقه عر شاعقة رعى ماخباها شت وطقا^(٥)
 او لغوة أم اليبين في حب شيرتها شفا خعلم وآما^(٦)
 او ذر شباء عن الصوت ارقه وبيل سرى ماخص الودقين خيداقا
 او دد محاض شدة اذا بقت مناسحا وثنت ملطاً واطاقا
 شون حتى اذا ما صفن ذكرها من سهل ورداً عاشقن واشتاقا
 يؤم عباها ررق طامية يرى عليها لحى الماء اطراقا^(٧)
 دار الحام الى اليباء محترماً ولم يضر به في الناس مطراقا^(٨)

الى آخر هذه الايات وهذا الكلام الاعرابي القح^(٩) ، تأمل ذكره في ارباء للعمر ترمي
 الشت والطباق ، والقوة أم اليبين في حلف مال ، والوبل الصداق الماخص الودقين
 والشعواء تحو محوشوشها على ضرم ، والشوب (الثور) ينهت الماطق عن كفه فتري
 ان شاعرنا الطريف خرجها عن " حضارقه البغدادية " الى خشونة الدوة ، ولم يكتف
 بمجازاة الاوين في الفاظهم بل اخذ اخذهم في تشابههم وصورهم الشعرية ، ولا زى تعديلاً
 منطقياً بذات الا ان تقول ان اما نواس ، على ميسله الى الاسلوب الحضري الحديد وعلى
 كرهه للاعراب وجباتهم ، لم يتعذر حالاً من اسلوبهم إما لشدة ما علق في ذهنه من
 محفوظات الشعر القديم ، او ليثبت للرواة والفرويين مقدركه في اللغة والذي يطالع ديوانه

- (١-٢) شعواء الطاب . المحوشوش الصدر . الضرم خرج الدباب . الشوب الثور . الشرة
 اسم لثلاثة كواكب . الفلطي اطر . وقف الفلوك اي اسوار المانية شبه به لملسته
 (٣) طر اي وصل . والشت والطباق تبتان
 (٤) قوة حجاب . ام حبس . اللحف مرة الوادي . وما يلي وصف لبعض حيوانات الغمر
 (٥) مركبا منه فوق سس (٨) مطراق نظير

متدقيق ويطارض ذلك بآراء العلماء فيه يرى مثانة النظم وحسن الصناعة في مدائحهم ومراثيه
ولكنه لا يراه هناك ذا شخصية شعرية مستقلة - في هذا الموقف من شعره يظهر لنا
الشاعر مقيداً بقيود الزمان حاضماً لاحكام العادة سائراً في بحرى « التقليد » العام . وانما
ابو نواس ابو نواس في موقفه الثاني

الموقف الثاني

وهو محلى عو طمه الصبيحة ووجد به الحقيقي . واكثر ما يكون ذلك في محاسن اللهو
والسرور . وقد صدق اذ قال عن نفسه : « لا اكاد اقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي
طيبة واكون في شباب مؤثق وعلى حال ارتضيها من صلة او وصل او وعد بصلة . وقد
كنت وانما على غير هذه الحال اياتاً لا ارضاها ^(١) »

فالشاعر الذي يحب : بالوصف الشئ والطرب الساحر ، فيجري الكلام من قعره بلا
كلفة ولا تصنع ، انما يتحلى لما عندما يجاري طبيعته ، كما يتحلى ابو نواس في خمرياته
وملاهيته . مما يترك التعذلق والتعسف ويرسل مواضع عبارات رائعة كقوله

اترك الاطلال لا تمأ بها	انها من كحل نؤس دانيه
واشرب الخمر على تمريمها	انما دنياك دار فانيه
من عقار من رآها قال لي	صيدت الشمس لنا في بطنه

وقوله

وحمار أنحت اليه رحلي	فاتحة فاطن والليل داج
فقلت له اسقي صبايا صرفاً	اذا مزجت توقد كاس سراج
فقال دن صدي بنت مشر	فقلت له مقالة من يناسجي
ادقنيها لاعلم ذلك منها	فابرد قهوة ذات ارتحاج
كان بنان محصها اشيت	خضاماً حين تلمع في الزجاج

(١) ار منظور . .

وشاعرنا في هذا الموقف يخرج عن الطريقة القديمة طريقة الوقوف على الطول وقطع
المعاود ونحشم الأهوال توصلاً إلى مدح المقصود ، وعلى ذلك قوله

صفة الطلول بلاعة القدم فاحمل صفاتك لآلئة العكرم

ولما صنعته الخليفة على اشتهاه بالخمر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره قال -

أبعرُ شعرك الاطلال والمول القفرا فقد طالما ادرى به نعتك الخفرا
دعاني الى نعت الطلول مسنط تضيق درامي ان اردتُ له امرا
فسمعا امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد حششتي مراكاً ومرا

* فهو يحاهر بان وصف الاطلال والتعمر ، هو من خشية الامام والأفوه عنده فراع
وجهل ، (١١)

ولم يكن أبو نواس على ما ذكره في وصف الخمر ومجالسها نسيج وحده في ذلك .
فقد تقدمه في الطاهلية والاسلام من وصف الخمر واحوال شاربها . يذكر منهم الاشقي
وعدي بن يزيد ، ثم الاخطل والوليد بن يزيد . والذي يراجع اشعار الوليد يرى بينها وبين
اشعار أبي نواس من اوجه الشبه ما يحملنا على احكامهم بان شاعرنا تأثر بطريقة الوليد . بل
قد ذهب ابو العرج الاصمعي الى انهم من ذلك فقال « انه سلف معالي الوليد جعلها في
شعره وكررها في عدة مواضع » (١٢) . وتبين ان نذهب اليه من تأثر أبي نواس بطريقة
الوليد ننقل للاخير الابيات التالية ونترك للقدري مقابنتها بشعر النواصي ، وهي على
حد قول الاصمعي تنبئ عن نفسها (١٣) - قال

اصدع شعبي المغموم بالطرب واستقبل العيش في غضارتي
واسم على اندهر بآبنة العسر لا تقب مني آثار معتقبي
من قهوتر زائها تقاذها وهي عهور تطو على اخفري
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد فحلت ورق حورهما حتى تددت في مصرع عجب
وهي بنيد المزاج من شرر وهي بذي المزج سائل الذهب

ولوليد اشعار كثيرة في الحر والنزل تلتصق فيها روح شاعرها وطقته من مولدي العصر العباسي (١).

* * *

ومع انصراف ابى نواس للبحث النسائي والفلاني لا نجد له في ذلك من حال الشعر ما يضارع شعره الحمري . فخره ، على عدوته احياناً وطرفه ، متخف ضعیف . ولعله في النزل الفلاني اصدق عاطفة منه في النسائي ، على انه في كليهما لا يحلو لنا غير القرائن الحيوانية السلي التي قسم من تحرق شهباني يصل الى درجة الاسفاف احياناً . وشأن ما بينه في ذلك وبين كبار شعراء النزل من مذبزين وعبد مذبزين . ففي اشعار هؤلاء قد نجد ما يثير عيث مواطن النفس ، ويربك حال الحب ، ويصور لك المرأة تصويراً يروقك او يستريك . اما في نزل شاعرنا النواسي فلا ترى غير جوارح مهتكت وعمان فاسدين ، واوصاف تدل على ما ملته بعض القوم يومئذ من الاحطاط الاحكامي .

اما تخرياته فدرهم ما يشوها احياناً من سوء المحون - تدل على حفة روح عرف بها ابو نواس في عصره . وقد وصفه بعض معاصريه بقوله « بانه كان اطرب الناس منطقاً . مبيح الكلمة حسن الاشارة فصيح اللسان عذب الالفاظ حار الثمائل » (٢) . حتى قيل ولم يكن شاعر في عصره الا وهو بمجده ليل الناس اليه وشهوتهم معاشرته . ويقرن هذه الحفة الروحية بحال فني يستهوي القاري ، ويستثير فيه حاسة الطرب والامجاب .

اتبعه الى حانة وانظر كيف بدحلبها مع رفاقه خفية . (والحانات عادة في ضاحية مقروية وصاحبها من اليهود والنصارى) ها هو يلاطع صاحبها ، وقد تكوّن من اصحاب النساء ، فيدعها ويسترق منها قلة او يرت على ظهرها ، وفي يده الدنانير يضعه امامها ، ويستغنى الى تقديم افضل الخمر المعتقة . ثم انظر كيف يقودك معه الى قمر قديم تحت الحانة فيريث سبيح المنكسوت على الدنان ، ثم يريث الخمار وقد ضرب بالمثل بعضها فخرجت الخمر صهااء مشرقة تطرد الظلام

(١) راجع الاعالي ٦ ص ٩٨ - ١٣٦

(٢) زهر الاداب للحصري ١ - ١٢٧

جاء بها زينة ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

ولست اشك ان الشاعر يصف حوادث واقعية في حرأته الحرة ، وان اكن اميل الى الاعتقاد انه احياها بختراع الحديث اهاجا لزملائه . وفي كلتا الحالتين ترى شعر امي فواس الحقيقي وترى تدفق شعوره الصريح . واليك تلخيص غزوة اخرى توضح ما نقصد اليه

وليلة مظلمة تصدت ورفقا لي الى بيت حمار ، وغدنا سير من رفاق الى رفاق حتى وصلنا اليه وقد جمع هو واهل بيته . قرعنا الباب فاستيقظ مدمورا وتوأس شرا من ادلائحنا في مثل تلك الساعة فلم يشأ ان يجيبنا بل

تناوه حرقا ان تصكون سحابة وعارده بعد الرقاد وجيب
ولما دهمونا بامحه طار خوفه وايقن ان الرجل منه خصيب
وبادر نحو الباب صيا منيا له طرب باؤاتين عجب

ثم فتحه هاشا منحيا اماما ، وهو يقول مرحبا بكرام . وجاء بالصباح فقلنا له اسرع لم يبق من الليل الا بقية قليلة . هات لنا خرك الطبية

فاندى لنا صبا . تم شبابها لها مرح في كلصا ووثوب
ولما اجتلاها للدماس بدا لها نسيم صير ساطع ولبيب

ثم جاءت جارية بيدها يزهر فاحضت نعي لنا ونحن نشرب . وما زلنا على هذي الحال ، كاس تذهب وكاس تفي . ، حتى هنت لنا « سرى اللق مريباً عن غريب » ففاضت مدامع العشاق منا وامسنا بين مسرور بدشوة الحر وبالك من شدة الهوى ، حتى لاح الصباح

وقد فابت الشعرى العور واقبلت نجوم الثريا بالصباح تؤوب

* * *

ولنسمه يقص علينا مسانده الخاص حديث زيارة اخرى الى بعض هذه الخانات ، ويصف لنا الحر وامرأته وميزاتها القشوم وحرها المعتقة ، وكيف حمل الحر الى رفاق كانوا ينتظرونه في نستان ، فاقاموا رداً من الزمن يمتعون النفس بين الرياحين بعيدين من اعين الرقيب والحاسدين . قال -

إذا خطرت منك المهرم فداوها
بكأنك حتى لا تكون مهرم
الى قوله

فشئت اثرالي وهزلت مسرعاً
الى بيت تخلو افساد زحامة
وفي بيته ذق ودن ودورق
ودهقانة ميزانها نصب فيها
فاسطيتها صغراً وقبّلت رأسها
وقلت هـ هزني الدنان قديفة

وقلبي من شوق بهكاد يهيم
له ثروة والوجه منه يهيم
واملية تروي الفتي وتقيم
وميزانها للشترين هشوم
على انني فيما اتيت ملهم
فقلت نعم اني مذاك زعيم

وبعد ان تحضر له الخمر من قبو قديم عنت فيه يقول

مرحت بها في زورق قد كنتها
الى فتية نادتهم لحندهم
فتنت نفسي والندامي بشرها
لمري لن لم يفر الله ذنبا

ومن انك للمك الركي كتوم
وا في ندامي ما عنت لثيم
هكذا شقاء مر في ونعيم
فان مذاني في الحساب الميم

ولو سألت نفسك ما الذي يستغفك في حديث كهذا - حديث الخمر والمث والمجون
لصعب عليك الجواب ، ولعصه في الحقيقة مستر في تضاعيف الايات - هو هذه الحفة
الروحية في الشاعر - هذا الظرف الادبي الذي كان يجبه الى الناس - ولو انه كان غير
ذلك - لو كان صريح الروح واللسان ، لاستغفله ولا تمأزت نفسك من استماع احاديثه .

شخصيته في شعره

ليس لابي نواس في غير شعره الطبيعي (الفزلي والطردي والحري) شخصية خاصة .
وقد مرت بنا صورته في غزله ، وانه هناك يحلو لنا ضعف النفس والتزعزعات اليهيمية المرافقة
اما طردياته فارادجيز نصف الكلاب والقهود وطيور الباز ، وما الى ذلك من اسباب الصيد
والطرد - وهو فيها شاب مرح يتنعم بقوة الشباب وعشرة اهل الرضاء ، ويقرن ذلك بحال
في الوصف ورشاقة في التعبير - واليك مثالين من طردياته - قال

لما تحلى اللبس رابضاً لا فتى^(١) ونحو ستر الليل عن وجه الطريق^(٢)
 يا كروني سهل المحب والخلق^(٣) نسب اذا استدرته شهم لثق^(٤)
 يدور الى الصيد الا - فت انطلق^(٥) باكثر غضب صحيفت الحدق^(٦)
 من اصفر اللون وميض يقن^(٧) كتاب اذناه من بعض يحرق
 و يلصق الحد دذن لا تصق

وقال ينعت كاتباً اسمه خلّاب لسته جبة مات

يا نؤس كافي سيد الكلاب^(١) قد كان اعناني من العقاب^(٢)
 وكان قد حزى عن القصاب^(٣) وعن شراني جب احساب^(٤)
 يا ابن حودي لي على «خلّاب»^(٥) من لظباء العفر والذئاب^(٦)
 حرحت وهدبنا الى نصاب^(٧) به و«كان هدني وناني»
 اصفر قد اخرج للكلاب^(٨) ككأنا يدهن بالزياب^(٩)
 فيها نحن في اللب^(١٠) و برت كاحة الاسباب^(١١)
 وقشاه حرده من الثياب^(١٢) لم تزع لي حقاً ولم تحي
 ظر وانصت ولا ازياب^(١٣) ككنا تنفخ من حراب^(١٤)
 لا أمت ان أمت بلا عقاب^(١٥) حتى قدوني اوجع المذاب^(١٦)

وكل طردياته على هذا النمط ، يصب فيها ما كان يتسلى به اهل الرعاء من صيد
 اميران وسواها ، وهي حورده رشقة للبيشة التي كان يعيش بها الشاعر .

* * *

قدما «د» في قول ابونواس تنجي لنا «سبيته» ، وفي طردياته مرجه «نزه» ، على
 ان في شجورته شيفاً اعني من ذات سعد اليه من حلال اقداده ومحاسن سكره فغوي
 شعره الحزري بقرن السهية ولرح بشؤم فتم يذهب باناقة الحياة ويجردوها من كل قيمة

(١) اي بدا النهار على الطريق

(٢) النصف المسترحية الاذان من الكلاب

(٣) حب خلّاب اي العبد

(٤) يورياب . . . ذهب . في المذاب طلب يشه رعرعان

وجمل . وارك اذا دقت في تحليل شعره لتعرف به الى تفجته الحقيقية تحده - على حبه
للحبة - مستحسماً . فهو من طلائ الفذة الساحة يصرف الى الملاهي ليجتذر اعصابه
فلا يرى آلام الحبة ومتاعها قل :

غدوت الى اللقات منهتك المتع وفضت بات السر مني الى الجهر
وهان عليّ الناس فيما ريد ناحت واستغيت عن طلب العذر
رايت الليالي موصدات لمدني فدرت لذاتي مبادرة الدهر

وقد نقل الموزاني القصة الثانية عن الخمار قال -

كنت عند ابى نوس . قال (ابو نواس) اصبر ايدينا حشرت . قلت هات ، فاشدني

وملأني ماوم تحب بي بالحل اوثر صحة الشطار^(١)
وسكرت عليّ نلومي فحسها اني لأعرف مذهب الابرار
وقدعي الملام فقد ادعت عواشي وصرفت معرفتي الى الانكار
ورابت نياي الدفة والهدوى وتملأ من طيب هدي امدار
اخرى واعزم من تدبر آمل وهي به رحم من الاجبار
مدا حادنا احد يجر انه في حاتم من مات او في فار

فصدمت الى هذا البيت قلت له : يا هذا ان كنت اعداء ، وهم يشظرون من هذه
المقولات ، وانتي به في دعوت ودع الافراط في المجون ، واكتفها . قل لا والله لا
اكتنمها خوفاً ، وان قضى شيء . كان . فسمي الخمر الى الفضل بن الربيع ، ثم الى الرشيد ،
فما كان بعد هذا الا اسبوح حتى حبس^(٢) .

ومن قوله -

أعاذل اقصري عن بعض لومي فراحني تومتي عدي مجيب
تعيّرني الذنوب واي حمر من الفتيان ليس له دبوب
عريت شروتي وحسرت فيها فشقي الآن حبيك لا توب

هذه هي روح ابى نواس يرى الدهر وقمالة المرحاض - يرى الموت نهاية كل شيء
 فيقول لنفسه وما نفع الحياة وماذا يجد فيها غير الشقاء ؟ ويشمر بقوة وشبابه فيثب الى
 خمار المسرات الزائلة ويجحش فيها وهو يقول

طارت الى الصنيج والزهر	وشرب المسمة بالسكر
والفيت عي ثياب الهدى	وحضت محوراً من السكر
واقبلت اسحب ذيل المجنون	وامشي الى القصف في السر

ولا يقف عند الاستخفاف بقية الحياة بل يقرنه باستخفاف نواهي الادب والشرعية
 كقوله

ولاح حلالي كي يحجر بيده	وتلك لسري حطة لا اطيق
حلالي كي لا اشرب الخمر انها	تورث ورراً عادحاً من يذوقها
فا زادني اللاعنون الا لاجعة	عليها لاني ما حييت رعيةها
أرفضها والله لم يرفض احدا	وهذا امر المؤمنين صديقها
صحن وان لم يكن الخلد عاجلاً	فا خفتها في الدهر الا رحيقها

وقوله :

بكيت وما انكبي على دمن فخر	وما بي من عشق فابكبي على المجر
وسكن حديثاً جائئاً من نبينا	فذاك الذي اجرى دموعي على النحر
بشعرهم شرب الخمر والهوى جاءنا	فلسا نهى عنها بكيت على الخمر
فاشربها صرفاً واعلم انني	اعز فيها بالثمين في ظهري

ولم يقل هذا الاستخفاف فيه تقدمه نحو المشيب ، فقله لا يقف عن اعتبار او نظر في
 المواقف بل من ضعف او كلال . اسمه يذكر ايام الشباب ، وكانك تشعر بأسفه ان الدهر
 لم يبق له غير القوة على مقاومة الخمر -

كان الشاب مطية الجمل	ومحنين الصحكات والمزل
كان الخمار اذا ارتديت به	وهشيت احطرت صيت النمل (١)

(١) الصييت شديد الصوت

صكان المشيع في مـاربه عد الفتنة ومدرك التـبيل^(١)
 والباعثي والناس قد رقدوا حتى است حبيقة العمل
 والآمري حتى اذا عومت نسي اعاد يدي^٢ العمل
 فالآن صرت الى مقارنـة^(٢) وحططت عن فـبر احـصا رحـمي
 والراح اهواها وان ردت نـزع المعشـ وعلقت قصبي

الى ان يقول

فاعذر احـك ونه رجل مرتت مـدمه على البدل

* * *

ولكن هل ادرك الشاعر ما يتوخواه من الدنيا ؟ نحن هتب امامه مسألة عقلية لا يصنعها
 الاعضاء بها . والجواب عليها يتناول احد امري

١ - ان الحياة اتمن ما في ابدينا ، وان سعادتها ثقافة على تفهم قيمتها الحقيقية والسمي
 لادواكمها

٢ - او ان الحياة هزلة لا قيمة لها ، ومسا على العاقل الا ان يتناسها بالانتماس في
 اللذات الدنيوية

ولنا الآن في مقام يمكننا من تحليل هاتين النظريتين تحليلاً فلسفياً وادبياً ، على انه
 لا بد من القول ان الاولى منهما نظرة جدية الى الحياة - نظرة الى جمالها الحقيقي وفرصها
 الثمينة ، وان الثانية نظرة استخفاف اليها وانصراف الى سعادتها

في الاولى يحاول الانسان ان يسمى نحو مرمي عال قد لا يحصل عليه ، ولكن السعادة
 كل السعادة في هذا السعي المتواصل ، وبعبارة اخرى في شعور الانسان بالتقدم نحو المثل
 العلي . وفي الثانية يتسلط الانسان حوار المزعة فيقف فشلاً ويحاول ان يستر فشله بخدشات
 احياة البهلة . ومن افضل الامثلة على ذلك ما رواه في رباعيات عمر الخيام من ميل الشاعر
 المكر الى نسيان الوجود وآلامه بالحمر . ولعل الخيام تأثر شعر ابى نواس ومدبهه ،

(٢) المقارنة تزد الطو وقصد التداد

(١) التـبيل اي التـأثر

وحرفه تيار القشوم الى هذه حيلة الدلية . وادك انتحاس الانواس في مجاس لوه قدسمع
 قهقهته وسكاته ، ويطربك ظفره وجمال حديثه ، وتتعجب خفة روحه بين اقداحه وتدمانه ،
 ولكنت تشب من وراء ذلك مرارة وتشاؤماً ، ربما كانا سبب عشه بحقائق الحياة
 واستداله في اسباب املاهي . ولا يظهر ذلك في ادن قوته وريصن شديده ظهوره بعد ان
 اخضعه بدهر وحط عن طهر الص رحله كما قل . ذاك الاستخفاف الذي عرف به وهو
 في نشاط العمر ، تحول ايام الصنف الى اسير مؤلم ، لا عن تقوى ولكن عن شعور بالمثل .
 كان يشرب الخمر ويقول فير مباله

(الراح شيء عجب انت شاربه فشرب وان حدثت الراح اوزارا
 يا من يلوم على حمراء صافية صر في الخنان ودعني اسكن الدرا

ثم حمت به قوة الشب وفارقت ايام الله . والرحاء فرأى ماضياً متهمكاً وفرصاً
 ضائعة ونفساً شائنة مالمصي فصاح آسفاً

دب في الفناء سفلاً وعلوا واراني اموت مضراً فعضوا
 ليس من ساعة مضت في الا نفعتي ترحب في حزوا
 دعت حذقي بعدة نسي ونذكرت طاعة الله نضوا
 لمب نفسي على ليلاء وابام غيبين سمأ ولها
 قد اساقا كل الاساة وللاسهم صمأ صا وعدوا وعفوا

قابل هذه الايات تا ذكرناه سابقاً وقابله بقوه

وذا علمي الكلاس انصكما لا تدرين اكس ما تحدي
 حرماني نه ركب وكجيبه رجاؤه عدي
 لا تعدلا في الراح انصكما في حلة عن كنه ما نسيدي
 ان كنتا لا تشران معي خور العتاب شررتها وحدي

وقوله من قصيدة

ألم تربي اجمت الراح عرضي وعص مراشد انظي المسيح
 واني عالم ان سوف تنأى مائة بين حثي وروحي

الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب ان يسمى اسم ابي نواس من الدواوين ويهدف ذكره
اذا حدثت الطلقات (١) .

على انه لا يجوز ان نحصر الحكم على من الشاعر في منطقة الثرائع الوجدية
والاجتماعية التي اتفق عليها المصلحون والمهذبون . فاشعر لا يتقيد بذلك ، وما جماله
قائماً فقط على ما فيه من مد وارشاد ، بل على ما يتعلل فيه من شعور وحياة . الادب
فن تتجلى فيه خوالج المس ، وعلى هذا التجلي تتوقف مقالة الشاعر الفنية .

نعم ان ابا نواس لم يزهّد تجدد في طبيعته ، بل مات كما عاش . وقد ترك نسا
شعراً يحفظ لا لسمو مواعظه ، ولكن لحفة روحه ، وجمال صوته ، واتمئذه اطلال حياته
وحياة بيئته .

المختار من شعر أبي نواس

١ - فربما ومحاسن لهريرة

وداوني بالتي

دع عنك لومي فان اللوم اقراء ودارني «أنتي» كانت هي الداء
صفوا لا تدول الاحزان ساحتها لو منها حجرٌ مثته سراء

قامت بايربقها والليل معتكر^(١) فاح من وجهها في البيت لآلا^(٢)
فارسلت من فم الابريق صافية صكاً اخدها بيمين اعصاء
رقت من الماء حتى ما يلائمها لطمة وحما عن شكلها الماء
قلو مزحت بها نوداً لالذجا حتى تولد انوار واضواء
دايت على فتية دار الزمان بهم^(٣) فما يصيبهم الا عما شافوا
تلك ابكي ولا ابكي لفرقة^(٤) كانت تحملها عند واسماء^(٥)
حاشا لدرّة ان تُبى الحيام لها وان تروح عليها الامل والشاء^(٦)
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وعدت ملك اشياء^(٧)
لا تحظر الفخر ان كنت امرءا حجا فان حطركه في الدين اذراء

لها مرح في كاسها

دع الربيع ما للربيع فيك نصيب^(٨) وما ان سبني زيب وسكوب^(٩)

(١) قبل هذا البيت بيت مخدوف به فتاة صافية (٢) وفي رواية - دار الزمان لم

(٣) اي انا ابكي عليهم لا على الطغاة الدنية (٤) درّة كناية عن الحية

(٥) تريس «نظم» احد رؤساء المعتزة المتوفى ٢٣١ هـ والمعتزلة تشدد الكبير على مرتكبي

ولكن مستني النالية انها
 جما الماء عنها في المزاج لأنها
 اذا ذاقها من دافها حلقت به
 وليلة دجن قد سررت بفتية
 الى بيت خمار ودون عجله
 ففزع من ادلائها بعد هجمة
 تناوم خوفاً ان تكون ساية
 ولما دعونا باسمه طار ذعره
 وبادر نحو الدب سباً ملئاً
 فاطلق عن نايه وانكب ساجداً
 وقال ادخلوا حينئذ من عصاة
 وجهه بمصباح له فاناره
 فقلنا أرحمنا هل ان كنت هائلاً
 فاندى لنا صهاً ثم شامها
 ولما اجتلاها للندامى بدا لها
 حياء بها تحذوها ذات مرمر
 فما زال يقبها بهكأس محدث
 وعسى ان صرنا بحسن ترجع
 فمن كان منا عاشقاً فاض دمه
 فمن بين سرور وبالك من الهوى
 وقد عانت الشعرى السرور واقبلت

لشلي في طول الزمن سلوب
 خيال لها بين المظام ديب
 فليس له عقل بعد اديب^(١)
 تدارعها نحو المدام قلوب
 قصور ميعات لنا ودروب^(٢)
 وليس سوى ذي الكبرياء رقيب^(٣)
 وعاوده بعد الرقاد وجيب
 وابتقن ان الرجل منه خصب
 له طرب بالازنين عجيب
 لنا وهو فيما قد يظن مهيب
 فترككم سهل ندي رحيب
 وكل الذي يبغي لديه قريب
 فان الدجى عن ملكه سيفيب
 لها مرج في كأسها ووثوب
 نسيم جبر ساطع وفيب
 يتوق اليها الناظرون ربيب^(٤)
 تولي واحرى بعد ذاك قلوب
 «سرى البدر غريباً لمن» عريب
 وعاوده بعد السرور نجيب
 وقد لاح من ثوب الظلام عيوب
 نجوم الليل بالصبح تشرب

(١) ادب امت عقل اي ليس له عقل اديب بعد في الملوك

(٢) كانت احداث عادة في محلات سيدة عن اعيان الناس

(٣) ذو الكبرياء اي الله ذو الكبر . والادلاج السير ليداً

(٤) اي متبة تحمل عوداً . والريب المنيعة او المتعة

وحبك ضوءها مصباحا

ذكر الصُّوحَ بحرة فارتاحا وأملهُ ديك الصّاح صياحا
أوفى على شرف الجدار بسدقة عوداً يصيق والحقاح جناحا^(١)
بادر صباحك بالضوح ولا تكن كسوفين مدوا عليك شحاحا
إن الصّوح جلا كل محتر بددت يديه بكأسه الاصباحا
وخدع لذات ممل صاحب يقات منه فكاهة ومزاحا
بئته والليل ملتبس به وارتحت عنه نقابه فارتاحا
قال انني المصباح قلت له اتد حبى وحبك ضوءها مصباحا
فسكت منها في الزجاجة شربة كانت له حق الصّباح صياحا
من قهوة^(٢) جاءك قبل مراحها غطلا بالنسب المزاج وشاحا
صبا فقوس النعوس فما ترى منها حين سوى الثبات جراحا
شكّ البّال^(٣) فزادها فكأفا اهدت اليك بريهما تشاحا
صمرت بكائك الزمان حديثها حق اذا بلغ الآمة باحا
فاشاع من اسرارها مستودعا لولا بلامه م يكن صياحا
فأتتك في صوّر قد اظلمت الالا فاراهن وثبت الاشباحا
فكانها والحكاس ساطعة بها صبح تقارب امره فانصاحا

روحان في جسد

ما زلت استلّ روح الدنّ في لطنه واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثيت ولي روحان في جسد والسنّ منطرح جسدا بلا روح

لا جفّ دمع الذي يسكي على حجر

عاج الشقي على رسم بانه ومعت اسأل عن حبرة الد^(٤)

(١) الفوة من صياح الحمر
(٢) يريد بالشقي ما الشاعر الذي يسكي عن الطلول

(٣) بسدقة اي فيل حجر
(٤) حديدة يفتح ما الدن

يسكني على ظلل الماضي من أسد
ومن قيم ومن قبرٍ وهما ؟
لا جف دمع الذي يسكني على حجر
كم بين ناعت خمر في دساكرها
دع ذا عدمتك واشربها مئة
من كب مصطبر الزنار مشد
أما رأيت وحرة الأرض قد نصرت
حاك الربيع بها وشياً وحناها
واستوفت الخمر أحوالاً محرمة
فاشرب وند بالذي تحوي يدك لها
يا عادلي قد انتهي منك مدرة
لو كان لومك نصحاً كنت الله

لا در درك قل لي من بنو اسد
ليس الاغريب عد الله من احد
ولا صف قلب من يصبر الى وثد
وبن بالك على نوي ومشدر^(١)
صغراء تفوق بين الروح والحد
كأنه خصن بان غير ذي أود
والسها الزراني نثرة الاسد^(٢)
بيانع الزهر من مشي ومن وثد
واقتر هيشك من لداك العدد
لا تدعو اليوم شيئاً خوف فقر غد
هان نفدها طفوي فلا تدير
لكن لومك موضوع على الحد

نقتر عن در

خفيت عليك محاسن الخمر
فصرفت وجهك عن حقيقة
يسمى بها درمئة فج
ولميت قولك حين تشربها
« لا تحسب نقار حبيب »

ام يترتك نوائب الدهر
نقتر من قدر وعن شذر^(١)
مشكل اللخظات بالسحر
فتدول مثل كواكب النمر^(٢)
والهم يجتمعان في صدر

(١) ما اعظم الفرق بين من يصب الخمر ومواطنها وبين من يسكن على الانوار . والنوي الخمر
حول الحقيقة . والمتصد المقام او ما بعد من متاع الحقيقة

(٢) نثرة الاسد اسم لثلاثة كوكب ، يريد بذلك ان مطرها ليس الارض سطاً من الارصاد

(٣) الشذر قطع الذهب

(٤) كوكب النمر اسم نجم . اي تعجب في الغم عياب صوة النجم وراء الافق

اقنأها

ودار نداسي مفلوها وادخلوا
 مساحاً من جزاء الرقاق على الثرى
 ولم ار منهم غير ما شهدت به
 حسنت ، صحي حدثت عهدهم
 اقنأها يوماً ويومين بعده
 تدار علينا الراح في مسجدية
 قاربتها كسرى ولي جناتها
 فلاحر ما زُرْتُ عليه حيوبها
 بما اترُ منهم حديد ودارس
 واضطت ريجان حي وباس
 شرقي ساطع الديار اناس^(١)
 والي عن مثل ذلك حاس
 ويوماً به يوم الدخول حاس
 حمتها باواع التصاوير فاس^(٢)
 مهي تدرب بالقبي المورس
 والساء دارت عليه القلائس

اجدت ابا عمرو فجود لنا الخرا

وفتين صدق قد صرعت مطيهم
 فلما حكى لرد ان ليس ملما
 ققلنا على دين المسيح ابن مريم ؟
 ولكن يهودي^١ ينجك ظاهراً
 فقال به ما الاسم قال سنوال
 وما شرعتي كية عربية
 ولكنك حنت وقل حروفها
 فقلنا له نعماً بطرف لسانه
 فادبر كالرود يقسم طرفة
 وقال لسري بو ترتم بقينا
 الى بيت حماد تولنا به ظهرا
 طك به خيراً فظن به شرأ
 فدمر مروراً وقال لنا هجرا
 وبضري المكون منه لك القندرا
 ولكني ألكى مسرور ولا امر^(٢)
 ولا اكشيتي لائساء ولا ظرا
 وليس كاحرى انما حطت وقرا^(٣)
 اجدت ابا عمرو فجود لنا الخرا
 لارطب شطراً وواحها شطرا
 للناكم^٤ لكن منوسكم فترا

(١) ساطع مكان بالمدائن ، وهذه الابواب ثبتت في عصر هو هناك (رعر) اداب للحمري

(٢) - ١٧٥ (٢) مسجدية اي كاس ذهنية عليها صور فارسية

(٣) اي ادعى ابا عمرو وليس له ولد جدا الاسم

(٤) واست كالنكبة لاحرى النيلة

جاء بها زينة ذهبية فلم ينقطع دون السجود ه صبرا
خرجنا على ان المقام ثلاثة فطالت لنا حتى اقمنا بها شهرا
مصانة سوه لا ترى الدهر مثلهم وان كنت منهم لا يريثا ولا صفرا
اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم يحثونها حتى تفوتهم سكررا

رضيت من الدنيا بكس وشدن

غدوت على اندات منتهك الصبر وافضت بيات السر مني الى الظهر
وهان علي الساس في اريده لما جئت واستعبت عن طلب العذر
رايت الياسي موصدات لمدني فصادرت لذاتي مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا مكاس وشادن تحجر في تفصيله فطان الذهب
مدام رست في حجر يوح يديها علي ثقل اردد مطر الحصر
صحيح مريض احسن مدني ماعد عيت ويحي بالوصال والهجر
كان ضياء الشمس نيط بوجهه ويدد الدعي بين القرائب ولحمر
اذا ما مدت ردار جيب قبضه تطالع منه صورة القمر البدر
فاحسن من ركض الى حومة اوعى واحسن عدي من خروج الى النحر^(١)
فلا خير في قوم تدور عليهم كؤوس المشاي بالشفقة السمر
تحياهم في حكاك يوم وبسة ظلي المشرفيات الثورية للقر

واهتدى ساري الظلام بها

يا شقيق النعم من حكمم تمت عن يسلي ولم أتم^(٢)
فاسقني السكر التي احتمرت بنجمار الشيب في الرحم^(٣)
نمت انصات الشيا لها بعدما جازت مدى الهرم

(١) ذلك عندي الفصل من جهاد الحرب واصل من ان اخرج الى عمر الدائع

(٢) حكمم اسم القبيلة التي كان ينتمي اليها

(٣) هذا البيت عدة ماسر بها : ان حصار الشيب يحسب مكبوت الذي حول الدار . وقد كفى من الدار بالرحم . ومنها ان شيب اشار الى ما يطو الكرم من ابرو الايمن . والكومة رحم القمر على الحاز

فهي اليوم التي بُزات
عُثِّت حتى لو اتصلت
لاحتت في القوم مائلة
فومئها بالزجاج بد
في نداسي سادف دُمر
فتمت في مفاصلهم
فطت في البيت اذ مزحت
واهتدى ساري الظلام بها

وهي تروى الدهر في القدم
بلسان تاطق وهم
ثم قصت قصة الامم^(١)
حلقت للسيف والقلم^(٢)
احدوا الدلائل من أمم^(٣)
صكمتني الدهر في النقم
مثل فعل الصبح في الظلم^(٤)
كاعتداء السر بالعلم^(٥)

فهذا شقاء مر في ولعيم

اذا خطرت منك المصوم قدارها
أدعها وخذها قهوة باليلة
ولا عرفت نادراً ولا قدّر طابيح
لها من طيكة المسك ريح زكية
فشئت اثراني وهرولت صرماً
الى بيت خبأ افاد زحامة^(١)
وفي بيته زق ودن ودورق
فازفقه سود وجر دنانه
ودقهمة ميزانها نصب عينها
فامطيتها صفراً وقبلت وأسها
وقلت لها هزي الدنان قديمة
الست تراها قد تمثت رسومها

بكأسك حتى لا تكون هموم
لها بين نصري والعراق كروم
سوى حرثي اذ تبيع نسوم
ومن طيب ريح الزعفران نسع
وقلي من شوق يكاد يهيم
له ثورة والوجه منه يهيم
وباطية تروي العتي وتيسم
ففي البيت حبشان لديه ودوم
وميزانها الشقين عشوه^(٢)
على انبي فيا اتيت ملهم
فقلت نعم اني بذلك رعيم
كما قد تمثت للديار رسوم^(٣)

(١) أي حلت القرصاء واحدت نفس ملهم احبار الانديم

(٢) من اسم أي من القرب الطرق (٣) كما جندني اله قرون بالعلم العربي

(٤) افاده أي اوجعه مالا (٥) دهانة أي يده وهي البشة هـ

(٦) هذا البيت وما بعده يصعب فهمه خمرة واحا كانت محروقة بدوقان في دنان نسج عينا

المنكبيوت سبعة فاصبحت لا يتغير احدها من الآخر

دجلة دهقان (١) حوها لعمه
 فقلت لكم من فقات ماضيه
 فزجت بها في زورق قد كتمتها
 الى قبية فادمتهم لخدمتهم
 فتمت نفسي والندامي بشرها
 لصري لان لم يفر الله ذنبا
 اذ كنت اغنى عليه عشوم
 طرت رذفا ورره عظيم
 ومن امك لك الزكي كثرم
 وما في قدامي ما علمت شيم
 هذا شقاء مر في ونعيم
 فان عدني في الحسب اليم

فلسها بالروح والريحان

لا تحشمن طارق الخدعان
 أو ما ترى ابدي السحاب رقت
 من سوس غص القطر واحرم
 وجني ورد بتيك بحه
 حراً وبيضاً ليجنين واصمراً
 كمتود باقوت نظمن واؤلوه
 ومن الزبرجد حولن بمثلاً
 فاذا الموم تماورنك فلها
 وادع مهورك واشرب القاني
 حال الثرى بدائع الريحان
 وبفسح وشعاني النعمان
 مثل الشمس طلعت من اعصان
 ولوناً بدائع الالوان
 واساطين قلائد القيان
 محطاً يلوح بجانب البستان
 فالراح والريحان والدمان

دبي لنفسي ودين الناس للناس

اني عشقت وما بالعشق من اس
 ما لي والناس هم بلعوني سعباً
 ما للعداء اذ ما ردت منك
 الله يعلم ما تركي في ذنبيكم
 ولو ندرت على الاثيان حنتكم
 وقد قرنت كتاباً من صحائفكم
 ما مر مثل المهرى شي على راسي
 دبي لنفسي ودين الناس للناس
 كأن اوحهم تطلي بانقاس (٢)
 الا بحافة اعدائي وحراسي
 سبياً على الواحد او مشياً على اراس
 لا يرهم الله الا راحم الناس

(١) الدهقان كلمة فارسية متناهة رئيس الاقليم

(٢) انقاس جمع نفس وهو الجبر الاسود

نشقى ويلتذ خيالانا

عاد لنا الوصل سحياً كأننا	إذا التقي في اليوم طيبتنا
نشقى ويلتذ خيالانا	يا قرّة العين فإنا لنسا
انتمت احداثك يقطانا	لوشتراد احصت لي غنائنا
فاصبحا فغضى وعصانا	يا عاشقين التقيا في الكرى
ولنا تصدق احياناً	كذلك الاحلام غرابة

ومن قوله في جنان

قالت أراد خيانتني وغروري	غضبت لهور في الكتاب كثير
فاطهو فيه لكفرة التغير	كتب الكتاب على خلاف صديده
فادالك من حزن هناك سروري	لا والذي ان شاء صديراً معاً
مني ولا للهو والتصغير	ما كان ذلك لما أتى من غوطا
صفة اللسان بما يكن ضميري	كتبت عيني والدموع سواك
نحري دوع الناشق المهور	فاطهو من قبل الدموع وانما

وقال —

قالت ستظنر ودّها من قائل	اين الجواب واين ردّ ورائلي
قالت نعم بمحارة وحسادل	لددت كفي ثم قتت تصدّقوا
وارجع فالك عدداً من نائل	ان كنت مسكيناً جازز دسا
اقله عاقب في انتهاز النائل	يا فاجر المسكين عند سؤاله

٢ - مدائح واصناف

وهو لا يخرج في معظمها عن مذاهب الشعراء المتقدمين

قل بمدح الامين

يا دار ما فعلت بك الايام ؟
 غرمت الزمان على الذين هببتهم
 ايام لا اشفى لاهلك متلاً
 وقد تهرت مع العراة مدوم
 وبلغت ما بلغ امروء نشده
 واداء المطيئ بنت سقن محمداً
 قورنشا من حيز بن وطيء الذي
 رفع الحجاب لنا فلاح ماظر
 ملك اذا عنقت يدك محله
 فاسهو^(١) مشتمل مدح خلافة
 ان الذي يرصي الاله بهديه
 ملك اذا اعسر الامور مضى به
 فسكنت للامر الذي ترحى له

ضامتك والايام ليس تضام
 بك قطين ، و الزمان غرام
 لا سراقفة علي ضلام
 واسحت مسرح البهو حيث اساموا^(٢)
 فاذا عصاة كل ذاك اقام
 فظهورهن على الرجال حرام
 فليس علينا حومة وذمام
 قر تقطع دونه الارهام
 لا بعثريك السوس والاعدام
 لس الشاب دنوره الاسلام
 ملك تردى الملك وهو ملام
 راي بفن السيف وهو حسام
 وتقامت من يومك الايام

(١) تحزاندو اي حرب حاك الملاء سقن . ومعنى البيت انه شارك الدواة في محرم وساناهم

في صلاحهم

(٢) البهو البيت المقدم امام البيوت ويراد به هذا قصر الخلافة

وقال يمدح الفضل بن الربيع

وعظمتك واعطة القدير وبنك أمة الكبير^(١)
ورددت ما كنت اشعر من الشباب الى الشعر
والآن صرت الى الدهى ودلوت عاقبة السرور^(٢)
هذا ويجر تنافير وعمر الأجازة والمور^(٣)
للجن فيه حاضر حمم الخمس والسمر^(٤)
قاربت من ماحوطه بالمدس العيسور^(٥)
لأرور شوقه في الـ ديب من الكرم الحظير^(٦)
يا فضل حاررت المدي فعدت عن شه الطير
امت الحشم والحصار في الميون وفي الصدور
هذه العقول تعصتك عرض في كرم وجير^(٧)
واذا المور تهمت صدور عن طرف حير
م ذات في من الكبير وم في من الصعير
حتى تعصرت الشبهة وكسحت من اقتير^(٨)
من المداخل والخفا رح والعيرة والضير
رافقه خفي بك الحظير فقة قاصطاك على بصير
عاد ألات بك الامور و كميته فحم الامور^(٩)

- (١) «أمة الشيب» أو «أوله» والوجه لظنة والبهجة والكبر والسحرة
(٢) «الشيء» «مقن» «موت» «موت» «موت»
(٣) «نصف جمع» «وفه» وهي «مارة»
(٤) «الحاضر» «من صاده» «الحظير» «السمر» «ولا يكون إلا لـ»
(٥) «المعرب» «القه» «القه» «القه» «القه» «القه» «القه»
(٦) «من الكرم» «معلق» «معلق» «الحظير» «الربيع»
(٧) «نظمتك» «موروت» «مطه» «الحمر» «الكبر» «كرم» «مور»
(٨) «تعصرت» «أي» «مصر» «مرة» «مرة» «مرة» «مرة» «مرة»
(٩) «الاب» «بك» «لأمر» «موروتك» «أي» «القه» «جمع» «نحمة» «وهي» «القه» «مور»

من قاس عيكم نكم قاس الثاد على الحور^(١)
 اى القليل مو القليل من الكثير بي الكثير
 قوم كموا انشاء مكة تازل الخط الكثير
 تداركوا حرر الخلافة وهي شامة النصير^(٢)
 لولا مقامهم بها هوت الرواسي من تدير

ومن لطائفه قوله بصف بعض سفن الامين

سحره للامين مطايا لم تخر لصاحب المهراب^(٣)
 فاذا ما ركابه سرن برأ سار في الماء راكاً ليت حب^(٤)
 سداً بسطاً ذراعيه يمدو اهرت الشدق كالج الانياب^(٥)
 لا يعايبه باللعام ولا السو ص ولا هو رحله في الركاب
 حب الناس اذ رأوه على صو رة ليت يبرأ من الحجاب
 سحرنا اذ رأوك مرث عليه كيف لو بصرك فوق المنقاب
 ذات زور ومسر وخاضعين نشق المصاب بعد المصاب
 تسبق الطير في السماء اذا ما استجلوها بحنق ودهان
 بارك الله للامني وانقا ه وانقي له رداً الشاب
 ملك تقصّر المدائح عنه هاشمي موقن للصواب

وقوله مظهارفاً يخاطب الفضل

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النك وعودتني والحيد عاده

(١) التبادلة القليل (٢) المزور قطع الشاء المدبوحه اي تداركوا المدبوحه من الشجر و

(٣) صاحب المهراب هو سليمان الحكيم

(٤) كان يلامى ثلاث من السعن المروعة بالخرافات لركوبه حامة وهي الليث والطالب

والدليل كما هو ظاهر في هذه الايات

(٥) اهرت الشدق اي واسعه

فادعوني بأمللي وأنصر حالي وتبدلت عفة ورهده
 أو توالي ذكرت للعس الضري في حس حته أو قتاده (١)
 المسيح في درامي والمصحف في سني مكان الفلاده
 فادعني لأعدت تقويم مثلي ورفض لأعد الحاده
 ترأ من الصلاة بوجهي نوح العس أم من عاده
 لو رآها بعض المرثي يوماً لأشراها بعداً للشده
 ولقد طال ما شقيت ولكن أدر كنتي على يدك العاده

وله مدح مشهورة في المأس بن عبد الله ، وبن أبي حمزة المصور ، وفي الخصيب بن
 عبد الحميد المرادي أمير حجاج مصر . فنراجع في ديوانه

من شعره الجعدي

وهو يمثل شعوره وقد صغر وشتم حياة الخلافة والمخزن

إذا امتحن الدنيا ليب

يا رب وجه في القرب فتقر ويا رب حسن في القرب رقيق
 ويا رب حزم في القرب وحدة ويا رب رأي في القرب وثيق
 أرى كل شيء هالكاً واهي هالك وداحس في الهاكبي عريق
 فقل لقرب الدار أنك ظالم إلى منزل نائي لعل صحيح
 إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت به عن عدو في ثوب صديق

وعليك الفصد

خل جنيتك لرام وامض عنه سلام
 مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

(١) الحسن الجعدي وقناة السمان معروفان من أهل المخزن الأول

رما استنعت بالروح معلق الطعام
 رب لعل سبق آحا ل يام وقيام
 اما اللم من اللحم فيه طعام
 فالبس الناس على الصحة منهم والسقام
 وبذلك القصد ان القصد ابقى لاجلهم^(١)
 يث يا عدا وما نترك احلاق الهام
 وديا آكلات شاربات لالنام

كني لا اهود

ألم ترى تحت السو نفسي وديني واعتكفت من ادهامي
 كأي لا اهود اي معاد ولا احشي هاتك من قصص
 وهي قد شعت^(٢)

يا من بي طية ورق وعود في يدي ان معني
 اذا لم تنة نفسك عن هواها ونحن صوم وبث عي
 فاني قد شعت من المعامي ومن ادمابا دشمن مي
 ومن اسرا واقبح من ليس يرى منظرته في مثل سي

وقل يرثي نفسه وقد شارف الموت

دب في النساء سلا وعلوا واراني اموت فمضوا
 ليس من ساعة مضت لي الا نعتني ترها في جروا
 ذهبت جسقي بطاعة نفسي وقد كبرت طاعة الله يضوا^(٣)
 لحف نفسي على ليل وايام غلتيهن لبأ ولها
 قد اسأنا صلا الاساعة بالهم صفعا عنا وعفرا وعوا

(١) اي اعتدل ان الاعتدال اني للقرعة (٢) وتروى هذه الايات ايضا لاني المتعبد

(٣) البصر الثوب الذي اي معاد ان اصيحت عاهرا

أبو العتاهية

إسماعيل بن القاسم

١٣٠ ٢١١ أو ٢١٢ هـ

(٧٤٨ - ٨٢٨ م)

مصادر دراسته - كعكة في بصره واتهمه بالزندقة - حياته الادبية - رسالته
الشعرية - مقدمته بالي نواس - شاعريته - حماته وسيدته الفنية

مصادر دراسته

- طبقات الشعراء لابن المقفّ (١٩٣٩) ص ١٠٥ - ١٠٨
 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن) ص ٤٩٢ - ٥٠١
 مروج الذهب للمسعودي ج ٢ في اخبار المهدي والرشيد
 الاعاني (مولان) ج ٣ ص ١٢٦ - ١٨٣
 ج ٦ ص ١٨٦
 ج ٨ ص ٢٤
 ج ١٩ ص ١٤٩ - ١٥٠
 الموشح للرزباني ص ١٥٤ - ٢٦٣
 زهر الآداب للحصري ج ٢ ص ٣٥ - ٣٩
 الصدة (هندية) ٢ - ١٠٦
 تاريخ بغداد للطبيب البغدادي (مصر) ج ٦ ص ٢٥٠ - ٢٦٠
 وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٣
 مقدمة ديوان ابي التمايمه رواية النسري (طبع الاباء اليسوعيين بيروت)
 واخبار متفرقة في الكامل والمهرست والمدة وغيرها

كلمة في انهم وزندقة

في كل عصر وفي كل قطر ، اذا كثرت اسباب الفتن والتف ، نشأ في المجتمع الشرقي
مجرمان مشطوران ، الاول مجرمي السم والخلابة ، والثاني مجرمي الحرص والتشفي .

في الاول ترى المستوليين في الموقفات والشهوات الخريد مع الاهواء الى اقصى
الغايات ، وفي الثاني ترى الذين عانت نفوسهم مدات القديس ، فكروا عنها الى ذوايا
الزهد يسعون الى الناس وحاربه ، ويدعونهم الى سدها والنظر الى ما وراءها . وكما يمثل
موتواس في عصره الفتنه الاولى وبمعكس بن حنينهم وعواظهم ، يمثل زبيله ومعاصره
ابو القاهية الفتنه الثانيه وبمعكس بن ديوانه مواضع المتطرفين من ابروحيين والاحلاقيين .

نشأ شعرنا في الكوفة ، حتى اذا تصبغت صناعة الشعر فيه امه بمداد فاقصل سلاط
الماسيين ومدح المهدي والمهدي والشيد ، ومات في خلافة اناور وقد بلغ الثمانين . وقبل
السمت في شعره نذكر نقطتين لم يوضحهما مؤرخوه غام الايضاح وهما نسبه وزندقته . فقد
ذكر بعض المؤرخين وقبهم المستشرقان نكسلسون وهوار^(١) ان ابا القاهية عربي الاصل .
واذا راجعت ما اورده الاصفاي وابن خلكان ومن نقل عنها رأيتهم يتفقون على نسبه
الى فترة بالولاء . ففي الامالي من محمد بن موسى قوه^(٢) ولا . ابى القاهية من قبل ابيه
مؤنة ، ومن قبل امه ابني رهرة^(٣) . ولعل في اسم بلدته التي ولد فيها ما جدهم الى
ذلك القول ، فقد ورد في عين التمر وهي على ما ذكرنا بلدة في الحضر . واحقيقة ان في
العراق بلدة تعرف بهذا الاسم^(٤) والاصح ان تكون هي مسقط رأس الشاعر . فانه نشأ
في الكوفة واسكورة وعين التمر كلتاها من بقي الفرات . وما قد يؤيد صحة هذا
القول ان بعضهم كان يشبهه بالزندقة^(٥) ، ولم يكن يشبه بها عادة الا الذين يتلون نكس
في العرس . ولم يكن ابو القاهية شديد التمسك بنسبه فكان طول حياة يزيد بن منصور

(١) Nicolson, Lit Hist ٢٢٦ Huart Hist of Ar Lit 74

(٢) الا في ٣ - ١٢٧ (٣) ابن خلكان ١٠٠٠ ومجم المصادر بديوت

(٤) ابن قتيبة (ليد) ٢٩٧

البحري يدعي انه مولى لليمن ويستفي من عزة . فلما مات يريد رجع الى ولاته الاول^(١)
وما ذلك فعل من ينسب نسباً عربياً الى العرب .

اما ريدته واتهامه مذهب الفلاسفة فليس في شعره ما يشتمها ، ولم يذكره ابن النديم
في جملة شعراء الزنادقة الذين عاصروا اما انت هبة . وكل ما رأينا من هذا القبيل ان قوماً
من اهل عصره كانوا يندسونه الى القول بمذهب الفلاسفة ويختفون ما في شعره انما هو
ذكر الموت دون الآخرة^(٢) وهو ليس بصحيح . وقد توهم كولد زهير من البيت الثاني
اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين

ان الشاعر يرمي بعض مودا . والحق ما ذكره تفسرون من ان ذلك لا يراد به
وصف النبي الزاهد ، دون الاشارة الى شخص خاص^(٣) .

وبما نسب فيه الى الزندقة الايات التالية^(٤)

اد ما استجزت الشك في بعض ما ترى فسا لا تراه الدهر امضى واجوز

. . .

وقوله في عزة^(٥)

يا رب لو استينيتها بما في جنة الفردوس لم اسها

. . .

ان المليك رالك احسن خلقه ورأى جالك

لحذا بقدره نفسه حور الجدل على ماث

وايس في هذه الايات عند التحقيق غير مبالغات خيالية قد تحوي على لسان المؤمن
لتقرير ار ايصاح معنى شرعي . ونقلوا عن الصولي قوله بالحوارين المتضادين كالثبوت
وقوله بالجد وما شاكل^(٦) . وقد جارهم العلامة زبدان فقال في تاريخه وكان ابو الناهية

(١) (الاعاني ٣ - ١٢٦) (٢) الاعاني ٣ - ١٣٦ راجع ايضاً وبيت لاعيان تحت ترجمة

ابن اسحق Lit. Hist. of the Arabs 297 (٣)

(٤) ابن قينة (البدن) ٥٠٩ (٥) الاعاني ٣ - ١٥٩ (٦) الاعاني ٣ - ١٨

سودوي لمزاج كثير التردد في أمر الدين فتعبد على أطوار شتى شأن الدين يحلون
أنفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الدقد^(١) . على أن الناضر في شعره لا يجد فيه
غير رجل متري يرى اعقره متغنىً ماناشيد الزهد . وليس فيه أثر انظر بقدي في السكون
أو لزعة فلسفية في الدين .

جوانم الدارين

تظهر لنا حياة أبي العتاهية في مطهرى - حياة النزل والمادة ، وحياة الوعد
والتعفف . فقد جمع المؤرخون ن شعرا كان في أول أمره يبش بعيش المتشككين من
شراء عصره^(٢) . ولكنه لم يسكن بطلع الحسنى حتى تحول عن منيهم . وكان ذلك على
أرواه صاحب الأعيان في خلافة الرشيد . قال : كان أبو العتاهية لا يعارق الرشيد في
سرى ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى
حوث والمأذن . فلما قدم الرشيد لرقعة (وذلك سنة ١٨١ هـ) لمس الشاعر الصوف
زهد ، وترك حضور المادة والقول في النزل^(٣) . فكان شاعرا أدن في صباه وفي
شأنه يجري محرى أهل الطرب والطلاقة ، حتى دهموا أنه كتبني أبي العتاهية لأنه كان
يحب التهازل والمجون والتعنت^(٤) . فلما الذي دهمه إلى ترك مسا كان عليه الشعراء والتزام
طريقة الزهد والتسكك ؟ سؤال جدير بالنظر . ولا بد لنا قبل الإجابة عليه من أن نسطر
ليأبى -

- ١ - حالته النفسية واستعداده العطرى لذلك
- ٢ - تأثر نفسه بتهتك معاصره وتآديهم في أسباب انقار
- ٣ - مثله في حبه لقناة من جوانم المهدي
- ٤ - ميله إلى الطريقة الزهدية في الشعر

أما استعداد العطرى فليس لنا من دلائل صريح عليه وكس نستخرج من عرف من

(١) تاريخ آداب اللغة ٢ - ٦٨

(٢) راجع إليه مع أبي موسى وصريح العوفي في العدد ٣ - ١٦٦

(٣) الأعيان ٣ - ١٥٢ (٤) الأعيان ٣ - ١٢٧

الى القاضية من حب المال والحرص على الدنيا ، انه كان ذا نظر في المواقف وعلى شيء - حتى في ذلك - من صفة النفس بما لا يراه عادة في متبكي عصره فلم يكن شديد الميل الى الاغترق في سبيل الشهوات ، ومكلفة اخرى لم تكن تشاركه زملائه في مخاوفهم ، نام شدة تقتل فيه ميوله الى الحرص ورغبة جراحهم ولكن الى حين ، ويدفع في تيار الحياة وسكنه لم يرح نفسه الممان ولم يستأن رأيه يتراجع عنه مشمئزاً ، مهيب بالآخرى ان يسلكوا سبيل الرشاد ، وان يتجنبوا ظروف الزمان . ولا بد ان كان عصره دنيو عليه ، وان ذلك لتأثير تحرك الى عاطفة شعيرة معايرة لعواطف زملائه يومئذ . فترك القربى والمأدبة ، رحتت معه اسلوباً اخر حب ان يعزده فيه . وانا لطيف ذلك مما نقله لنا ابن بطوطة عن ابن محمد الطائي ولما جاني ابو القاضية فقال لي ان ابا نوح لا يخافك ، وقد احب ان سئل لا يقول في الزهد شيئاً ، فاني قد تركت له المديح والمجاهد والخمر والحق وما فيه شعراء ، وزهد شرقي . فقلت اي ابي نوح جاء الي واحداني شيئاً . فقلت لابي نوح ان انا اسحق^(١) (ابو القاضية) من قد عرفت جلالة رفقته ، وعد احب انك لا تقول في الزهد شيئاً . فزعم ابو نوح عند ذلك وقال يا ابا محمد قد قطعت علي ما كنت احب ان املكه من هذا . . . ولا اخاف ابا اسحق بما رعب اليه^(٢) . فلو القاضية ان صطع الزهد واتخذ طريقة فنية مندفعاً اليه بشوق نفسه الى هذا النوع من الشعر . وداصح ما دهمناه اشاعرنا من الاستعداد الفطري ، وانه بحارة لهذا الاستعداد رأى ان يعزده بالزهد دون سائر ادواب الشعر ، دقي ان نظر في المحرك المباشر الذي حرك في نفسه شهوته الزهدية وحب اليه ترك حياته الاولى . هذا المحرك هو علي ما يقول مؤرخون مثله في حبه لفتنة حارية لخبر ان ام الرشيد وفي ذلك يقول المعري^(٣)

الله يتقل من شأ
ابدى المتاهي تسكاً
رنة بعد رنية
وقاب عن حب غنة

وعن لمعودي ان ابو القاضية لمس الصدوف ليل أسه من غنة^(٤) . وكان ذلك اليه

(١) كناية الخوفية من دنيو والد مؤلفه القاضية له (٢) اخبار ابي نوح ٧١

(٣) الرواد ١ - ١١٨ (٤) المعودي ج ٢ - ٣٣٦

أرشيد ، وقد آثر المصنف على أن يرجع بعدها إلى قول العزل (١) . أما أنه أحب هذه
الطريقة حساً شديداً فذلك ما اجمع عليه المؤرخون وأنتك بعض من عرله فيها -

يا عتب سبتني ما انت ديني	حتى متى قبي لذيث رعي
وانا الدول ككن ما حلتني	وانا الشقي الذنس المسكن
وانا الامه ككن هاتك مسعد	والكل بحر صاعب وحدي
لا رأس راء ندر عدي راحة	لاصب ان يلقي الحرقن حزين
يا عتب اين افر منك اميرتي	وعلي حصن من هواك حصين

وقال من قصيدة

صكأها من حسب درة	احوجها اليم إلى الساحل
كننا فيها وفي طرفها	سواحر القطن من بابل
لم يبق مني شيء ما خلا	أحشة في بدن ناهل

ويذكر الحصري أن الألفية ضرب مئة سوط وهي إلى الكوفة من أهل عرله
بغية ، وأن المهدي قال حين نفاه « أني يتمرس وحرمي يتمرض ودياني يمض (٢) »
وجاء لأبن قتيبة أنه حسه ، ثم تشعب له يزيد بن منصور حال المهدي وطلقه (٣) . والظاهر
أنه خاف المهدي فابتلع من ذكر الجارية - فقد مات « دامله فطلب من أرشيد كبادوي
المرودي والكاهن - بالمثل - وبين أول حبه لقطة ويأسه من الحصول عليها نحو من
عشرين سنة دقت فيها شرارة الحب مشغلة بوعه كل المراجع ، ويرغم أنه كان متزوجاً .
وهو حس شديد ومريب في عصر كعصره ، يدكرنا بح شاعر ايطالي لقبته بياتريس
وما كان له من تأثير في نفسه كل حياته .

من فحل داني نشأت الرواية الالهية . قبل من فشل إلى القاسم نشأ شمر الزهدي ؟
قد يكون ذلك .

على أن في مسلكه الزهدي ما زال بعض أهل زمانه . وتحدث هذا الرب اصحة

(٢) زهر الادب ٢ - ٣٦

(١) الاموي ٣ - ١٢٥

(٣) شمر والشمر (لندن ١٩٨١)

وهذه الى الاحبال التالية . هذا ابو الملاء المصري يقول في البيتين الاتفي الذكر « ابدى
القاضي سكا » . وفي العبارة ما فيها من الشك في ذلك الشك . وهناك حكايات
للمصريه تسم على روح الاستحقاق بقرهه ، وتشمه بالاداء وانطاهر . من ذلك ما
رواه الاصماني عن ثمامة بن اشرس قال الشدي ابو القاهية .

اذا المرء لم يُعْتَق من المال معه	تَلْصُكُه اذال الذي هو مالكمه
الا انما مالي الذي انا مسوق	وليس لي اذال الذي انا تاركه
اذا كنت ذا مال فادره مالي	يحق ولا استهلكته مالكمه

فقلت له من اين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله (ص) انك من مالك ما
اكلت فافيت ، او لست فابيت ، او تصدقت فامضيت . فقلت له انؤمن ان هذا قول
رسول الله (ص) وابنه الحق ؟ قال نعم . قلت فلم تجلس عندك سباً وثمانين بدرة في
دارك ، ولا تاكل منها ولا تشرب ولا تركي ، ولا تقدمها دجراً يوم فترك ؟ فقال يا ابا
معن والله ما قلت هو الحق ، وكفي احاد الفقر واجاعة الى الناس . فقلت وبم تريد
الحلم الا من عيى الى عيى ؟ فترك حواشي كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد اشتريت
في يوم ماشوراء لحماً وتوابله وما يتعد بحمسة دراهم . فلما قال هذا القول اضحكني حتى
ادخلني من حواشي ومعاتنه ، وسجست عنه ومعت انه ليس بمن شرح الله صدره
للاسلام . (١)

وروي الحصري عن الحديث التالي قال : دخل ابو القاهية على ابنته محمد وقد تصوف
فقال ألم اكن قد نبئتك عن هذا (اي عن التصوف) فقال امه وما عليك ان اتعود
الحير ؟ فاجاب ابو القاهية يزنيه ويقرعه ثم قال له اقبل على سوقك فانها أعود عليك . وكان
امه بزأراً (٢) . وامثال هذه الحكايات كثيرة تجددها في الاعالي وسواء . وهل ذلك ما
حل سلم بن عمرو الملقب بالحاسر ان يغضب حين انشد ابو القاهية قصيدته التي يقول فيها
مخاطباً مسلماً يهتف بالبيتين :

تعال الله يا سلم بن عمرو ادلّ الخوص ائناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك غنواً اليس صبر دالك الى الزوال

فقال سلم : « وبإي على احرار الزديق جمع الاموال وكثرتها وعسا البدور في بيته ثم
ترعد مراآة ونفاقاً فاحذ يهتف في اذا تصدبت للطلب . » ^(١) وقال الحارث بن اخط سلم
ويرويا ياقوت لسلم نفسه .

ما اقبح التهيد من واقظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في ترهيد صادقاً اضحى وامسى بيته المسعد
يحاف ان تنفذ ازرقة والرزق عند الله لا يتعد

وانك اذا تحريت الحكايات الكثيرة التي يقولونها عن ابي العاتية تجد احسبها شك
معاصره بصدق ترهده . وهذا الشك مبني عندهم على ما يلي : ١ - سيرته الاولى
٢ - حرصه على المال ٣ - تعظم الناس من الوعط والانداز . وحل ما يقدر هنا ان الرجل
صدف عن سيرته الاولى ، وانه لزم جانب التدني واتخذ الشعر الزهدي دأ فاجاد فيه ^(٢) .
وم يمكن رده انقطاعاً عن الدنيا وترعاً من خطاياها ، ولكن تقيعاً لمسلك . ترفيها
وانذاراً لصوره مصيرها ، واشاعاً لشهوة فنية لم يستطع الا اشباعها وكان يرغب ما يحكمونه
محترماً من معاصره حتى من ابي نواس ^(٣) .

رسالة ابي العاتية في شعره

لا يحمل شاعرنا في شعره رسالة جديدة ، ولا يضع مبادئ فلسفية خاصة . وانما هو
يمكس لنا روح الشرق الدينية - احتقر الحياة الدنيا وتقطع الآخرة . اقرأ كل ديوانه
فلا ترى فيه الا دعوة الى ترك الجهاد في سبيل التقدم ، والتحرر من قيود المطامع .

(١) معجم الادباء لياقوت ٦ - ٣٦٨

(٢) قال الخليل البغدادي كان يقول في الغزل والمديح والهجاء قديماً ثم نسله وعدل عن ذلك
الى الشعر في الزهد وطريقه الوعط - تاريخ سداد ٦ - ٢٥١

(٣) راجع في المصدر هذه حديث ابي نواس واحلاله لابي العاتية حتى قال ما رأيته قط لا
توهمت انه جاهلي وانما ارمي

حتى متى يستعزى الطمع ليس لي بالكف مَسْع
ما أصل الصبر وقناعة للناس جميعاً لو أنهم قنعوا
وخضع اللئس والبهاء لأقوام أرحم في العبي قد رنعوا
فه درُ الذي فقد لست قلبي بقوم فما ترى صنعوا
أثروا فم يدحاوا قبرهم شيئاً من الذرة التي جمعوا
وكان ما قدموا لأنفسهم أعظم نقاً من الذي ودعوا

وقال

طلبت العبي في كل وجه فلم أجد سبيل الفنى إلا سبيل التصف
خائلي ما اكسى اليسر من الذي يحول أن كما عمت تكسني
وما أكرم البعد المريض على الندى وأشرف نفس الصابر المتعب

فانت في ذلك وفي سائر شعره امام مندر واعظ يرشدك الى سبل القاعة ، سبل الحيز
كما ينص عليها الندى . ولكن في وعظه شامية جليلة وطناً شعياً يخفف عليك مشقة
الاصط . الى الوعظ ولا سيما من واعظ يُعرف فيه الخرص وحب المال . وهو واعظ الموت
والظلام ولكن في ندراته ما يجذبك اليه .

واي شيء ادل على شاعريته من ان يحملك الى المقابر فيقف بك هناك امام الحث
اليالية والطمع الشجرة ، ثم يصف لك ظلام القصور واهوال الحمام ، وينتد بظامم الانسان
واباطيل الحياة في شعريته شجورك ويؤيل هجة الدنيا من امامك . وانت مع كل ذلك
تسم في ابيانه ايقاعاً يحلو لادنيك ، فتصفي اليه مسروراً ، وتشعر منه بشوة خفية قللاً
قلبك وتحرك عواطفك .

لدوا الموت وانسوا للحروب فكلكم يصير الى تراب
لن نمي ونحن الى تراب نصير كما خلقنا من تراب

صوت شعبي تقب لديه معتزلاً خاشعاً ، ولكنك لا قلبت ان تعيده لنفسك فتندى
بجماله قدام الموت وعبوسة القبر . ثم تسمعه يقول

الا يا موت لم ارك منك بدءاً اتيت وما تحيف وما تخافي

كأنك قد وجدت على مشبي كما عجم المثير على الشاب
وانك يا زمان لذر صروف وانك يا زمان لذر انقلاب
ادرك ون ظليت مكان وجهه كعلم القوم او ظلم السحاب

فتسطر لي الموت تطرك الى صديق مؤاس يأتي ليخلصك من الزمان ، ويقلك الى
خلال اعيان . وماذا ترى لموت كدك وهو الرعب المحوف ؟ لار الشعر يضرب على
وتوشحي يوسج فيك حاسة الاستحسان ، يجارئك ويقيني عني ما حولك من فساد ورعب
مسعة من حال الفن الشعري الذي يحول الصلابة الى نور ، ولوعب الى اس وطمانينة .
وتنتهت ذلك في نفسك اجمع الابات التي يصب بها طمع الانسان ووجوب القداسة
وزوال الدنيا - وما تلك مواضع تلك الانسان مادة ، ثم شرح شعورك لدى سماعها

الم تريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنة تلعب
ايا بائي الدنيا لمعرك ننتي ويجمع الدنيا انفرك تجمع
ارى المراء وثاباً الى كل فرصة وللره يوماً لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تقضي حاجات من ليس يشتم
واي امرى في عاية ليس نفسه الى عاية اخرى سواها تطلع

وقوله

خاليكم من ميت قد حضرته والسكي لم اتنع بمحوري
ومن لم يزد الس ما عاش عزة فدك الذي لا يستفيد دور
اصبت من الايام لين اصغر وجربتها ركصاً ، وابن ظهور
مق دام الدنيا سرور لاهلها وصبح منها وثق بسرور

وقوله

وجعت الى نفسي بفكري لاهلها تفارق ما قد عرتما وادلهما
فقت لها يا نفس ما كنت آخذاً من الارض لو اصحت دمت كتم ؟
فهل هي الا شمة بعد جوعة ولا متى قد حان لي ان داه
ارى لك نفساً تستغي ان تعرها ولست امرئ نفس حتى يدها

الى غير ذلك من الهطات الروحية البائسة ، مما يشهوي نفس رهم ما يشتهي فيه من

اهوال الموت وكلاحة الروع والثرمد . وكل ديونه على هذا السط العالي ولا يعبه الأ
نه على وتيرة واحدة - موضوع واحد يردده في قصائد مختلفة الوزن والروي

ولا بدسنا في هذا المقام من ان نقف هيبة نقبل ارواح « التواسية » بالروح
« القاهية » فاعلمنا ان شعر روحه ، وما شعره الحقيقي الا بجنى لغواصفه الداجية .

ابو القاهية وابو نواس

كلاهما منثقم - هذا في رهوه وسروره ، وذلك في ترهده وتقتيره ابو نواس لم
يدرك قيمة الحياة ولم يفهم مرادها العالية . فعلى نفسه وقواه في سخائفها ، وابو القاهية اخطأ
لحمة من وحد الفرد ومن علاقته بالمتجمع ، فعلى عليه ذلك ودعاه الى سد انزيا والاهتمام
بالآخرة . وكلاهما يخصى - ذلك لافراسه في الاطيلاب ، وهذا لافراطه في الترهيد بها . ولو
انما جارس شاربنا في موه وقه بما يظلمه في عطشه لتجشم عذابا ان نفق كل جهاد وكل
سعي ، ونميش عيشة الحول والفاقة . وان هذا من ارقى الاحتمالي الذي يتخلل من
كل فرد ان سعى ويجد ابدره اقصى ما يستطيع ادراكه .

ساقع . وقتت وقتت يوم . ولا ارمي محكثرة نبال
تعالى الله يا سلم بن عمرو . ادل احرص افاق الرجا
لا ترحو لشيء ليس بقى . وشيكن ما فجرة الليلي

هي الروح الشرقية القديمة التي تحترق الدنيا وتعتبر اليها كسرة رائل حياة علي . تظلم
تفككه لنا كتب الدين ، واقوال الانبياء . والاتقياء وقادة الحياة الدينية في كل حيل .
واننا اذا عسرنا نقاعة (او لثمد) منها احام الشهوات الفاسدة والاطاع الشائنة والتعالي
من الطيعة الحيوانية التي قدمنوا الى التعدي وحب الازرة ، كانت القاعة حكمة احتماية
حالية ، بل صدق الداعون اليها انها باب السعادة الدنيوية . واما اذا كانت كما يصنعونها
الوقوف عن الجهاد ، والسعد من اسباب التقدم ، وحطت اراحة في ذريا الماسك ، والظهور
تظهر الفقر والتصرؤ ، فهي الحول الذي يريد احكدار لآسان ويسمده عن مسافته
المشودة . وهذا وجه الصنف في رسالة ابى القاهية : انه قام ينشد لما اناشيد الدين دون
ان يتفنى في تطليتها على الحياة العملية ، وكان في شعره بقلد الرهأه ووجال الدين تعليداً .

والأفني وسع من كان في مقدرة الشعرية أن يستخلص من حياة عصره صوراً اجتماعية
عابية يصورها فيرباها حول الفضائل الدينية والآداب القومية ، أو قاحة أوضاعها ، على
نحو ما يفعل الاجتماعيون من شعراء وتأثرين .

عكم

ولاني التّاهية في هذا الصّرب من سطوة مكينة عالية - فهو قد يضرر الأمثال ،
وعقد جوامع الحكمة في أبيات شمرية جميلة . وليك امثلة من ذلك

أخوك الذي من نفسه لك منصف ذا امرء لم يصفحت بس امرءا

وليس امرؤ لم يربح منك مجده جمع الذي تراه منه نصف

هو الدنيا تدق لك عوداً ليس مصير ذاك الى الزوال

ودقت مرارة الاشياء طراً لا طعم امرئ من السؤال

حالك قوم حين صرت الى المي وكن عي في الميوت حبل
ويس اعي الأعي ردت انقي عشة يقري او عداة بيل
ذا ملت الدنيا الى المراء رعت اليه وسال الناس حيث بيل

توق بدأ يكون عليك فصلاً فصاحت اليك عليك لـ

طلبت المستقر بهكل ارض وهم ار لي ارض مستقر
اطعت ملاهي فاستجبتني ولو اني قمت سكنت سرا

لقد حلت الزمان اشطره فكان فيمن الصاب والاع
مالي بما قد اتى به فوج ولا على ما دلى به جرع

صاحب القفي ليس يلم منه وعلى نفسه رعي كل ناع

له ديب اناس ذوو لها قد ارتعوا في رصاص امي واعق
كساعت رفاع استمي رسا وحته و درت في ذلك السمن

واى امرى في عية ناس منه الى عية اخرى سراها تدع

وابلاي من دعاوي اهلر كلما قلت نداني بعدا

كم امي بغير بعد عد بعد لعمرو وم الق هذا

الم تر ان المقر يرحى به القفي وان امي يحنى عليه من اهور

فشت دي دنيا عليس جب احد اراه لآخر حاد
حتى ككن الدس كاهم قد امرعوا في قالاب وحد

ما احتلب الليل والهار ولا درت نخوم الهاء في اهدك
الا بقر السلطان من ملك قد بقى منك الى ملك

انت ما سميت من صاحب ادهر اخوه

فدا احتجت اليه ساعة منك عوه

وله ارجوة حكيمية جمع فيها كثير من الامثال البليغة .

وقد ذكر صاحب الاعاني انها تلحق نحو اربعة آلاف بيت ، على انه لم يثبت منها غير
مضعة وعشرين مثلاً . في ديوان ابى القناية فقد نقل من ما يقرب خمسين وم ثلث
عليها كما ار على مضمونها في كتاب ما ، وعليها ضاعت في حلة ما صاع من كتب الاولين
واكثر حكمهم ، دي على ان فيها كثيراً مما يبلغ الدرجة الاولى من الجمال

كقوله -

ان كان لا يعيدك - يكدك - ككل - في لارض لا يديك

وقوله

من يصبح لدمس ومنت وند - همت ما اعد ما قهقار

وهو مهي في عاية لجل يويد مدك ان حذبع لا يصالح ، لم يصالح كل فرد ذاته

وقوله

من جعل الحناء عينا هك - صامت النمر كداهه هكنا

وهو مهي متدارل مأوف والسكه جميل -

ومن اجل معانيه قوله

يوسع الضيق لوصا ما صيق - ونما رشد من لتوميق

ونو اردنا التوسع في الشطر الاول من هذا البيت احاط به المقام وهو من اشبه

الطرائق العقلية والاجتماعية .

وهذا كثير من امثال هذه الابيات وهي تدل على مقدرة الشاعر على سبك الحقائق في قواف شعيرة جميلة ، على ان حكمه عموماً محدوداً المعنى فهو يحصرها في معنى واحد من متاحف الحياة ، ويظهر فيها مظهر الترشد المُنذر ، والحكيم الواعظ . ونو قسيتها بحكم المتنبي مثلاً لو حدث هذه اوتق علاقة ناجية احبة ، وبالتالي احسن شوقاً بين جميع الطبقات . وما الفرق بين ابى القاهية والمشي في هذا السبب الا ان الاول يبنى حكمه على ما تنطبعه حياة الزهد ، جاءت على حسن نظم ، مقيدة بغيتها . ولما الثاني غاض عمار الحياة ، وعرف حورها ومرها . وقد ترك لنا الحذر رته في بيت يستهوي انقبوب حمدا ، يصدق ما ترجمه من احوال اعمران ، وشدة مما تشبه لم يشعر به كل انسان .

شاهريته وشعره

قال صاحب الأعيان « ويقال أطع الناس شعره والسيد وأبو العتاهية وكان أبو العتاهية غزير الشعر أصيب الرأس سهل الانقياد كثر الاقتران قليل التشكف إلا أنه كثير الساقط المردول مع ذلك - وأكثر شعره في الترهل والامثال - على أنه رعم ذلك حكايا من الطلقة الأولى في النظم .

قال أحمد بن زهير سمعت مصعب بن عدي يقول أبو العتاهية شعره أسنان فقلت بأي شيء استحق ذلك فقال بقوله

فما كنت	دما	طول	أي	تمال
واقفت	على	أديبا	مما	أي
أما هذا	يخوض	أهرا	قد	الأمس
فلا مد	من	المو	ت	على
			حال	من
			الحال	

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشوية ولا نقصان^(١) يعرفه العاقل ويقر به الجاهل - وقال ابن الأعرابي وقد أثاره رجل رمى به العتاهية بالصف « فوافقه ما رأيته شاعراً قط أطلع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من الشعر »^(٢) وسمع الجاحظ مرة من ياشد أرحوزة أبي العتاهية التي سماها قذات الامثال حتى إلى على قوله

يا لاشاب المرح النصابي روائح حنة في الشاب

فقال للنشدقف - ثم قال انظر إلى قوله « روائح الحنة في الشاب » وأن به معنى كمن الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب ، وتعجز عن ترجمته إلا لسانه إلا بعد التطويل وإدانة التفكيك - وحجج المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه^(٣) .

(٢) الأعيان (بولاق) ٣ - ١٣١

(١) الأعيان (بولاق) ٣ - ١٣٠

(٣) ٣ - ١٢٣

وكان الاصمعي يقول شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتآب والحزف والنوى .

وفي الأعرابي مثل ابن ماسد عن أشعر أهل الإسلام فقال : من ذنبت هرل وإذا شئت حدثت جرب ، ومن المحدثين هذا الحديث (أي أبو العتاهية) الذي يتناول شعره من كنه (١) .

وقال لمؤلف كتاب مجاميع القاسم (أبو العتاهية) لا يسكاد بحلي شعره عما تقدم من أبحار والآثار ، فيصم ذك الصكلام المشهور ، ويتأوله اقرب متداول ، ويسرقه من سرقة (٢) .

والمثل شعر أبي العتاهية يشتهر بديه حل ما ذكرناه من وصف وأصفيه . وأهم خصائصه الفنية ثلاث :

١ - سهولة الالفاظ وهي مذهب في جميع فوائده .

نقل الأصفهاني قوله لابن أبي الأبيض وقد جاء يستريده من شعره . « فالصواب أن تكون اللفظه لا تحي على حمور الناس مثل شعري ، ولا حيا الأسماء التي في الزهد . وهو مذهب أشعر الناس به زهد واصحاب الحديث والعقلاء واصحاب الرية (كذا) ونامة ، وحبب الأشياء إليهم ما هموه (٣) . » واشد مرة أبت إمام سلم الخامس فقال سلم قد حوكتها لو لم تكن سرقية فقال أبو العتاهية والله ما روعي فيها إلا الذي رعدت فيه (٤) . وقد عرف به نقدة الشعر ذاك قال ابن رشيق : ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ واعتبر فيها الركاسة واللين المفرط كإبي العتاهية والعباس بن الأحنف ومن تابعهما (٥) وهم يرون الفاية قول أبي العتاهية

يا أخوتي إن الهوى قد نلى هجرنا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتساع الهوى فاني في شغل شغل

(٢) الكامل ١ - ٢٣٨

(٣) الأعرابي ٣ - ١٧٣

(١) الأعرابي ٣ - ١٥٤

(٣) الأعرابي ٣ - ١٦١

(٥) الممددة ١ - ٨١

عبي على عتبة مهلة بدعها المضحك السائل
يا من رأى قبلي قتيلًا بكى من شدة الوجد على القائل
سقط كمي بحوكم سائلًا ماذا تودون على السائل

وقد ذكر ان ابو القهية والناس واحد من الضحك اشتهرا يوماً فذكر
ابو نواس ينادي كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء. فذكر
ابو القهية هذه القصيدة فسلما له وامتناعا من الاشداد معه وقالوا اما مع سهولة هذه
الالط وملاحة هذا القصد وحسن هذه الاشارات ولا تشد شيئاً .

٢ - رشقة التميمي : وهي من نوايا الشعراء المظروعة ويراد بها البعد عن التكرار
والتمقيد . تقرأ قصيدة ابى القهية فتجدها رشيقة المسمى تسيل عذوبة وطلاوة . وقد صنف
الخطيب المدادي اد قال « وكان سهل القول قريب المأخذ بعيداً من التشكُّف متقدماً
في الصنع ^(١) . تأمل هذه الابيات التي قالها امام المهدي يعزبه في بيت له « انت حزن علم
حرماً شديداً . قال شارحنا عوافيته وقد سلا وضحك واكل وهو يقول ؟ لا بد من المدي
على ما لا بد منه « وانى سلونا عن فقدنا ليلون عنا من يفقدنا . وما ينكي الليل والهدوء
على شيء الا ابلياء « . فلما سمعت هذا منه قلت يا ابي المؤسس اتأذن لي ان اشكرك . فن
هات فاشدته -

ما لأجدي لا يبلى اختلافهما وكل عصر جديد فيهما هل
يا من سلا من حبيب بعد وفته كم بعد موتك ايضاً عك من سأل
كأن كل يوم است دقته من لذة العيش يحكي لمة لال
لا تلبس بك الدنيا وانت ترى ما شئت من جبر فيها وامثال
ما حيلة الموت الا كل صاحة او لا حيلة فيها لمحتل

وروي ان ابا القهية مرَّ بالي نواس في المسكة ومعه بعض ارقع ، فسلم ثم اوم
برأسه الى ابى نواس وانشأ يقول

لا ترفدن - لعينك السهر - وانظر الى ما تصنع النير

وإذا سألت مسلماً تجد أحداً فليس الزمان بعده الخاطيء
أنت الذي لا شيء تنصكه وأحق منك عمالك القدر
ظهر أبو نواس إلى من حو به وقال : « أقصر هذا أم انتم لا تصرون » (١).

ومثل هذه الشهادة شهد بها نشار يوم أشد شعراً قصيدته في المهدي
ألا ما بيني ما لها أدلاً فاحل أدلها
إلى أن يقول :-

أنته الخلافة بمقادة إليه تجوز أدلها
ولو رامها أحدٌ مده زلزلت الأرض رلها

فقال انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواذه ، والفتنة مشهورة وقد ذكرتها
في أكثر المصادر .

وفي رسالة شعره يقول ابن الأثير (٢) « وهذا أبو العتاهية كان في عز أندولة العباسية ،
وشعره العرب أدراك موحودون كثيراً . وإذا تأملت شعره وحده كانا الخاري رقة
الحنان وطاقة سبك ، وليس بركيك ولا واد » . وحكم ابن الأثير فيه حكم حبر الأ
الغمامي من بعض وكانته كما سقى بعد .

٣ - سرعة الخطر وما يقرن بذلك أحياء من أدراكه قلبه كبر تقول الشعر .
قال ما ردت قط إلا مثل لي « أقول ما أريد وأترك ما لا أريد . وكان يقول لو شئت أن
يكون كلامي كله شعراً لعلت » (٣) . ووصفه ابن قتيبة بقوله « وكان أحد المطومين ومن
يكناد يسكون كلامه كله شعراً » .

فهو سريع الخطر وإذا صح ما ذكرناه من وصف الأصمعي له لم يمكن من الدين
نسون نغمة أصانهم وطرح ما يح طرحة . وقد تناول الموزاني هذه الساجية من شعر
في التسمية وذكر أقوال الناس فيها وأورد له بعض ما يميونه من شعره كقوله في غنية -

(١) تاريخ بغداد ٦ - ٣٥٩

(٢) الأغاني ٢ - ١٣١

(٣) المثل السائر ١٠٥

ألا يا فتى الساعة أموت الساعة الساعة

وقوله في رثاء سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أركبت عبي يا أبا عثمان أوحشت قلبي

وهب ذلك من القول الخفيف الذي تناقله الرواة من شعره (١).

فكان كثيراً ما تأتي العبارة مكررة لأفادة منها كقوله -

من أحسن لي أهل العود ومن رأى من أحسن لي بين أطباق القرى
من أحسن لي ما حجب آله وبأنفي فقد انكسرت بعد الملتقى
من أحسن لي إذ يبالغ عصاة متشاعلاً ملاحاً من دعا
من أحسن لي فوق ظهر سرور يشي به نفر إلى بيت البلى
يا أيها الحلي الذي هو ميت أعتيت همك في التلأل والمي

فلو وثقت فوق البيت الثالث والبيت الرابع، حتى وفوق الثاني أيضاً لكان الاتصال بين الأول والآخر أشد ولم يحسر المعنى شيئاً يذكر. فاهيك بأكافة العمل احسن واستعمل الوصل بعد القطع فيه - وكذلك قوله -

أين الحماة الصابرون حجة يوم الهياج لحز مختلف القنا
ودور المأبر والمساكر والسا كز والحصائر والمدائن والقرى
ودور المواكب والكتائب والشعائب والمرائب والمناصب في النلى
أفاسهم ملك الملوك عاصموا ما منهم أحد يحس ولا يرى
وهو الحفي الظاهر الملك الذي هو لم يزل ملكاً على العرش استوى
وهو المقدير والمدبر حلقه وهو الذي في الملك ليس له سوى
وهو الذي يقضي ما هو اهله فينا ولا يقضى عليه إذا قضى

فانظر التكرار غير المفيد في البيت الثاني والثالث، ثم تأمل تكريره لصفات الله لي

الآيات الثلاثة الأخيرة . وكبه من قبل سرعة الحائط وراحم الالف على الذي الواحد .
واقرا هذه الآيات من قصيدته التي مطلعها « لمن طس اسئله مطلة منازل »
وحكم لنفسك بما نحن بصدده من ميله الى الاطالة والتكرير وعدم الفرسلة

أيتها المقامر فيك من كُنّا ننازله

ومن کننا نتائجہ ومن کننا نظامہ

ومن کنا نعبشہ ومن کنا نعبشہ

ومن كنا فاحره ومن كنا نظاره

ومن كنا فشاربه ومن كنا ثؤاكفه

ومن كننا زافقه ومن كننا فتازله

ومن کنا فکارمه ومن کنا مجامله

رَمَن سَكَنَاهُ الْفَأْ قَلِيلًا مَا تَرَاوَلَهُ

ومن كننا له بالأمرى انخواباً نواصله

وقوله يتعجب من لا يهتد بأخوته

سبحان ربك ما فراك تنوب^١ والراس ملك اشيعة مخضوب^٢

سبحان ربك ذي الجلال اما ترى نوب الزمان عليك كيف تنوب

صباحان ريك كيف يغليك الهوى مسحانه ان الهوى تغلوبه

سبحان ربك ما ترأى وفيك من اذلال نفسك وقوة وسكوت

سبحان ربك كيف ملتذ أمره ، فالنفس وهو نفسه ، مطلوبه

ومن ذلك قصيدة يذكر فيها الإنسان وموته وحيات الناس له قال فيها

فَإِذَا مَا اسْتَدْعَاهُ ٱلْأَرْضُ وَهِيَ تَرْجِعُهُ

خَلِّصُوهُ تَحْتَ رِيسٍ اَوْقُرُوهُ اَنْقَرُوهُ

امجدوہ اسحقوہ ابوحدوہ اردوہ

وَدَّعِي ۛ فَارِقُوۛ ۛ اَسْلَمُوۛ ۛ حَلَعُوۛ ۛ

وَأَشْرَأَتْهُ وَخَلْبُهُ صَكَانَ لَمْ يَعْرِفُوهُ

وهو مثل هذا كثير في ديوانه وهو راجع كى اقبلنا الى سرعة خاطره وتراحم
الانماض حول المبنى الواحد من معنيه وعدم اهتمام بطرح الث منها.

١ - عدم التفنن في الخيال . ولا اريد بالخيال هنا اللطائف الشعرية فقط من تشبيه
واستعارة وكناية وما شاكل ، بل اعني الخطأ او الصورة التي يتجملها الشاعر فيجعل الناس
عليها الى عرضه . فانت اذا طالع دوان ابى القاهية لا تجد فيه الاموضرأ واحداً
يجوم حوله ويمرضه عليها عرضاً يكاد يكون واحداً - وصف القمر واهوالها - فناء
الاعراض الدبيرة - فساد الانسان وعقل الآخرة . ولقد تقرأ رصع قصائد منه فتستغنى
بها عن سائر الديوان . وادا كان لك حلد اللغات وتحدثت عنه ، فقرأته الفيت نفسك امام
موسيقى شرقي يكرر عليك لحناً واحداً يكيفه على «نقاسم» شتى موزن فيك ، ولكنك
لا تأت بعد مدة ان شعر على من ذلك التكرار ، وبرعة في استماع شيء ، حديد على
تلك الاوتار . ليس لابي القاهية قلم ابدع الاحكام الذي يرى الحياة بطورها ويمرضها
فيستخلص منها ، واضيع شاذة يتهنى في عرضها على الجمهور . نعم ان انصوّر تختلف من
حبث السياسة واساس العمران ولكن لدواعي التسمية هي هي ، وها يحدث الآن كان
يحدث في كل اوان .

لم يكن شاعرنا حكيم الاثنان في اشاده ، بل كان له وتر واحد ينقر عليه نغمات
مقابلة مؤثرة وسكنها حاية من سعة التخيل والفرد الى ماطق الحياة الحقيقية .
عادا قرنت ذلك بزاياه الاخرى من سهولة المبنى وبلاسة المبنى فامت اذا يختلف النظر
في حقيقته ، ولماذا يجمع في شعره بين السمر والاسعاف والبلاغة والركاكة .

المختار من شعرا أبي العتاهية

يقف على المقبر فينشد لنا نفث الموت والآخرة - ويرغم انه يكررها ويترجها
على وتر واحد محمد فيها ايقاعاً يلد نفوساً ويوتر فيها

في غرور الدنيا

نصبت لنا دون التمر يا دنيا اما لي يبقى العمر من قبل أن تنفي
متى تنفسي حاجت من يسر واصلاً الى حاجة حتى تكون له أغرى
لكل امرئ فيه قضى الله حطة من الامر فيه يستوى البذل والمولى
وإن امراً يسمى اغبر بهاية لمنصر في لغة الدقة الكبرى

في ذكرى الشباب

بكيت على الشباب مدمع مبني فلم ينس البكاء ولا السجيب
فيا اسفاً اسفت على شاب نعاث الشيب والرأس الخضب
عريت من الشباب وكان مصاً كما يعرى من الورق القضب

في زوال الدنيا

لدا الموت رادوا للحراب فكلكم يصير الى قباب
لمن نبى ونهى الى تراب نصير كى خلقنا من تراب
ألا يا موت لم أرت منك بدا اثبت وما تحب وما تحاي
كأنك قد هجمت على مشيبي كى همم الشيب على شبابي
ايا دياي ما لي لا اداني اسوءك مثلاً إلا نبائي
وإنك يا زمان لنو صروعه وإنك يا زمان لنو انقلاب

فإني لستُ أحبُّ منك شطراً
وما لي لا أُحِبُّ عليكُ إلا
أراك وإن طليت مكرن وجع
أو الامل الذي ولي ذهاناً
وهذا الخلق منك على وفاة
ومعد كل ذي عملٍ وسمي
تقلدتُ النظام من الخطايا
ومها دمتُ في الدنيا حريصاً
سأسال عن امور كنت فيها
بأية حجة أحض يوم الحساب
ها امران يوضحُ عنهما لي
فإما أن أُخلدَ في عم.

فاحمد منك عاقبة الخلاب
نعتتُ الهم لي من كل باب
كنظم النوم أو طل السحاب
وليس يعودُ أومع السراب
وارجلهم جميعاً في الركاب
يا اسدي غداً دار الثواب
كأنني قد امتت من القباب
فإني لا أوفقُ للصواب
عدي منك وما حولي
إذا دُعيتُ لي الحساب
كأنني حين أطر في كتابي
وإما أن أُخلدَ في عذاب

في الحرية الحقيقية

طلبت المستقر بكل ارض
اطمت مطامعي فاستبدتني
فسم انا لي بارض مستقر
ولو اجدت كنت حراً

في اهل القبور

أخوتي مرّاً بالقبر
ثم ادعوا من عادها
ر وسلياً قبل المير
من ماجد قمر غور
أمر صق القبر المير
موسوق رحب الفناء
يا من تضئنه المقابر
هل فيكم أو منكم
من كبر أو صير
من مستجار أو محير
يوما يعرف أو نكير
أو تطلق أو سامع
اهل القبور احبتي
بمد الجذالة والسرور

بعد النضارة والنضارة والتنعم والخبور
 بعد المشاهد والمحا لى والساكر والقصور
 بعد الحنان المسما ت وبعد ديات الحدور
 اصحتم تحت الثرى بين الصفائح والصخور
 اهل القور اليحكم لا بد طاعة الامور

في غرور المطامع

حتى متى يستمرني الطمع ليس لي مكلف مشغ
 ما افضل الصبر والقناعة للباس جميع و انهم قمعوا
 واشدخ الليل والنهار لاقوام اراهم في العمى قد رتموا
 اما امسايا فخير عاقلة لكل حي من كسها حرع
 اي ليب تصفو الحياة له والموت ورد له ومنتجع
 يا نفس ما ي اراك آمنة حيث يكون الزوابع والفرع
 ما عذ للناس في تصرف حالاتهم من حوادث تقع
 لقد حسنت الزمان اشهره فكن فيهن الصاب والسبع^(١)
 ما لي عا قد اتى به فرح ولا على ما ولي به حرع
 قد در الذي قد لعبت قبلي بقوم فما ترى صنعوا
 بادوا ووقتهم الالهة ما كان هم ولايام واحشع
 اثروا فلم يدعوا فمورهم شيئا من الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لانفسهم اعظم نفعا من الذي ودعوا^(٢)
 غدا ينادى من لقود لي هول حساب عليه يجتمع
 غدا توفى القوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما ذرعوا
 قبارك الله كيف قد لعبت بالدس هذي الامور والسبع
 شئت حب الذي جماعتهم فيها فقد اصغر وهم شيع

(٢) ودعوا تركوا

(١) نباتان مران

في شرف العفوف وارصى

مضى تنقضى حاجة المتكفف
طلبت الفنى في كل وجه علم اجد
اذا كنت لا ترضى بشيء فتأله
فلست من المهر المريض بخارج
أراني بنفسى مريباً متعزلاً
وإني لمين البائس الواهن القوى
وليس امرؤه لم يوح منك بمحمد
خليلي ما اكفى اليسر من الذي
وما اكوم البعد الحريض على الندى

ولا سيما من حترق النفس مسرف
سبيل الفنى الا سبيل التعفف
وكنت على ما فاتت جم التلطف
ولست من النيط الطويل يشتف
كأنى على الآفات لست بشرف
وعين الضيف البائس المتطرف
جميع الذي توطاه منه بنصف
نحاول ان كفا بما عفا نكفني
واشرف نفس الصابر المتشف

في ضرورة الفنى

بليت وما تبلى ثياب صاحبا
ألم تَرَ ان الثيب قد قام فاهياً
تسع ودع من افلق الفنى صمه
ألا ليت شعري كيف انت اذا القوى
تميت حتى قلت ثم تركتها^(١)
اذا لم تكن في مشجر البر والتقى
اذا انت لم تعزم على الصبر للاذى
اذا كنت تبغى الد ما كف عن الاذى
اخوك الذي من نفسه لك منصف

كفأك من اللهو المضر كفاكا
مقام الشاب النفس ثم ناك
ككالي بداع قد اتى فداك
ومت وادا الكروب الشديد علاكا
تشل بين الوارئين مناك
خسرت نجاة واكتسبت هلاك
رمت الذي منه الاذى ودماك
وما البر الا ان تصكف اذا كا
اذا المرء لم ينصفك ليس اخاك

(١) الصبر يرجع الى الدنيا

في فناء الحياة ومرارة الحرص

نعم نفسي الي من الليالي^(١) تصرّفتن* حلاً بعد حال
 فما لي لست مثفولاً بنفسي وما لي لا احاف الموت مسالي
 لقد ابقت الي غير بقى ولعني اواني لا ابالي
 اما لي عبرة في ذكرك قوم فمانوا ربما خطروا ببالي
 كان ممرضي قد قدم عشي بنشي بين اربعة عبال
 وخلفني سرور يهكبن شعراً حصار قلون* على مقال
 ما قنع ما بقيت بقوت يوم ولا انمي محكارة عال
 تعالى الله يا سلم بن حمور اذل الحرص* اعتاق الرجال^(٢)
 حب الدنيا اتاق اليك عرواً انيس مصير ذلك الي الزوال
 فما ترحموا لثي ليس بتي وشيخك ما تغيرو الليالي
 خبوت الناس تحرقاً بعد تحرن فلم اذ غير خشال وقال
 وذقت مرارة الاشياء طراً ف طعم امر من السوال

في المية وبطشها

ابن طاهر اسئلة محطلة منارة
 فداة رأيت تني اعالية اسافله
 وكنت اداه مأمولاً ولكن باد آهده
 وحكل لاعتاف الدهر ممرضة مقنلة
 فيصرع من بشاره وينضل من يناضله
 ينازل من يهيم به واحياناً يخاتله

(١) وفي رواية - الي من الليالي

(٢) يخاطب الشاعر المعروف بسلم الخاسر وقد مر ذكره

واحياءاً يَوْمَ خُرْجِهِ وَتَارَاتٍ يَمُوجُهُ
وَكَمْ قَدْ عَزَّ مِنْ مَلِكٍ تَحْفُفُ بِهِ قَسَائِلُهُ
يَخَافُ النَّاسَ صَوْنَهُ وَرِجْحِي مِنْهُ نَائِلُهُ
وَبَشِي عِطْفُهُ مَرَحاً وَتَمَجُّهُ شَائِلُهُ
فَلَا إِنْ آتَاهُ الْحَقُّ وَلَّى عَنْهُ بَاطِلُهُ
فَقَبَضَ عَيْنَهُ مَوْتٌ وَاسْتَفْرَحَتْ مِفَاصِلُهُ
رَأَيْتُ الْحَقَّ لَا يَخْشَى وَلَا تَحْفَى شَوَاحِلُهُ
إِلَّا فَانْطَرَقَ لِنَفْسِكَ أَيُّ زَادٍ أَنْتَ حَامِلُهُ
لِقَوْلٍ وَحَدَقَ بَيْنَ الْقَسَائِرِ أَنْتَ تَأْزِلُهُ
قَصِيرَ السَّمَكِ قَدْ رُفِّحَتْ طَلِيكَ بِهِ جَنَائِلُهُ
بَعِيدَ زَوَارٍ الْجِيرَانِ ضَبَقَتْ مَدَاخِلُهُ
أَلَا إِنَّ الْمُنِيَّةَ مَدَهْلُ وَالْحَلَقَ قَائِلُهُ
أَوَاخِرُ مَنْ تَرَى قَفْنِي كَمَا فُتِنْتَ أَوَائِلُهُ
لَسَرَّكَ مَا اسْتَوَى فِي الْأَسْرِ عَالِمُهُ وَجَاهِلُهُ
يَعْلَمُ كُلَّ ذِي عِلٍّ بَانَ اللَّهُ سَائِلُهُ
قَاسَرَخَ مَازَراً بِالْحَبِيدِ قَائِلُهُ وَقَائِلُهُ

في قصر العبر وحقيقة الغنى

أَلَا هَلْ إِلَى طُولِ الْحَيَاةِ سَبِيلُ وَأَنْتَى وَهَذَا الْمَوْتُ أَيْسُ يُقْبَلُ
وَأَنْتَى وَإِنْ أَصْبَحْتَ بِالْمَوْتِ مَوْقِفًا قَلْبِي أَمَلٌ دُونَ الْيَقِينِ طَوِيلُ
وَاللَّهِرُ الْوَانُ تَوَخُّعٌ وَتَمْتَدِّي وَإِنْ تَفَوَّسًا بَيْنَهُنَّ تَسِيلُ
وَمَقْدَلٌ حَقٌّ لَا مَفْرَجَ دُونَهُ لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَيْهِ رَحِيلُ
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبَهَا حَتَّى الْمَاتِ طِيلُ
إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مَدَنِي فَنُ عَنَاءُ الْبَاسِكِيَّاتِ قَلِيلُ
سَيَمْرُضُ مِنْ ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
وَلَا حَقَّ أَحْيَاءًا لِعَمْرِي مَرَادُ وَتَقْلُ عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ تَقِيلُ

ولم أرَ انساناً يرى حبيب نفسه
ومن ذا الذي ينحرم من الناس سالماً
اجلك قوم حين صرت الى الفتى
وليس الفتى الا عني زين الفتى
ولم يفتقر يوماً وان كان معديماً
اذا مالت الدنيا الى الناس رغبته
وان كان لا يحظى عليه جميل
والناس امر قالوا بالظنون وقيل
وكل عني في الميوس حليل
عشبة يقري او عداة يبيل
حوادث ولم يستغفر قط مجيل
اليه ومال الناس حيث ميل

في ذل السؤال

أندري اي دل في السؤال
يعز - على التردد - من وعاء
اذا كان السؤال ببذل وجهي
معد الله من خلق دبر
نوق بدأ تكون عليك مضلاً
بدأ تعلم بدأ جميل فعل
أنفكر ان تكون اما نعيم
وانت تروم قوتك في عفاف
مقي نبي وتصبح مستريحاً
تكابذ جمع شيء بعد شيء
وقد يجري قليل المال مجرى
اذا كان القليل بدأ فقري
هي الدنيا رأيت الحب فيها

وفي بذل الوجه الى الرجال
ويستعني العفيف بغير مال
فلا قربت من ذاك السؤال
يكون الفضل فيه ملي لا لي
فصانها اليك عليك حال
كما حلت اليقين على الشمال
وانت تصيب في فيه اللطال
وربما ان ظلمت من الزلال
وانت الدهر لا ترضى بحال
ونبغي ان تكون دعي مال
كثير المال في سدر الحلال
ولم اجدر العسكرة فلا أمالي
مواقفة التفرق عن يقال

غير الزمان

نادت بوشك رحيلك الايام
أفلمت تسمع او بك استصام
ومضى امامك من رأيت وانت للباقين حق يلحقوك امام

مالي اراك كأن عينك لا ترى
 تأتي الخطوب وانت منته لها
 قد ودعتك من القاء ترواة
 عروس^(١) المشيب من الشباب خليفة
 أهلاً وسهلاً بالمشيب مؤدماً
 ولقد عشت^(٢) من الشباب بمطقة
 لله ائتمنة عهدت رجاءها
 أيام اعطيت الاحكام حزينة
 فليعرفه أبحرت ائتمن الذي
 رمن مكاسب اهل مدحولة
 رمن تحامي المكرمات سراته
 زمن هوت اعلامه وتعلمت
 ولقد رأيت الطامع^(٣) لا اشتها
 ما ذخرف الدنيا وزبرج اهلها
 ولرب اقوام مضوا لبيلمهم
 ولرب ذي قرش شهدة به
 وعشت اذ ظل الحثوف كثيرة
 والنبي مزدحم عليه وعودة
 والموت يعمل واليون قروة
 والله يقضي في الامور بطله
 والخلق يقدم بعضه بعضاً يقود الحنف منه الى اللى القدم
 كل يدور على البقاء مؤتملاً
 عبرا عروا ككنين سهام
 فاذا مضت فكنتم اعلام
 فاحذر ما لك بعد من مقام
 وكلاهما نعم عليك حمام
 وعلى الشاب تحية وسلام
 وقد وقك مثاره الاحكام
 في الثبات وانهم ليعوام
 اذ لا يضيع لذي الذمام فنام^(٤)
 هلك الادامل فيه والايام
 دحلاً فروع اصوله الآتام
 حتى كأن المعصومات حرام
 قطعاً ليس لاهله اعلام
 وهم لاطلاق القرب طعام
 الا عودك حكله وحطام
 ولستيت كما مضى الاقوام
 امسى عليه من القرب ركام
 والناس من عال الحثوف نيام
 والرشد سهل ما عليه رحام
 تلهو وتلم باهى وتنم
 ولمرأ يحمده مرة ويلام
 وعلى الفاء تديره الايام

(١) وفي نسخة . عروس (٢) وفي رواية . عشت

(٣) وفي نسخة . ادع يصح لدى سمران دنام (٤) او ككنين

في الذكر الطيب

سكّر بدمي به سكّر
مح في دبري بحنا
دار سوء لم يذم فوح
ما نزي من اهلها احدا
عما من معشر سلفوا
وقرؤا اللبيا نعيم
تركوها بعدما اشتكت
كل حي بعد ميتته
ان مال المرء ليس به
في سبيل الله معنا

ما بهدوا يؤذن الزمن
عر دلاها ناطق سن
لامرئ فيها ولا حزن
لم نسل فيها به الفق
اي غير بين عسوا
وانشوا فيها وما سكروا
بينهم في حبها الا حزن
حنه من ماء العصفور
به الا ذكره الحسن
كثب ما نزل مرتين

خدا ع لاماني

الدهر ذو دول والموت ذو عطل
ولم نزل به من مقتدر
والشئلي هو المحور جاسه
يسكي ويضحك ذو نفس مصرفة
يا بائع الدين بالدنيا وباطل
حتى متى انت في الهوى وفي العسر
ما كل ما يتنى المرء يدره
والناس في رقدية مما يوادهم
أصفا هذيت دا ما كسب مستصفا
يا رب يوم انت شره مقالة
لا تحقر من المعروف اصغره

والمرء ذو اذل والناس اشاء
يجري بها قدر والله احراء
وانس حيث يكون المال والطاء
والله اضحكه والله انكاه
ترضى بدبتك شفا ليس يسواه
وت تحو كيهوي ههنا فاه
دب امرئ حتمه فيما عناه
والحوادث تحريك واتناه
لا نمن للناس شيئا لست ترضاه
ثم استعانت بصوت العبي شره
أحسن عافية الاحبار حسناه

وكلُّ امرٍ له لا يدُّ هاقبةً وخيرُ أمرٍ ما احدثت عُقُباته
 تلهو والدوتُ مُخافتاً ومصحفاً من لم يصبَّحه وجه الموتِ مُسَاء
 ما اقرب الموت في الدنيا وابعد وما أمرٌ حنى الدنيا واحلامُ
 كم تافس المرء في شيء وكابر فيه م الدس ثم معى عنه وخلاء
 بيد الشقيق على إمبر يُسرُّه اذ صار اعطيه يوماً وسخاء
 يبغي عليه قليلاً ثم يُخرجه فيسكن الارض منه ثم يساء
 وكلُّ ذي اهلٍ يوماً سيفقه وكلُّ ذي عملٍ يوماً سينفاه

ابو تمام

حبيب بن اوس الطائي

ولد بين ١٨٨ و ١٩٢ هـ وتوفي ٢٣٠ او ٢٣١
(حوالي ٨٠٤ م — ٨٢٥ م)

توطئة تاريخية - مدح وحم - شخصيته في شعره - خصائصه الفنية
(التأنق البديعي - التمعن المعنوي - الشغف بالامراب)

مصادر دراسته

- طبقات الشعراء لابن المعتز (١٩٣٩) ص ١٣٣ - ١٣٥
 مروج الذهب لمصعودي (أوروبا) ج ٧ ص ١٦٠ - ١٦٧
 الأعاني (بولاق تصحيح الموريني) ج ١٥ ص ١٠ - ١٠٨
 وفي سيرة ديك الجن
 الوساطة للعرجاني (تصحيح أحمد الزين) ص ٢١ - ٢٨ و ٦٢ - ٧٢
 الموزنة للأمدى (الاستانة ١٢٨٧)
 الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء للرباعي (مصر ١٣٤٣) ص ٣٠٣ - ٣٢٩
 اخبار أبي تمام للصولي (تشر لجنة التأليف والنشر ١٩٣٧)
 تهذيب التاريخ الكبير لابن عساکر (١٣٣١) ج ٤ ص ١٨ - ٢٦
 ترجمة الألباء للأنباري ص ٢١٣
 وفيات الأعيان ج ١ - تحت حبيب ص ١٦٩ - ١٧٣
 حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ٢١٠
 خزانة الأدب للحدادي (بولاق) ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٢
 هبة الأيام للبديعي (تشر محمود مصطفى ١٩٣٤)
 ديوان أبي تمام للخطاط
 ديوان أبي تمام (تشر معلم الأسود)
 ومواضع شتى في كتب الأدب الحديثة كدائرة المعارف للبستاني ومجلة الحكاية
 ومجلة المجمع العلمي ودائرة المعارف الإسلامية ، ودراسات عمر مروج وعدد العربيد سيد
 الأهل وسراها .

توطئة تاريخية

يؤخذ من المصادر التاريخية ان ابا تمام ولد حوالي ١٩١ هـ في قرية يقال لها حاسم - وهي على ما ذكر ياقوت قرية تعد من دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبريا . ولا يعرف عن حياته فيها شيء . يذكر ، الا انه قد يلاحظ مما نقله ابن حاكم وابن عساكر انه كان في صفره يعمل عند حائك او قرّر في دمشق (١) .

وكل ما يمكن استخلاصه من شتى الروايات ان والده رجل مسيحي اسمه قدوس الطاهر ، عرف بعد اسلام الشعراني اوس ويجمعون به الى قبيلة طي ولدته أم بالطائي . وفي ديوانه مواقف يفخر فيها بهذا السبب تذكر منها هنا قصيدته التي مطلعها - « تصدّت وحل البين مستعصدا شرر » ومنها

وحل خاب من خدماء في اصل طي * مديّ المديين القلبي أو عمرو
لنا جوهر لو غاط الارض اصصعت وبطنائها منه وظرائها تد
مقاماتنا وكف على الطام والحبي فاردا كهل واشيتا حلو

ويأخذ فيها يذكر كرام الطائيين وابطالهم وما كان لهم من مرد الوقائع ويختتمها بقوله :

ساع يضل الشعر في كه وصفها فإ يهدي الا لاضرها الشعر

والجميع عليه انه انتقل وهو فتى الى مصر . وكان يلازم مسجدها يخدم فيه اهل العلم والادب . فنشأ هناك . ثم جاب الاقطار فزار بغداد وخراسان وبيسان وبلاد الجبل والحجاز واربينيا والموصل وسواها . وشعره مفعم بما يدل على كثرة تحواله في الاقطار ، وتحمله للشاق والاعطار .

واذا دققنا في ديوانه وسيرة توضح لدينا انه هبط مصر يافعا . ففي قصيدته التي

(١) وفيث الاعيان ١ - ١٥٣ وخلاصة التاريخ الكبير (١٣١١) ٦ - ١٩

قالها في مصر مادحاً آل الرسول ومطلعا « اطيعه » حيث استتت الكسب الغر « ما يشير الى انه قالها وهو في البهية عشرة : واليك هذه الايات منها

وان فكيرا ان يضيق عن له عشيرة مثلي او وسيلته مصر
وما لامري من قاتل يوم عثة ساء وخديته الحداثة والفر
وان الذي احذاني الشيب للتي رايت ولم تكمل له السع والشر

قالها تأملت البيت الاول شعرت بقله حديث العهد بمصر ، وانه انما اتمها وسيلة للارتاق - ويشت لنا ذلك ما جاء في حسن المحاضرة للسيوطي من انه هبط مصر « وهو في شببته ^(١) » ، وكذا ما اشار اليه مرضاً ابن حلكان وابن عساكر انه كان في دمشق يعمل عند حاكم - ويقول المزياني ان اول نومه كان يدمشق ^(٢) .

وفي شعره ما يدل على ان حياته في مصر لم تكن على ما يزعمه كثرة شعره فيها نعتان متبرهن يستثقل الإقامة في وادي النيل . وهذه قصيدته الغالية شاهدة بذلك ، نظمها وقد مر عليه خمسة احوال في مصر فقال فيها -

منفي ارض الشام لا ايمن الحى ولا ابسر الدهنا ولا اوسط الرمل
عدتي عنكم مكرها غربة النوى لها وطري في ان تير ولا تخلي

الى ان يقول

أخسة احوال مضت لميه وشهران بل يومان كسل من الشكل
وبعده من ان بيت ومساء على عجل ان القضاء على رسل
لقد طلعت في وجه مصر بوجه بلا طالع سحر ولا طائر سهل
وسوس آمال ومذهب همة حثمة بين المطية والراحل
نأيت فلا مالا حويت ولم اقم فامتع اذ وجدت ملال والاقل
وكان ودائي من صريجة طينة ومن ووهب من امامي ما يسلي
فلم يك ما جرعت نفسي من الاسى ولم يك ما جرعت قومي من الشكل

والذي يحصل من هذه الايات انه كان قبل خمسة احوال ترك قومه وجاء مصر منتحاً

الرزق ، فلم يبق ما يترخاه ، ولم يحمله على القاء فيها حتى الآن الا القضاء المعاكس .
 ويفهم من ذلك ضمناً انه ترك اهله وفيه مطامع . ولا تكون المطامع عادة قل ان يشرف
 المرء على البلوغ . فتأخروا على ما يظهر حنين اليه الاسلام وهو في الشام فقل ذلك
 مدحاً لما فيه من الطموح وطلب العلم ^(١) ، وطن انه ينال عاقبته في مصر فأمها . ولصيق
 ذات يده وميله الى الادب لزم المسعد بخدم اهل العلم ويأخذ عنهم .

وما زال كذلك حتى نزع واشتهر بهجر مصر قاصداً كمدار الرجال في العالم الاسلامي .
 وبلغ المعتصم خبره حمله اليه الى سامرا (سر من رأى) فزومه ومدحه ، وكان في زمانه امير
 الشعراء وحامل رايته .

ثم عينه الحسن بن وهب على بريد الموصل ، فقصى في هذا المنصب السنين الاخيرة
 من حياته ، وتوفي هناك . وقد رأيت غنيمة سرارته ان نثرت لها قائمة بأهم بمدوحه مرتبة
 بحسب عدد القصائد التي قيلت فيهم

أهم بمدوحه الى تمام

ابو سعيد محمد بن يوسف الثوري وآله ٢٩ قصيدة (من طي) وكان من كبار القادة
 آل وهب ورر . الدولة ١٣ * بنسبهم العصر في بني الحرث بن
 كعب ولكن الصحيح انهم من
 الموالي ^(٢)

١٢	المتصم ٨	} الخلفاء العباسيون
	المأمون ٢	
	الوائق ٢	

(١) وقد حمل ذلك من من كبار الصناديق في عصره وسده كآل . بعض وآل ثوانه وآل
 وهب . وكانوا من دولاء الناس وكانت دولتهم ناصرة وأهمهم شرقه - المعري ١٣٧ و ١٨٢
 والعمرت ١٣٥

(٢) راجع قصيدة التي تمام ٥ هل اثر من ديوانهم دعس ٤ واختارات سارودي ٣٧٢ قول ابن
 الرومي عن ابن وهب ٥ وذو نسب من آل سامان شايك ٤

القاضي احمد بن ابي دؤاد (الابادي الحنفي) ١٢	كان قاضي الدولة ومن اكبر المستعدين فيها
حامد بن يزيد بن مزيد (الشيدلي) ١٢	من الامراء والقادة
مالك بن طلق (التطلي) ١٠	امير عرب الشام
محمد بن الهيثم بن شيانه ٨	من اهل مرو (من الموالج) (١٢)
آل حبيب الطوسي (طائي) ٦	ومنهم محمد بن حبيب وقد اشتهر في حرب بارك
ابو الفيث الرافعي وآله ٥	امير الشام
مبد الله بن طاهر بن الحسين ٤	فارسي الاصل (خزاعي اولاً) احد كبار رجال الدولة وامير خراسان
ابو دلف تقاسم بن عيسى (المعالي) ٤	قائد عربي كبير وصاحب الكرخ
محمد بن الزيات الكاتب المشهور ٤	وزير المتصم
اسحق بن ابراهيم المصمي (الخزامي) ٤	تأسس بغداد
عبد الحميد بن غالب الصفدي ٤	
محمد بن حسان (الذي) ٤	
آل سهل ٤	الوزراء والكتاب وهم من الفرس
الافشين ٢	القائد التركي الكبير
علي بن مرثد ٢	من كداه طلي

شخصيته في شعره

لابي عام مزيتان باردتان ، صعد على المشاق للو غ لى وشدة غفرانه واحسانه بنفسه ،
يضاف الى ذلك ميله الى الاسراف في المال والقوى . فاذ قرأت ديوانه رأيت مغمماً عما
يدل على انه نشأ مفاشراً في سبيل الحياء والمال وقد رادته كثرة سعادته عزماً ومضاء ،
فليس اذن من الغريب ان نسمعه يقول

ذريبي على اخلاقي الصم لتي هي اوفر او سرب تر نواده

اي ذهني - على ما في من حاق شديد - اغوص عمرات الحياة فاما الغنى او الموت .
وقوله من قصيدة اخرى

واسكنني لم احز وفراً محملاً ففزت به الا بشمل مدد
تؤذ في نفس الشاعر تعبر لنا عما يختلج في نفوس الملا - المزمى الدين يابون حياة
الموت ، فية بحزن الاهوال ويجوضون القهر طلاً للعلم والمجد ، ومنه ،

ليس ، كفاف الحزب وهدس وقمراً واصحصر قراراً رويد
بلى ان ارض نه عيب بدوحة ومهصرب للغانك المتعرد
تلك روح قلقة كثيرة المطامع ، وهي التي حملت شاعرنا على ترك قومه في الشام ، ثم
على ترك مصر والصرب في احوار الارض . وقد صدق في وصف حاله اذ قال

دات الثنايا العز لا تشرضي عند انهارق نقتلين وحيد
ما ابين وجه المرء في طلب الهوى حتى يسود وجهه في البيد

وانك لتكاد تعس صلاة نفسه في ابيانه التالية -

لا أقر الطوبى لقلاص ولا رى مع زهر نسوان اشده فيودي
شوقاً ضرحت قداته من مشربى وهوى اطرت لحاه عن عودي
هامي وعام العيس بين وديقة مسجورة وتنوفة صبيودي
حتى اعدد لكل يوم بالفا لظاير مبدأ من نبت العيد

وملخص هذه الايات : اني لست من الذين يركبون العيس توصلاً الى طرب او
للهمي فرامي ، واسكنني رحل اسفار مشرس مقطع الدواب المحرقة ، وكم تركت لطبورها
نصباً وافرأ من ياتي - يشير بذلك الى صلاته وحبه وشوقه الى انقطاعه . والكثير في
شعره ينضح بهذه ارواح المذمومة ، حتى شعره في مصر - وهو في اول هذه وقد قيده
الدهر بقيود الفقر - زاء بهم ذلك ينهم على نفس مرّة صدمة . ومن قوله في ذلك

وطال قصوي ارض مصر لحاة يقال لها اقبح بهتي وأسمج
اقلب في اقطارها الطرف كي ارى ولست برء ذاك عصاة ملتحي
عقني بأسي واعلم انني مقود بجبل القادير مدمج

اما عفتوانه فظاهر فيما روي عنه يوم قصد عذائه بن طاهر امير خراسان . قدوا لما
فرغ من انشده ببيتته التي مطبخها « اهن عراذي يوسف وصواحيه » نثر عليه الب درهم ،
فاستقبل الشاعر ولم يمس منها شيئاً ، بل تركها للعبان ينشطون . فوجد عليه الامير وقال
يتروم عن بري ، ويتهاون بما اكرمته . فلم يبلغ ما اراده منه بعد ذلك . واي عفتوان
اشد من ان يقصد شاعر اميراً حليلاً كان طاهر فيسجد ، ثم هو يرى هذه الامور اقرب من
قدره ، فيرفع عن سبها بيده . وهذه الصاهرة الخفيفة في شعرنا تنعني سباً ايضاً في
حق ابي العليبي المتني كما سقى عدداً من الشعراء وهي قد تهيب بشاعر الى وزن
نفسه بيزان بمدوحه ، او الى الشاعر والثناء على زملائه ومدونه . حد قصيدة ابي تمام
التي قاله يمدح قصي لدولة العباسية حمد من الى دؤاد ويعتذر اليه عن اساءة ، واوها

ارأيت اي سوانب وحسود مت لسابدين اللوي فزروود

وفيها يذكر فضل المدوح وعزل قومه (اياد) ويقرن ذلك مدح طي (قبيلة لشاعر)
ويجمل اياداً وطياً متساويين في الحمد فيقول

كعب وحاتم الذان تقصحا خطط العبي من طاروق وتلبد
هذا الذي خلف المحارب ماتدا في الحمد بيته خضرم صديد

ثم يتقدم الى الاعتذار بآيات قدل على شدة نومه ومنها

دعج مقالة وان لم تشبهه آراؤه عند اشتباه الببد
اسرى طربداً للحياء من التي دعوا وليس لرهبة بطريد
كمت اربع امامه ، ووراءه قمر القائل خالد بن يزيد
ما خالد لي دون ايوب ولا مد العزيز ولست دون يزيد

والتأمل في هذه الآيات يعجب من هذه العراطف التي تعني عليه ان يقول لمدوح
عظيم يعتذر اليه . لم تترك رهبة منك بل خجلت من ان تهتم به ، وان مثلي في الاعتذار
اليك مثل يزيد بن المهلب لما استعذر من الوليد بن ايوب بن سليمان بن عبد الملك وبجهد
العزيز بن الوليد فشفا له . وما خالد الذي يشعني في نازل مهيب ، ولا انا راقص من يزيد
ابن المهلب .

ومثل ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف -

وكنت اذا ما زرت يوماً مسوداً مرحت وجاني في مسارح مزود
فان يحزل النعمى تشة قهاندي وان ياب لم القح باصوات مبعود
ليس ما كاف الحري وودس وقم واصطغر قرار لود

فكانه يقول اني شاعر كبر النفس اقصد الاسع العظيم ون كادني با يستحق مقالي
كافاته با يستحقه من القوائد ، والا فاني اتحول منه الى الضرب في آفاق الارض .

ام تعاطيه شعره فهو كثير كقوله يصف قصائده

وسيارة في الارض ليس منازح على وخدها حرن سبيق ولا سب
تذرت ذرور الشمس في كل بلدة وقسي جرحاً ما يود لها غرب
اذا أنشدت في القوم طلت كاهها مسرة صكر او تداعها نعب
مفضلة بالؤلوه المستقى لها من الشعر الا اها اللؤلوه المرحب

وقوله -

خذها معة في الارض آفة بكل فهم غريب حين تعوق
لا يستثنى من خير الكتب رونقها ولم ترك تستقي من بحرها الكتب
حسبية في صميم المدح منصها اذ اكثر الشعر ملق ما له حب

وقس على ذلك ما لا يسمه هذا المقام .

على ان ابا تمام كان - على صلاة نفسه - موصوفاً بكرم النفس وحسن الالاق (١) .
وكان محباً للشرب والماء ، لا يكاد يحصل على المال حتى ينفق في سبيل المسرات .
هو في ذلك كأكثر شعراء عصره . ورغم ما تجده في شعره من التعصب الديني عند
ذكره للروم لا نجد في سيرته او في شعره تمسكاً شديداً بفروض الدين . قال المسعودي
كان ابو تمام ساجناً خليفاً ، ودجا اذاه ذلك الى ترك مواعيد ورضه فاحشاً لا اعتقاداً (٢) .
وبكلمة اخرى كان مستهتراً قليل المالاة ما يتطله حسن الاعتقاد .

(١) نزعة الانبياء لابن بري ٢١٤ وابن عاكر ٤ - ١٨ الى ٢٩

(٢) مروج الذهب ٦ - ١٥١

قصائده الغنية

قال ابن رشيح القيرواني لا مد لك شاعر من طريقة ثعلب عليه كالي نواس في
الحر ، واني تمام في التصنيع ، والحقوقي في الطيف الخ^(١) . وقال الخرجاني في الواسطة
كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استقر فيهم الوهم
ودل الى ارضية ، فاحرجه الى التمدي ونجحه اكثر المحدثين^(٢) . وقال ابو العرج
الاصمعي « واه مذهب في مذهب هو كاسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه
قله وقالوا القليل منه ، فان له فضل الاكثر والسيرك في جميع طرقه^(٣) » . ووصفه
الآمدي بقوله « وشعره لا يشبه اشعار الاولين ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات
والمعاني الموضوعة ثم يقول « فان كنت تبتل الى الصحة والاماني الغامضة اني تستخرج
بالقوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فبتمام اشعر^(٤) .

هذا هو رأي جمهور العلماء الذين في شعر الى تمام . والذي يطالع ديوانه ويدقق في
تقنه معانيه يرى فيه ثلاث مزايا باردة وهي -

١ - تأنيقه اللفظي (واكثر ما يظهر ذلك في الاستعارة والطباق والجناس)

٢ - تقننه المعنوي وهو ، يسميه البعض بالاحتراف

٣ - شغفه بالانحراف - او القوص على ما ينصعب من الالفاظ والمعاني

ولنبسط لك هذه المزايا واحدة واحدة

التأنيق اللفظي

لم يحل الشعر العربي في عصر من العصور من الابد بأساليب البديع او الصناعة اللفظية
والمنصوية . كان ذلك منذ ايام الجاهلية ، فقد عرف امرؤ القيس يسبقه الى الكثير من
لصائف الوصف والتشبيه ، وعرف ربيع بن خثيف قصائده وتكرير النظم فيها وتنقيحها

(١) الواسطة ٣٧٤

(٢) المدة ١ - ١٩٢

(٣) الموازنة ٣

(٤) الاعي ١٥ - ١٠٠

« وربما رصد أوقات نشاطه فشاطاً عمله » ولذلك سميت الحارليات مضافة في تألقه وأصنعه ،
ومثله الحطيشة .

وأذا راجعت شعر الباقية والأعشى وجبري والاحطل والعزذق والي نواس وشار
ومروان ومسلم وسواهم من امراء الشعر الذين تقدموا ابا تمام ، نجد في جميعهم اثر الميل
الى الصناعة يتبدت فيهم بالنسبة الى الشاعر واحواله . قال ابن رشيق عن صبح الشعر
القدماء « واستطروها ما جاء من الصفة نحو البيت او البيت في القصيدة بين القصائد ،
يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره . فاما اذ كثر ذلك فهو
مريب يشهد بجلاى الطبع واثير الكلفة . وليس يتبعه التثنية ان يتأتى من الشاعر قصيدة
كلها او اكثرها متصنع من غير قصد ، كالذي يأتي من اشعار حبيب والبحتري وغيرهما ،
وقد كانا يطلبان الصنعة ويومان بها » (١) .

وقد كادوا يجمعون على ان مسلم بن الوليد هو اول من توسع في البديع ، وتبعه فيه
جماعة منهم ابو تمام — روى ذلك الاصفهاني في سيرة مسلم بن الوليد وقال ان ابا تمام
حل شعره كله مذهباً واحداً فيه . ونقل عن محمد بن يزيد قوله كان مسلم اول من عقد
هذه المديني الطريقة واستخرجها . ومن القاسم بن مروه اول من افسد الشعر بمسلم بن
الوليد ، جاء بهذا الفن الذي ساء البديع ، ثم جاء الطائي بعده فتمس فيه (٢) .

والحقيقة ما ذكرنا من ان انواع البديع منشورة متفرقة في اشعار المتقدمين ولكن
مسلم بن الوليد اكثرها وكان يحتذي حذر الثاني ، وكان هذا يحتذي حذر ناس (٣) ،
ثم قام ابو تمام فزاد على مسلم . وكان العصر الذي نشأ فيه شاعراً (ابي صدر الدولة
العباسية) عصر انتقال في الادب من الطريقة البدوية القديمة التي عرف بها صدر الاسلام
الى الطريقة الحضرية المبنية طريقة التيسر والتأنق . والظاهر ان ابا تمام كان من الشعراء
الذين تأثروا بهذه الطريقة فجرب فيها شوطاً بعيداً وصار على ما يرى بعضهم امام هذه
الصناعة . وفي شعره من الشواهد على ذلك ما لا يحتمل المقام الاسهب به فنكتفي هنا
بالقليل منها — قال من قصيدة

(١) المدة ١ - ٨٢ (٢) راجع الموارنة ص ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ (٣) ص ١٣٦ (٤) ٢٣١

(٥) البيان والبيان ١ - ٢٢

تقومين ان لم اطلو منشور عتق
 انزلت انواب البصائر عزّة
 كأنك لا تدريين طعم ميثمة
 فصوني قناع الصبر الي لراطل
 امات حياة الوعد منه نوافل
 طوت من لساني مدح كل مزبد^(١)
 كنتك ثياب الزبر من كل مرشد
 نزع دماً من طعم ذلك التبد
 الي بحر جود غامر الفضل مزبد
 من الجود اضمت للغة بجرصد

وقال مادحاً احمد ابن ابي دؤاد

ما زلت ارقب تحت افشاء المني
 لولاك عزّ اقزؤ^(٢) وبيا بقي
 اوردني اليد الخفيف وقد أرى
 اما اقربص فقد حدث بضمه
 احسته اد كال بيت محب
 قد كانت حل اشكتك وسوم
 ما عدتها الا تقيق وه تون
 يوماً بوجه مثل وجهك ايضاً
 اضفاف ما قد عزّني ثيابا مضي
 انبرض الشد البكي^(٣) تدرّض^(٤)
 جنب الرشاء مصرحاً ومبرّضاً
 وارددت حياحي صار منسأ
 اسوأ بي امراره ان ينعصا
 لمربصا مانكرات مبرّضا
 وله متقدراً

لا انت انت ولا الديار ديار
 كانت محاورة الطلول وعما
 ايام تدمي عينه تلك الدمي
 اذ لا صدوف ولا كرد سماها
 ييض هين اذا رمتن سوافراً
 خفّ الهوى وتولّت الاوطار
 زماً عدب الورد وهي بحار
 فيها وتفر لهُ الاقمار
 كالعينين ولا نوار نوار^(٥)
 صوراً، وعن اذا رمتن صوار^(٦)
 وقال من قصيدة في ابي دلف العجلي

نصفاً منانيه تش عراضها
 فتركب من شوق الى كل راكبه

(١) المراد النجم

(٢) الصبر يرجع الى الخفة

(٣) لمد اخيف اي السم اوامر الامور انبرض الشد البكي اي اطلب الله القليل هنا وهناك

(٤) الصوار، القطيع من قر الوحش

(٥) صدوف وكنود ونوار اسماء

إذا ما غدا أعدى حكمة ماله هدياً ولو ذقت لالأم خاطب
 يرى القبح الأشياء أرونة أمل كمنته بد الأمور حلّة خائب
 وأحسن من نور تفتحه الصبا يياض العطايا في سواد المطالب
 إذا أجمت يوماً لحيم وحولها بنو الحصن نجلّ الحصنات النجائب
 فإن المنايا والصوارم والقنبا أقربهم في الزوع دون الأقارب
 جفاصل لا يترحكن ذا نجرة سلباً ولا يبحرن من لم يحارب
 يمدون من أبرد عواص. «واعم» تصول مايف قواض. قواضب

وامثال ذلك كثيرة في شعره بل هي مذهبه المسم - وقد قاده شغفه بذلك إلى الاسراف والخروج عن حادة المعقول ، حتى رماه الكثيرون باسمه القند الحادة . قال الجرجاني ان «قام اسم نفسه بتشكيف» يرى انه من مر على اسم موضع يحتاج إلى ذكره او يتصل بقصة يذكرها في شعره من دون ان يشتق منه تحبيب او يصل فيه بديعاً ، فقد ياء ثم و حن بغير حتم ^(١) . وقال الأدي في ابوارته بعد ان ذكر آراء المحرفين عن أبي تمام «كلهم يريدون اسره في صلب الخطأ والتعيس والاستدراء وامرأته في التماس هذه الأوب وتوسيع شعره بها ، حتى صار كثير مما في من المعاني لا يعرف ولا يصح عرضه فيها . لا مع الحكد والكسر وطول التأمل ، ومنه لا يعرف هذه الأباطن ولو كان احد نحو هذه الاشياء وعيون فيها ولم يجدد الأباطن وبعثني بحدة ويقتره . مكروهة ، وتقول ما تسبح به طره وهو بجهاهه غير متم ولا مكروه ، واورد من الاستعارات ، قرب في حسن وعبدعش ، واقتصر من القول على ما كان محدوداً نحو اشعر . المحسن يسلم من هذه الاشياء التي تمنع الشعر وتذهب به وروقه - ومن ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر - لعلته كان يتقدم عند اهل العلم ، اشعر اكثر الشعراء المتأخرين ^(٢) . وقال القلابي بعد ان ذكر بضعة امثال على تصحح إلى تمام «هذا وما شبه انما يحدث من علوه في الصعقة حتى يعنيه عن وجه اصواب ، وراء اسرف في المطابق والمخالف ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استغن عن نظمها واسترحم رصفه ، وكان التكلف بارداً والتصرف جامداً ^(٣) .

والذي يطالع ديوانه تحريماً لهذه التهم يتضح له ان اكثر ما ذكره حتى وان ابا تمام كثيراً ، يأتي بالاستعارة او الكناية دون ان يراعي التناسب بين الحقيقة والحال كقوله -
وركر يساقون الركاب زجاجة من السير م تقصد لها كف قاطب
يقصد بذلك ان المسافرين يشادكون ركائبهم في السير الشديد الذي لا ين فيه ولا
تؤدة . فاستمر للسير الشديد الحز الذي لم تخرج به وحمل تشركه اركب وركائب به
عادة من تساقبهم تلك اخر الصرف . وانت لا تحتاج الى تأمل كثير لتري شدة التعسف
في هذه الاستعارة

ومثل ذلك بقوله -

ضاحي الحيا للهجير وللقنا نحت المعاج تحاله محراثا

فالشطر الاول جميل ، جمل المدح من ذوي الاقدام والتعرض للشاق ، ولكنه
المش في الشطر الثاني اد جعله محراثا يشق صار الحرب واقصد جمال البيت
وقوله -

آثرني اذ جعلته سدا كل امري لاحي الى سده
ايثار شزر القوي رأى جسد السمور اولى بالطلب من جسده

والشاهد في البيت الثاني وهو يريد ان يقول آثرني ايثار القوي وقد عار المعروف
وقام ينصره . فتأمل استعارته الجسد للمعروف ، وايثار القوي له بالتطبيب !
لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو ان القضاء وحده لم يجد
وانك لتسمر تشميرة البعد في هذا البيت . وهو يقصد ان يقول ان حيثك قد
ثارت يوم اقيمت العذر وكذبت فتلك به لولا ان القضاء حال دون ذلك : وسعد نفسه
حتى جاء بالطباق ، ولكنه جاء متأبارداً
وانظر الى تعسفه اذ يقول

نوى كانهضاض النجم كانت نتيجة من الهزل يوماً ان هزل النوى جد

اي ن النوى فاجاته مفاحاة فلم يصدق اولاً ، ولكن ألم وقوعها اراه الحقيقة وعلمه
ان هزل الحبيب جد
وقوله -

وكان افندة النوى مصدوعة حتى تصدع بالفرق فؤادي
فذا فصضت من الليالي فرحة خالها صدوتها بحداد

ومعناه ان فؤاد النوى بقي مصدوعاً حتى صدع بمراق الاحبة فكما فتحت لنفسي
منقرجاً خالتي الايام حسنت ذلك المنفرج بالحداد . فاطر كيف تكلف تصديق افندة
النوى ، وكيف استعمل الحداد كعجبر يسد به ثغرة الفرّج
وقوله -

اهيس' اليس' لئلا الى مهم تفرّق الاسد في آذيها اليسا

انظر الى هذه المهم التي ترى الاسود غرقى في عبارها . وكل ما يريد ان يقوله ان
المدوح شجاع همه تفوق همه الاسود الشديدة
وقوله -

هدأت على تامل احمد همي وطاف تقابدي به وقياسي

معناه رأيت الناس يسمون الى المدوح فقلبتهم ووجدته بالقياس افضلهم ، فهدأت
همي المصطربة عنده . قابل هذا المعنى بما استعاره له من هدوء الهمة وحسب التقليد
والقياس فخرى شدة اسرافه في الصناعة
ومثل ذلك قوله -

لو لم تفت ميين' الجيد من زمن بالحدود والبأس كان الحد قد خرقا

ومعناه ان الجيد قد هزم ، ولولا ان ارجعت اليه فتوته بجودك وبأسك لكان قد
ادركه الحرف .

ومن الاسراف المحقوت قوله

فلويت بالمعروف امتاق الوردى وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

وقوله -

قررت بقرآن عين الدين واشتقت بالأشقرين عيون الشرك فاصطلمنا

والاشتقان قائدان المروم

قال المسكري وهذا مع مائة قطه وسوء التحنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو ان اشتاد الدين لا يوجب الاصطلام .

واليك هذه الابيات يصف حفنة حملته الى المدوح ، وانظر كيف يتعسف في تشبيهها بالجمال وكيف يخرج به لتكلف من حدود الجمال

حملت رجاي البيت بنت حديقة علب ، لم تلقح لعل مفرق

فبعثت وقد حرت اميدة واشت في شطرها وتوهمت في النيب

في البيت الاول يريد سنة الحديقة اطلاق اسمية لها تصنع من حبس الحديقة ، وشبه النماء بالفعل ، ولم يلقحها اي لم يصبا نظر . فتأمل هذه الدجاجة اسمية ، وفي البيت الثاني - سرمت هذه السمبة وهي ست مئة والكتب في نشر الخنيز ، وسارت غابيتها في بحر كالصعراء

الى ان يقول -

فاعتاص در حمة معجولنا ندس بحيلة خلقتها متاعف

بي فاحتارها من حول الشجر حير حادق سنانها

ثم اجتنت شوي نصرت حبسها متعصكاً بقرار بطن مسدوف

اي ثم حلتني فكنت في بطنها كما يكون الخنزير في بطن امه .

والذي ارجع القاري الى هذه القصيدة ليراجعها ويحكم بنفسه على هذه المحارث . وامثال ذلك كثير في شعر ابي تمام ، فادرك لا تكاد تقر له قصيدة حتى تمر بيت او بضعة بيتات من هذا الشعر المكشود الذي ينفر منه الذوق السليم . ما فيه من قبح الصنعة والاهتمام بالقشور دون الالباب .

تفتت المعنوي

على ان لا ينام مع كل اسرامه في الشعر الصنامي مكانة عالية في الشعر العربي -
وما ذك الا لدقة تصويره وحسن اختراعه - ففي شعره كثير من الصور البليغة التي تشهد
له بخودة الخيال وبعد مرامي النظر - والذي يراجع ديوانه بروية ويصعد على تحليل معانيه،
يجد من بدائنه الشعرية ما اطف من وصف او مجاز او حكمة او لبس لاساً قشيباً من
البلاغة - واليك امثلة ذلك من شعره

واذا اراد الله نشر فصيلة طويت اتاح لها لسان حسود
ولا شغل النار في جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وحودة اثنين في حمل الصورة التي ترى فيها الحسود تاشرف فصل الحسود، وفي النشيد
هي ذك من الدم لطيفي تشبهاً يوضها وبقرها في الذهن - وقد قرن كل ذلك برفقة
بصارة وحودة لا تخط ومن ذك قومه تفرق من مير اقم الحجاب على بابه وهو في
مابة البلاغة

ليس الحجاب يفتن عك لي ولا ان لسان نرعى حين تختب
وقوه يصف عدم اجتماع المال والكرم في شخصه

لا تسكري عطر الكرم من المعى هليل حرب لله كان العالي
ومن حمل صوره الشعرية قوه يرثي والدين صغيرين لاحد الامراء والبلاغة ناطقة فيه

لهمني على تلك لشواهد منها لو اهلت حتى تكون شاملاً
اندا سكوتها معي وصاحب حلاً وتلك الاريجية قائلاً
ان الهلال اذا رأيت نوره ابقت انه سيصير بدرأ كاملاً

وهذا البيت لاخير الذي اتى به تشبهاً لما كان يرعى من دينك الولدين هو من ابدع
الامثال وادقها - ومثله بلاعة وحملها قوه المشهور يصف بلوع الارب من سبيل المشقات
ونسكي لم احور وفراً مجئاً فقرت به الا شمل مبدور

ولم تعطني الايام يوماً مسكيناً الذُّهُ به الا ننوم مشرد
وطول مقام المروء في الحلي مخلق لذي حاجته فغلب تنجدد
فاني رأيت الشمس ريدت محبة الى الناس ان ليست عليهم يسرمد

وقد اجاد في هذه الابيات كل الاجادة ، وبرز هذه المعاني الديمة بقالب يأخذ
بجامع القلوب . ومن حسن احترامه قوله يصف مشيبه الباكر

ستٌ ومشرون تدعوني فاتبعها الى المشيب هلم تظلم ولم تحمد
فأصغري ان شيئاً لاح لي حدثاً واكدي انني في المهد لم اشب

يعذر المشيب ويقول ليس العريب اني شبت في السادسة والعشرين ، وسكن الغريب انني
لم اشب وانا طفل : يشير بذلك الى ما في نفسه من حرم وحمية ، والى ما اصابه منذ
طفولته من مقارعة الاهوال والخطوب

وقال يصف كرم المدحج واودحام الشعراء على بابه

ولو كان يقضى الشعر افتاء ما قوت حياضك منه في العصور النواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحاب منه احقت نسائب

والصور الشعرية في البيات الثاني حلالة ، لاحكام التشبيه فيها وجمال التركيب .

ومن هذه الصور الخلابة قوله من مرثاته المشهورة

وقد كان قبل الموت سهلاً فرداً اليه الحفاظ المرء والمخاطق الوعر
ومسٌ تخاف العار حتى صكاً هو الكفر يوم الروح او دونه الكفر
فانبت في مستنقع الموت رجلاً وقال لها من تحت أحنصك الحشر

وقوله به يصف اميراً اسم الله عليه بنعم عظيمة ، ولكنه كفرها وتقص مهد الولاء والوداد

كم نعمة قد كانت عنده فكأنها في حربة واسار
كيت سائب لومه فتضاءلت كتضائل الحساء في الاطوار

وقد شهد البلغاء لابي تمام بالتقدم في ذلك . قال ابن الاثير في كلامه عن المعاني التي
تستخرج من غير شاهد الحال « ان لا يبتكارها سراً لا يهجم على مكانته الا جهنم

الشم ، ولا يفوز بحاسنه الا من ذق مهمه حتى جل عن دقة القهم . ثم يقول : قد قيل ان اب عام اكثر الشعراء التأخر ابتداءً للعالي ، وقد عدت معانيه المتدعة (اي التي لم يسبق اليها) فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . واهل هذه الصاعه يسكرون ذك ، وما هذا من مثل الي عام بكبير ^(١) .

وقد اصاب الاستاد ضموط اذ قل - حق يقول ان اب عام هو كي قال فيه واصفوه شاعر واسع الخيال دقيق التصور بعيد مرامي الطر ، وقدر انه لو عاش فوق الاربعين ، ولم يجمه الانهالك في الشهوات من ترقب محبوباته ومدركاته ، بل لو عاد عليها بالتهذيب ونشذيب ، فطرح منها ما حقه ان يطرح واتقى منها ما هو حدير مائة ، ثم جمع الاشبه ونسب اثر - لو عاش حتى ومن كل ذك - كتاب شعره بعدها لا يتماق به ، تتماق ، وايز على الاربع الشعراء . قصه حتى با الطيب المتني في كثير من حكمه وامثاله وبعد مطالع نظره ^(٢) .

وسكي ان ننهي على الي عام ميله الى تكلف المديح عمده لما نجد في شعره من نفس طال في الظلم يؤثر في النفس فيحلبها الى الصنقات العليا . اقرأ اباً شئت من هيون قصائده ، ونظر الى تلك المرأة التي تعزبك لقراءتها . هذا حالها وحديثها مزيجاً من جمال النظم ومثابة التركيب وسحر السكر . ونجتهى ، هنا عشرين او ثلاثة من ذك -

راجع قصيدته المشهورة في فتح حمورية وتأمل مقدمتها - تلك الوطفة الشعرية العالية التي يرينا فيها الشاعر ، المدب العربي ، ويسما احديث الجهور عنه ، ثم يتخلص من كل ذلك تمهيداً ساحراً لتوصل الى الممدوح ، وروى الواقعة العظيمة التي فتح فيها حصون الامعاء . كل ذلك بأسلوب شديد الأمر بديع الخيال بلا الاسماع ويحرك اوتار القلوب . وذا استثبتت بعض ما ذكرناه من تصفه فان معظم القصيدة من هذا النمط العالي - كقوله يصب فثل قاذد اروم ومحاوخته امر . مستصريح بالمال وترفع الخليفة من ذلك -

لما رأى الحرب ربي العين توفلس والحرب مشتقة ادمى من الحرب
عدا يصرف بالاموال جريتها فعزّه الحر ذو التبادر وحذب

هيئات رُعمت الارض الوقور به
لم ينق الذهب السري بكثرة
ان الاسود اسود العباب همها
ومن هذا النمط التالي قوله

ستصعب العيس في ذا الدين عدتي
صدقت عنه فلم تصدق مودته
كالثبت ان حنته واداك ريقه
ككنا هو في احلاقه ابد
كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب
عبي وعارده ضي ولم يحب
وان ترحات عنه ليح في الصلب
وان ثوى وحده في حقل حب
وقوله -

ويوم امام الموت دحس وقفته
حالت به وجه الحليفة والقنا
فلو نطقت حرب لغات محنة
ولو خرفه الدين لامل كانه
قد انصت بين الصلوح مذاهبه
الا هكذا وليكسب الحمد كاسبه

فانت ترى في كل ديك ترعته العنية الشديدة ، وو قللت ديوانه لوجدتها في اكثر
شعره ، وهذه الفرقة وما فيها من عنف وشدة اسر هي التي حدثت عمريديه الى التغابي
عنده وهذه امام هذه الصاعقة ، حتى قل ابو الفرج الاصمعي « وفي عصرنا هذا (القرن
الرابع الهجري) من تعصب له فيمرط حتى يفضل على كل سائر وحالف » (١) . بل هي
التي دعمت ابا ذؤيب العجلي ان يصيح وقد انشدته ابو تمام قصيدته التي مطلعها

على مثلها من ارفع وملاعب اخيلت مصونات الدموع السراكب

يا معشر ربيعة ! ما مدحتم قط مثل هذا الشعر ، فما مدحتم لقائله ؟ فبادروه بخمارهم
يؤمنون بها اليه . فقبل ابو ذؤيب قد قبلها منكم واعاركم لبسها ، وسأوب عنكم في
ثوابه . ثم امر له يحيى بن درهم وعال واثق ما هي باراء استحقاقتك وقدرتك فاعذرتنا (٢) .
ولم يكن ذلك محمدا اهتزاز لاصديح ، وسكن الرجل قأثر بنس الشامر وحلال اسلوبه .

ونلاحظ ذلك في مجلس عداقة من طاهر أمير خراسان ، فانه لما قصده واشده قصيدته
 « انهن عواذي يوسف وصواحه » لم يتالك الشعراء الحاضرون من ان يصيحوا ما يستحق
 هذا الشعر عبر الامير حفظه الله . وبلغ التأثر ما حدتهم ان قال : لي عند الامير امة الله
 حاترة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا رجس حراء على قوله للامير (١) . ومثل ذلك ما جاء
 في الاعالي عن محمد بن سعد كاتب الحسن بن رجا ان اقام مدح الحسن بلاميته التي
 يقول فيها

انا من عرفت فدن عورتك جهنة هنا المقيم قيامة العدال

فله وصل الى قوله

لا تذكرني حبل الكرم من الفى دليل حرب لم يكن العالي
 وتنظري حيث الركاب ينصبها محي القربص الى مبيت المال

صاح المدوح متأثراً ، والله لا انتم الا وناقم . فله انتهى من اشادها عاقبه ، قال
 محمد بن سعد « واحد منه على يدي عشرة آلاف درهم واحد غير ذلك مما لم اعم به على
 بخل . كان في الحسن بن رجا . (٢)

ولا شك ان في شعر شاعرنا روعة خاصة ، فهو يجمع بين المصداقة اللطيفة وحرارة المعنى
 جملاً يبرز النفس ، ويعمل بها ما فعل تعاصره . ومنه دمس يوم سمع بعضهم يشد بيته اقام

شهدت لقد اقوت مانيكم بدي وعلقت كي مئت وشئع من رد
 واجدتم من بعد اتهام داركم فبادمع انحدي على ساكي نجد

فتأثر دمس - على كرهه لاني قام - وصاح احسن والله وحيل يردد « وبدمع انحدي
 على ساكي نجد » (٣)

وبلا كثرة تصنعه وما سنذكره من التعقيد والاعراب لاحتته هذه الروعة الفنية
 اعلى محل في الشعر العربي .

(٢) الاعالي ١٥ - ١٠٢

(١) الاعالي ١٥ - ١٠٣

(٣) ١٥ - ١٠٧

شُفُّف بالاضراب

« يذهب الى حزونة اللفظ وما يبلأ الاصباح منه مع التصنيع المحكم طارِعاً وكرهاً .
يبقى الاشياء من بعد ويطلبها سكلعة وياخذها بقوة » (١) . ذلك رأي ابن رشيق القيرواني
فيه ، وقد اصاب كل الاصابة ولا سيما في قوله « ياتي للاشياء من بعد » ويراد بذلك هيئته
والعرب من المعاني التي يحتاج في فهمها الى تأمل ومشئة .

ومثمن سقته الى هذا المقد ابو الحسن الخرجاني اذ قال بعد ان ذكر اعراضه العظمى
وتعديه البديع (٢) « ثم يرض بهائس الخلتين حتى احتلب المعالي العاصمة ، وقصد الاعراض
الحقيقية ، واحتل فيها كل عث ثقل ، وارصد في الامكار بكل سبيل ، فصار هـ
احسن من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الحاضر
واخل على التريجة . هو كما قال ، يغطي مقاصده شيء من الابهام . ومن هـ هـ
الصعوبة التي يماسها من يطالع ديوانه اذ يقف حائراً امام طلاسمه وهووس معانيه ، وسكن
اذا راضته بالدرس والتفكير رأى فيها ما يبدؤه من صور جميلة ومكان رشيق . وله
وصف الشاعر قصائده بقوله -

فكأنما هي في السماع حنادل وكأنها هي في القلوب كواكب
وغرائب تأتيك الا بها صنيعت الحسن الجميل اقارب

تقدر على شعره فتصدرك وعورته ، فتعزل النخب عليها وتكد نفسك في تذليل
حقائقها ، وسبكك لا تلت ان تشعر بشعب قد يحملك على النكوص . على انك اذا صبرت
وتابعت الشاعر في اساليبه وغرائبه واحذت تحلو نفسك معانيه ، حدث عاقبة هذا العمل
وشعرت بما يستهويك من مدح تحيلاته وحرارة انطوائه . ولئن ضرب لك بعض الامثلة على
ذلك . قال في مطلع قصيدته اعدائه بن طاهر

اهن عوادي يوسف وصواحه معرفاً قدماً ادرك السؤل طاله
اعادلتني ما احسن الليل مراكباً واحسن منه في الميت راحته

دعيني على اخلاقي العجم لاني
فان الحسام الهندواني انما
هي الورق او سرب ترن نواده
خشوته ما لم تغل مضاربه

ذكروا انه لما بدأ في اشد هذه القصيدة في مجلس الامير قبل ٤٠ سم تقول ما لا يفهم ؟
وجب السائل له لا تفهم ما يقال ؟ نسكتة حيلة تدن ما نقصد اليه . ومعنى هذه الايات
عزماً : هل تريد . واني ان تشعبي وتشي عروتي عن العجم ، وان تحذعي كما حاولت ان
تحذع يوسف بن يعقوب ا فلا تدرع منكم ، لا بد لكل طاب موظف من ادراك طلبه .
ويا ايها العادلة ان الليل مركب خشن ، ولكن الذي يركبه شدة منه واخشن . فاطر كيني
على اخلاقي الشديدة اسمى في طاب امي ، فاما ان ابها او اموت وتندبي الفواذب . فان
الحسام الهندواني القاطع انما خشوته (عدم مضاربه) ما لم يستمس (اي انما مضاربه) ارجل
بالعمل والاقدام .

وقوله يصف امالي الروم ويمتدحهم على مناعة حصونهم -

وقل ذو امرهم لا مرتع صدق
ان الحمامين من بيض ومن سر
للسارجين وليس الورد من كشم
دلوا الحياتين من ماء ومن مشب

اي قل قدتهم لانفسهم لا مرتع قريب للاعداء (اذ اراموا الحصار) ولا ماء فلا يملكهم
النقاء طويلاً . على ان اماليهم هذه قد فشت لان السيوف والرماح (الحمامين) هي سيلنا
الى الماء والعشب -

وقوله يصف - كيد المدوح للاعداء وحسن رأيه -

قد رأوه وهو القريب بعيدا ورأوه وهو البعيد قريباً
سكن الكيد فيهم ان من اعظم ارب ان لا تكون اربا
مكرهم منده فصيح وان هم خاطوا مكره رأوه جيا
لقد انصمت والثناء له وحده يراه الرجال جهماً قصوا
طاعاً منحراً الثمال متيحاً لبلاد العدو موتاً حنوا
فضرمت الشتاء في اخذه ضربة عادرته قوداً ركوا

اي ان الاعداء رأوا المدوح على قربه منهم بعيداً عنده ، ورأوه على بعده قريباً

منهم لغزومه وهجومه الشديد . وقد خفيت سياسته عليهم - ون من اعظم هون السياسة
ان لا يظهر الدهاء للاعداء - فلم يدركوا خططه مع ان خططهم كانت لديه واضحة .
ولقد عدت اليهم والشت في ايامه فطعنتم منحر الشمال (يعني بذلك عن العدو لانه من
جهة الشمال) حاملاً اليهم الموت من الجنوب ، وضربت الشتاء عادته حتى اصبح لديك
كالجلد الركوب .

ومن هذا القبيل -

يقولون ان الليث يث نخبة نواحدة مطروقة ومخاله
وما الليث كل الليث الا بين عشر يعيش فواق فاقه وهو راحه

ويحل هذا الظلم بقولنا : ليس الاسد سم الهاب ولكن الاسد الحقيقي هو الذي
يحمل بأس اسدوح ولو قليلاً (فواق مائة)

وقوله للعاذل الخلي وهو بين الطلول

وما صار في ذا اليوم عدلك كله عدوى حتى صار جهلك صاحبي
وما بك اركان من الرشد مركبا الا انما حاوت رشد الركائب

لم يصير عدلك عدواً لي ، حتى صار جهلك صاحبي : اي كرهتك لذلك ايادي
ولكنني ما ابنت ان رضيت لك لجهلك لوعة الحب ، اد لك تحريك تستطيع مسامدتي
فتمنني مثلاً من شدة الوجد وكثرة ليك . ولكن ما لك تحلي على اتساع صدر
الرشد وترك الوقوف من الصول - يس ذلك رشدي بل رشدي ركني التي ترهب في
متابعة السير .

. . .

ومن اسباب امره ومبوجه شمه الرشد ناطق وحداش كقوله
فلشس طالعة من د وقد ائت والشس واحدة في دا ولم تحب

. . .

هو مدبر للحدود وهو نقيض وهو مقص اسال وهو حبيب

. . .

فانت اديه حاضر غير حاضر يدكر وعنه عائب غير عائب

غرت خلانقه واعرب شاعر فيه فاحس معرب في معرب

ومن طلائع في ذلك قوله -

وركب يساقون الركاب زجاجة من الصبر لم تقصدها كتب قطب
فقد اكلوا منها القوارب بالسرى وصارت لها اشباحهم كالحوارب
يصرف سراها جذيل مشارق اذا آتاهم عديق مغارب
يرى بالكعاب الرود طالعاً نازر وبمرس الوعاء عرة آيب

ومناها - وركب شاركوا به قهم بالسر الشديد حتى اذوا استمها وكواهلها ،
وبقود هؤلاء الركاب رحل خبير بالاسفار شرقاً وغرباً ، شموه بالفر على الينق حتى انه
ليرى في وجه النافذة جبالاً ، ويكره المكوث في الدار ولا يرى في وجهه الحسان ما يفريه
على ذلك .

ومن دواعي غرضه افرقه في استعمال الريب من الالفاظ . جاء في كتاب الموازنة
« كان ابو تمام يتذرع حوشي الكلام ويتعمد ادخاله في شعره ^(١) » . ولعل ذلك راجع
بالاكثر الى كثرة محموضه ودرسه لاشعار الاقدمين . قال الامدي « كان ابو تمام مشغولاً
بالشعر مشغولاً مدة عمره بتغييره ودراسه ، وه كتب اختيرت فيه مشهورة - منها
الاختيار القائل في الاكر ، وقد مر على يدي هذا لاختيار . ومنها اختيار آخر ترجمته
القائل ، ومنها لاختيار الذي تلذذ فيه بحسن شعر اهل البيت و لاسلام واحد من كل قصيدة
شيئاً حتى انتهى الى اروعهم بن هرة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول .
ومنها اختيار تلذذ فيه بشيء من الشعراء المقلين والشعراء المغموضين وينقب بالحماسة ، وهو
اشهر اختياراته . ومنها اختيارات الملقطات يذكر فيه شعراء المشهورين وغيرهم والمقدمين
ولتأخرين وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه شغف به وجهه وكده ،
واقصر من كل لآداب والعلوم عليه ، فانه ما من شيء كبير من شعر جدي ولا سلامي

ولا يحدث الأثر، واطلع عليه ^(١) . وقبل أنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة فير القصيد والمفاهيم ، وقد هو عن نفسه لم اعظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون رجال ^(٢) .

ولا ريب ان لا يعط تأثيراً على أسلوب الشاعر أو الدار ، ولا سيما في أبان قوة الحافظة . ويظهر ذلك في ميل شعره الى استعمال غير المألوف من الأوصاف والعبادات . انظر الى هذا البيت وقد ذكر قبلاً

اهيس اليس له الى هم
تفرق الاسد في اذنيها الليبا
اي شعاع تفرق بحور همة الاسود الجريئة
وقوله

اواردى حياض الموت متافئة
نأ ثباً وكادياً كادياً
ويريد بتأفة مترفة . ونأ ثأ اي حمامات جماعت
وقوله وهو مطلع قصيدة

امسا انه لولا اهوى ومما حده
مواهبه قد افقرت واجالده
لاعطيت هذا الصبر في طاعة
ليعلم دهري اي قرن يكابده
اي لولا ان نأى الاحباب من الديار قد افقدني صدي سألته اندهر شباني على مصانه
اي رجل اتا
وقوله

فل المرودة العاصح حزمه
بالميس ان قصدت وان لم تقصد
اي طوى السهول والقفار حزمه
وقوله

سهاد يرحمن الطرف منه
ويوابع هكل طيف بالعدد
اي سهاد تثقل فيه الجفون

(٢) ابن حنكاه ١ - ١٢٠

(١) الموازنة ٢٣ و ٢٤ (بصرف)

وقوله

تثقل في أحم الهاري وشومها على كل شر مثلب ومرد
 أي تضارب لي الياق ارءادية والسوداء على كل فلاة سوداء الحجارة
 وفي قوله

صه صلق في الصهيل تحسه شرح حلقومه على جرس
 يصف حصانه بشدة الصوت حتى كأنها حلقومه شد أي جرس
 ومن هذا القبيل -

عططت على دعم اندى مزم بابك نعمرت عطاً الاتحيمي المرعل
 الكلام استمارة مضاه : شققت عزم « بابك » بـ « بابك » كما تشق الثوب لمعطط
 وقوله

حكان بابك بابتدئ بعدهم نؤي أدم خلاف الحمي أو وتد
 بكل معرج من فارس بطل حاحن فلق فيها قفا قد
 والمعنى كأن بابك ، وقد في حيشه ، اثر نؤي أو وتد بق في الحمي - فنت لا ترى إلا
 أشلاء حيشه مفعلة ، وفي كل ناحية ومعطط انار الريح المتكسرة
 وقال -

مقابل في الجديل صلب القرا ر حك من عجه الى كتفه
 أي كريم ادس قوي الظهر لو امتنع من عجزه الى كتفه لوحد كدات
 واراد مرة ان يطلب فرواً من ممدوحه فوصفه بهذه الايات العربية
 ولا بد من فرو اذا اجتاده امرواً عدا وهو سمري الصاب اعلى
 اثيث اذا استعنت مصقعة به قلات علماً انها سوف تعتب
 يوام الشيف المرتعن فينشي حيراً فتته الصا فتسك
 أي اذا به الإنسان تطلب فيه على الرد وهو كثيف الشعر اذا استرضيت الرد به رضي
 واد رآه المطر البارد المنهم أنثى هه كليلاً ومالت عنه ربح الصا .

ونحن هذه الأمثلة على ميله لاستعمال الشعر من الألفاظ بيتين من همزيته المعروفة -
قال في مطلعها

قدك أنشأ رببت في الطواء . كهم تعذلون وأنتم سُجرائي
أي استحي يا لأمي يحكيك علواً في تصيفي . وكيف تلوموني وأنتم مثلي معيون
بأنهم .

ومنها يصف اليد والشياع

يدٌ لسل العيد في أميدها . ما أريد من قيد ومن عدوا .
أي قدر قطعها على ناقة دول ، فيها كل ما يطلبه الراكب من عرم ومضا . ومن فرج
للأموم .

وامثال هذه الألفاظ في شعر أبي تمام كثيرة فنية . وقد ذكر المتقدمون المتقدمون ذلك عليه ، وقد ادّعى للعراقي فتح وهو مستحسن من المحدث الذي يس هو لفته ،
ولاً من كلامه الذي تجري عادته به ^(١) . وقد ذكرنا أن أكثر ذلك راجع إلى شفه
بالقديم وكثرة محفوظه . على أن هـ ش ساً آخر وهو شدة إعجابه بشعره ، حتى لم
يكن يرضى أن يسمه مادي تهذيب . قال أبو الهلال العسكري كان أبو تمام يرضى بـول
حاضر فسمي عليه عيب كثير . وعن الأعمى - روي عن بعض الشعراء أن الأعمى أشده
قصيدة به احسن في جميعها إلا في بيت واحد ، فقال له يا أبا تمام لو القيت هذا البيت ما
كان في قصيدتك عيب . فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الراس
عنده مثل أولاده ، فيهم الجليل والقيح والرشيد والساقط وكلهم حلوا في نفسه ^(٢) .
وكان شاعراً كما وضعه الأمدي شراً إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ، وحلحة فكره ،
خط الجيد بالودي . ولدين النادر بالود الساقط ، وأصواب بالخط ^(٣) . على أن لشعره
طابعاً من الجلالة أو الفعالة تعرف به . وعليه قال ابن الأثير يصف الفاظه -
« كأنه رجال قد ركوا خيولهم واستلأوا سلاحهم وتأهوا للطراد » ^(٤)

(٢) الأعمى ١٥ - ١٠٠

(٤) الشن السائر ١٠٦

(١) الواردة ١٣١

(٣) الموازنة ٥٦

المختار من شعرابي تمام

وإذ بعيد الفجر كثير الحداد يردد الدهل فلا يسعه إلا بعد أن تكثر قدماءه وينقطع
نفسه ، على أنه ذا وصل وجد فيه ما يسبه أهوال الطريق ومتاع الرحيل ذلك هو
يوغام في شعره هذر كثير التأنق ولوع سلوكك أعرب السهل إلى المعالي .

فتح عمورية^(١)

قويت في المعصم سنة ٢٢٣ هـ وكان لشمر قد صدقه في هذه المعركة وشهد بنفسه
رقائنها^(٢)

السيف صدق نسب	في حدة أحد من الجند
بص الصفايح لا	متروك حلاء الشئ
ولعلم في شهر	من الجيوش ^(٣) لا في السعة الثم
ب بوية من بن السجود	صاعده من ربحها ومن كذب
تخرص	ليست ببيع اذا عدت ولا عرب ^(٤)
عذرهم ربحوا الأية	عنهم في صغر الأصفار أو ربح
وجوههم ليس من ذهب	ادد ^(٥) كوكب العربي ذو ليل ^(٥)
وصيرو الأبرح لعبا موقنة	ما حكن منقلباً أو غير منقلب
بعضون بالامر بها وهي	ما دار في فلك منته وفي قضب
نوبت قط امرأ قبل موقنة	لم يحب ما حل بالاولثان والنسب ^(٦)

(١) المعجزة ١٧١

(٢) عمورية سنة حمية في الاناضول كانت بيد الروم

(٣) الحميصي دي الحميصي (٤) السبع شعر صب تعمل منه الفسحة . والعرب شعر

عش . والمحق أن اقوالهم ليست من الحقيقة شيء

(٥) دارة إلى مدب ظهر في ثقت بديام ولحنه مدب «عالي» راجع المختطف مج ٣ ج ٦ - ١

(٦) كشي دلاوثان والصب عن الروم . ويريد هذا البيت أنه لو كان الشجر يبيع لعرف الروم

ما يجعلهم قاتلوه

نضم من الشعر أو نثر من الخطب
وتبرز الأرض في أثواب الشمس
مبك إلى حقل مصوله الخلب^(١)
ولشركين ودر اشرك في صب
فداءها حبل أمر برقة وأب
كسرى وصدت صدوداً عن ي كرب^(٢)
شبت فواصي الديني وهي لم تشب
محض الحينة كانت زينة الخلق^(٣)

مها وكان أهم مراحة الكرب^(٤)
قاي الدوئل من آتي دم سرب
لا سعة الدي والاسلام تحض^(٥)
للدريوماً دليل الصخر ولخش
بشنة وسطها صبح من اللهب
عن لوها او كأن الشمس لم تغب
وصفة من دحان في ضحي شعب
والشمس واحدة في ذا ولم تحب^(٦)
عن يوم هيجاء منها طاهر حب^(٧)
ماي ناهل^(٨) ولم تعرب على عزب

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به
فتح تفتح ابواب السماء به
يا يوم وقع عذرية أنصرفت
أنيت حد بي الاسلام في صفة
أم لهم لو رحوا ن تعدي حبرا
وبرة اوجه قد اميت رياضتها
من عهد إسكندر او قل ذلك قد
حتى اذا غص الله المنيد لها

أنتهم الصكرية الودود سادرة
كم بين حيطها من فارس مطلق
بنة السب والخطي من دمه
قد تركت أمير المؤمنين بها
فادرت فيها بيم الليل وهو ضحي
حتى كأن جلايب الدجى رغبت
ضوء من النار واطمأء عاكفة
فالشمس طالعة من ذا وقد أظت
تصرح الدهر تصریح الميم لها
لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على

(١) شبه بلوغ الاماني بحلب الفرج الملائن بالحب الجديد

(٢) شبه المدينة بأمرأة مارة للعاس رابا المذرك الدخون وسمعت عليهم

(٣) اي كذا المرأة اعرصة محض الخلب لا متخرج ودره هكذا تحضت الايام فكات

هورية وصل ما حرج منها (٤) انهم المصدة من اديبه وكانوا لما غنوا يوقعون الفرج ٣٠

(٥) اي كم من درس قن فيهب فقال دره قابلاً حتى حبب شعره ولكن تحبيب السيف لا التحبيب الذي تقتضيه بساء

(٦) في هذا البيت والايات الارسة سافرة يذكر حريق اللدة ويثنى في وصف الدخا ونظم

(٧) حرج محض اي طاهر لا محض لاعدائنا - او طاهر باعداد محض باستباحة الاعراس

(٨) مايل اي مقروح

ما ربيعُ بَيْتٍ مَمْرُورٍ يُطِيبُ به
ولا الحُجُودُ وقد اُذْمِيتُ من حُجُورِ
مِصْرَاقٍ عَيْتٍ مِنْهَا الصُّيُوفُ بِهَا
وَحَسُّ مَقْلَبٍ نَدُو عِرْقِهِ

لو يعلم الكفر كم من اعصر كفت
تدبير متصم به مستقم
ومُطَمِّعُ ادصر لم تحكهم امته
م يقرُّ قوماً وهم يهد^(١) الى دهر
لو لم يؤدَّ حَقُّهُ يوم الوعى لورا
دسى بك الله رُجِيها مذهبها
من بعدما اُسْوِها وانقز بها
وقال ذو امرهم لا مرتع صدق
امانيأ سلتهم نَجَحَ هاجها
إِنْ اِلْخَامِينَ مِنْ بَيْصٍ وَمِنْ سُورِ

لما رأى الحرب رأي العين توالس
عدا يصرف بالاموال حريتها
هيئات رُفِزَتْ الارض ابرقور به

به المنة بين البحر واقضب
فه مرتقب في الله مرتقب^(٢)
يوماً ولا حصت عن روح محتجب^(٣)
لا تقدمه حبش من ارتقب
من نفسه وحدها في حجب حب
ولو رمى بك غير الله لم نصب
والله فتاح باب المعقل الاشيب
للساحين وبس الرد من كذب^(٤)
طبي السيوف واطراف الداء الشلب
ذوا احيائين من مساء ومن مشب

والحرب مشتقة المعنى من الحرب
ومرء البحر ذو التبر واحد
في دور محسّر لا عزو مكتسب^(٥)

- (١) عيلا هو الشاعر ذو الرمة ومنه فائدة . وفي هذا البيت وما بعده يقول ان الشعر احمق
لديا من كل الحيوان وان حركات المدح الداعي في دهرنا هي من كل سطر حس
(٢) وفي رواية مرتقب (٣) الصغير واحص الى الملاية المتصم . وانكمهم الاسنة
اي نكن من القطع (٤) جدعني نقص او ارتفع
(٥) في هذا بيت وسيتبين التاليين يدرك ان الروم لم حصوا المدينة وشيأوا . لجصار قال اولو
الامر عنهم ان يستطيع المسدود حصرا ان ليس لهم حارجهما مراع ولا مياه . ولكن بك الاماني
كذبها سبوقنا ودماحنا فكنا (اي السيوف والرماح) الوستين اوصول الى الماء والعشب
(٦) يريد جدا البيت وما سبقه ان فانه الروم « يوجيوس » لم رأى شدة الحرب عليه اراد ان
يقول محاربا معه بارثا الخليفة بالمان بواكر هيئات دك والخليفة انا محروب حب الجهاد لاحبا بالمان

لم يُنفق الذهب الذي مكثه نه
 ان الاسود اسود الغاب هُتْ
 وأى وقد ألهم الخطي مطلقه
 موكلًا ببيع الارض بشرقه
 تيمون ألفا كآد الثرى بصحت
 يدرب حواء^(١) لما احث دابره
 ومعه رجت بيض السيوف به
 والحرب قنعة في مرق حرج
 كم بيل تحت ساعا من سى قر
 كم كان في قطع ساق زوقا بها
 كم احث قصص الهندى مصنفة
 بيض انا انتصيت من حصر رجعت

على الخصى وبه فقر الى الذهب
 يوم الكورية في المطلوب لا التلب
 بصحة خلع الاثاء في صخب
 من حقة الحرف لا من حقة الطرب
 ابرهم قس نصح التين والسب^(٢)
 طالت روى صيحت بالمك لم تطلب
 حى الرضى من رداهم منبت الهض
 نحو الكبة به صمرا على الركب
 وتحت عذها من فارص ش^(٣)
 الى المدرة العذراء من سب
 تيمر من قصص تها في كشت^(٤)
 احق نابيض اندما من الحجب^(٥)

حديقة الله حارى انه - بيت عن
 نصرت باراحة لى كبرى فلم ترها
 ان كان بين صروب الدهر من رحم
 بين ابنته اللاتي نصرت به
 انقت بني الاصغر المراض كاهمهم

جزومة الدين والاسلام واحسب
 نال الاعى حصر من التلب
 موصول او دسام غير متقض
 وبين ايام بدر اقرب للسب^(٦)
 صغر انجوه وحأت زجه العرب^(٧)

- (١) يهصد جيش الروم - فيه اشارة الى ما يحكي الروم كانوا يدفعون الى المدينة لا توجد قبل الصبح ولكن المسلمين كادوهم وحدثها قبل ذلك
- (٢) الحواء - النفس - اي كم من نفس لم تكن يدك بمسك طالت الا ان بناء الاعداء
- (٣) يكنى سى قسروا الفارص - نشب عن الحسن الفواقى - سوهن - وذهب اليه خنزي
- (٤) الكشب عن قامات اولئك الحسن
- (٥) اي سيوف اذا سلئت من اعدادها كانت احق ان تحتفظ اليها من حدودهم
- (٦) اي اذا كان من قرابة من ايام حروبك هذا اشدها قرابة يوم بدر الذي انتصر فيه النبي على المشركين
- (٧) بنو الاصغر اي الروم

وقال في أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

يذكر بعض وقائع في الشمال

من سحايا الطلول ألا تحبها	فصواب من مقتني ان تصوبا
فاسأها واحمل بكائك حواباً	تجدد الشوق سائلاً وحباباً
قد عهدنا رسوم وهي عكاظ	لأضأ ترددك حساً وطيباً ^(١)
أكثر الأرض راتراً ومزوراً	وصحوا من المرى وصوبا
وكعباً كعباً ألبها	علات الشاب برذاً قشيباً
بني الين فهدا قنماً نعم	رف فنداً للشمس حتى تقيها
من أشب بالمسارق بل حذراً	وسكى ضراً ولعلها ^(٢)
حصدت خذها لي أزلوه العة	بر دماً أن رأيت شواني خصباً ^(٣)
حكن داء يوحى السواء له	إلا الفطيم ميتة ومثيباً
يا سيب نعم دشت أرمي	حسني عبد الفولاني دوماً ^(٤)
ولن عت ما رني فدا	أسكرن مسكراً وعن معيا
ار تصدمن عن قني لكهي ماشب سي	وسيهن حليلاً
لو رأي لله ر ناعب حراً	جاورته الأبرر في الجلد شيباً
كل يوم تندي صروف انيلي	حافاً من الي سفير مجيباً
طاب فيه السيج والتد حتى	فاق وصفه الديار والنشيبا
عرثته اعني على كثرة الاهل	فاضحني في الاقربين حيباً
فليطن حمرة فومسات في مرور	مقيماً بها لمات عربياً ^(٥)
سقى الدهر داتلاد ولم به	تطير الدائسات حتى تنوبا ^(٦)

(١) يريد جدا البت وما بعده انه هذه الرسوم قد كانت قبلاً سوق العبا رتادها المشاق من

كل جانب (٢) قاصر ولوب دنانير

(٣) أي بكنت دماً اذ رأيت شعري محصباً لظهور شيب فيه

(٤) الثمام دات يبيس اذا يمس و يريد شيب الثمام الشيب

(٥) مرو حاضرة حرسان وهي بلدة المدوح

(٦) أي سقى واثب لدمر عكاظمه

وإذا ما الخطوب أبعثته كانت راحته حوائداً وخطوباً
 وعز الدين بالخلاد وحسن وعور العدو صارت سهواً
 فدروب الأشرار تدعى قضاء وفصاة الإسلام يدعى دروا
 قد رأوه وهو القريب بعيداً ورأوه وهو البعيد قريباً
 سكن الكيد فيهم إن من أعظم إرب أن لا تقمى أرباً^(١)
 مكرهم عنده فصيح وإن هم غايطوا مكره رأوا جلياً^(٢)
 وأمر الفبا الشوارع قروي من تلاح الطلى نجياً صيباً
 في مكرهم لروع كثر اكبلاً لصايا في طه وشرباً
 لقد أصمت والثناء له وحده يراه الرجال جهماً قطوباً
 طاعاً منعر الشمال شياً لسلاد العدو موتاً جرباً^(٣)
 في يال فكدت تبقي بجد الشمس من ريجها الليل شعراً
 فضرت الشتاء في أحديه ضربة غادته قوداً ركوباً^(٤)
 لو اصغنا من بعدها لصدا لقلب الأيام منك وجيباً
 عزوة متع ولو كان رأي لم تفرد به لصكالت سلوباً^(٥)
 يوم فتح متى سواد الصواحي كذب الموت رأياً وحلياً
 فإذا ما الأيام اصحن تحراً كطاماً في العمار قام خطياً
 كان داء الأشرار سيئ واشتدت شكة الهدى فكنت طيباً
 أضرت بكسي قطايك حتى صار ساقاً عودي وكان قضياً
 مطراً لي بالحاء والمال ما ألقاك إلا مستوهاً أو وهماً
 بسطاً بشدى سحائب كفى بندها أمني حبيب حبيباً^(٦)

(١) ان كيدهم لم يضر لهم . وأعظم الدفاع ان لا تعرف صاحبه .

(٢) أعيت العرب . ويريد البيت ان مكرهم ظاهر اما مكره صغير معروف لشدة دهائه . فسه مكرهم يصيح النطق ومكره بمن لا يفهم كلامه

(٣) إشارة انه مر العدو (في الشمال) يحش من الحروب

(٤) هنا حمل الشتاء كالجمل وقال ضربه فاعاد لك

(٥) المروءة التي بها سوادها واللوب عكس ذلك

(٦) حبيب الاولى اسم الشاعر . اي صرت محبوباً ومحترماً

وقل بمدح القاسم أبا دلف العجلي

واصفاً جوده وحسن دايه في الحرب

على مثلها من أربعم وملاصير
أقول لأقرحان من البين لم يصف
أعني أفرق شمل دمي فاني
وما صار يوم اندار عندك كله
وما بك لإركاني من الرشدة مركبا
فكلني إلى شوقي وسر بئر الهوى

أديلت مهورات الدموع السواكب^(١)
رئيس الهوى بين الحشا والقرن^(٢)
أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
عدوي حتى صار جهنك صاحبي^(٣)
إلا إنما حاربت رشدة الركائب
إلى حرقاتي بالدموع السواب

أמידان لهوي من اتاح لك البلى
أصابك أبكار الخطوب فشئت
إذا العيس لانت في أبا دلف فقد
هناك التي الهد حيث تقطعت
تسكاد مطايه بغير حزنها
إذا حركته هرة الهد ميوت
تسكاد مظايه تهن عراسها
إذا ما فدا أفدي كريمة ماله
يرى الببح الأشياء أوبة آمل
وأحسن من نور نقشه الصا

فاصحت مبدان الصبا واخذت
هوي بأحكار القلباء الكواكب
تقطع ما بيني وبين الثواب
غاية والحد حرمي الذوائب^(٤)
إذا لم يعرفها بنشمة طالب
مطايه أسماء الاماني الكواكب
فتركب من شوق إلى كل راكب
هدياً ولو زنت لألام خاطب
كسنة يد المأمول حلة خائب
ياض الطلح في سواد المطالب

(١) أي على مثل هذه الربوع تحت الدموع فشك من الآفة

(٢) أقول من حلقه من ألم الهد وحرقه الهوى في الصدر

(٣) وفي نسخة وما صار في ذا السوم، وقد مر تبين هذا البيت والذي بعده (راجع صفحة ١٧٨)

(٤) يريد تطهير للثياب وإرخاء الذوائب أن الحدود والحد قد نشأ وقتنا أشدها عنده

إذا فُجئت يوماً لأجمعٍ وحرلها
فان المايا والصوارم والقنا
جواهر لا يتحركن ذا حربة
يدوب من أبيض عواصٍ عواصم
إذا الخيل جابت قسطن الحرب صدعوا
إذا اقتحرت يوماً تميمٌ وقوسها
وانشم رمي قارمات سيوفكم
محاسن من محمى تقربوا بها
معالٍ تادت في الملوك كأمسا

بنو الحصن نجل المحصنات النجائب^(١)
أقادهم في الروح دون الأقداب
سلياً ولا يحرقن من لم يحارب
تصولن ما يبرق قواضٍ قواضب
صدور العوالي في صدور الكتائب
وزاحت على ما وطأت من مناقب^(٢)
مروش الدين استعزوا قوس حاجب^(٣)
محاسن اقوم تمكن كالهات
تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

وقد علم الأعرابي وهو الذي به
بنت لما استبدل النصر واكتفى
تجملته بالري حتى أرينته
بأرشق إذا قالت عليهم غمامة
سللت لهم سيفين رأياً ومُنعلاً
وكننت متى شهرد الحطير تفشيه
قد كرك في قلب الخليفة بعدها
قد نكس يد كرواوين حيث حاسد
فادت لديه حاضر عير حاضر

يهان رداء الملك من كل جادب^(٤)
أهالي تسمي في وجوه التجارب^(٥)
به ملء عينه محضات العواقب
جرت بالعوالي والسائق الشواذب^(٦)
وكل كنههم في الدجج ناقب
ضرائب امضى من رفاق المضارب
خليفتك التقى بأمل المراتب
بفضل قومه وتناً در بصقب^(٧)
بذكر وعنه عائب غير غائب

(١) في هذا البيت وما بعده يقول إذا ركبت قوم الممدوح (أليم وسواهم) لعمل عظيم فإن المايا والسيف هي أقارب التي تحارب حرمهم
(٢) إشارة إلى قوس حاجب من رواد التي استرحم ملك النرس والى وفاة حاجب وما ناله من
محر بذلك يقول ذا شعرت أنم حاجب فإن سيوفكم في يوم ذيقار قد ظهت القوس الذين
استعزوا قوس حاجب

(٣) الأعرابي فاند تركي كبير كان المتصم قد عند له لواء الحرب صدعوا
(٤) لما استبدل النصر واكتفى بما أخذ عليه التجارب أي انطلمت في وجهه لأمور
(٥) أرشق اسم مكان وقوله بنت عليهم غمامة الخيماء عمرتهم الحرب «بروح والحيول الكريمة»
(٦) سمعت هذا البيت كورداناً عند الخليفة، ومه تقرب منه مهم بتعدت وبعثت قول حسانك

اليك ارحنا عازب الشعر بعد ما
عرائب لاقى في فدانك أنسا
ولو كان يقنى الشعر اثناء ما قوت
ولكنه صوب القول اذا تحلت
أقول لاصحابي هو القسم الذي
واني لارجو عاجلاً ان تردني

تقبل في روض المعاني العجائب
من الجدير فهي الآن غير عرائب
حياتك منه في الصور الذواهب
سحائب منه عفت سحائب
به شرح اخود الناس المداهب
مواهنه بحرأ ترعى مواهي

وقال يمدح عبدالله بن طاهر

وكان قد قصده الى خراسان

أهـن هوادي يوسف وصواجة
اذا المرء تستخلص الخزم بفضة
أحاذقني ما اخشن الليل عركاً
ذريني واهوال الزمان أفاهبها
لم تلهي ان الزمان على السرى
دمي على احلاقي الضم لاتي
وان احبم المندواي انا

فغزياً فقدماً ادرك السؤل طالبه^(١)
فدروته الحادثات وعاره
واحسن منه في الملمات راحكه^(٢)
فاهوال المعطى قلبها رعايه
اخو النجح عند الحادثات وصاحه
هي الوفاء او حرب تر نوذه^(٣)
حشوت ما لم تقلل مصدريه^(٤)

وقلقل قاس من خراسان جاشها
ودكب كاطراف الاسنة هرسوا
لامر عليهم ان تتم صدوره
الى مدك لم يلق كلصك ناسه
الى سالب الجبار بيضة مملكه
سما للعل من جانيها كليب

قلقت اصنفي انضر الروض عازه
على منب والليل تصو عيره^(٥)
وليس عليهم ان تتم عواقبه
على ملك لا وللدل جانه
وامنه عاذر عليه وساله
محو ص المساء حاشت عواربه

(١) (٢٥٣ و٢٥٤) قدمه تفسير هذه الايات (راجع ص ١٧٧)

(٥) (٢٥) وركب كاطراف الزمان مضى - قدوا على بياى مثلاً مضى وعمره

فَنُؤْلٌ حَتَّى مَ يُجِدَ مِنْ بَيْئَلِهِ
وَدُو يَقْطُطُ مَسْتَرٍ مَرِيرِهَا
مَوَاتِهِ لَوْ لَمْ يُبْلِسِ الدَّهْرُ فَعَلُهُ
فِي أَيِّهَا السَّارِي أَسْرَفٌ فَيَحْذَرُ
فَقَدْ دَثَّ حِدَافُهُ حُوفَ انْتِقَامِهِ
وَيَوْمَ إِمَامِ الْمَوْتِ دُخْصِهِ وَقَفْتُهُ
حَاوَتْ لَهُ وَجْهَ الْحُلَيْعَةِ وَأَيْضًا
سَقَيْتُ صَدَاهُ وَالصَّبِيحُ مِنَ النَّسَبِ
فَلَوْ بَطَأَتْ حَرْبُ لَقِيَاتِ عَجَلَةٍ
وَيَا أَيُّهَا السَّعْيُ لِبَدْرِكَ شَاوَةٌ
خُفْبِكَ مِنْ نَبِيلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُؤَى
إِذَا مَا أَمْرُوهُ الْبَقِيَّ بِرَمْكِ رَحْلِهِ

وَحَارِبٌ حَتَّى لَمْ يُجِدَ مِنْ يَحَارِهِ
إِذَا الْخُطْبُ لِقَاءَهُ اضْجَمَحَتْ بَوَائِبُهُ (١)
لَا سَدَّتِ الْمَاءُ الْقِرَاحَ مَعَانِيهِ
نَجَانِ طَلَامٍ أَوْ رَدَى أَنْتَ عَائِدُهُ
عَلَى الْبَيْلِ حَتَّى مَا تَدْبُ عَقَارِهِ
وَلَوْ حَرٌّ فِيهِ الدِّينُ لِأَهَالِ كَائِدِهِ
قَدْ أَتَمَّتْ بَيْنَ الصَّالِحِ مَذَاهِدِهِ
رَوَاهُ بَوَاحِيهِ هَذَا بٌ مُشَارِهِ (٢)
أَلَا عَكْدًا فَلَكَ الْخُطْبُ كَالسَّهْلِ
تُخْرِجُ قَصِيًّا أَسْوَأَ الظَّنِّ كَادِهِ
عَلِيًّا بَانَ لَيْسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهُ
فَقَدْ طَافَتْهُ بِالنَّحَاحِ مَطَالِبُهُ

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات

دَيْمَةً مَحْمُودُ الْقِيَادِ مَكْرُوبُ
لَوْ سَمِعْتَ نَقْعَةً لِإِعْظَامِ نَعْمِي
لَدُنْ شَوْبِيهَا وَطَابَ فُلُو نَسْطِيعِ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ
فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ وَغَوَالِي تَنْشَأُ وَاحِدٌ تَذُوبُ (٣)
كَشَفَ الرُّوضُ رَأْسَهُ وَاسْتَقَرَّ الْحَجْلُ مِنْهَا حَكْمًا اسْتَقَرَّ الْمَرْيَبُ (٤)
فَإِذَا الرَّأْيُ بَعْدَ الْحَجْلِ وَجَرَحًا نٌ لَدَيْهَا يَعْنِي أَوْ مَلْحُوبُ (٥)

(١) مستمر مربرها أي مستمرة شددا

(٢) أي سقيت النقا فاطحات عطشه والديف من الرقاب قد عدت مشاربه ومالت بواحيه وبروي « والصبيح من الظل رواء بواحيه »

(٣) أي كان من حراء هذه الهامة المظرة أن حالت المياه مجرى بعد مجرى . وانزالي مصاب مياه المطر

(٤) استقر حزمي . أي اجتمع كذا يمتدح صاحب التبعة عن اعين السطار
(٥) أصبحت حرجان وهي في الحصب كالحا يعرج أو ملحوب - وهما محلان في بلاد العرب معروفان بوفرة مياههما وشجرهما

أيها النيثُ حَيٌّ أَهْلًا بَعْدًا لَكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوَدُّهُ (١)
 لَئِي حَمَرُ حَلَاقٍ تَحْكُمِينَ قَدْ يَشُهُ النَجِيبُ النَجِيبُ
 أَنْتَ فِينَا فِي دَا الْأَوَانِ عَرَبٌ وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ عَرَبٌ
 ضَاعَتْ فِي نَوْبٍ نَسْعَرُ مَلَقٌ وَمُلُوكٌ يَبْكُونَ حِينَ قَتُوبُ
 وَأَدَا حَسْبُ طَالَ تَالُ النَّدَى وَالْبَذَلُ مِنْهُ مَا لَا تَسَالُ الْخَطُوبُ
 حَقٌّ مَرَقٌ وَرَأَى حَمَامٌ وَوَدَادٌ عَدُوٌّ وَدِيحٌ حَرَبٌ
 كُلُّ يَوْمٍ لَهُ وَحَكْمٌ إِنْ حَقٌّ نَدَحَتْ وَمَالٌ كَتِيبُ
 إِنْ تَقْدَرُ أَوْ قَاعِدُهُ مَا لَمْ تَأْتِ خَشْفُهُ هُوَ مَكَ قَرِيبُ
 مَا التَّقَى وَفَرُّهُ وَبُنْتُهُ مَذْ كَانَ أَلَا وَفَرُّهُ الْقَلُوبُ
 هُوَ مَدِيرٌ لِلْحَرْدِ وَهُوَ بَصِيرٌ وَهُوَ مُقْصِرٌ أَلَا وَهُوَ حَسْبُ (٢)
 يَأْخُذُ الْمَشْتَرِينَ قَسْرًا وَلَوْ حَكْفٌ دَمَامٌ إِلَيْهِ وَادٍ خَصِيبُ
 عِزٌّ أَنْ الرَّاغِبِي الْمَدَدَ يَحْتَاطُ مَعَ الْعَلَمِ أَنَّهُ سَيَصِيبُ (٣)

وقال في أبي سعيد محمد بن يوسف

ذاكراً بعض وقائمه في حروب بابل

عَسَتْ تَسْتَعِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى عَدُوٍّ رَعَادَ قِتَادًا خُذَّهَا كُلُّ مَرَقَدٍ
 وَانْقَدَا مِنْ عَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ ضُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُدُودَ تَعُدُّ
 فَاجْرِي مَا الْإِشْعَاقُ دَمْعًا مَوْرَدًا مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فِرَاقٍ حَتَّى مَوْرَدُ
 هِيَ الدَّرُ بَقِيَّتِهَا تَوَدُّ وَحَمَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدُّ
 وَلَكِنِّي لَمْ أَحْرُ وَفَرًا حَمَمًا فَفَزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مَبْدُ
 وَلَمْ تَعْطِي الْإَيَّامُ يَوْمًا مَسْكَمًا أَلَدُّ بِهِ أَلَا يَنْوِمُ مَشْرَدُ

(١) وروى حيلاً وهي بمعنى أهلاً وسهلاً

(٢) نصف شده كثره ويقول هو مدد الحرد و خود بصر من اصحاب المال . وهو ملخص

لأنه لاندل محروب من الحبيح

(٣) بحر الله عين أي نواله مع عمنه . هم سيقصدونه يعني ذلك احتياطاً كما يتشاط برامي مع

عنه انه سيصيب

وطول مقام الموه في الحلي خلق
قاني رأيت الشمس زيدت عجة
لديا جيته عاتق تتعد
الى الناس أن ليست عليهم سرمد

. . .

حلفت رب اليص تدمي متون
اقد كف صيف الصامي محمد
رمي الله منه ما يحكى وولاته
باصح من صوب الهم مهاجة
وفي « ارشى » ابيها ولحيل ترقى
عططت على رعم العدى موه بارك
فان لم يكن دلى شاعر مقدر
وقد كانت الارواح بصرى قله
وموتان كانت دار هجره فقد
حططت بها يوم العروبة عره
راك سديد الراي والرمح في الومي
وليس يحلى الكروب ربح مسد
مر مطيماً للعوالي موداً
وكان هو الجلد القوى مسد
افادت فيها الموهات محكراً
ورب القبا المد والمتقيد^(١)
تسارح نار الصامي محمد^(٢)
بقصحة الاصلاب في كل مشهد
واشجع من صرف الزمن وانحد
بانصالحا في جامع متوقد
دمرك عط الاتحامي المعند^(٣)
هالك فقد ولّى بزم مقدر
فارمدا ستر القصاه المدد
توردتها بالحيل اي تورد^(٤)
وكان مقيماً بين سر وفرقد^(٥)
تأرز بالاقدام فيه وتتردي
ادا هو لم يؤنس برأي مسد
من الخوف والاحكام ما لم يعود
بحسن الخلاص الحص حسن التحل
تمتر عره الدهر ان لم تحاد

ولية أنبت اليات بلاه
من الصر في وقت من الصر محمد^(٦)

(١) حلفت رب اليصوف الداه والفا الموى او المتكسر

(٢) اي لقد تار محمد « المدوح » لعهد بن حميد الطوسي الذي قتل دولا والصامي لقب

(٣) شققت حزم بابل كما يشق الثوب المخطوط

(٤) موقاد اسم مكان كانت حصه حصي حق دخلتا بالحيل

(٥) يوم العروبة اي يوم احمه قول اترلت عره ذلك يوم وكذا بين عذير المعيين

(٦) محمد (ويروي خطأ محمد) اي قليل الخير حسراً

فيا جولة لا تجعديه وقساره
ويا لين لو أي مكانك بعدها
وقائع اصل النصر فيها وفرعة
فهما تكن من وقعة بعد لا تكن
محاسن اصناف المني جمعة
جلوت الدعي عن اذريهان بعدما
وكانت وليس الصبح فيها بايضا
وأى يادك منك التي طلعت له
هرزت به سيعا من انكبد ايا
يسر الذي يسطو به وهو مفعد
تلاى جذاك المجتدين فاصحوا
اذا ما رحي اذرت اذرت ماجة
اتبتك لم أفرغ الي غير مفرغ
ومن يرح معروف العبد فانسا

ويا سيف لا تكفر ويا طلة اشهدي
لما نت في الدنيا يوم مسهد
اذا عذد الاحسن او لم بعدد
سوى حسن بما دلت مردد
وما قصبت السبق الا لمعد (١)
تودت نون كالفامة اربد (٢)
فامست وليس الليل فيها باسود
بنحس ولبى الحبيب باسعد
تجدد به الاعدق ما سم فجر (٣)
ويضع من يسطو به غير معد
ولم يتق مدحور ولم يتق محند
رحى كل المجاز على كل موعد (٤)
ولم أتد الطاعات في غير منشد
يدي عرلت في الدثات على يدي

وقال في المتصم وبطشه بالافشين

وكان الافشين اولاً قائد جيشه ثم حرج عليه

الحق ابلج والسيوف حوار
مدك عدا جاد الخلافة مسكم
يارب فتنة أمة قد برها
جالت بجيدر حولة المقدار
كم نعمة فقه كانت عده

لخدار من اسد العرين حذار
وافه قد اوحى بحفظ الجار
حاذرها في طاعة الجبار
فاحله العقبان دار يوار (٥)
فكأها في عربة وإسار

(١) بعد اسم من مشهور

(٢) اذريهان مداعة في بلاد فارس

(٣) اي هرزت سية من المكر والمكر انما يقع اذا لم يتصح - يشير الى درايته وحسن سياحته

(٤) ماجة معون لاجنه اي اذ ارحى الشوائد اذرت اذرت من يهدت رحي الوفاء والكرم

(٥) جيدر بن كاوس هو الافشين

- كسبت سائب لؤمه فضعت
 موقرة ظن الاله مشارها
 صادى امير المؤمنين نوح
 محكراً من ركنيه لا انه
 حتى اذا ما فقه شق صبره
 ونجا لهذا الدنيا شعرة شى
 ما كان ولا حش عده جدير
 ما زال صر الكفر بين صلوه
 تاراً يساور حسبه من حرها
 طارت لها شمس يديم لفعها
 لله من تار رأيت ضياءها
 مشوة رقت لامظم مشرك
 صالى لها حياً وكان وفودها
 وكذلك اهل الارى انبياهم
 يا مشهداً صدرت بفرجه الى
 رمقوا اطالي جذمه فصكاًنا
 واستشفقوا منه قتاراً كثره
 قد كان بوأه الخليفة جاساً
 فسقاء ماء الخفض غير مصرده
 فاذا أين كفرة يسر سرهم
- (١) كسبوا لؤمه في الاطراف
 وكفى برب النار مدرك تار
 في طيه حمة الشجاع الضاري
 وطفه الاساس على شفير هام
 عن مستكن الكفر والاصرار
 والحق منه قاتل الاطراف
 ليكور في الاسلام هم يعار
 حتى اصطلى سر الزناد الواري
 لهب كما عصفت شق رار
 اركانه عدماً تغير غبار
 ضق الفضاء به على الاطراف
 ما كان يرفع ضوءها للساري
 ميتاً ويدخلها مع البجار
 يوم القيامة جل اهل النار
 اصدارها انصرى به الامصار
 وجدوا الملال مشية الاطراف
 من عند دبر وسك داري
 من قلبه حتماً على الاقدار
 وانامه في الأمن غير فرار
 وجداً كوجد فرزدق بنوار

- (١) سائب اللؤم ا. ثوانه . والاطراف اكمية مائة
 (٢) تطاهر بطلاقة تحتها به اخية غزال
 (٣) اي مد من احد شعرة الدر مد من عاد الدر فتش به
 (٤) فغار من حروب المدينة سميت كذلك لانه كانت في لاشهر الحرم
 (٥) هذا البيت وما قبله اشار به الى احوال الاشبي وهو مصلوب
 (٦) يشير الى ان الاشبي كان محبباً يمد يد
 (٧) نسبة الى دارين بلدة في الشام معروفة بطرها
 (٨) الصبح في سرهم يرجع الى المحوس ونوار امرأه فرزدق طلقها ثم بدم ووجد لذلك

وإذا تدكره بكركم بكى
 دلت رغبته الخليفة أنه
 يا قاضياً يدّال كادس عدلاً
 أحقّ حينئذٍ دأياً رملته
 وأعلمُ بذاك لغنا تلقىهم
 كادوا الثبوت والهدى تنقصت
 جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
 فاشدّد بهارون الخلافة إنه
 بغنى بني العباس والقصر الذي
 كرم الخزولة والصومة معه
 هو نؤمين فيهم وسعادة
 فاقع شياطين الفساد عتيد
 ليسير في الآفاق سيده رافعة
 فالصين منظم بادلس الى
 ولقد علمت بأن ذلك مصم
 فالارض دار افقرت ما لم يكن
 سود القراء العرؤمكم أنزلت

كعب زمان رثى أبا القوار (١)
 ما كنّ هود فاضر بنظر
 أتبع عيشاً منهم بيسار
 بقفاً وصدرأ غائلاً بصدار (٢)
 في بعض ما حفروا من الآثار
 اعتاقهم في ذلك المضار
 معروفة بمررة الامصار
 سكن لوحشتها ودار قوار (٣)
 حثته الحجم يعرب وتوار
 سلفاً قريش فيه والانصار
 وسراج ليل فيهم ونهار
 نرضى البرية هديه والباري
 ويسوسها بحكمة ووقار
 حيطان رومية فلك ذمار (٤)
 ما كنت تفرقه بغير سوار
 من هاشم ربّ لك اندار
 ولصكم ناصح بحسن الاشعار

ومن مدائحه في المنتصم

أحلّ أبا لوبع الذي حبّ أهله
 وقفت واحشائي منازل للأسي
 اسائلكم ما باله حكيم البلي
 لقد ادركت فيك التوى ما تحاوله
 به وهو قفر قد نعتت منارله
 عليه وآلاً وتركهوني اسائله

(١) كعب النسوي شاعر قديم . له شعر يرثي به احاء اما الموار
 (٢) في هذا البيت وما قبله يقول ايضاً الخليفة قد قبضت على ايدي آل كادس بقتله فاقبل من
 بله منهم (٣) هارون هو الواثق بن المنتصم
 (٤) يقصد بدمار اليمن . ويريد غامر عن الايات ان الواثق جبر وي اسعد فهو قد جمع شرف
 الخزولة والصومة وقرن في نفسه الهداية وحسن الراي

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة
بيوم يربك الموت في صورة الوى
الى ان يقول

الى قطب الدنيا الذي لو بعضه
من الناس المعروف والدين والتقى
حلا ظلمات الظلم من روحه امة
ولاذت بحقوقه الخلافة فالتفت
بمصرم الله قد عصمت به
رعى الله فيه نارعية رنة
وقام قدم العدل في حكل بلد
يؤمن ابن اسحق طالت يد الهدى
هو الحر من ي التواحي ائنة
تعود بسط الكتب حتى لو آنة
ولو لم يكن في كنهه غير روحه
امام الهدى وابن الهدى اي فرحة
رجائك للناسي النني عدل انى

مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
عبال عليه رزقهم شائله
اضاءها من كوكب الحق آفة
على خدرها ارماحه ومناصله
غرى الدين والتفت عليه وسائله
ورحمة فيهم تفيض وقاله
خطيبا واضعى اهلك قد شق بازله^(١)
وقامت فتاة الملك واشتد كاهله^(٢)
فلتت المعروف والجود ساحله
ثناها لقبض لم تطفه انامله
لحادها هيتق الله سائمه
تغلب منك القريض وقائه
واول يوم من لقبك آجله

مرثاته في محمد بن حميد الطوسي

وكان المرن من كبار القادة وقد قتل في حرب بابك ٢١٦ هـ

كذا فليجل الخطب وليعدح الامر
توقيت الآمال بعد محمد
وما كان الا مال من قل ماله
وما كان يدري محمدى جوده كنهه
الا في سبيل الله من عطفت له
فليس لعين لم يقص ماؤها عذر
واصح في شغل عن السفر الشور
وذرا لمن امسى وليس له ذخر
اذا ما استهأت انه خلق العسر
رخصاج سبيل الله وانتشر الشعر

(١) شق ما ربه اي طلع باب حمله والكلام مجاز يراد به قد اكسل

(٢) ابن اسحق كنيه المنعم . اشتد كاهله اي امتنع حابه

ففي كلفها قاضت ميون قبيلة
 فتي دهره شطران في ينوبه
 فتي مات بين الطعن والضرب ميتة
 وما مات حتى مات مضرب سيفه
 وقد كان غوث الموت سهلاً فردّه
 ونفس تعاف العسار حتى كأما
 غانت في مستنقع الموت رحله
 عدا عدوة والحد يسبح رداؤه
 تردّي ثياب الموت حرّاً فا دجا
 كأن بني سحاب يوم ووتته
 يعرفون عن ثوب ترمى به العسلي
 وأنى لهم صبر عليه وقد مضى
 فتي كان عذب الروح لا من عصابة
 فتي سلته الخيل وهو حي لها
 وقد كانت البص المآثر في اوعى
 أدن بعد طهي الحادثات عهداً
 اذا شعرات العرف جذّت اصولها
 لأن أبيض الدهر الخزون افقده
 لأن عدوت في الروح ابامه
 كدات ما نعتك تفقد هالكاً
 سقي لئيت ميتاً وارث الارض شخصه
 وكيف احتمالي للثبوت صبيحة

دماً ضحكت عنه الاحاديث والذكر
 ففي ماله شطر وفي جوده شطر
 تقوم مقام النصر ان فاته النصر
 من الصرب واعلّت عليه الف السمر
 اليه الحفظ المر والخلق الوعر
 هو الكفر يوم الروح او دونه الكفر
 وقال لها من تحت أحتضت الحشر
 عليه ينصرف الا واحكفاه الاحر
 لها الليل الا وهي من سندس خضر^(١)
 محرم ساء حر من يسهل الدر
 ويسكني عيه الداس وعود واشعر
 في الثوب حتى استشهدا هو والصبر
 ولكن كره أن يهل به مكبر
 ورثته غار الحرب وهو لها حر
 يواتر فهي الآن من بعده نذر^(٢)
 يصكون لاثواب الذي ابدأ نشر
 فهي اي عرع يوجد الورق الصبر
 لهدى به من يحب له الدهر^(٣)
 لما رأت الايام شيتها الدر
 يشاركتنا في فقدته الدر والحضر
 وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر
 باسقامها قبرا وفي حله البحر^(٤)

(١) اي قتل في ساحة اعياد وليس بعد الموت الثياب المحر التي هي لباس امن الله
 (٢) في هذا البيت وما قبله يقول قتل في الحرب وقد كان هو الذي ينزعها فصاحت السوف
 للفاطمة بعده مبتورة لا خير فيها (٣) اذا أبيض الدهر لفقده عند كذا بمحذ سبقة بكرمه وما أثره
 (٤) يطلب من الميت (النظر) ان يسقي حيث اخود (انثري) ثم يقول وكيف اطلب من انظر
 ان يسقي قبرا فيه بحر الخود وسلي

مضى طاهر الاثواب لم تنق روضة
ثوى في القري من كان يحيا به القري
عليك سلام الله وقفاً وني
عداة ثوى الا اشتبهت انبها قد
وينصر صرفاً اندهر نائله العمر
رأيت الكريم حراً ليس له عمر

وقال من قصيدة يرثي بها ادريس بن بدر السامي

دموع اجابت داعي الحزن مغم
غفاء على الدنيا طويل فاتها
تدثت الاشياء حتى خلقتها
ها صبيحة في كحل روح وسجدة
لادريس يوم ما تزال لذكره
ولما نضى ثوب الحياة وارقت
هذا ليس يدري كيف يصنع مدم
ومانت نفوس العالمين حكملهم
غدوا في زوايا نهمه وحكاما
ولم انس سمي الطود خلف سريره
الم تلك ترعانا من الدهر ان سطا
وتلبس اخلاقاً كراماً كأنها
وتبسط كفاً في الحقوق كراما
وترط جاشاً والعكامة قلوبها
الا إن في ظفر المبة مهجة
هي النفس ان تبك المسكارم قدما

توصل منها من قلوب تقطع
تفرق من حيث ابتدت تتشعب
سقي عروب الشمس من حيث تطعم
ولبت بشيء ما حلا القلب تسبع
دموعي وان سكمتها تفرع
به قانت الدهر ما يتوقع
ذرى دمه من وحده كيب يصنع
والأ فصر العالمين جمع^(١)
قويش قريش يوم مات مغم
ما حكمه بالمر يستقيم ويطلع
وتنقص من اموالنا ما يضيع
على المرض من عرط احصاة ادرع
اناملها في الأسر وخود ادرع
ترمرع خوفاً من قساً تفرزع
تعل لها عين العلى وهي تدمع
فن بين احشاء المسكارم تدمع

(١) يريد بالالبيين شجرة اي ستوا غوث او مات صبرهم اجمع

البحثري

ابو عبادة الويد بن عبيد الله

٢٠٥ هـ - ٢٨٤ هـ

٨٢٢ م - ٨٩٨ م

مصادر دراسته - توطئة تاريخية - مظارة في ديوانه
مزبنة العيبة - شجرة العرلي

مصادر دراسته

- طيفات الشعراء لابن لمعة (١٩٣٩) ص ١٨٦-١٨٧
 الاغانى ج ١٨ ص ١٦٧-١٧٥
 الموازنة بين ابى تمام والبحتري للأمدى (الاستاذة ١٢٨٧)
 الموسع للفرزباني ص ٣٣٠-٣٤٣
 الفهرست ص ١٦٥
 معجم الادباء لياقوت ج ٧ ص ٢٢١-٢٣٢
 رويات الاصبهان ج ٢ تحت اسم اوليد (حرف الواو)
 مفتاح السادة ص ج ١-١٩٣ (طبع الهند)
 وشمسقات في مروج الذهب وتاريخ ابن عساكر والعمدة وغيرها .
 وتجد سيرته في كل الكتب الحديثة التي تناولت الآداب العربية وتاريخها وذكر منها
 دائرة المعارف الإسلامية
 مجلة الضياء المجلد السادس (ج ١-ج ١٥) سلسلة مقالات (لامين حداد)
 شعراء الشام تحليل مردم
 اعلام النبلاء للطايع ج ١ ص ٦-١٤
 مبقرة البحتري ابد الفريز سيد الاهل

توطئة تاريخية

يؤخذ من دراسة المصادر التاريخية ان البحري ولد في منبج بجزيرة حلب ، (وعلى رأي احدهم في قرية قريبة منها تدعى زردعه) وهناك نشأ وقال الشعر . وتقع حياته الشعرية في ثلاثة اطوار —

(الاول) طور نشأته الادبية ومعطيه كان في منبج ، على انه رار بعض المدن السورية كحلب وحمص والمعرّة . وفي حمص على ما يقل بقي ايام واحدا عنه .

(الثاني) طور العزق — وهو طور شهرته وفيه اتصل بالخلفاء . وكثر رجال الخلافة يذهبهم ونال جوائزهم . وهذا الطور مهدان :

عهد المتوكل وورثه الفتح بن حقان ثم عهد من تبعه من الخلفاء . وبين المهديين فترة اقام فيها في مسج .

(الثالث) طور الرجوع الى ارض الوطن والاقامة فيه .

فالبحري نشأ في حوار حلب ، حتى اذا ادرك وحقق مصاعه الشعر قصد العراق واتصل بسلاط المتوكل ولازمه . ولما حدثت الفتنه التي قتل فيها المتوكل وورثه الفتح وذلك ٢٤٧ هـ كره البقاء فعاد الى وطنه . ولكنه على ما يظهر لم يقيم هناك طويلا . يستنتج ذلك من قائمة بمدحيه ومن قصائده فيهم . فعاد الى العراق والى صالف عهده من مدح خلفاء والامراء هناك — ولا سيما المعتز — ونقي الى آخر حكم المقتدر ^(١) ، ثم رجع الى سوريا واستقر في منبج حيث ادركته الوفه وهو يناهز الثمانين .

اتصل شاعرا بسبعة من كبار الخلفاء العباسيين وبعدد وافر من رؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ، ولم يكن مسرفا جليح مالا ومعدا . قال ابن رشتي « وكان البحري مليا فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده ^(٢) » . وفي شعره ما يشير الى

(١) ومن مرثياته في علامه قبصر يظهر انه كان لا يزال بعيدا من وطنه وهو ابن ٦٦ سنة

(٢) المدة ٢ - ١٢٥٠ - وفي ٦ - يدكر انه كان له قهارة وكتاب

انه كان ذا عقار واسم ، كقوله لاحد الرؤسا . في امر ضيعة به - والطاهر ان بعضهم
اعتدى عليها واغتصب عليها فقال مستجيبة له -

وقد غدت ضيعتي موطئة بحيث نيطت للناظر الزئفرة
اروم بالشعر ان تعود لها اقطع بها ارومه شعره

وفي بعض قصائده المعتبرة بشأده في الذهب الى الشام لينظر في املاكه قال

هل اطلعن على الشام سبلا في عز دولتك الحديد المونق
فدم حلة ضيعة نصف اسمها والم ثم نصيبة لي دردق^(١)
شهران ان بسرت اذني فيها حكفلا بافنة تخلي المتروك

ويذكر ابن حلكان انه كان يحتاج للترداد الى الموالي بسبب مصالح املاكه^(٢)

* * *

وفي ايام البحري كانت الخلافة العباسية في حال انتقال من طود القوة الى طود
الضعف ، وكان المتوكل حلقة الاتصال بين هذين الطودين . وقد شهد الشاعر ايام عزه
وبأسه كما شهد الفتنة عليه وما كان من مقتله واستبداد امراء الجند التركي بالذين جاؤوا
بعده .

ومن الطواهر التي ترجية التي تنحلي في شعره وشعر معاصريه (كما سدرى في كلامه
عن ابن ارومي) اعتلاء العاصر الاعمية في الدولة على العصر العربي) حتى كان الشاعر
ينوء بغض الموالي كما قال البحري من قصيدة للمعتمد

يا من له اول العليا وآخرها ومن يحود يديه يضرب المثل
اسما المولي خذ الله حثامهم ان ينصروك فقد قاموا بما احتملوا
بقاؤهم عصمة الديبسا وعزهم سقر على بيعة الاسلام منسدل

ومن قوله في ذلك يصف ما قام به قادة المعتز من قهر الاعداء والقائمين عليه

(٢) وفيات الاعيان ترجمة البحري في ج ٢ حرف الواو

(١) اي اعداء

سرة رجال من مواليك اكدوا هوى الدين احكاماً وشوا قوى الكفر
اد فتعوا ارضاً اعدوا لملها كتاب تفرى في اعادبك ما تقري
ففي الشرق اذلاح لموسى ومطرح وفي الغرب نصر يرتجى لابي نصر^(٢)

واذا قابلت محدوحيه (من غير الحلف) محدوحى ابي تمام مثلاً ترى ان الاشعر كانت
مدانحه في العرب تفوق مدانحه في سواهم اذ لبحثري فعلى خلاف ذلك . وانك تشنت
ذلك من مراجعة القصة التالية ودرس رجالاً واحداً واحداً . وقد اعلمنا فيها ذكر من لم
تبلغ مدانحه القصصتين ، وجمعا افراد الاسرة الواحدة تحت اسم واحد كـ ل سهل وآله
لدر وسوهم . ومع ذكرنا للحلفاء لم ندخلهم في هذه المواردة المصرية

الاعاء

لنوكل	٣٥	قصيدة	
المعتر	٣٠	"	
فستيد	٥	قصائد	
المتدي	٤	"	
استعين	٤	"	
	٧٨		
من كبار العرب			
ابو سعيد محمد بن يوسف الثعري وآله	٢٣	(طلي)	من كبار القادة
آل حميد الطوسي	١٨	نهبان (طلي)	" " "
احمد بن محمد الطائي	٧	طلي	
ابو صالح بن عمار	"		
محمد بن القمي	٥	طلحة	
الحضر بن احمد	"		
ابو نوح ميسى بن ابراهيم	٤		
ابو الحسن الهاشمي	٤	هشام	
طلي بن مر	٤	طلي	

(٢) موسى ومطرح وابو نصر من قادة الاثراك

مالك بن طروق	٢	من تغلب امير عرب الشام
محمد بن بدر	٢	من بني سعد على ان اخواله من الموالي

ومن كبار المدوحين الذين لم يثنهم في احدي القائتين اسماعيل بن دبل ٢٠ قصيدة.
ونسبه في شيان وسكن صاحب البحري (١٨٧) يقول ان في نسبه ريباً

واسحق بن ابراهيم المصبي ٢ نائب بغداد وابن عم طاهر بن الحسين

من كبار ابواب

الفتح بن حاقان وآله	٢٦	وزير المتوكل	(من الاثراك)
الحسن بن محمد وآله	٢٦	وزير المعتد	(من الفرس) (١)
ابراهيم بن المدبر	١٥	من رجال الدولة ادباً وادارة	" "
آل سهل	١٢	وزراء	" "
علي وعبدالله بن يحيى بن خاقان	٩	من وزراء المتوكل	(من الاثراك)
ابو صالح بن يزداد	٨	وزير المستعين	(من الفرس)
آل طاهر	٧	من اعيان الامراء	" "
ابو الساس بن نسطام	٦	من الاعيان	" "
الشاه ابن ميكال	٥	من امراء الفرس	" "
عبي بن العياض	٤	من الوجاه والروساء	" "
احمد بن ثوانه	٤	وزير وكتّاب (٢)	" "
وصيف وآله	٤	من امراء الترك	" "
اسحق بن كنداج	٣	من الاثراك وهو الذي رد المعتد الى سامرا ومحي في البغداد (٣)	" "

(١) راجع ديوان البحري (عليه) ٥٧٩-٥٨٢ و ٣٢٠ و ٣٢٥ و ٤٧٢ و ٥٩٩ و ٣١٨

(٢) الديوان ٥٨٠ و ٥٩٥ و ٥٩٩ وفي مجمع الادباء انه كان يدعي انه من صبه

(٣) ديوان القسطنطينية ١-٢٢٨ و عليه ٩-٦

(٤) في مجمع الادباء ان اصلهم نصاري

(٥) راجع الطبري في اخبار ٢٦٩

٣ من اعيان القادة
٣ من رؤساء الفرس (١)

اصيل بن نوبخت
آل دينار

* * *

وكان البحري كأكثر شعراء عصره مولعاً بالخرنوب وفي الابيات التالية التي كتبها الى
التراد (اللقوي المشهور صاحب الكامل) ما يدلل على شيء من احواله ونسق
مبشّته . قال

يوم ست وعدنا ، كفى الحرّ طمأناً وورد ما قريب
ولما مجلس على الهر فيح فيسبح تروح فيه القلوب
ودوام الندام يديك من كنت تهوى وان حذك الحبيب
فأنسا يا محمد بن يزيد في استناركي لا يراك الرقيب
بطرد الهم واصطباح ثلاث متعانت تسمى من الكروب
ان في اراح راحة من حوى الحب وقلبي الى الاديب طروب
لا يتركك المشيب مني فاني ما تبني عن التصالي المشيب

وفي ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها ولله بالخرنوب والهر يقتصر منها على ما يلي ، وفيه
يقرب من روح الي نواس

كل ماضٍ انسا بعد ليالٍ ماضيت لنا نارا ورماً (٢)
مغم بالندام اتزع حكاماً ساعداً ضوءه وانسا دناء
حيث لا اذهب الراس ولا ألقى في اسادل المعكّر اذا
يزعم البر في التشدد والاصح اولى بان يُعزّ ويُسنى

اما مذهبه السياسي فن لطيفي ان يكون عباسياً . وقد نوهم الاستاذ مرهولوث
في الابيات التالية

(١) ديوان البحري (ص ٢٠٠ و ٢٠١)

(٢) ناز وبأ مكان

يا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه
والمسلمين وضيعة الاسلام
يجري على الأيام بالأيام
نامت من العباس عنه ولم تكن
عنه أمة لو دعت بشيام

ان الشاعر يتبنى رجوع بني أمية^(١) . وحقيقة ان هذه الأبيات قيت وقد سلم محمد بن يوسف الثعري لكاتب نصراني وأمر تنديده، فشك إلى الشاعر ان يرى مسلماً كبيراً تحت يد كاتب نصراني وقال هذه الأبيات مدافع النيرة محاولاً ان يستعرض شعور القوم لتخصيص الرجل ، وليس في هذه الأبيات ادنى صدمة سياسية

شعره في ديوانه

اجمع بقدة الشعر القدماء على وصف الثعري سلاسة الصادرة وحن السباحة واليك آراء بعض من كبار الاقدمين فيه -

قال الشافعي « يضرب به المثل لان الاحماع واقع على انه في الشعر اطبع المحدثين والمؤلفين وان كلامه يجمع الحلاوة والحلاوة والعصاحة والسلاسة . ويقال ان شعره كتابة معقودة بالتوقي^(٢) » . وقال ابن رشيق « وما البعري فكان املح صمة (من ابي قلم) واحسن مدهماً في الكلام ، ساك فيه دقة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عنه كلمة ولا مشقة^(٣) » . ووصفه ابن الاثير بقوله « فان مكانه من الشعراء لا يحل . وشعره هو السهل المستع الذي تراه كالشمس قريباً صواعها بعيداً مكانها ، وكافتاة نبأ من حشناً سها . وهو على حقيقة قبة الشعراء في الاطراب ، ومعتوهم في الاعراب^(٤) » . ويصفه اظه في موضع آخر فيقول

« وترى انه قد العتري كانها ماء حسان عليين ، لا تزل مصدحت ، وقد تحلن باصاف الحمي^(٥) »

(١) راجع معناه في دائرة المعارف لاسلاميه تحت Buthir.

(٢) غار القلوب ١٧٩ (٣) النعمدة ١ - ٨٥

(٤) امل السائر ٢٢٠ (٥) امل السائر ١٠٩

ومن أقوال الأملدي في الصائحين الأولين من الموازنة: «البحري امرأى الشعر مطبوع وعلى مذهب الأرائل، ما درق عمود الشعر المأروب وكان يتجنب التقيد ومستكوره الألفاظ ووحشي الكلام». إلى أن يقول: «إن كنت ممن يفضل سهل الكلام وقويه ويؤثر صحة السبك وحسن العارة وحلو اللفظ فالبحري أشعر». وعلى هذا يفسرون ما يروونه عن أبي العلاء: «المتنبى وأبو تمام حكيمان والشاعر البحري». ويذكره الناقلاني في «أعذاره» ويذكر تفضيله به بدساعة شعره على بن أرومي وسواه، وتقدمه بحسن عيارته وسلامة كلامه وعدونه الأدب وقلة نمذ قوله^(١)

ولا نكسر أن الذي يرجع إلى ديوانه فيدوره يجد هذه المعاني العامة فيه. على أنه لا يمتاز في ذلك عن بعض كبار الشعراء في عصره، كإبي نواس وأبي لقابطة ومسلم وهبش بن الأحنف وأضرابهم، ممن أفاضهم لأعداء وسببهم المعالي. والذي وجدته أن البحري لم يوصف بما ذكرناه له، لأنه له شاعري كبيرين إلى تمام والمتنبى. وذلك في شعره عموماً بالنسبة إليهما من السهولة والبساطة، فبما هو يفوقانه بالتوص على المعالي وسداد الحكمة تراء يفوقهم في صوغ الألفاظ وطلاوة أسبغ. وهذا لم نجد في شعره ذلك الأعراب الذي في شعر بن تمام. وقد تفتت لفظة التي حرف بها المتنبى، نجد فيه رشاقة وصغر ودماثة أسلوب لا تجد في غيره.

• • •

أما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضعه عن أكثر الدواوين الشعرية في زمانه. هو، كسواه من الشعراء، قد صرف أدبه في التراب إلى رجال الدولة العباسية، ولذلك كان حل شعره المديح. وليست طريقته غير الطريقة التي درج عليها الجمهور من مطلع عربي يتخصص منه الشاعر إلى الممدوح، يصف أعماله ويمدح أخلاقه ومكارمه ويهتفي في ذلك ما شاء. فيه وديع. وسرى ذلك في مختاراته.

• • •

ويسمى البحري من المشهورين في الزمان. وإن يكن له فيه ما يستطاب كرقائه في طاهر بن عدي بن الحسن أبي مظهر

(١) اعجاز القرآن ١١٣

عديري من صرف الليالي العواد ووقع درايا كالسيوف النواثر

ومراثيه في المتوكل يوم قتله الاثراك ، وقد وصف ابو العباس ثعلب بقوله « ما قيلت هاشية
احسن منها ، وقد صرح بها نصريح من ادخلته المصائب عن خوف العواقب » (١) . فقال
فيها يصف شعوره بعد مقتل الخليفة ويشير الى ان اسمه اختصر كان من المنة ثمناً عليه

صريع تقاضاه السيوف حاشية يحود بها والموت حمر اضامره
حرام عليّ الروح بمدك او ادى دما بدم بحري على الارض ماثره
وهل يرتجى ان يطلب اسم طالب مدى لدمر والموتور بالدم واتره
فلا ملني الباقي تراث الذي مهي ولا حمت ذلك اندماء منابره
ولا وأل المشكوك فيه ولا نخا من السيف فاضي السيف عدراً وشاهره

ومن مراثيه التي قد تذكره مراثيه في سليمان بن وهب ومطلعا

أحسني نه دمعك الممروكا ان الحوادث يصرفن وشيككا
ما اذكرت مخرج صرف الجوى الا ثنته مخرج ينسبككا

على انها ليست من الطبقة الاولى في هذا الباب وليس للبحري فيه ما صاحبه ابي تمام
والمتنبي . ولقد تراء احباً بصف الى درجة الفتاة كقوله لاني نهشل محمد بن حميد الطوسي
يحاول ان يعزيه من فقد ابنته ، فيذكر له انها مع جديرة بالسكاء لانها فتاة ، وطالما كانت
الفتيات ساء في الشقاء ، ويضرب على ذلك الامثال السبعة ومنها

قد ولدن لاعداً فدن وورثن السلال الاهاهي البعداء
لم يتد كثرهن فيس تيم عيلة مل حيلة واما
واسئل الشيطان آدم في الحنة لك اعري به حواء
ولصيري ما العجز عندي الا ان تبليت الرجال تسكي النساء

واكثر القصيدة في هذه المعاني التي تدل على اعطاط المرأة يومئذ في نظر الرجل .
ومثلها في المائة ايات يعزي فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له . قال

أحسن أن حسن المراء عند المصيدات والنائبات
يضاعف فيه لأنه الثوب الصارين والصابرات
ومن نعم الله لا شك فيه حياء السنين وموت البنات

• • •

أما الكتاب فله فيه يد طولى • ويرى ابن رشيقي أنه أحسن الأس طريفاً في عتب
الأشراف ويلقبه بشيخ الصناعة الشعرية وسيد الجملة ^(١) . وقد أصاب ابن رشيقي ففي
عتابه نعمة حريرية فلما تجدها في سواء • ومن امثلة ذلك قصيدة يعتذر فيها إلى بمقرب بن
أحمد بن صاحب • وهي تبدأ كأعادة بالقرن ثم ينتقل من ذلك إلى نفسه وذكر أخلاقه
ومن هنا يتقدم إلى المصدر إليه فيقول بنمة مفرية

ندمت على امر مضي لم يُشر به	نصيح ولم يجمع قواه نظام
وقد خفوا أن الندامة توبة	يصلى لها أن تقتى ويصام
وان محدودي سوء ظن عنهم	ومدي مصاديري عليه خصام
يخرج اقوال الوشاة فريضي	واكثر اقوال الوشاة سهام
ولما نمت في الارض عدت اليكم	امت بجبل الود وهو رمام
وما كل ما بقلتم صدق قائل	وفي البعض ارءاء علي ودام
ولا عدواً الا ان يده اساءة	له من ربادات الوشاة تمام

وهذه النومة لا تفارقه حتى مد معانته من اساءة اليه ، كلابات الذلية من قصيدة
يخاطب فيها ابا عداة بن حمدون وبماتته على محولته ان يشتر كراهة الخليفة له -

هل ابن حمدون مردود الى كرم	عهدته مرة عند ابن حمدون
اح شكرت له نعمي اخي ثقة	ركت لدي ومثاً غير ممنون
طاف الوشاة به مدي وعيره	مماشر حكاهم بالسوء بعيني
اصبحت ارفعه حمداً ويخفي	ذمت وامدحه طورا وبهولي
تدعو الامام الى شتمي ومنقضي	نسر الحياء على مدحك تجبوني

ابن الودد الذي قد كنت تمنعي او الصدا الذي قد كنت تصفوني
ان كان دتب فاهرا انصفحت ستوا ما آت دساً فعيم الاول يعرفوني

• • •

ومن يدبغ الثياب قوله لبحسن بن وهب من قصيدة والده جفاء الحسن واعرض عنه

من تصبغ لاخ يقول كانه منثراً اذ لم يقل بلسانه
ما كان عرواً ان يضيق دمامه لو لم تصبغ في عصره ورمائه
هداوت الحقة العيساء في اصكرامه من واحد وهوائه
وتق رآك الناس نحره اقتدوا بث غير مرتابن في حوائه
فتكون اول مانع من نفسه ما اتمل العسافي ومن حيرائه
والارض تبذل في الربيع ثباتها وكذلك بدل الحر في سلطانه
واعلم بان العيث ليس منافع للنس ما لم يأت في ابائه

وفي ديوانه كثير من هذه الطرائف الثابتة

• • •

وله في الفجر مضاعفة جيدة هي ان اهم ظره هو في مسكارم قومه يعبد مناقبهم
ويذكر شرف اليمن وجزها مقابلاً ذات بحسنة مرب التحال وسوء حالهم واعضل ما
له في ذلك دالية مطلها

انا التي ان يكون شيذا فانقصا من علامه او فريدا
وهي طويلة تحدا اكثرها في باب العذر من شعره

معر امسكت حارمهم الارض وكادت من عرها ان تميدا
تروا كاهل الحجاز فاضعى لهم حاكسوه طراً حبيدا
ملكوا الارض قل ان تلك الارض وقادوا في حافتيها الخنودا
فهم قوم تمنع حير قوم لهم انه صبحار شهيدا

ومن يدري ايائها يلج الى ما كان في الصدور من كوامن العصية التي جعلت اليمنية
والمضرة حريقين متعادين ، والتي كان لها في تاريخ العرب تأثير شديد .

ومن امثلة طوره قوله في مائة قوم من اهل بلده

ومعترى بظهر يعلم في غدر	ان الحصاد وراء كل ناسر
اسي الى قد تظوت بظني	تحترت وصحوت من مسكراتي
نظرت لي لاربعون فاحسرت	شي وهرت للحنون فثاني
ومن الاقارب من سر مبتني	مها وعو حينهم بحياتي
ان ابقى او اهلك فقد كنت النني	ملأت صدور اقداري وعداتي

ثم يذكر فضله وسؤدد آثامه واحداً وما تروهم في مسح وتقدمهم هناك على سائر الناس

واقبل بضاعة البحري في ديوانه المحام . وهنا يحتلب صاحب الاعاني من المرزباني .
قالا اول يقص علينا سبباً لذلك القصة التالية ^(١) نقلاً عن الاحفش عن أبي النوف (ابن
البحري) : ان الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شي . فنت في اجمعاء .
ففعل . فاصره باحراقه ثم قال له يا بني هذا شي . قلته في وقت فشيت به عيظي ، وكافأت
به قبيحاً فعل بي . وقد انصت اربي في ذلك ، وان بقي روي . وللناس اعقاب يورثونهم
المدواة والمودة واحشي ان يعود عليك من هذا شي . في نفسك او معاشك لا فائدة لك
فيه . قال فقلت انه وصحي وشوق علي فاحرقته . ويعقب على ذلك الاصفهاني بان « اكثر
هباته ساقط ركيت لا يشاكل طمعه ولا يليق غنجه ، ولا يعرف به هجاء . حيد الا
وصيدتين احدهما في بن ابي فاش والذبية في يعقوب بن العرج » .

ولا نعم مبلغ هذه الحصة من الصحة ، ولكن الذي نعلمه ان الشاعر ترك لنا شيئاً
من شعره وما تركه يجوز لنا القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعمل واضرامهما
الى الحسد ، بل كان على ما يظهر يتحسس ما امكن وانك اتضح ذلك مما رواه ابن رشيق
قال « هجاء بن برومي اببحري - وابن الرومي من عمت - فاعدى اليه (البحري)
تحت متاع وكيس دراهم ، وكتب اليه بيتين ليرى ان الهدية ليست تقيّة ولكن رغبة عليه
وانه لم يحمله على ما فعل الا القدر والحسد المفرط ^(٢) .

وامسا المرواني فينسب الى البحري سوء العهد ونخب الطريقة في الهجاء . قال (١)
 « وكثير من أهل الأدب ينكر نخب لسان علي بن الناصر الرومي ويضربون من إضافة
 البحري إليه وإخافه به - مع احسان ابن الرومي في اسائه وقصور البحري عن
 مداه فيه - وأنه لم يبلغ في دقة معانيه وحودة الفاظه وبدائع اختراعاته . أعني الهجاء
 خاصة » .

ثم يذكر قلة وعائده لأنه هجا محراً من اربعين رئيساً ممن مدحهم ، منهم حليفتان .
 ومنها قلنا في مذهبه المعاني فهو ولا شك ضئيل في ديوانه . ولا يمسح ذلك ان يكون
 الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر أو الانتقام من كبير ، ولكن
 هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به ، والذي وصل اليها منه لا يدل على علو كعب
 الشاعر فيه .

مزيمه الغيبة

على ان السطار في شعر البحري المدق في فهم شاعريته يرى به مزية جديدة بالذكر ،
 هي رشاقة الوصف الذي طبع بها شعره فعرف بها وحملت له بين اشعره مقاماً عالياً .
 وقيل السطار في فن شعرنا الوصفى يقول ان الوصف بوعان ، حسي وحيالي . وليرضح
 الفرق بينهما ببعض الامثلة -

تقف الى نهر في وادٍ كبير وترى قد فتق المياه بين تلك الشواقي العطيفة فتأخذك
 روعة ذلك المظهر ، وتستفرغ فيك الميل ان كنت شاعراً الى وصف ما تراه من جمال وحلال .
 هذا انت تصف أسد الوادي وما عليها من الاشجار والكروم ، وتصف تلك الصخور
 القائقة واقضاض المياه من بينها . وقد ترسم ما يقرأى لك في ذلك الوادي من الوان
 تلقيها عليه طلال السماء او اشعة القمر ، وربما تعديت ذلك الى ما تراه من حيوان هناك -
 يقرأ راضاً تحت الشجر ، او عسماً يرمي في المروج ، او ماعراً منتشراً فوق المنحدرات .
 ولعلك ترى العلاح يحرق احقل ، او تمطر الى السماء من اعماق الوادي فترى « قطمان الغيم

يسوقها راعي الريح ، او قول الضباب تشيع فوق قم الضباب - يؤثر كل ذلك فيك
فترحمه بأشكال خلافة تستمر في القدرى عواطف الطرب ، وتحبب اليه رؤية ذلك الحال
- كي فعل احدهم في وصف واد ظليل اذ قل

تولنا دوحه لحنا علينا حو المرحضات على الفطيم
وارشعا على ضام دلا الد من المدة للديم
تروع حصه حالية لمدارى فتمس جانب المقد النظم

هذا هو الوصف الحبي الذي يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة ، وهو عين ما
يفعله الرومان الماهر الذي يقتصر برشته حول الطبيعة ويحبسها بالوان على اوراق ، فتدور
قادة غيل اليها العروس الحسنة ، ويتبعى في اقسامهن اندوق والحفرة .

وكذلك انب نعل د ، ومن مثلاً من البحر العظيم ورأت امواجه لتلاطمه وهي
تشكسر مريسة فوق الصخور ، رأيت في يوم رقيق وهو وهو مستقيم وقد بشرت فوقه
قوارب الصيادين والقت ظلاله فوق سطح الماء ، وروح لاس ماء يتزعجون على رمال
الشاطئ . وفي وسط البحر ، حرة مضيقه تشق لواء بحيرتها وبه قد البحار سرادقاً فوق
مداخلهم ، فتم امامك بحرية للتلال لمعدرة نحو البحر ، ونرى من ورائه انقري احذية
تتماز هيونها عند هروب الشمس .

ولو وقعت اليوم تطير الى معركة التهمت فيها الاطال بالاطال ، وقد برقت الالسة
ولسيوف ، وسالت لدماء من بين الصفوف . او الى حرب بين الجناد وقد قصفت المدافع
فساقطت قذائفها على الصعيد تسف التراب والصخور ، وتصدت شطايها نعتث بالثبات
والالوف ، ثم ظهرت سحائب العار القتال تتقدم نحو مكان العدو ، وتضع ديك هجوم
عام . والطيارات تحوم فترشق العدو بالمتفجرات المهنية ، ثم لا تكت ان ترى سروراً مادياً
فتنهزم امامه او تصمد له في روح الجور ، وهناك الغول الكبير - ماضر هائلة يأحدها
الشعر فيرميها كبريها فتعرك النفوس وتلع بالعواطف . وقس على ما ذكرنا من
الوصف وصف ابدن والآثار والقصور والجنائن والصيد والحيوان والانسان وغير ذلك
كما يقع تحت حثك ويؤثر في نفسك ، فتعززه في حلة قشبية تحرك في سواك وتار الطرب .

وقد اجاد العرب في هذا الفن من الوصف الحسني فاصرف الاقدمون منهم الى ما له علاقة بحياتهم البدوية كالحمل والصحراء والسيف وثار الحبيب اراجل وشكله وه الى ذلك ، والغوا في بعضها مدافعة عطيفة كقول طرفة في وصف ناقته - وادخل طرفة كثير من الشعراء الاقدمين . وجاء العصر العربي فتحول الوصف الى برهص وانقصود ومحاسن المهر والسرور ، وللوأدي في ذلك مدافع لا ينفع المقام لدكرها هنا .

. . .

اما الوصف الخيالي فنظر في الى ما وراء المحسوسات . فذا كان الشعر واسع الخيال لا يقف عند ما يراه ، بل يتعداه الى مناطق يقتحها امامه الخيال الواسع . فيجعل المراتب اساساً بغير المراتب ، ويؤخذ من المحسوسات صوراً مجردة يرسمها للشعر تأملات ودكريات . يقف في قلب الوادي مثلاً فيسمع فيه نضات الحياة ، وقر اسمه على صفحات الماء حوادث الايام ، فيذكر لاسم الغابرة والوديع لما صبة وقد يحمله ذلك الى النصر في الحياة والامان ، وكم تنفع الحياة والانسان لحوطه شرهه رؤيته . ومن امشاهد الطبيعة . . . يوصف الخيالي هو وصف تأثره من الطرأخي وما يشهده فيش من دحي داعي . فب امام البحر تتجسم لك قطعة الكون وجلال الطبيعة ، وقد يحملك المصير الى ذكر الاسمار والهجرة في طلب العلى . ولعلك تذكر الامم التي كانت على شواطئ . هذا البحر ، وكيف عظمت ثم سقطت ، وعلاقة ذلك بالاد التي است فيها .

وفي الحرب مجال واسع للخيال ، هذه علاقة لاسر لاسان وما يتفرع عنها من هوامل اساسية في بناء الصبر ومشه اذ وفقت امام لا تار كيمسك وتدمر ، او امام الانهار التاريخية كدجلة والفرات وسيل ، واداء عايش . مطر . وه ثر العبد . فست في كل ذلك تستخدم الحس توصلاً الى صور الخيل البعيدة ، وهذا هو الوصف الخيالي الذي الذي قلنا الشعر العربي قديماً عن لاهتمام به ، فام يترك السلف من آثارهم فيه الا الدر اليسير .

وشاعرنا البحري وصف ماهر . وهو كسواء من شعراء العرب اميل الى الوصف الحسني : يتناول المحسوسات فيدقق في رسمها ، كقوله في دمشق يوم انتقل اليها المتوكل -
اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وني لك مطربها بما وعدا

إذا اردت ملأت العبي من ديد مستحسن ورمات يشبه البندا
بسي السحاب على احداه فرقاً وبصبح البست في صحرانها بددا
وليس تنصر الا وكفا حدلاً او بدت حصراً او طائراً عردا
كأنما القيط ولّى بعد حذته او اربع دقا من بعد ما بعدا

على ان له احياناً ما يقرب ان يكون نظراً حياً ، هذه وقته امام ايوان كسرى
عنها يقف الشعر لدى قصور العرس ، دراسة بعدها وصفا حياً ، ثم يحول الانتقال
الى المعنويات - الى تاريخهم وعظمتهم ، ولكنهم لا يكاد يفعل ذلك الا لمأماً ، وهذه
القصيدة من ميون الشعر العربي تقع في ٥٩ بيتاً ، عشرة منها في ذكر حاله وشكوى
دهره ، وستة في السبب الذي يجي لهذه الواقعة ، ثم حصة او ستة في دحط مظلة العرس ،
وستة في احوال خاصة ، وما يعي فوصف الايوان وقد نعت فيه الشاعر ما شاء . والبيت
شيثاً منها . قل في صورة معركة ومحت على احد حدر انقصر

و تراه حلت ان الليالي حلت به ماثماً بعد عرس
وهو يشيث عن عجب قوم لا يثاب اليك فيهم بأبس
عذا م رأيت صورة انطاكية ارتعت يد روم وعرس
والشاي موانس وموشروان رحى الصفوف تحت الدرفس
في احضار من الناس على اصفر يحتال في صيفة ورس
وعراك الرجال بين يديه في حموت مسم واعرص جرس
من مشيح يهوي بماعل رمح ومليح من الس منرس

ثم ينتت الى انقصر ويرى ما اصابه من الزمان فيقول

يتطشى من الحساة ان يدور بيني مصنع او مهي
عجست حصه الليالي وبت الشقي فيه وهو كوكب محس
هو بيدي تحلداً وعليه كلكل من كلاكلك الدهر موسي

فانظر الى هذا النمط التبعي الذي يشهد للبحري ما نراة آله ثقة في تصوير المراتب
وعرضها ، بالالوان الخالدة ، ولا سيما وصفه لمعركة انطاكية وصورة كسرى يدفع صفوفه
تحت العلم الكبير ، والرجال يتحاحون امامه من مهاجم يهوي بيفه على العدو ومدافع

يتقي الضربات بقرنه - وتأنس هذا التصوير الدقيق اذ يقول

تصف العبي ايمم يحد احياه هم بينهم اشارة حرس
يقتلي فيهم ارمياني حتى تنقر ايمم يداي بلس

* * *

ومن قصائده القديمة التي يقرن فيها الحس بخيل قرناً حيلة قصيدته الفخرية في وصف
قُنب لقيه في الغمر - وايست هذه القصيدة عند التحقيق الا وصف نفسه في سورة من
سورات العزّة - فقد ذكر في اعداء وحرصهم على هلاكه ، فوقف امامهم وقفه الباس
بصورته نفسه هم نصيراً تكاد تنس الشعور المتدفق فيه - ومن قوله

فقل سي الصمد صلاً وبني انا الاعوان الصل والضيمم الرد
منى همتوه لا تمسحوا سوى لردى وان كان خرقاً ما يحل له عقد
مهيأ كصل لبيب لو ضرت به ذرى ابا ظلت واعلامها وهد^(١)
يود رجال ابي كدت بعض من طوته الليالي لا اروح ولا اغدو
ونولا احثاي ثقل حكي ملثف تموء الاعادي لم يودوا الذي ودوا

ثم يأخذ في وصف صرته وسيفه ، ويتقدم من ذلك الى وصف الدثب وحكيه
مجاهده ، ثم يعود الى نفسه وصور الدهر عليه وان عزمه بدفعه الى ركوب مشق في طلب
الفتى . ويختم ذلك بقوله -

ساحل نفسي عد كل ملثف على من حد اليك اخلصه الهند
عن عشت محموداً فشي نفي ابي ليكسب ملاً او يُنث له حمد
وان مت لم اظفر فليس على امري عدا طالب الا تقضيه واحمد

وبما يذكر للبحري في دقة الرسم وثاقفة المارة قصيدته التي يصف بها موكب
التوكل وقد خرج في عيد المطر الى المسجد ، وهي من افضل لأمثلة على اسلوب البحري
الرشيق قال منها -

اطهرت عز الملك فيه بحمل
 حلنا الحدل تدير فيه وقد عدت
 فالحيل تصل والفوارس تدعي
 والارض حاشمة بنجد بثقلها
 والشمس مائة ترقد ناصحي
 حتى انتهت الى المصلى لائسا
 ومشيت مشية خاشع متواضع
 هو ان مشتاقا تكلف غير ما

ومثل ذلك وصف القصر المعروف بالكميل بناء خديجة المعتز بالله من المتوكلين
 يدل لبعثي من قصيدة يمدح بها المعتز ويذكر ساءه للقصر

دُعر الخيام وقد ترسم فوقه
 رُفعت لمعرق الرياح سموكه
 وكان حيطان الزجاج محوّه
 وكان تعويف رخام اذا التقى
 حيلك انعام رصف من مشر
 لست من الذهب الصقير ستوفه
 فدرى العيون يحلن في ذي رونق
 وكانا نشرت على دستانه
 اعنته دحلة او تلاحق بيضا
 ونفست فيه الصبا فتعطلت
 مشي الدماري الفيد رحن عشية

وكذلك وصفه العرس من قصيدة في محمد بن علي القتيبي الكاتب والوصف يقع في
 نحو مشرين بيتا نذكر منها هنا

وامر في الزمن البسيم محفل
كالهيكل المني الا انه
يهوي كما تهوي القباب وقد رأيت
جذلان يتعض عذرة في غرة
كاثرائح النشوان احقر مشبه
هزج الصهيل كأن في نفساته
ملك الميون فان بدا اعطينه
قد رحت منه على امر محفل^(١)
في الحسن جاء كصورة في هيكل
صيداً ويتصب انتصاب الاحدل
يقق تسيل حجوها في جندل
عوضاً على السن البعيد الاطول
نرت معد في التقييل الاول^(٢)
نظر المحر الى الحبيب الاول

الى غير ذلك من الوشي الحليل الذي عرف به البحري . وسرى في باب المختار له كثيراً من ذلك .

غزل البحري

اذا قلت غزل البحري فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مداحي العصر العباسي وهو على الغالب نوع من الفن الكلامي يصدر عن قصائد تمهيداً لما يقصدون . ومع ما قد تجده فيه من رشاقة لا ينضم عادة بش لوجد متقد او تصويراً لطوالج شخصية صادقة ، على ان الشعراء يتعاونون في ذلك . وفي غزل شاعراً البحري حلالة ولطف بحسانه الى النفوس .

كان الاقدمون يحلون قصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب والسكاء على آثارها ، ثم ارجل عنها الى حيث يقصدون . طوّل اهل ادب ذلك الى مقدمات غزلية يصنعون بها الحبيب ويدكرون اشواقهم ، ثم يتخلصون الى المدح او سواء . وقد لا يكون بين المقدمة الغزلية وسر القصيدة من رابطة فكرية او حسن تخلص . وعلى هذا كثرة من شعر البحري . وفيه يقول ابن الاثير « انه لم يوفق في التخلص من التزل الى المديح بل اقتضه اقتضياً ، ولقد حفظت شعره فلم احد له من ذلك شيئاً مرضياً الا اليسير »^(٣) .

(١) اي وكرم امر وكبت من فضله حوادث امر محفل

(٢) المثل السائر ٢٢٠

(٣) محيد اسم مفت مشهور

وقد سبقه الى هذا التقدير بكر الباقلائي فقال (١) - «الا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصفوا النفس عند التقل من مسمى الى غيره والخروج من باب الى سواء» حتى ان اهل الصفة قد اتفقوا على تصغير الحقرى - مع جودة نظمه وحسن وصفه - في الخروج من السيب الى المديح ، واطبقوا على انه لا يحسن ولا يأتي فيه شيء . وانما اتفقوا في مواضع معدودة خروج يورضى وتنقل يستحسن .

ومن امثلة تقصيره قوله يخاطب الحبيب من قصيدة مطلعها « كنت الى وصل سمدي جدي محتاج »

اسقى ديارك والسقا تفلها	اغمر كل ملت الودق نوح
يلقي على الارض من حلي ومن حال	ما يجمع العين من حسن واهاج
فصاع ما صاغ من نعر ومن ورق	وحاك ما حاك من وشي وديجاج
الى علمي بني القبحض بأفني	مرابي من حيث لا يسرى وادلاجي
الى فني يتبع العسى بطرهما	كالبحر يتبع امواجاً بامواج

فانتم ترى كيف ينتقل بعتة الى المديح ، بدل على ان العزل لم يكن الحاجة غنيةً بتكلفته . ومثل ذلك عزله في قصيدة قالها في المتوكل واولها

مديري فيك من لاجر اذا ما شكوت الحب حرقني ملأما

يتقدم فيها الى احبيب يعاطفه بايات وقيقة ويذكر حبه واشواقه الى ان يقول

وقد علمت مالي لم اضيع	لها همداً ولم اخفر ذماما
لئن اضعت محنتنا مرثاً	مشرقة وحلتها شاماً
فلم احدث لها الا وداً	ولم ازد لها الا اراماً

ثم يش وتباً الى المديح فيقول

خلافة حنن عدل وامن	وفضل لم يزل يسع الافام
وقس على ذلك كثيراً من قصائده .	

ويكثر في عرل البحري ذكر الطيب او الخيال حتى عرف به بين الشعراء . قال
الحصري « كان البحري اكثر الناس ابداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً فيقال له
خيال البحري ^(١) » . واكثر تشبيهه - على ما يقول ابن خلكان - في فتاة حنية اسمها
علوة ، عرفها يوم كان في حلب قبل هروجه الى العراق .

وكان على عادة الشعراء يتأخر في شعره ويشب بالفلان وكان له غلام اسمه نسيم
يقول صاحب الاغانى انه حطه من ابواب اصيل على الناس وذا حصل في ملك بعض
اهل المرات شب به وتشوقه ومدح مرلاه حتى يبه له ، فلم ير ذلك دابة حتى مات
نسيم ^(٢) .

وفي شعر البحري حنين الى السلاطنة والى احبابه وبلدته منبج كتوبه من
قصيدة مطلعها - خيال يعقوبني في المنام

سلام الله كل صباح يوم	عليك ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي سقماً	ما في مقتنيك من السقام
لن قل التواصل او غداً	نسا المهران عاماً بعد عام
فكم من نظرة لي من بعيد	اليك ورودة لك ما كنتك
أتجد العراق هوى وداراً	ومن اهراء في ارض الشام

وهو يجيد في موقفه الوداع والذكرى ومن ذلك قوله -

بعضي ما بدت لنا حين ودعت	وما كنت في الانحامي السيد
ولا حظونا دجلة انصرم الهوى	فلم يبق الا لفظة المذكر
وحاطر شوق ما يرال يهيننا	لادين من اهل الشام وحضر

وقوله -

اراحة ليلى وفي الصدر حاحة	القام بها وحداً ما يتوكل
وقفنا على دار البغيلة فذرت	سواك قد كانت بها العين تغفل

على دارس الآيات عاف تعاقبت عليه ضاً ما تستعيق وشأل
 فلم يدر رسم الدار كيف يحينا ولا نحن من فرص السك كيف بآل
 أجذك هل تسي المهود فيسطوي بها الدهر او يسي الحلب فيذهل
 ارى حباً ليسى لا يبيد فينقضي ولا تلتوي اساه فتحلل
 والغريب انه كان — برعم الدين الطوال التي اقامها في العرق يحسب نفسه عرباً
 هناك . واكثر الطن انه كان صادقاً في حبيبه الى وطن فانه كم ذكرنا سابقاً عاد بعد
 همرة طويلة ونقض نقيه حياته في وطنه .

المختار من شعر البحري

عدي في روض يحوي فلا يعترضه حنادل يش من فوقها هذاراً الى الامام ، ولا
يتعطل في منقطعات تضر في شعها الارواح : ينشد فيسمك حير ناماً تاعه الآذان ،
ريصور هيريك اوانا بسيطة تراح اليه الوضر

قال يمدح الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته الاسد

احدك ما يفتك سري لوبنا	خيال اذا آت الظلام ثأراً ^(١)
سري من اعالي الشام يجلبه الكرى	هوب بسم الروض تحمله الصا
وما زارني الا ولحت صابة	اليه والاً فت اعلأ ومرجبا
وليتنا بالخرع بات ماعطاً	يربني اناة الخطو تاعمة الصا ^(٢)
اضرت بضوء البدر والبدر طالع	وقامت مقام البدر لا تفتيا
ولو كان حقاً ما اتته لأطفات	غليلاً ولانتكت اسيراً معذبا ^(٣)
فلتلك ان منيت منيت موعداً	جهاماً وان ايرقت ايرقت خلجا
وكنت اري ان الصدود الذي مضى	دلال فـا ان كان الا تجنبا
عوا اسمي حشم اسال منما	وآمن خوآنا وأمت مذنباً ^(٤)
سأنتي فؤادي عنك او اتبع الهوى	اليك ان استصحي فؤادي او ابي

اقول لركب معنفين تدرعوا	على عجل قطعاً من الليل فيها
ريدوا نائل الفتح من حادان انه	اعم ندى فيحكم واقرب مطلباً

(١) احدك على بعتك تلكم او لنا كيد . وثأوب وآب رجع

(٢) اناة هنا المرأة الفاترة القديم دلالة

(٣) ي أو كانت ريارعها حقة للخصي من عذاب الواحد

(٤) عتبه اي ارجع اي ما يرصيه

هو المرض الشفاح أخضل حوده
 اذا ما تلطى بي وعى اصق العدى
 رزين اذا ما القوم حوت حوهم
 حياتك أن يلقاك بالحد راضياً
 حرون اذا عازفته في ملثمة
 فتى لم يضيح وجه حزم ولم يت
 اذا هم لم يقعد به العز مقدا
 أمير مودآت الصدور واعطيت
 فلم تحز من دمل يملك التي
 وما نغم الحناد الا أصالة
 وقد جربوا بالاس منك عزيمة
 مداة لقيت الليث والليث مخدر
 يحسه من نهر نيزك مقل
 برود مفاراً بانظواهر محسناً
 يلاعب فيه القرواناً مفضفاً
 اذا شاء مادي عانة او غدا على
 يحرق الى اشباله كمال شارق
 ومن يسخر ظلاً في حريك ينصرف
 شهدت لقد أنصفته يوم تنبري

وطارت حواشي بركة قتلها^(١)
 وان خاض في أكرومة غمر الرئي
 وقور اذا ما حادث الدهر اجلياً^(٢)
 وموتك أن يلقاك بالباس مقصبا
 فان حثته من جالب الذل اصعباً^(٣)
 بلا حظ أمجاز الامور تشبها
 وان كذلم يذهب به الخرق مذهبا
 يداء على الاعداء نصراً مرعباً
 تحب ومن رأي يريك المتعباً
 لديك وفلاً ارجياً هذبا
 فضلت بها السيف الحسام المجرها
 يحد ثاباً لقاء ومخلفاً^(٤)
 منيع قاصي روضه وتأنساً
 ويحتل روضاً بالاباطح مشبهاً^(٥)
 يمس وحرداناً على الماء مذهباً^(٦)
 عقائل سرب او تقص ررباً^(٧)
 صيطاً مدمى او ويملاً مخضباً^(٨)
 الى تلب او يشن خزيان أخيباً
 له مصلاً مضاً من البصر مقضياً^(٩)

(١) هو كالم الماطر . يجمع بين ماء الحود والحب الطش (٢)

(٣) اصعب اي عقاد . وماء شديد العذ . والعزاد ولكنه سهل الانقياد اذا جاء الطالب متواضعاً

(٤) احذر العيث ادم في عاده (٥) الظواهر اعالي الالودية . ولا تطلع عكسها

(٦) الحودان اسم باب . ويص اي يلمع

(٧) هكذا يروى من الاثر . وفي الدوران ان تقص ررباً ؟ ومعنى التمس - يقتص
 الحمر او الظباء فيجر منها كل ذبيحة وقد تحضت بالدماء وتلوث ررباً

(٨) مصب المصب اي السيف المقطع

فلم أرَ ضرامين اصدق منكما
هزبرٌ متى يغني هرباً واعطى
ادلٌ يشف ثم هاته صولة
واحجم لب لم يجد فيك مطعماً
فلم يمنه أن حكرٌ يحوك مقللاً
جئت عليه السيف لا عزمك انشي
ركت متى تجمع بينك^(١) تهتك الضربة او لا تقى للسيف مصرها
مراكماً اذا الهابة التكرس كذباً^(٢)
من القوم يثني بامل الوجه اعلياً
راك لها مضى جناناً واشغفا
واقدم لها لم يجد عنك مهرباً
ولم يُنجه ان حاد عنك منكباً
ولا يدك ارتدت ولا حذو سباً
ركت متى تجمع بينك^(٣) تهتك الضربة او لا تقى للسيف مصرها

. . .

أنت لي الايام من بعد قسوة
والستى العسى التي عقرت احبي
فلا فرت من سره الليالي براحة
على ان افوف القوالي صوامن
نساء تقضى الارض نجداً وعاراً
وماقت لي دعوي السبي فاعتباً^(١)
علي قاسى قازح الدار اجنباً^(٢)
اذا انا لم اصبح بشعرك مثباً
لشكرك ما ابدى دحى الليل كركباً
وسارت به الركب شرراً ومعرباً

وقال يصف حاله وبصف الذنب الذي لقيه

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد
أحباباً قد انحر البع وعده
بنفسى من عذبت بعدي بحبه
حبيب عن الاحباب شلت به النوى
يود رجال أنني كنت بعض من
دريني واياهم عبي صرامتي
أما لكم من هجر احبابكم مد
وشيكاً ولم يُعزلنا منكم وعد
وان لم يكن منه وصال ولا ود
واي حبيب ما اتى ذونه البعد
طوته الليالي لا ادروح ولا اقدو^(١)
اذا الحرب لم يُقدح لحمدنا زند

(١) فلم أرَ اسدين انت مكى في موقف لا شئت فيه الحيان

(٢) بينك اي ساعدك وسعت (٣) اعتب اي رعى

(٤) لا يقصد احداً ما ولكن يقصد ان سم المدح عليه اوجحت حمد الناس

(٥) اي يود منهم اي ميت

طويل فجاد ما يقل له حد
يأدرتها صخاً كما انثر القند
يتوق الى العلياء ليس له رند
والليل من افعله والكبرى عيد

ولي صاحب غضب المضرب حارم
وما كية تشكو القواك بادع
رشادك لا يحزنك دين ابن حمة
فن كان حراً هو لدم والسرى

حشاشة نمل ضم إفرنده غمد
بعين ابن ليل ما له بالكبرى عهد^(١)
ونأفي فيه الثعالب والزبد
بيداء لم تعرف بها مينة رعد
دصاحه ونجد يتعهه ألد^(٢)
فاقبل مثل البرق يشبه الرعد
على كوكب ينقض والليل مسود^(٣)
ولمقت ان الامر منه هو الجدد
بحيث يكون اللب والرمب والحقد^(٤)
على ظلي لو انه عذب الورد
طيه وللرمضاء من تحته وقد

وليل كان الصبح في أغزاقه
تسربك والذئب وسنان هاجع
اثير القطا الكندوي عن جداته
سالي وبني من شدة الخرج ما به
كلانا بها ذنب يحدث نفسه
هوى ثم اقمى فارغزت مبعته
داوحرته حرقاء تحب ريشها
ما ارداد الا جراءة وصرامة
فانبعثا اخرى فاضلت فصلها
غزاً وقد اردونه منهل الردى
وقمت جئمت الحصى فاشتريت

وحكم بنات الدهر ليس له تعد
ويأحد مها صمود التمديد وعد
فترمي لا يشبه بحس ولا سعد^(٥)
هي مثل حد السيف الخاصة الهد^(٦)

لقد حكمت فينا الليالي مجورها
أفي العدل ان بشقى الكريم مجورها
ذريني من ضرب القداح على السرى
ساحل نفسي عند كل ملئة

(١) ابن الليل النصف

(٢) أي كل من داب يبول البطش بالآخر وذو الخط الاوفر سينصر

(٣) شبه صالة السيف بكوكب يقص

(٤) أي دهم جهاد آخر اصاب القلب

(٥) كانوا قد غا يضررون العدو قبل سدر يستطلعون ما سيكون

(٦) أي احسنت صنعه الخند

ليعلم من عاب السرى حشية الردى فان عشت محمداً فثلي بنى النى
 وان مت لم اظفر فليس على امرى عدا طالبا الا تقضيه والجهد
 بان قضاء الله ليس به رد فيكسب مالا او ينث له حمد^(١)

وقل يفتخر بقومه

انما النفي ان يكون رشيدا فانقص من ملأه او فريدا
 حلياه وحدة اللبو م دا م رداء الشاب عصا جديدا
 ن يانه من البيض بيض^(٢) ما رأى المصارق السود سودا
 ايها الدهر جبذا امت دهرأ قب حيدا ولا تول حيدا
 كل يوم تردد حسا فما نعت يوما الا حياء حيدا
 ان في السرب لو يصادنا السر م شحسا يمشين مشيا وثيدا^(٣)
 يتدافن بالاكف وبمرضن عيا عوارضا وخودا
 يتبسم من شئت اراه اقحوانا مصفلا او فريدا^(٤)
 رحن والليل قد اقام رواقا فاقمن الصباح فيه هودا
 عاف مثل المهابة امت ان تصل الروصل او تعد الصدودا^(٥)
 ذات حسن لو استراحت من الحزن اليه لما اصابت مزيدا
 وهي الشمس بهجة والقضيب الغض لينسا والريم طرفا وحيدا

يا ابنة العامري كيف رى قو ملك عدلا ان قفلي واحودا
 ان قومي قوم الشريف قديما وحديتا ابوة وجدودا
 لم ادع من مناقب المجد ما يُقنع من هم ان يصكون محيدا
 مضر امسكت حلومهم الارض ض وكادت من عرهم ان قيددا

(١) مث اي ينثر (٢) البيض الاولى الحسان والثانية جمع ايض

(٣) كافي ما شوس من الحسان (٤) الشيت الثمر الاقبح

(٥) عفاة متعلق بما قبله اي رحس سا، فحظن الظلام مصيئا بحال مهابة امت الا العراق

مدلاً قدروا عليه المصاليق وعاداً في عزه وعوداً
 هذا المص جاء به واداً سيولاً ودا انتقع ثار ثلثوا اسوداً
 يحسن الذكرك عنهم ولا حاديت اذا حدث الحديد الحديد^(١)
 في مقام تحر من صكه البيض على البيض ركعاً وسعود^(٢)
 يفرحوب الوعى اذا ما اثار الصرب من فصنت الحديد صعيد
 يوحوه تمشي السيوف ضياء وسيرى تمشي الإحوة وقوداً
 هدكوا المض من تامة احلا ما ثقلاً ورملاً نجد عديد^(٣)
 مسكوا الارض قل ان تلك الارض ض وقادوا في حافيتها الحدود
 وهدوا قل مولد الشيخ ابراهيم في المكرمات شأراً بعيداً^(٤)
 فهم قوم تبع حير قوم لهم الله بالفخار شهيد^(٥)
 بجاع منظومة السنين اللآلي فلاتدأ وعقوداً
 سائل الدهر مد هروناه هل يعرف مسا الا العمال الحديد
 قد اصري رزاه كملأ وشيخاً وأرباباً قاششاً ووليداً
 وطوبىنا ايامه ونباليه على المكرمات بيضاً وسوداً
 لم قل قط مذ ترعرع نكسو ه ندى لبناً وبناً شديداً
 هو من محدثا يوح ويغدو في على لا تميم حتى بعيداً
 نحن ابناء يعرب اعرب النسا من سائاً وانصر الناس هوداً

وقال في التوكل وموكبه الفخيم في عيد انظر

أحفي هوى لك في الضاوع وأظهر وألام في كد عيك وأعذر
 وادك خنت على التوى من لم يحن عهد الهوى وهجرت من لا يهجر

(١) حدث الحديد الحديد اي عند تلاحم السيوف في الحرب ، والبيض السوف

(٢) اي وازنوا الخيال سقوهم والرمال بدهم

(٣) يريد الشيخ ابراهيم ابراهيم الخليل - اشارة الى قدم مجدهم

(٤) شهيداً اعرب ها حالاً من الله

وعلمت منك مودة لم اعطها
هل دين عاوة يندفع فيقتضي
بيضاء يعطيك القصيب قوامها
تثني فتحكم في انقلب بدنها
اني وان جانب نهر بطاتي
ليشوقني سحر الميون المحتلى

الله سكن الخليفة جعفر
نعمى من الله اصغاه بعضها
فسلم امير المؤمنين ولا رل
عنت فواضك العرة فالتقى
بالد صحت وانت الفصل صم
فانعم يوم انظر عين انه
اظهرت فر الملك فيه كحفل
خدا الحال تسير فيه وقد عنت
فالحين تصل واموارس تدمي^(١)
والارض خاشعة قيد بقلها
والشمس مائة توقد بالضمي
حتى ظلمت بضوء وجهك فانحلت
واقنت فيك السطرون فاصع
يجدون رؤيتك التي فزوا بها
ذكروا بطلعتك النبي فهلوا
حتى انتهت الى المصلى لانساً

ماكنا يحينه الحديقة جعفر
والله ورق من يشاء ويقدر
تعطى الزيادة في البقاء وتشكر
في القس على المعنى والمكث^(٢)
رسلة الله ارضية تقصر
يوم اءو من الزمن مشهر
لعب يحاط الدين فيه ويصر
عددا يسر بها العديد الاكثر
واليص نهم والاسنة تهر
والحو متشكر الجواب اهل
طورا وبطمنه المصاح الاكدر^(٣)
تلك الدعي وانجاب دك الشير
يوما اليك بها وعين تنظر
من انعم الله التي لا تكفر
لا طمت من الصفوف وكثروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر

(١) هل لعنة مهاب يكف قروها او من يكف ظلمها بيتي عاً

(٢) هو صحت الي عنت الناس جعلت الفقراء والاحياء في حال واحدة من البدار

(٣) ادعت اموارس اي اعقروا ما صامح (٤) مائة اي مرتفعة

ومشيت مشية خاشع متواضع
فلو ان مشاقاً تصكف غير ما
أبدت من فصل الحطاب بحكمة
ورفعت في رد التي مذكراً
ومراعت شفت الصدور من الذي
حتى لقد علم الجول واخلفت
صبرا وراءك آتين عصمة
فاسلم بخبرة الاله فلم يل
الله املاك المحبة في الودي
ولأنت املاً للصون لديهم

له لا يؤمى ولا يتكبر
في رسمه لسي اليك المبر
تني عن الحق المبر وتحم
الله تذر تارة وتبشر^(١)
يتادها وشقاها متعبر
نفس المروي واعتدى المتعبر^(٢)
من ريبهم وبذمة لا تحفر
يبب الذنوب لمن يشاء ويتفر
وحاك بالفضل الذي لا يتحكر
واحر قدرأ في الصدور وكر

وقل بمدح احمد بن دشر

وبصف مركباً له غرافيه بلاد الروم

الم تو تغليس الربيع المبكر
وسرمان ما روى الشتاء ولم يقف
مررنا على بطيان وهي حكاها
كان سقوط القطر فيها اذا اتى
وفي ارجواني من الثور احر
اذا ما التدي واهاه صحا قابلت
اذا قلبته الشمس رد ضياءها

وما حاك من وشي الربيع المتشر^(٣)
تأمل شخص الخشب المتسكر
سبابب غضب ار زلالي جتر^(٤)
اليها سقوط اللؤلؤ المتحدر
بشاپ مارند من اروض اخضر
اعاليه من در نثر وحوهر
عليها صقال الاتحوان المنور

(١) كان الخلفاء في الوقت الرسية يصمون على اكلتهم برودة السي

(٢) تواضعك التي شئت الصدور من ابراسها تسم الحاصل وعتدى المتجر واحصت له من المنكر

(٣) الم تر ورود الربيع الكرو وما حاك من وشي الارحام الربيعية

(٤) بطيان مكان قريب حلب اي مررنا على هذا المكان وهو كانه شقق برود مبهوغة ان

سط عبقريه . ويعبر على يسون اليه كل ما تعبوا من حسن صنعه وفكره

إذا عطفت الريح قلت الثمالة
 بنفي ما ابلت لنا حين ودعت
 ولما خطونا دجلة انصرم الهوى
 وخاطر شوق ما يزال يهيجنا
 بأحمد أحمدا الزمان واسهلت
 هو النيت يجري من عطاه وتائل
 ولما تولى البحر والجود صوه
 اضاف الى التدبير فضل شجاعة
 عدوت على الميئون صعبا وانما
 اطل بيظفيه ورس كعنا
 اذا زحزح الرقي فوق ملاته
 اذا عصفت فيه الحبوب اغتلى له
 اذا ما انكفأ في هوة الماء حلت
 وحولك وحكاوي للهل غافروا
 قيل المنايا حيث مالت اكثهم
 اذا دشتوا بالنار لم يك وشقهم
 صدمت بهم صهب العائين دونهم
 يسوقون اسطولا كأن سقيه
 كأن ضجيج البحر بين وماهم

ملوءة في جادتها المتصفر^(١)
 وما كنت في الاتحامي المير^(٢)
 فسام يبق الا افقة المتذكر
 ليادي من اهل الشام وحضر
 سا مضت المطلب المتويعر
 عليك خلد من صيب الفيت او در
 عدا البحر من احلاقه بين البحر^(٣)
 ولا عزم الا للشجاع المدر
 عدا المركب الميئون تحت المطفر^(٤)
 كسرف من هادي حصان مشفر^(٥)
 رأيت خطيا في فؤاده مبد^(٦)
 حنا غفاس في السماء مبر
 تنفع في انشاء يود بحر
 كؤوس الردي من دارعي وحضر
 اذا اصلتوا حد الحديد المدحفر
 يقطع الا من شواء مقتر^(٧)
 ضرب كايقاد اللطفي المنعمر^(٨)
 صعب سيف من حوام ومطر
 اذا احتلت ترجيع نود محبر^(٩)

(١) أي إذا عطفت الريح الفصفصة أو الزهرة قلت تلك سحرة غيرة في ثوبها السحري

(٢) الاتحامي السحري أي الثوب المعطوط

(٣) أي لا تولى البحر عدا البحر بين محمود من مكاهمه

(٤) و (٥) الميئون اسم مركب أي اهل عليا وكان مقدمه كمن حصان رفوف وكان لوني

في اعلاه كأنه حبيب من سحر (٦) المقتر الصالح الرائحة

(٨) صهب العائين أي الروم لأن لحامهم شقراء

(٩) نود مجرير أي جمل تردد صوته

فأرمت حتى اجات الحرب عن طلي^(۱) مقطعة فيهم وهم مطير^(۱)
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده ملياً بان توحي صفاة ابن قيصر^(۲)
 حدثت له الموت الدعاء وانه وطار على اوج شط مستر^(۳)
 مضى وهو مولى لربيع يشكر فدمه فيه ومن يول الصليعة يشكو
 اذا الموح لم يلع ادرك فيه ثني في الحدر الموح لحطة اعز
 وكنا متى نصد بجذك ندرك المعالي ونستصر بيك نصر

وصف ابوان كسرى

(وآثاره اليوم قرب بغداد ونهر دلفان كسرى)

صنت نفسي مما بدئت نفى وتردت من حدا كل حنس^(۱)
 وناسكت حين رمزي لدهر التما منه لثمي ونكسي
 بلع من حبابة العيش هندي طامتها الايام تصيب نجس
 وبعيد ما بين وارد رفيع على شره ووارد حنس^(۲)
 وسكان الزمان اصبح محو لا هوا مع الاخس الاخس
 واشتراني العرق حطة عن بعد يعني الشام بعة وكس^(۳)
 لا تزني مزاولاً لاختباري عند هدي للوى فتسكر مبني
 وقديماً هدتني ذا هنات آليات على الدنيث شمس
 فلق رابي سو ان عمي بعد اين من حاسبه رأس
 وادا ما جعت كنت حرياً ان رى غير مصح حيث اهدي

(۱) درست ای مارلت و وطن الاذواق

(۲) اشاره ای اسل الممدوح درسی ای کنت قادراً ان تهر ماك الزوم (ابن قيصر)

(۳) ای نجب الموت هرب على مركب

(۴) وترفت من عطية كل ثم

(۵) وارد روي ای برد لاه كل يوم مني شاه و وارد حنس ای برد مرة كل ارسه ايام

(۶) انه حسارة حنينة ان اترك الشام واستوطن العراق

حضرت رحلي الموم فرجعت الى ابيص امدان عني^(١)
 انسلني عن الخطوط واتى ليحل من آل ساسان درس
 دكرتنيهم الخطوب التولي وقد تذكروا الخطوب وتني
 وهم خافضون في ظل عال مشرق بحر العيون ويحيي^(٢)
 حال لم تكن كاطلال سعدى في قمار من الداس منس^(٣)
 نقل الدهر عهدهن عن الحدة حتى عدوا انضاء لنس^(٤)
 فكان اغراما من هدم الاس وخلاله ثنية رمس^(٥)
 لو تراه علمت ان الليالي حلت فيه مأثما بعد عرس
 وهو يبيك عن عحات قوم لا شاب البين فيهم بلنس
 فذم رأيت صورته انطا كية ارتقت بين روم وهرس^(٦)
 والمسايا موئل وابوشر وانيزجي الصهوف تحت الدرفلس
 في احضار من الداس على اصغر يحتال في صبيعة ورس
 وعراك ارحال يد يديه في حقوت منهم واعاض برس
 من مشيح يهوى بعامل سيف وملبح من الداس برس
 تصف العين لهم بعد احبهم بينهم اشارة عرس
 يفتلي فيهم ارتبالي حتى تنقراهم يداي دس
 وكان الايوان من تحف الصفة حوب في حنب ارمن جس^(٧)
 مكست حطه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس

- (١) في هذا البيت ١٠٠ مائة يقول حلت الصوم ساحتي عركت حملي الى قصر المدائن الايبيص
 لانسلي عن خطي واسي ٤ درس منه تصور آل ساسان (وهو ملك العرس)
 (٢) خافضون ناعمو العيش
 (٣) اي هذه لآثار العظيمة ليست كاطلال الدور في القمار الخاوية
 (٤) اصحاء لنس اي ثياب مألوفة
 (٥) الخرمات لحد القصور في الايوان
 (٦) في هذا البيت الستة الناحية نصف صورة على حذار القمر بكل معركة دارت في انطاكية
 من كسرى والروم ، والوصف دقيق وقد مرّ بمسجده في كلامنا عن اشاعر
 (٧) اي كأنه مقتطع من جبل حال

فهو يدي تخذأ عليه كل كل من كلاكل الدهر مرسى
 لم يعه أن يز من بسط الديباج واحتل من ستور الدمشق^(١)
 مشعر تلو له شرفات رفعت في دؤوس رضوى وقُدس^(٢)
 لانسات من ابيض ما تبصر منها الا فلائل برس
 ليس يذرى أصع اس لحن مكروه ام صنع عن لانس
 عمرت للسرور دهرأ نصارت لتعري رباعهم والتأسي
 فلها ان أعياها بدموع موفقات على الصابغة حس
 ذاك عتدي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الخنس جنبي^(٣)
 فجر نفسي لاهلها عند اعلي عرسوا من ذكاتها خير فرس
 أبدو ملككنا وشدوا قراء وكما فرحت السور حس^(٤)
 وأعدوا على كذائب أرباط طعن على العود ودمس^(٥)
 واري من بعد اكف بالاشرف طرأ من كل ينح راس^(٦)

وقل بمدح المشوكل وبذكر وفداروم

قل للبحار اذا حدثه السأل وسرى بين ركه المتعفن
 عرج على حشر غي حلة مأومة فيها تطوة منزل
 لمزقو ادو وتعد في اهوى واحود بالود المصور وتغنل
 وسيلة الاطباظ ناعمة الصبي غري الوشاة بها ولج العذل
 لا نكدين فاست أظف في احتا جهدا واحسن في الضيع واجمل

(١) لم يلع من فيته ن الدهر عليه بسط الديباج وستور الدمشق

(٢) رضوى وقُدس جيلان

(٣) هي حذيره ان انكيا وان كنت عربيا لا مث لأصحابك بسب حشي

(٤) الا اني ادس ذلك ليد كانت لعرس عند اهي (الهمسج) هم ساعدوا ملكا (سيف بن ذي

بزن) باطال تحت الدروع شجعات

(٥) واعادوه عن حبوش قائد الخدش (ارباط) طعن في عود الاعداء

(٦) وبدا صرت موحا بمدح الاشرف واهل المروءة بها كان أصلهم

احتو اليك وفي فؤادي لوعة واحد عث ووجه ردي مقل
واغر ثم اذل ذلة عاشق واخف فيه تمرؤ وتندل

ان الرمية لم ترل في سيرة الله أثر بالخلافة حفرأ
هي افضل الرتب التي جعلت له ملك اذا عاد المني بمعه
وعفا كما صفع السحاب ورعد شرف شخصته به ومعد دبح
لا يمد يده اليه الملوك فانهم حضرت نيضتهم وحطت حريمهم
ورأيت وفد الروم بعد عبادهم لحظوك اول لحظة فاستصغروا
احضرتهم حبيبا لو احتلت بها ورأوك وصاح الخين كبري
نظروا اليك فقدسوا ولو أنهم حصروا الباطل فكما راموا القرى
تهوي اكثهم الى افواههم متحيزون فاعت متعجب
ويود قومهم الاولي بمشواهم قد ناس السب الحضور على الذي
اجعلت ربههم ففضل فائل ذلة اسأل ان تغير صالحا

عمرية مد ساسها المتوكل^(١) ورآه فاصرها الذي لا يخلد
دون العدة وهو منها افضل عفر الاساءة قدراً لا يسهل
قصفت ومارقه حريق مشعل متمسكن فوق النجوم مؤئل
في ظل ملكك ادركوا ما أملوا وحملت من ايمانهم ما استقلوا
عرفوا فضائلك التي لا تحول^(٢) من كان بمطعم فيهم ويهمل
عصم الجبال لا قبعت تتزل نحو السماء السمديلة يكمل
نظروا الفصح يكرروا ولهاوا مات بايديهم عقول ذهر
فتجيد من قصد السبل وتعبد بما رأى او ناظر متأمل
لو ضمهم بالامس دك المحصل شهدوا وقد حسد الرسول المرسل
حي اوفود به الهني انه يخل فدوام عمرك خير شيء يال

(١) عمرية نية الى عمر بن الخطاب اي سيرة عدل وحزم

(٢) اشارة الى وفد ارسله ملك الروم الى المتوكل وفي لابت الذلية يصف دهشة الوفد لما راوه من عظمة الخليفة وبجده وما اعتراهم من الدهول عندما حصروا المدينة (السطح)

ميلوا الى الدار من ليلي نحيها

يصف فيها بركة بناها المتوكل

ميلوا الى امدار من ليلي نحيها
 يادمنة جادتها الريح مهبتها
 لا رأت في حار ولا غير ضيقة
 تروح بالوس لدي رراحها
 ان السحيلة لم تسمع لئلا
 يا من رى البركة الحساء رؤيتها
 بنحيها انها في فضل ربتها
 ما بال دحلة كالمعدي تدبها
 امارات كالى. الاسلام يكلأها
 كان حن سليمان الدين ولوا
 فو قرها بلقيس من عرض
 قنص فيها وفرد الله معجزة
 كالفا الغضة البيضاء سائلة
 اذا علتها الصا ابلت لها حكا
 فاجاب الشمس احيانا يضا حكا
 اذا المحوم تراءت في جوانها
 لا يذبح السمك لمصور عايتها

نعم وسألها عن بعض اهليها
 ثبت نشرها طورا وتطويها
 يبرها العرق احيانا ويسديها^(١)
 على روعك او تعدو عواذها
 يوم الكتيب ولم تسمع لئلا
 والانسات اذا لاحت مغايبها^(٢)
 تعد واحدة والجر ثايتها
 في الحس طورا واطوارا ثايتها
 من ان قباب وماني الحمد ينيها^(٣)
 ابداه فادقوا في مغايبها
 قات هي العرج ثيلا وتشيها^(٤)
 كالحبل حارحة من حل مجربها
 من السائك تحري في محاربها
 مثل الخواشن صقولا حواشها^(٥)
 ورقيق العيث احيانا يباكيها
 لئلا حسات مجا ركبها فيها
 بعد ما بين قاصيها ودانيها

(١) امدار الخلل واسماها سج لحدا وصداها والكلام يحاكي معناه لا دالت عموم الخبر فوقك
 يتلأ فيها العرق (٢) في زمر الآداب ١ - ٢٣٠ البركة الحب ورددها وفي حاية
 الارب ١ - ٣٧٢ والامات التي
 (٣) كالى، الاسلام اي حايه ويقصد بذلك الخليفة
 (٤) اشارة الى قصة نبي سليمان وشيخ حكمة ما وشدته عدة من حلال صرحه العظيم
 (٥) الموشن الدروع

يؤمن فيها بأوصاف مَحْنَةٍ
لنَّ صَعْنٍ رَحِيبٍ فِي أَسَافِهَا
تَقَى بِسَائِبِهَا الْقُصُورَى وَرُؤَيْهَا
كَأَنَّهَا حِينَ لَحَتْ فِي نَدَائِهَا
وَزَادَهَا رِقَّةً مِنْ مَعْدٍ رَقَّتْهَا
مَحْفُوفَةٌ بِوَمَاضٍ لَا تَرَالُ تَرَى
كَأَطْيَرٍ تَقْصُصُ فِي جَوْرِ خَوَافِهَا
إِذَا الْحَطَطْنَ وَهَوًى فِي أَعَالِهَا
عَنِ الْمَعَانِبِ مَتَعَلًّا عَزَالِهَا
يَدُ الْخَلِيقَةِ لَمَّا سَالَتْ وَادِهَا
أَنْ أَسْمَعَ يَوْمَ يَدْعَى مِنْ أَسَافِهَا^(١)
رَيْشَ الطُّورِ وَسُوحَى تَحْكِيمِهَا

إِذَا مَسَعِيَ أَمِيرِ الْأَزْمَنِ بَدَتْ
أَنْ الْخَلِيقَةَ لَمَّا أَهَزَّ مَتَبُهَا
أَبْدَى التَّوَاضِعَ لَمَّا نَالَهَا دَمَةٌ
إِذَا تَجَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَجْلِيَّتِهَا
يَا ابْنَ الْأَطْحَافِ مِنْ أَرْضِ الْأَطْحَافِ
مَا ضَيَّعَ اللَّهُ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ
وَأَمَّةٌ كَانَ يَبِيعُ الْحُورَ بِسُخْطِهَا
بَثَّتْ فِيهَا عَطَاءً زَادَ فِي عَدَدِهَا
مَا زِلْتَ بِحُورٍ لَدَيْنَا وَكَيْمٌ قَدْ
أَطْلَاكَ اللَّهُ مِنْ حَقِّ رَأْيِكَ لَهُ
لِلْوَاصِفِينَ فَلَا وَصْفٌ يَدَانِهَا
يُحْضِرُ أَمْطَلَتِ الْقَمَى أَمَانِيَهَا
عَنْهَا وَقَالَتْ فَاخْتَالَتْ بِهِ قِيَمِهَا
رَأَتْ عَالَمَهَا الدُّنْيَا مَسَارِيهَا
فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ أَعْلَى مِنْ رَوَابِيهَا^(٢)
رَمِيَّةٌ أَنْتَ بِالْأَحْسَنِ رَافِيهَا
دَهْرًا قَاصِحِ حَسَنِ الْعَدْلِ يَرْضِيهَا
مَلِيًّا وَتَوَهَّتْ بِأَسْمِ الْمَجْدِ تَدْوِيهَا^(٣)
قَابَلْتُنَا وَآلِكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
أَعْلَاوَانَتْ بِحَقِّ اللَّهِ تَعْطِيهَا

(١) أَسْمَ الْمُتَوَكِّلِ حَمْرٍ وَمَعَى حَمْرٍ النَّهْرُ يَبْنِي أَنْ الْمَرْكَةَ وَالْخَلِيقَةَ مَتَشَابِهَانِ فِي الْمَعْنَى

(٢) يَا ابْنَ الْأَطْحَافِ قَرِيشُ الدُّنْيَا إِذَا قَبَسُوا سَوَاعِمَ فِي الشَّرَفِ فَاقَوْهُمْ كَبِيرًا (كَلَامَاتُ سَهْلٍ)

(٣) قُوَّةٌ بِهِ وَقَعَ ذِكْرُهُ (أَعْلَى مِنْ جِهَاتِهِ)

وقل يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف

أدق صب من هوى دقيقا أم حب عهد لم أطلع شقيقا
 إن السر كما تقول لرحمة لو راح قبي للخلوة طليقا
 هذا العقب وفيه مرأى موقن للعين لو كان المقيت عقيقا^(١)
 أشيقة العليين هل من نظرة قبل قلبا للعيل شقيقا
 هل الخيلة أن تجود في النوى ودار جمع شائقا ومثوقا
 ماذا عليك لو افترقت لمود ببي احوى ومقينا ترنيقا

. . .

غدت الجزيرة في جناب محمد ويا الجناب مناديا وشروقا
 برقت بحيلة لها وتحرفت فيها عرلي حوده تحريكا^(٢)
 صفعت له سم السمون وراحت أطرافها وحه الزمان طليقا
 رفع الامير الى سعيد ذكرها واقام فيها سكارم سوقا
 يستطرون بدأ يبيض بالها صغرى المحروم والمردوقا
 يقط إذا اعرض الخطوب برأيه ترك الحيل من الخطوب دقيقا
 هلا سأت محمدا محمد تحذ الحيل الصادق المصدوقا^(٣)
 وسل الشراة غنهم اشقى به من أهل موطن الاوائل موقا^(٤)
 جادوا برامهم ليتحدوا به عمدا الى قطع الطريق طريقا
 طرخوا عبائة والفقوا موقه ثوب الخلفاء مشرعا راووقا^(٥)
 مقدوا هامة برأس قناتيه ورأوه برأ فاستحال عقوقا

(١) الميق اسم وادي في بلاد العرب يتقن به الشراة

(٢) اي رقت سمج وعوده فداست سيول حوده . والمخير هي السحب اسدرة بالظن

(٣) سأل به اي سأل به

(٤) في هذا البيت وما قبله من قول هل سأت عن مصدوق بمقتضى وهو فائد آخر ، ويثبت بالمر

الصحيح بل سأل الخواارج (الشراة) فقد نالهم منه أكثر من أهل موطن قبلا - وامرق الملاك

(٥) اي حمل الخواارج زعيمهم خليفة فالسوء المعادة الجديدة بسج

وأقام ينفذ في الحرية حكمة
حتى إذا ما الحبة الذكر نكحها
عصان يلقي الشمس منه هامة
أوى عليه فقل من دهن يظن
عدوت أمابه به وتموت
علامت حياذك من ردى الجودي قد
يظن ثار الله عند عصاة
يرون حاتمهم بفتح فمهم
قدما فريقا من سيوف حاتمهم

ويظن وعد الكاذب صدوقا
من أذن حقا نج حريقا^(١)
تمشي البيوت تألقا ويرقا
البر بجرأ والفضاء مضيقا
عنه عيانة سكرهم قربا
تعلن من دفع المدون وسوقا^(٢)
حنوا الامام وحافوا الترويقا
وبجرحون قرون المنسوقا^(٣)
وشددت في عقد الحديد فريقا

يا نعلب اسمة نعلب حتى متى
أوما عظم أن سبب محير
لا تشفوه مان تروموا خطة
حأوا الخلافة إن دون انما

تردون كنفرا حريقا ومرويا^(٤)
أسمى عذابا بالطنان محيقا
عسراء تبي الطالين حارقا
قدرا بأخذ الظالمين خليقا

وقال يمدح مالك بن طوق

رحلوا فاية عذرة م نكسب
قد بين البين المعرق بينا
صدق العراب لقد رأيت شومهم
لو كنت شاهدا وما صنع الهوى

أنفأ وأي مزينة لم تغلب
عشق الهوى لبيب ذاك الريب
ملا أسر تقرب عن حوائب عرب^(٥)
بقلوبنا لحدت من لم يجيب

(١) أذن اسم مكان وراد ما حبة الذكر هنا مدحبه الهالك (وهو المدحج)

(٢) الجودي اسم جبل (وهو الذي استقرت عليه سفينة نوح)

(٣) القرن المنسوق القرآن المنقح

(٤) يا بني نعلب حتى متى تردون الكفر المهلك بما عدتكم للعارفين على الامام

(٥) غريب اسم جبل

شمل ارقب واسعدنا خلوة
فتنحلت عواتم ثم انعت
تشكو العرق الى قنيل صابة
أطبع بك العادلات وكسوتي
وذا الثفت الى سي رأيتها
مشرون قصرها الصبي واحلها
ما ي والايام صرف صرما
هكون طوراً مشرقاً لشرق الاقصى
واذا الزمان سكاك حلقه مطم
ولقد أبيت مع لكواكب راك
والليل في لون الثراب كأنه
والعيس تنصل من دجاء سما الخلى
يطحن بجمع اعلى من وائل
ودية العرب الذي شهدت له
بالرحمة المحصراء ذات المنى العذب
عطر الوفود ليدج أو منهم
القوا بجانبها العصي وهولوا
ملك له في كل يوم كعبة
وتراه في ظلم الوغى فتخاله
يا مالك ابن المالكين الألى

في حجر حجر واجتنب تجنب
تصف احدى بلدان دمع مغرب
شرق المدامع بالعراق معدب
ورق لشاب وشرقي لم تذهب
كعرة حبل المدامع المتصف (١)
ولع الغب هائم لم يعتب
حالي وحسني في البلاد تغلي
هكون طوراً مشرقاً لشرق الاقصى
واسس لها حل لوى وثقرب
أعدها بركة كالسكوكب
هو في حاله كنه وان لم ينعب
صبي لشاب من القدر الاشيب (٢)
في ذلك الاصل اتركه الاطبيب
أما اذ بالفتار ويعرب (٣)
بالرحمة المحصراء ذات المنى العذب
أو واحد من مشرق أو مغرب (٤)
فيها على ملك اعز مهدب
اقدم لبث واعترام مجرب
قمرأ يشد على الحال بسكوك (٥)
ما للكارم عنهم من مذهب

(١) الخاتم المتصف اي الحمل الضعيف

(٢) العيس الذي البس بجاءها شفرة وثمة حمية . ومن البيت ان العيس يخرج من الليل كما يخرج القذال الاشيب من سواد الشد

(٣) اد و عرب من حدود العرب الاقدمين

(٤) اي هو وطن : وهذا هو قديم من بني الاصدار

(٥) وترد وسط بلاد العرب مشرقاً كانه وهو يعص على الرجال بسيف او دمع مثالي كالسكوك

أمني وأطلب حودك مكك مطي^(١)
 بصي وأرأى في هالك من ابي
 أعطيه وديعة لم توهب
 ورويت من أهل لديك ومرحب
 غير احتفظ وركب من مهرب^(٢)
 مثي العطاش أي برود المشرب
 كالصع فاض على محوم الميهب
 عرفت احكامهم بدمي محذب
 لا لأصبح ينمي في نعل

إني أتيتك طاماً فسقطت من
 وعدوت حير جياطة مني على
 أعطيتني حتى حبت جزيل ما
 فشت من برّ لديك وثائل
 قوم اذا قيل الحقاء ما لهم
 يمشون تحت ظبي السيوف الى الردى
 يتراكون على الأسنة في النوى
 يسبك حود البيش حردهم اذا
 حتى لو أن الحرد تغير في الوردى

(١) اطلبه أي اطلبه . ما طلب

(٢) يراد بذلك قوم المملوك بني تطلب . النجاء الحرب

ابن الرومي

ابو الحسن علي بن العباس

٢٢١ هـ - ٢٨٣ هـ

٨٣٧ م - ٨٩٩ م

مصادر دراسته - منشأ و طرف من سيرته - محدوده
مقتله و احلاقه - فقه و مراهيه الشرية

مصادر دراسته

المهرست (المانيا) ١٦٥

المعدة لابن رشيق (امين هدية ١٩٢٥) ج ١ - ١٠ و ٤٧ و ١٩١

ج ٢ - ١٣٦ و ١٤٠ و ١٨٩ - ١٨٥ و ١٩٠

زهر الآداب للمصري ج ١ - ٢٣٢ ذكر عامته

٢٤٨ كتابه لاني العقر

١٧١

ج ٢ - ١٧٧ تطيره وخوفه من ركوب البحر

١٧٨

ج ٢ - ٩ نهجه

ج ٣ - ١٩ و ١٠٢ داره وحنينه للوطن

ج ٣ - ١٠٥ مواليه

ج ١ - ١١ نصبه من المجوم

وفيت الاعيان (بولاق) ١ - ٤٩٩

شرح شواهد التلخيص للعباسي ص ٣٨ - ٤٢

وقد ذكر المعري في رسالة الغفران شيئاً من تشبهه وذكره الخرجاني في الوساطة ص ٥٠

وصفحات اخرى . وفي كتاب التصحيح والتحريف للمسكري ج ١ - ٢٩ شيء من

سبب موته

ومن المراجع الحديثة غير دوائر المعارف وغير كتب التاريخ الادبي العامة

مختارات ابن الرومي (للكيلاني)

(للبارودي)

ديوان ابن الرومي ج ١ طبع محمد شريف سليم

حصاد الحشم للمازني ٢٩٩ - ٤٢٢

ابن الرومي للعقاد وهو احدث وارقي ١٠ كتب عنه

مشء وطرف من سيرته

نشأ ابن الرومي في بغداد ، وليس في شعره ما يدل على أنه تركب طويلاً أو جاب
الافطار كما فعل أبو تمام والمتنبي وسواهما من الشعراء . ويستدل من بعض أخباره أنه
سافر مرة إلى سامراً وطال مقامه فيها ^(١) ، فكان يتشوق إلى أيام بغداد كقوله -

بلد صحبت به الشبية وأضأ ولست ثوب العيش وهو حديد
فإذا تمزج في الصبر رأيت وعليه اعصان الشاب قيد

والأراح أنه قصد ما - وكانت يومئذ دار الخلافة - طلباً للرزق ولكنه لم يوفق في
طلبه فلما ، وحمل على العربية وطلب المال فقال

وفيم اجتهد في عارلة الفى وما لى عند الخوادم به قدر
وما أنا إلا محرر الحد والملى وذلك كثرى لا المأجور ولا التبر
وان يقصر لي الله الرجوع فانه عليّ له ان لا افارقكم نذر
ولا ابتغي عكم شغوفاً ورحلة يد الدهر ، الا ان يفرقنا الدهر

فلم يكن لثأره تلك الطبيعة العارمة المصدرة في سبل الحصول على الاماني . وقد
ترك لنا في ذلك قصيدة مصدا وصف فيها احوال السفر براً وبحراً ، وسنحاولها في غير
هذا المقام .

وهو كما يتضح من قصته ونسبه رومي الاصل واسم حذو حويج الرومي (او
حورحبوس) ^(٢) . ولا نعلم عن أسرته شيئ يذكر ، الا ان في بعض شعره تلميحاً إلى ان
امه فارسية الاصل كقوله

كيف اعضي على ابدية والفرس خؤولي والروم اعامي

(١) دمر الآداب ج ٣ - ١٠٠

(٢) معجم الادباء ج ٦ - ٤٧٤ تحت سيرة محمد بن حبيب

وكان حده ، كما ذكر ابن خلكان ، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور
فنشأ والده ، كما يستدل من اسمه ، مسلماً وولد صاحب القرعة كذلك ، وتثقف في بيئة
اسلامية محضة . ولم يتصل بنا ابن والده كان يتكلم الرومية او يعرفها ، او انه هو عرفها ،
على اننا لا نشك في انه كان يعرف نسبه الى اليونان ويفخر به احياناً ، كقوله من قصيدة
في الجي سهل التويجتي

ونحن نرى اليونان قوم لنا حياءً وعبدان صلاب الطابع
وما تراءى في المرايا وجوهها بل في صفاح المرصعات الصوارم
وقوله من قصيدة يذكر فيها بني العباس

انا منهم نقصاء من نختمت رسل الاله به وهم اهلي
مولاهم وعدي نعمتهم والروم - حين تخطي - اهلي

وقوله في رجل طعن شعره والظاهر انه وصفه بروميته

قد تحسن الروم شعرا ما احسنه حُرَيْب
يا منسكرا المحمد فيهم ليس منهم ضُهيْب

ويظهر ان شاعرنا لم يكن موقفاً في حياته الدالية فقد مات والده على الارواح وهو
صغير ، ولم يبق له غير اح اكبر كان يعرف عليه في الشدائد . على ان هذا توفي والشاعر لم
يتجاوز الثلاثين كثيراً . وقد فقد ابنائه الثلاثة وزوجته طرَح عليهم جداً ، وكان لفقدهم
تأثير عميق في نفسه . وليس من الغريب ان يكون قد تزوج ثانية وهو شيخ كما يرجح
الاستاذ المقاد^(١) ، على اننا لا تعلم شيئاً من امر هذا الزواج

حالة شعره

ولد ابن الرومي على رواية ابن خلكان سنة ٢٢١ هـ ، فلم يدرك المعتصم والواثق الا
صبياً صغيراً . وقد ادرك سن البلوغ في زمن المتوكل ، وعاش الى خلافة المستنجد . ومع

(١) راجع ابن الرومي للمقاد ص ٩٥

كل ذلك لا ترى في شعره ما يدل على تقربه من الخلفاء والحظوة عند الأمراء . فإذا قابلناه برميله البعري (الذي ولد قبله نحو ١٥ سنة) زى أن هذا مدح حله زمانه ، ولا سيما المتوكل والعتق ، مشرات من القصاص ونال حوائزهم ، ومدح ما يقارب المئة من كبار الوزراء والقادة ، وحصل من ذلك مالا وجاهاً . ابن الرومي فليس له شيء يذكر في الخفاء ، وأمل السب أنه لم يدرك منهم غير مستضعفين كاستمعي والعتق والمهتدي والعتيد ، وكلهم قتل أو حسم أو حكم وليس له من الأسر شيء . على أننا لا نلحزم في ذلك حاله في ذلك حال البعري ، وإن يكن هذا ادراك المتوكل والخلافة لم ترل في روتها وقد عاش بن رومي أربع سنوات في خلافة المعتضد وله فيه بعض المديح . أما رجال الدولة الذين اتصل بهم خُلم من الأعلام ، وقد سر بنا ما كان هم من النموذج في الخلافة العباسية ، واليك هم ، مدوحه

اسماعيل بن بابل

كان من ورراء المعتضد وجمع له السب والقلم وهو يرفع نسبه إلى بني شيان ويذكر بذلك على ما مضى عمروه وقالوا هو دعبي^(١) . وكان مادحوه كالبعري وابن الرومي يذكرون نسبه إلى شيان بالتحديد والتعظيم ، على أن ابن الرومي انقلب عليه وصار يلقبه بالدعبي كقوله

دعيت من مشر بقوتنا باتوا نبيطا وأصبحوا عربا
مثل إلى الصقر إن فيه وفي دعواه شيان آية عجا

آل طاهر

وقد مرّ منذ ذكرهم في الكلام من آل تميم والبعري ، وهم من الفرس . كانوا من كبار رجال الدولة وقد تقلدوا من أيام المأمون في أعلى مراتبها . وأخص مدوحي ابن الرومي منهم عبيد الله بن عبد الله أمير بغداد

(١) البعري ١٨٧ (في باب خلافة المعتضد)

آل وهب

ورعيتهم في أيام الشاعر العباس بن هيدان : كان على ما نقله صاحب الفخري من
دهة العالم ومن اهمل الورداء ، وكان شهياً كريماً مهياً جباراً . وقد لزمه ابن الرومي ومدح
آله وعلى يده قتل

آل المنجم

وهم من الفرس وقد مدح شاعراً منهم علي بن يحيى . وكان أبوه - ولي المأمون
وأصل ماضل بن سهل ، وأصل علي بن يحيى بمحمد بن اسحق المصمعي ثم بالفتح بن خاقان
وحمل له خزانة حكمة (١) . وآل المنجم من علماء الفلك الذين كان يشار إليهم بالبيان .

• • •

ومن ممدوحيه أحمد بن ثوبة وآل المدير والقاضي يوسف وآل غلغل وآل نوبخت
وأبو القاسم الثوري وآل شيخ والقطاني ، ومطعمهم من أصحاب السعد والوجهة . على
أن ابن الرومي لم يحط بشعره فلم يكن متيسر الحال وفي شعره ما يدل على ذلك ، فهو
كثير الثرم من الزمان وسوء الحال وقلة ثواب الممدوحين كقوله —

تأمل العيب عيباً وليس في الحق ريباً
أن يملك الناس هني سيباً فله سيباً

وقوله

ذقت الطعوم لما التذذت براحة من صعبة الاخيار والاشرار
أما الصديق فلا أحب لقاءه حذر القبي وكراهة الإهمار
وأرى العدو قذى فأكره قرينه فحبرت هذا الخلق عن أعدار

وسكن ابن الرومي لم يجر الدنيا وملذتها ولم يستعد عن الناس وعطائهم ، من عكس ذلك كان يشرب على ما في الحياء ، يشبع شهوات نفسه ، وسرف في ذلك كل الاسراف . وكان يرمي نفسه على ايوان الكروا ، ويوحها ، صااردهم ، حبيبا نفسه بالحسوة عدهم . ومع كل ذلك تراه في شعره محروما ناقدا ، او ساعرا عاجزا ، ليس له من مبرة توح احترامه ، او صدقة تشفي ارمه . وهذا ؟ لان في طبعه كبر يستدل من شعره ما كان ينفقه من الناس ويهر الناس به . - هذا الطبع هو الذي حتى عبه وانزله حالة احداة والحول . وقد احباب في وصف نفسه اذ قال

استغلت اخواني وحقق مطعبي فمقيت بين الدؤور والادوار

وبينا ترى زملاءه من كبار الشعراء قد فاض كسهم تراه وهو في الخمين من عمره يشكو الزمان بقصيدة رعه الى اسمعيل بن سهل وهي يقول

ويج الفواني ما لها سعت	حبي كني كنت سعت
احت على حظي ببيوتها	شعركا لاني كنت ادهمتا
او كذفت دون الفنى مدحا	حتى كاني كنت كذمتها
حزمت في سني وفي قيعتي	قراي من ديبا تضيعتها
فكثرت في خمسين عاما خلعت	كاث نامي ثم خلعتا
لا عذر لي في اسمي بعدها	الى المضايا - منها عمتا

والقصيدة طويلة واكثرها على هذا النمط . ومنه قصيدة يهتف فيها صديقه ومنها تبتين شيئا من حاله ونظر اخوانه اليه - قال

ايها الاسدي على صحتي العسر ودمي الزمان والاخوانا	ايها الضامي احني عينا
بت شعري ماذا حدثت عليه	كل من كان صاديا رينا
ايلى انني ظننت واضعي	وارى الناس كلهم ركبانا
ام على انني امشي حبرا	وعلمت الثراء والارطانا
ام على انني شككت شقيبتي	

والبيت الاخير بشير الى فقهه لاختيه الاكرم الذي كان يعطف عليه ، والى دار وعقار

تركهما والده فاضاعهما ^(١) . وما يندب على سوء حاله داعية الى زملائه قومه لمن عاب قريضة -

أبعد ما اقتطعوا الاموال واتحدوا حدثك وكرومياً ذات تعريش
يحاسدوني وبيني بيت مسكنة قد عشت الفقر فيه اي تعيش

وكيف قلت ذروا هذه الفئات الناضجة بروح التزم والغيظ والالم . واذا رجعت الى حكمه التي هي عنوان عقله المفكر رايت اساسها تأثير بيئته . فقد ترك شاعراً كثيراً من الايات الحكمية ومعطها يدور على ما يلي -

١٠٦	قباحة البخل وجمال الثواب	راجع تحذرات ابن الرومي (للكيلاني)
	عدم منفعة الاخوان	" " " "
	نكد الزمان	" " " "
٢٩	مرور الشباب	" " " "
٧١	وحوب الحرم	" " " "
٢٠٢	نفع الشدائد	" " " "
١٠٩٤٩٤	الحط	" " " "
٩٩	الملل من الناس	" " " "
١٣	عدم المبالاة	" " " "
٣١٢	فساد الذوق	" " " "
١٠٥	الوشاة	" " " "
٤٤١٤٣٧٧	عدم الثرب	" " " "
٣١٦	الصبر	" " " "

الى غير ذلك من الامراض التي تنبع الى ما كان يشعر به من وطأة الزمان ، وما كان يجتليج في نفسه المنفعة من تأثير الحرمان .

(١) وفي بعض قصائده إشارة الى دار له عشت منه ، وفيها ما يشير الى سوء حاله في اواخر ايامه

كانني مطلقاً - لا زلت تباع اقصى السؤل والامل

هفتم و اثرها في شعره

لا ين الرومي مع قسط ادبه وتوقد قريحته عقلية عربية . هو في حال سكينته واطمنانه لب مفكر يأتيك بالحكم والاقرار السارة ، وسكه عصي المزاج شديد الانفعال : فدا حاجة حاج اصع له وان دفع على وجهه لا يبالي ، حتى في معانقة سكار الرجال تجده مرآة ايم اللسان . ويتحلى لك مראה العصي في قوله يعان اسميل بن نوبخت (وهو احد محدثيه) يوازن اولاً بين نفسه وسواه من الشعراء فيصهم بخيف النذرة والفتنة العداوي على وجه ايم ، وانه احق منهم بلوغ الاماني ثم يخاطب اسميل فيقول -

واحي ان اري حواني مُتَبَكُّ فلا تحمل السكوت جواني
ان في ان تعني بعض اعضاءي وفي ان تبني امصالي
كنت نثي الخيل ثم تكُوت فماتت مُعَصَّلاً في التباب
عائدت بومة وراحم فملاً ترضيه الاسلاف للاعقاب

ومثل ذلك قصيدة به تبسم اسميل بن بلبل وقد شعر شيء من الهجاء منه :

قال فيها

فد عطايك اصحت حمي	علي واضحت انيري نهبا
قبلت مديحي واشدته	اقاماً وامسكت مني الثواب
فقه انت وما جته	الي لقد جئت شيئاً هجابا
اتمتك سري عن حنتي	ونفلق دون عطايك باه
حلفت لئن انت لم ترضي	لتصرفن اقوافي عضابا

واقول ما يقال في هذا الكتاب انه تهديد ، وان حاجة من اذا عضبوا لا ينظرون الى العواقب . ويجوز لنا ان نقول ان ما عرف به ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الانسان احياناً عن طور الرشاد . ومن هنا هذه الجرأة في مهاجمة الايمان والحكام وهذا الاندفاع في العطن بالمناوئين ، مما كان - على ما يعتقد ابن رشتي - سبباً في هلاكه ^(١) .

وقد عالى بعضهم في هجا ابن الرومي وجعلوه فناً من قسوس الشعر ، وهو كذلك لو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوىء الشخصية او الاجتماعية ، وعرضها نقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوىء . ولكن شعرنا العربي المبطني في كل حلوه لم يصل الى تلك الدرجة الرفيعة الا نادراً . فالحجاء العبي يقتضي امرين الفكاهة او الدعابة ، وحسن التصوير ، الاول يرويه عن الحشونة والافداع ، والثاني يضعه في صلب الصور الجميلة . وانك لتري في بعض المحدث العربي شيئاً من ذلك ، ولكن اكثره من قبيل الطعن انشعبي الذي يراد به الخط من كرامة الشخص او كرامة اهله ، لا قصد اصلاحه بل تشفيماً و تعديراً . هكذا كانت مناقض جبر والاحطل والعزدي ، وعلى هذا السط جرى احكامهم احياناً عند العرب . ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القامدة — قال ابن رشيق وقد علم عليه المحدث حتى شهر به وحتى صار يقال اعجب من ابن الرومي ، وليس هذا ، ابن الرومي بأحد من مدحه ولا اكثر ولكن قليل الشر كثير^(١) .

ولا يسكر ان في هجا . صاعنا شيئاً من الدعابة وحسن التصوير ، ولكن معظمه فاحش لا يرتفع الى ما نسميه فناً ادبياً .

ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة : كان يثبتم من بعض الالفاظ او الحوادث ، وكان هذا انطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله - بحرية في اعين العقلاء . ولا نستطيع ان نعلل هذه الطاهرة العقلية التي تصمم ارده الالفاظ وتحمّل على ربط الحوادث بعبر اسبابها الا بقولنا ان صاحبها شاذ في عقله وان في جهله العصبي ضعفاً خاصاً . وقد تناول ابو العلاء المعري تصديراً ابن الرومي في رسالة المبرأ وانتقده ، ولم يتعد دائرة الصواب ان قال منه « ان اذنه اكثر من عقله » .

وقال ابن رشيق كان ابن الرومي كثير الطيرة وعسا اقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً نحو ما يراه ويسمعه ، حتى ان بعض اخوانه من الاعراء انتقده فأعلم بحاله في الصيرة ، فبعث اليه حادماً اسمه اقبال ليتعادل به . فلما اخذ اهنته للركوب قال للمخبر دم انصرف الى مولاك فاست فاقص ، ومنكوس احمك لايقا . وابن الرومي هو القاتل : المال لساب الزمان والطيرة عنوان الخلدان ، وله فيه احتجاجات وشعر كثير^(٢) . ومن ذلك

قصيدة قاسما وهو في السابعة والـخـمـسـين وقد رأى محوذاً في إحدى عينيها فكتبت وجارية
حولاً ، فتصغر من ذلك . واتفق بعد مدة بكرة ان حقاها القاسم بن عبيد الله ، وسقطت
أمة بعض اصدقائه من بعض لطوح فانت ، فكتبت الى صديقه قصيدة يقول فيها

لا تهابن بضرة ابا الطائر واعلم ماها عوان
قف اذا طيرة تفتك وانظر واستمع ثم ما يقول لثمان
محدث المهرجان بالخول والأمر اربابا ما اعقب المهرجان
كان من ذلك فقد انتك الحرة مصونة بها الاحكامان
وتحايي مؤجل بي حين ليج منه الحياء والمهران

عقوبة كذه لا تمتطع رط الاصاب بمسائها بل قبل الى يوم والذعر لا ينتظر
ان يكون صاحبها ذا اقدام وعريضة صادقة . وبرعم ما نقرأ في شعر ابن الرومي من ذكر
المحد والملي فانه لم يتعد في ذلك حد الكلام كان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضم
عصري حاد ، وقد توند من امتزاجها ذلك الحرف الصبيبي وثالث الغيرة الشادة التي كانت
توجهه انه فوق العالمين ، وانه حدير بكل اكرام وتهظيم ، و من لا بكرمه فقد نقص
قدره وحق عليه ان يهجرو ويحط من كرامته ايا كان ومعه كانت مدائه . وانما لنوافي
الاستاد العقاد في ان شعرنا كان حسن النية رفيق القلب لم يحن شريراً مطويماً على
الشكس والعداوة^(١) ، وسكن الرجل كان على ما يقدر يجمع في نفسه نقائص من الاخلاق
فهو مسلم شديد العدا ، رفيق القلب الميم النفس ، وفي سحر ، شعاع حنان ، الى آخر
هذه الصفات البرية التي بفت اشتد الاخلاق لديها حازماً ، والتي لا يمكن لنا الا ان
نعزوها الى اختلال في جوده العصي جعله عريب الاطوار شاذ الاخلاق ، ميلا الى الاسراف
في كل شيء .

ومن ظواهر امراهه نهمة في المآكل والمشرب ، حتى ان الحصري يعزو موته الى
شدة نهمة^(٢) ولا شك ان ما نحمد في شعره من كثرة وصفه لاصناف الطعام والشراب

(١) ابن الرومي للشاعر ٢٢٣

(٢) زهر الاداب ٢ - ٩ . في كتاب الصحف والتعريف (لاني احمد المسكوي) ج ١ - ٢٩
(مطبوعة لظاهر مصر ١٣٢٩) يرى سبب موته ان تصدده عذبة قلبه في حياء الدم بن عبيد الله
وكان منهم رحيم يرا له او هراس يكرهه فسمه في حشاكه فاصت نفسه فيها

راجع الى هذا الميل فيه . واليك وصفه لآلة المذات عنه .

يا سائلني عن مجمع المذات	سألت عنه انعت المذات
خدا يا مريد الما كل اللذات	جرداقتي حذر من السمات
لم تر عيني ناظر منليها	فقتل اعرفين عن وجهيها

ثم يصف ما يضاف الى ذلك من لحم فروج ولور وجبن وبيض ودمع ودمع وكيفية
تحضيرها وطبخها ويختم القصيدة بقوله

ومنع العين به مد	واطلق الحذر به هتيا
املا ثنالك واكدم كدما	تسرع بيا قد بيت هدا
فهي عليها وانا الزم	عمدة شيطان رجيم

وكثيراً ما كان يدفعه نهمه الى ذم رمضان والصيام لما فيها من كبح الشهوات
والمذات كقوله

اذا برسكت في صوم لقوم	دعوت لهم تطويل المذاب
وما التعبدك في شهر طويل	يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهراً	وسراً بهاره من السحاب
فلا اهلاً طامع حكل خير	واهلاً مانطام وبالشراب

وقوله من قصيدة -

شهر يصد المرء عن مشروبه	بما يحل له ومن مأكوله
لا استناب على قبول صيامه	حتى تصرمه ثواب قوله

وه في الحرشيء كثير ، وكان من مدنيها المنسقين بها عن الهوم حتى في ايام مثليه
كقوله

ساعرض عن امراض الدهر دونه	واشربها صبراً وان لام لوم
فاني رايت السكاس اكرم حلة	ومت في وراعي الماشيت معتم
ومن صام الذنات ان حان بعضها	ليغم دهرأ ساءه فهو ارضم

وقد من قصيدة بعث بها الى زميله ابن المسيب

ادرك ثقتك انهم وقعوا في نرجس مع امة الفس
فهم بجل لو بصرت بها سحت من فحش ومن عجب
ديخانهم ذهب على دور وشراهم دور على ذهب

ثم يصف محاسنهم في الروضة الصا. ويطلب اليهم ان يقدم اليهم به . ومن
خبراته قوله يصف الحمر ويصف حسنا. تشرب

ومدانة كخاشاة النفس لطف عن الادراك فانس
سحبها في قلب شاربها روح الوجد وراحة اليأس
وقد في امل ابن شوتها حتى يوئل مرجع الامس
ومنهف ككت محاسنه حتى تجاوز مشية النفس
ابصرته والكأس بين فم منه وبين اقل خمس
فصكانها وكان شارب قمر يقتل عارض الشمس

واليت هذه المدامية الساحرة التي تذكرنا بشعر ابن راس

احل المرقى البيذ وشربه وقال « الحرامن المدامة والسكر »
وقال الخماري الشرايين واحد خلقت لب بين اختلافها الحمر
ساخذ من قولها طرفيها وشربها لافاق اوارد الزرد

وفي ديوانه كما ذكرنا آنفا شعر كثير في الحمر وانواع المآكل . فقدمت ذلك
الى وله بالشاب ، وشغفه بكل ما يقدمه من اطيب الحياة - كما ستري في قصائده
التي يصف بها الشيب ما كيا ايم الشاب ، نادماً اوقات اللهو والمفدت - تعرف ما كان في
نفس شاعره من نهم بالذائد الطيمية ، وكيف كان مقترناً بتقديمه حواسه من نشوة
جسدية .

ومن الانصاف ان نقول ان شاعرنا لم يكن عربداً بين شعراء العرب في ذلك فقله
كان ابو نوس واضرابه ، ومثله كثيرون من محبي الحياة الدنيا في كل عصر . على ان به
على ما يظهر مرحلة خاصة : فهو شغوف بالحياة لاهل الحياة - يحب ان يعيش وان يعيش
قريباً يتمتع بحماتها واطايبها ، وقد وهته الطبيعة حساً دقيقاً فكأن يرى فيها ادق الالوان
واخفى الاصوات والحركات . ولعل شعوره بالحرامن وسوء احوال كان يزيد فيه هذا الشغف

وهذه الشهرة الحيوانية القوية : تقول الشهرة الحيوانية لاننا لا نرى في شعره ما يدل على غير ذلك - لا نرى فيه ذلك الميول الى الناس الطيبة حالة روحانية ترتفع به عن التمتع بالثقة . والمرأة والحمة والطعام والربيع والشباب - ياص كلها في نظره ادوات للسرور ووسائل للتمتع ، ونقدر ما يستطيع الانسان ان يستعملها يكون حظه في الحياة .

شعره وشاهريته

قال ابن حنبل ^(١) هو صاحب النظم المعجب والثوليد الغريب بفصوص على المعاني الدرة يستخرجها من مكائنها ويهره في احسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقى فيه بقية ^(٢) . وقد سقاه ابن رشيق فقال ^(٣) وكان ابن الرومي ضئيلاً بضعاً حرموا عيب يأخذ المدي الواحد ويؤلفه ، ولا يزال يقرأه طيراً بمطير ويصرقه في كل وجه والى كل حاجة ، حتى يمته ويعلم انه لا مطمع منه لاحد ^(٤) .

ومع علو كفه في الشعر لم يتركه صاحب الاعاني ولا ياقوت ولا الانباري ، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وسيرة ذكر فيها ان شعره كان ملي غير الحروف رواه عنه المسيني ثم عمده الصولي على الحروف ، وحمله ابو الطيب وراق بن عدوس من جميع النسخ ^(٥) . وثامه ابن حنبل في ذلك ولكنه حمل راويته المثبي لا المسيبي ^(٦) وهو على ما يقرأ في لنا خطأ نسحي فان المتن ولقد بعد موت ابن الرومي بشرب سنة فلا يصح ان يقال انه رواه عنه ، ولم ننذه الى هذا الخطأ اكثر المؤرخين والتأديبين الحديثين فقلوا كلام ابن حنبل على علته .

ويبين نقاد العصر الى القول بالوحدة في قصائد ابن الرومي كقولهم ^(٧) قصيدته قطعة مؤلفة تليقاً بصدقاً فتياً لا عوج فيها ولا ضعف ولا ميل الى الاستطراد ^(٨) ، او كقولهم ^(٩) طاب ابن الرومي هذه السنة (اي سنة لديه حملوا البيت وحدة النظم) وحمل القصيدة

(١) وفيات الاعيان ١ - ٢٩٩

(٢) الفهرست ١٦٥

(٣) المبداء ٢ - ١٨٥

(٤) للمجمل ١٣٨

(٥) كما في نسخة اخرى

كلاً واحداً لا يتم بغير تمام المعنى الذي اراده على النحو الذي نجاه . قصائده موضوعات كاملة تقل المناوي وتحتصر فيها الاعراض ، ولا تنتهي حتى ينتهي مؤدأها ^(١) .

ولدى يقوون بالوحدة يحلون اساسها طبيعة شاعرنا اليونانية ، واختلافها في الاستعمال والتوحيد عن الطمعة العربية . والمدقق في درس شعره يجد هذا الحكم العام صحيحاً في بعض قطع خاصة ، او بعض احراء من القصائد لا في القصائد عموماً ، كمرصده بنسب او للحرث او لمشفة السر او سيطرة في لب الشصريح وما شاكل . وليس من الضروري ان يكون ذلك راجعاً الى « يونانية » نجه عن سائر الشعراء ، فهي لشعر العربي قديماً وحديثاً امثلة كثيرة على اتصال الفكر في قطع تطول او تقصر بالنسبة الى الاحوال . خذ قصيدة عمر بن ابي ربيعة « امن آل نعم » ، او مرثاة ابي ذؤيب « أمن المون » ، او وصف الايوان للمعتري ، او وليمة ابن اوسابي : بل خذ كثيراً من غزليات ابي نواس وما اشبهها من الكلام المتصل الفكر الذي تجده في كل العصر الادبية ، ولا سيما في عصرنا الحاضر ، تجد ان ابن الرومي لم ينحرف في ذلك ، وليس في شعره . بدعنا الى القول بطبيعة تخالف طبائع معاصريه . واليك مثلاً قصيدته في علي بن يحيى المعجم ومطلعا

شاب رشي ولات حبي مشيب وعجيب الزمان عير عجيب

فهي ١١٧ بيتاً . منها ثلاثون في وصف المشيب والحض وخطر القواي اليها ، وثقية القصيدة في المدح يعدد فضائله من كرم ودهاء وسمو وشجاعة وما شاكل من المناقب الرفيعة . وإذا دوستها لا تراها تختلف من مدائح عصره من حيث الاسلوب والتعن في ضروب الوصف والمدح ، بل تستطيع ان تقطع سم ما شئت من الابيات وتبقى القصيدة تامة المعنى . وما يصدق على هذه القصيدة يصدق على قصيدته في عيادته بن عبد الله بن طاهر

صب من شاب مرقه تصالي وان طلب الصا والقلب صاب

وهي ١٧٥ بيتاً خصص منها نحو ٧٠ بيتاً لمشيب وتذكارات الشباب ، وساق الباقي في مدح المدح على الطريقة المشمة عند الشعراء . وكذلك القصيدة التي يهنته فيها بعيد المهرجان وهي تقرب من ١٣٠ بيتاً وتختلف بين وصف يوم العيد وتعداد فضائل المدح والاه ،

(١) ابن الرومي للمقاد ٣٠٨

وعبر ذلك من مائر مطولاته كمرثاته لابي الحسين بجي بن عمر العربي وهي ١٠٩ ابيات
ومطلعها

امامك فانظر ايّ نصيبك منهج طريقان شقي مستقيم واعوج

وقصيدته في احمد بن توات - ديع اللوم ان اللوم عون السوائب - وهي ١٨٢ بيتاً ،
ورثاؤه لاهل البصرة - فاد عن مقلتي لذبة الدم - وهو ٨٣ بيتاً ، وعنايه لابي القاسم
الثوري - يا اخي اي ربيع داث لثقا - في ١٠٨ بيتاً ، وقصيدته في القاسم بن عبيد الله
- بها القاسم انقسم رواه - وتسع ٢١٦ بيتاً - ، وعبر ذلك من عيون قصائده ٠ في كل
هذه القصائد نجد بعض القطع التي تستقل بوحدة فكرية ولكنها لا تجد القصائد ههنا
تختلف عن امثالها في دوائر اشعار ، لا من حيث استقلال الابيات ، ولا من حيث
انساق الامكار . ولا ترى حلياً ما يؤيد القول بتأثير الزمة اليونانية في ادبه . وقد حاول
الاستاذ المقاد ان يجمع بين النظريتين لجل الصفة اليونانية فيه ادبية لانسبية ، او كما
قال « انها كلمة مقبومة في لغة الاداب وان لم تكن مقبومة في لغة الانساب » (١) .

مرآة الفقيه

واما يتأثر شعره بما يلي -

١ - طول النفس مع الملاحظة على السلاسة ههنا

٢ - استيفاء المعنى وتقضي كل ما يقال فيه

٣ - دقة الاحساس بالمؤثرات الطبيعية

٤ - ميله الى تشخيص ما لا يعقل

اما طول النفس فقد اشرنا اليه سابقاً ، وزيد به مقدرة الشاعر على الاسهاب في النسخ
دون تعب او تكلف ظاهر . فاما لا ترى لشاعر عربي ما تراه لابن الرومي من كثرة
المطولات التي تتجاوز المئة والمئة والخمسين بيتاً ، واكثرها حسن البك كثير الالوان

المنوعة . وبدوي ان نجد في مطولات كهذه بعض الحشو والتكرار وشيئاً من السفسفة ،
ونكتها عموماً تدل على غرابة مادته الشعرية وعلى مهارته في استخدام الالفاظ المعانيه . فهو
مياض كثير الاطباب والمراجعة بعيد المدى في ميدان النظم ، ولكنه لا يصل الى آخر
مداه منهوكتاً مقطوع النفس ، ولا شعر في شعره يتكسب مضمناً او جواً عفيفاً .

على ان الاطالة لا تؤمن احياناً ، فقد تضطر صاحبها الى استعمال غرائب الصيغ والالفاظ
محافظة على وزن او معنى ، ولا سيما اذا كان واسع الاطلاع في اللغة كشاعرنا ابن الرومي .
واثباتاً لذلك نذكر هنا بعض ما اعتقنا من غرائب ديوانه مع الاشارة الى مواطن كل غفلة
ليسهل الرجوع اليها ، وليس الذي نشأ هنا الا قليلاً من كثير ، يرد في ديوانه

١١ -	ج ١ -	لشريف حسن	ديوان ابن الرومي	مؤخره
٢٧ -	٢٧ -	حطلي دون الغناء	(الحليس)	حطلي
١١٠ -	١١٠ -	مريغو قدام	(طالبوه)	مريغو
٢٠٢ -	٢٠٢ -	لازب الجروب	(لازم العيب)	لازب
٢٣٧ -	٢٣٧ -	خريثاب	(قديمة)	خريثاب
٢٩١ -	٢٩١ -	كروب وذياب	(اضطرابات)	كروب
٢٧٥ -	٢٧٥ -	مقمن ارواجب	(متشج الاصاب)	مقمن
٣١٧ -	٣١٧ -	نعمه تروثب	(مقببة)	نعمه
٣٢١ -	٣٢١ -	مرث	(حليم)	مرث
٣٧٨ -	٣٧٨ -	عمل اللصاب	(عمل الخبال)	عمل
٤١٠ -	٤١٠ -	التقد	(صفع الثقفا)	التقد
٤١٥ -	٤١٥ -	السخاب	(القلادة)	السخاب
٥٨ -	٥٨ -	غنتارات الكيلاني	(كريبه)	غنتارات
٨٥ -	٨٥ -	يومان اروقان	(عصبان)	يومان
١٢٠ -	١٢٠ -	للدهر منجنون	(دولاب)	للدهر
١٧١ -	١٧١ -	اكف ضوابث	(نواشب)	اكف
٢٠٩ -	٢٠٩ -	الزوش	(العمد)	الزوش

أملك لائب (حملك الحنشد)	مختارات الكيلاني ج - ٢٥١
أبريق ردوم (سائل)	" " " - ٣٩١
كدنتي فتغدد (مضي يزل)	" " " - ٣٩٢
هل من غدد (لي بد)	" " " - ٣٩٣

ويكثر في مطولاته الروابط الكلامية يأتي بها ليربط ما تقدم عما تأخر، ولا يستحسن ذلك في الشعر. ومن هذه الروابط ما يلي -

مع انه لم لا - لا سيبا - بل - كيا - غير ان - وصي انه - لذلك هذا - على اني - مع - وطم - هكذا - برهن ذلك - وذلك ان - النع (١).

. . .

ومع تمكن ابن الرومي من شوارد اللغة لا يأنف احياناً من استعمال بعض الالفاظ الاعجمية. وهي ان جاز استعمالها في المباحث العلمية لا تستحسن في الشعر وما اليه من الكلام الفني، كاستعماله الالفاظ التالية

آيين - في قوله «عجمي آيينه عربي» اي عاداته ودأبه
شير " " " «اعني سليمان الذي في رسمه قر وشير» وهي الاسد في الفارسية
زرياب (٢) " " «وتهاويل من سندس ومن زرياب» اي ماء الذهب
الدوشاب (٣) " " «علي احمد من الدوشاب» اي اللبنة الاسود
الكوش " " «يا اسلم الكوش هالك ضامنة حذع انوف واصلم اكواش»
والكوش هي الادن في الفارسية

وامثال ذلك من الالفاظ التي كان يتسلح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان (٤)

(١) راجع شرح محمد شريف ج ١ - ١٥١ - ١٦٥ - ١٧٢ - ١٨٥ - ١٩٩ - ٢٥١ - ٢٧٥

- ٢٢٨ - ٣٢٦ - ٣٨٦ - ٤١٩ - ٤٦٢ ومختارات الكيلاني ٨٤ - ٤٧١ - ٤٨٥

(٢ و ٣) ويجوز استعمال حذر اللطيف اذا اصيها علماً - كالكنياك مثلاً

(٤) اللين واللين ١ - ٦١

استيفاء المعنى وتقصي الاغراض

« ياخذ المعنى فلا يزال يسالحه حتى لا يبقى فيه بقية » ذلك رأي ابن خلكان فيه وهو رأي مصيب ، واليك بعض الأدلة على ذلك من شعره

١ - في معانيه لا يي القاسم التوري لشرطي يذكر هنوت ذلك الصديق ، وان الحاجة كشفت له هنن ، ويجري بينه وبين عارضة طيبة بقول فيها

ليتي ما هتكت مكن سقا عشيق تحت ادك الطلاء
قلن لولا انكشفت ما تجلت عنك ظلماء شبه قتلاء
قلن امع مكن من كاسدت كاشفات هوشي الطلاء
قد افدتني مع الحمر باصاحب ان رب كاسف متحص
قلن امع محتر يتعني انه لم يزل على حياء
كنت في شبه ازالنا منك فاقسقتنا من الازراء
ونيت ان تكون على الحيرة تحت العاية الطغيا
قلت تالله ليس مثلي من ود ضللاً وحيرة باهتداء
غير اني رددت سقر صديقي بدلا باستعادة الاباء
قلن هذا هوى مخرج على الحق وغل الهوى اقلب هوا
ليس في الحق ان تود طل انه الدهر كامن الادواء
بل من الحق ان تدتر عين والأ فانت كالبعداء
ان تحت الصيب من داء ذي الداء لاس الشفاء قبل الشفاء
دونك الكشف والمساب فقوم بهما كحل حلة عوجاء

وهذه الحاررة تكشف لك عن فن ابن الرومي وميله الى البحث المستفيض وتقصي كل معنى من الغرض الذي يرمي اليه . وفي هذه القصيدة نفسها يمدح صديقه بالمهارة في الشطرنج فيذهب في الوصف كل مذهب كقوله

غط الناس لست تسب بالشطرنج لكن بانفس اللصاء
لك مكر يدب في القوم احفى من ديب اعداء في الاعضاء

او مسير القضاء في ظلم اليب الى من يريد بالثراء

وعلى هذا النحو يصف له في نحو عشرين بيتاً يتفنن في معانيها ما شاء ، وكلها شاهد على تدقيقه في اعراضه ومحاولته بلوغ الغاية منها .

٢ - ذكر السر ومثاقفه وما لاقاه من ذلك برأً ومحراً في قصيدة يمدح بها احمد بن ثوانة وقد اجاد فيها كل الاجادة . واليك شيئاً منها مثلاً لما نحن بصدد من تدقيقه وتقصيه

قال

اذ اقتبى الاسفار ما كره الفنى الى وامراني برفض المطالب
ومن نكته لاقيتها بعد نكبة دعت اعتساف الارض ذات المناقب
وصدى على الاقتدار ايسر عملاً طلي من التفرير بعد التعاديب

ثم يمدح ما لاقاه من هول الداء ان الشتاء من مطر وبرد وثلج وصفاً في عاية الدقة ،

نذكر منه ما وصف حاله وقد اضطر الى المبيت في حان

فلت الى حان مُرشِدٍ ساذج مسبل عريق الثوب لهفان لاهب
فلم ابق فيه مستراحاً لثعب ولا تُولاً ، ايان ذاك لالهب ؟
فما زلت في خوف وحور ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب
بؤرقي سقب حكايتي تحته من الوكب تحت المدججات المراضب
تراه اذا ما العين اتقل متنه تصر نواحيه صرير الخناطب

وبعد ان يستوفي وصف الحان وهول السفر في الشتاء يصف متاعب القبط في الصحراء في اثني عشر بيتاً ، ثم يتناول احوال البحر (يقصد دجلة) اذا هبت الريح وطفلت فوارب الماء ، ويحك ذلك حوكماً دقيقاً في ستة وعشرين بيتاً نذكر منها ثلاثة يرد بها على من لا يرى في دجلة ما يراه المسافر في البحر من خطر او متاعب فيقول -

لدجلة خب ليس للبحر انها تراني بجلجلم تحته حمل وائب
تطامن حتى تطمئن قلوبنا وتغضب من مزح الرياح اللواعب
لدارل موج في غمر زواجر وهوات حصف في شطوط خوارب
وليم اعداد بعرض متونه وما فيه من آذيه المراضب
وست تراه في الرياح مززلاً بما فيه الا في الشداد الغواب

٣ - وصف الشيب ويوم الصب. وذلك كثير في ديوانه ، نختار هنا ما جاء منه في قصيدة تبلغ ١٧٥ بيتاً قوماً في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وحصل منها نحو سبعين بيتاً في هذا الغرض الخاص . من هذه السنين ١١ بيتاً في وصف الشيب ووجوب الترحيب به لانه يبشر بلحاق الماضي كقولہ

وقلت مسلماً للشيب اهلاً	هذي المحطتين الى الصواب
المت بهيئتي في كل يوم	يوثك ترجلي اثر الشاب
لقد نثرني بلحاق ماض	احب اي من برد الشراب
كنت منياً شرارك نيباً	وان اوعدت نفسي بالدهاب
وانت وان فتكتك بحبيبي	وحاصب لفتني دون الصواب
فقد اشتيتي ومنت حقدي	نحشك حبه محلاً وكافي

و ١١ بيتاً في ذكر أيام الحداثة وموقف لعينات بين اس واليوم
و ٤٠ بيتاً يهتف فيها ما يذكره شباب من جمال حسان ومن جمال الطبيعة - ما فيها
من مياه وحدن و - حباب وبرد ورياح - وصفاً لا يترك فيه زيادة لمزيد يحتمه بقوله

يا اسماً ويا حرماً عليه	ويا حزماً الى يوم الطاب
انطمع بالشباب ولا اغترى	لقد غفل المعري من مصابي
تفرقتنا على صكره حميداً	ولم يرك عن قلى طول اصحاب
وكانت ابكتني ليد احتشاء	فمادت بعده ليد احتطاب

ثم يقول

استك برهة لس تدال على علي بفضلك في الشياب

ومن يراجع هذه السنين يتبين ويتأمل توافر الشاعر على تقصي المعاني وتدقيقه في رسم ظلاله ، يتكشف له ما قصد اليه ابن حلكان اذ قال « لا يبق في المعنى بقية » .

ولم كان ابن الرومي بطبيعته دقيق الاحساس كان من الطبيعي ان نراه يجيد في وصف الانوار والاصوات ويفتخ بها ما شاءت قريحته ، وله في ذلك لطائف تعد من اجل ما في هذا الباب من الشعر العربي .

وعتاز بالباسد الحاد حياة وينقل غير العاقب الى مصاف العقلاء، وهو ما يسونه بالتشخيص
 او المماز المرسل - ومن ذلك حديثه مع هنوت صديقه (وقد مر في كلامنا على قصيدته
 « ايها القاسم القسيم رواء ») ، ومحاطته للشيب والشباب وابن الكساء ، وانطاقه
 الطيور والسمائم ، وسهته التفكير الى الشمس والندى والاعصان ، بما سقى الامثلة عليه
 في المختار من شعره - ولم يعود ابن الرومي بذلك ، ولكن له فيه ما يلفت النظر ويحمله
 في مقدمة اوصافه - وما يلفت النظر ايضا في شعره حسن احترامه ، وقد نحس له ابن
 رشيقي فقال « اما ابن الرومي فارادى الدس باسم شاعر لكثرة احترامه وحسن اقتضائه ^(١) » .
 وفي موضع آخر يقرنه بالي غام ويقول « ايها اكثر المولدين اختراعاً فيما يقول الحدائق ^(٢) » .
 ويزاد بالاحتراع كما ذكرنا في غير هذا المقام بدائع التشبيه والتشليل والاستعارة ،
 كقوله وقد رأى رجلاً يقلبي الزلاية فوصفه ووصف عمله

رايت سحراً يقلبي زلاية	في رقة القشر والتجويف كالقصب
كأنما رينة القلبي حين بدا	كالكييا التي قالوا ولم تصب
يُلقي المبعين لحيماً من اناقه	فيلتحي شايحكاً من الذهب

وقال يصف قوس السحاب

وقد نشرت ابدي الجيوب مطارفاً	على الجوى ذكناً والحواشي على الارض
يطررها قوس السحاب ماخضر	على احمر في اصفر إثر مبيض
كاديال خود اقبلت في علائل	مصنعة والبعض اقصر من بعض

ومن اقواله الجميلة يذكر ايام الشباب وانت لا تعرف قيمتها الا متى وت

لنا نزاها حق رؤيتها	الا زمان الشيب والمهرم
كالشمس لا تبدو قضيتها	حتى تغشى الارض بالظلم
ولرب شيء لا يبينه	وجدانه الا مع العلم

ومثل ذلك قوله في دم الدهر وانه يطلي الاسافل

دهرٌ علا قدر الوضيع به وتري الشريف يحسنه شرفه
كالبحر يوس فيه أوزاره سلا وتعلو فوقه حيفه

وله في الحكم مع طويلة ، من دقة بطله لا تمحصر في الوت الطبيعة والحياة بل
تتناول ايضاً العواطف وعلاقات الناس بعضهم ببعض - وهو يجاري في ذلك كبار الشعراء ،
كقوله

اذا ما كساك الله سرمال صكة ولم تحل من قوت مجل ويغيب
فلا تبطن المترفين قاهم على حسب ما يكسوم الدهر يطلب
وقوله -

خيلي قد مللتني بالاسى فانعتا ر اني اتسل
وما راحة المرزوء في رزء غيره ايجمل منه بعض ما يتحئل؟
وقوله -

فلا تسكل الا على ما فطته ولا تحبب المحد يورث بالنسب
فليس يسرد للره الا بنفسه وان من آباء كراماً ذوي حسب
وحكمه كثيرة وهي تمكس لنا في العال حياته وتأثير بينته فيه .

* * *

اما اكثر ديوان ابن الرومي ففي المديح والمدح . وانتاب والوصف ، على ان له في باب
الزنا بضع قصائد جيدة . منها مرثاة في ابنته الاوسط هي من لرق ما فاضت به مواطن
والد على ولد مرثى . قال في مطلعها يخاطب ميتة

بكاؤكما يشفي وان كان لا يجدي خردا فقد لودي نظيركما حندي
توشى حمام الموت اوسط صيتي فله كيف اختار واسطة القعد
طواه الردى حني فاضى مزاده بعيداً على قرب قريباً على بعد

ثم ياخذ بوصف الداء الذي احاب ولده ، وما كان له من التأثير فيه ، وشرح لنا

المواطف الایوة المثألة شرحاً بحرك اوتار القلوب : وانك ترى شدة اله ودقة تصويره في
عزله يخاطب التقيد

محمد ما شيء تُورغم سلوة	قلبي الا زاد قلبي من الوجد
ادى اخويك السابق كليهما	يكونان للاخران اوري من الزند
اذا لمبا في حلب لك لذما	فؤادي مثل النار عن غير ما قصد

والقصيدة كلها من هذا السط البع الذي يشهد لشعرنا برقة الشهور ودقة الفن .
وتجهد منظمها في باب المختارات .

* * *

والخلاصة ان ابن الرومي دقيق شديد الانفعال ، مصي لمراح الى حد الخروج من
جادة الرشاد . ومن هه عراة اطواره ، وعمله في الحصول على رفاهه ، وعدم قدر جيله
لقنذ ومواجهه .

المختار من شعر ابن الرومي

طبيعة شديدة الانفعال في شعر بعيد المدى كثير الألوان : تقرأ فيترسم لك ما في
نفس ناظمه من ولع في الحياة وحرارة لقد اطلابها ، مقروين باسراف في العاطفة يدفعه
أحياناً الى درجة الشذوذ .

ذكرى الشباب

من قصيدة في عيد الله بن عبد الله

على كره ومن داع حجاب	كفى ناشب من نام مطاع
مطية باطلي بعد الحجاب ^(١)	حطعت الى السعي رحلي وكنت
بيادي المخطئين الى الصواب	وقلتُ مسلماً ناشب : اهلاً
بوشك ترحلي اثر الشباب ؟	الست مبثري في كل يوم
احب الي من يرد الشراب	لقد بثرتني بلحاق ماض
وان اوعدت نفسي بالذهاب	فلست مسنياً شراك نعيأ
سوى توقيع وهيك بالخطاب	لك الاشرى وما اشراك صدي
وصاحب لذتي دون الصواب ^(٢)	وانت وان فتكت بحب نفسي
بحبك خلقه قهلاً رحكاني ^(٣)	فقد اعتبتني ، وامت حقدني
فقد رفعتني فيه ثواني	اذا الحقني بشقيق عيشي
راياه نشوب الى مسأب	وحسي من ثواني فيه ألي
اذا فقد الشباب سوى عذاب	لعمرك ما الحياة اكمل حي
اذا ولئى ، باسهما الضباب	فقل انت دهرى فلتصني

(١) صاب النشاط والسرعة

(٢) وانت وان دعت عبي او صاحبي فقد ارسيتي ذلك تدمني الى اللحن به عاجلاً

سقى عهد الشيبة كل ميثر
يا لي لم اقل : سقياً لهد
افتر مجلجله ذاتي الرباب^(١)
ولم لوقب الى سقيا سحاب^(٢)

يدكرني الشاب هوان عتي
يدكرني الشاب سهام حفر
رمت علي سمن فاقصدته
فواحت وهي في باله رخي
وكل مبارز بالشيب قرنا
وصد الغايات لدى عشالي^(٣)
يصن مقاتلي دون الابهاب
ظلوع النمل من حلل النقب^(٤)
ورجت بلوعة مثل الشهاب
فسي لعرك غير سب

يدكرني الشاب جنان حذر
تفني ظلمها نفحات ربح
اذا ماست ذوائها تدامت
يدكرني الشاب وميض برق
فيا اسماً ويا جزماً عليه
أأفجع باشاب ولا اهزى؟
تفرقنا على حكهو جميعاً
وكانت ايكتي ليد اجتناء
على جنات انهار عذاب
تهر متون اقصان رطاب^(٥)
بواكي الطير فيها بانتحاب
وسجع حمامة وحنين ناب^(٦)
ويا خزناً الى يوم الحساب
لقد فعل المعزى عن مصالي
ولم يك عن قلى طول اصطحاب
فماجت بعده ليد احتطاب^(٧)

اياُرد الشاب، اكننت عندي من الحسات والقسَم الرغاب

(١ و ٢) سقى عهد الشيبة كن مطر كثير الرعد داب السحاب - ذلك العهد الذي لم اكن احتم بسواه ولم اشعر به بحاجة ما

(٣) يدكرني امام الشاب عدم اهتمام الغايات اليوم في

(٤) ظلوع النمل الح اي حستانه سكرت رمي الببال من وراء النقب

(٥) تفني ظلمها اي تحركه (٦) الشاب السابق

(٧) الابكة الشجرة كنى بها عن الحياة فقال وكانت حبابي شجرة فاصبحت الان ياسة

بليت على الزمان ، وكل يُرد
وعرط لي ان تسلي واقعي
ايتك برهة ليس انتدال
ولو ملكت صونك فاعلته
ولم أبتك الا يوم غرر
حبيداته قمر بي رقيق.

فمن بلي وبين يد استلاب
ولكن الحوادث لا تحسالي
على طلي بفضلك في الثياب
اصتاك في الحرير من الثياب^(١)
ويوم زيارة ظلك اللباب
وحسبك باسمه فصل الخطاب

الى ان يقول فيه

اظلّ سحاب غمرك كل شيء
سواي ماضي عا يظهر
تشير اليّ بالمحروم ابدي
قطار في انتظار الوعد جداً

ودد على البلاد بلا مصاب^(٢)
كالي خاف مقطوع القرب^(٣)
كايدي الناس في يوم الحصاب^(٤)
ورب الدهر يؤذن بالشباب

افكر في نصايح انت منه
الت المرة لا مزم كهام
فمش في غبطة ونعم بال

فعلق دون غمرك ككل باب
ولا مجل اليه بندي انتاب
وملك لا يخاف يد اغتصاب

ومنها

وايس لانني سدت سبيلي
فما لت هضتي عن كل سيل.

ولا عجز اضطراي واصطعاني
وفاتت نبعتي نضج الذئاب^(٥)

(١) الثياب غرائز الثياب

(٢) بلا مصاب اي غمراً دون ان يظلم . والعرب ادروف

(٣) لم يصبي حيث مرورك كالي كست في الطرف الذي تقطع هذه الطار

(٤) اي يشير الى السمس باندعم ويقولون « محروم » من الحظ . وقد شبه كثرة المشيرين اليه

بأيدي الناس يوم ذي المعادة عني (في الحج)

(٥) اقصاك لانه قد سدت في وجهي سيل الرزق فاني ككرم النفس اتالي من الاءاس وقد عجز

عن ذلك بقوه (تعالت هضتي عن السيل ومعني عن رش الدلاء)

فليس ينسالي إلا مثيلُ يُطلّ عليّ اطلال السحاب
ولو لي قطعت الأرض طولاً لكان اليك من بعد انقلابي

وقال مادحاً علي بن المنجّم

شب راسي ولات حين مشبٍ وعجبُ الزمان غير معجب
قد يشبّ القني وليس معيباً ان يرى النور في القضيبي الرطيب
ساءها ان رثت حياء اليها ضاعت الرأس عن مدرك شيب
فدنته الى الخضاب وقالت ان دفن النيب غير مريب
خضت رأسه فبات شديح واضمحى فطيل في تأنيب
ليس ينفك من ملامة زارٍ قائل بعد بطركي متريب
ضلة ضلة لمن وهظته عبر الدهر وهو غير مُنِيب
هاجر راحن القوي يتحاطى صفة الله في قساع المشيب^(١)
رام اعجاب حكل بيضاء خود لسواد الخضاب ذي التمجيب
فتضاحكن هازئات وماذا يوق البيض من سواد جيب^(٢)
يا حليف الخضاب لا تحدد النفس قبا انت لقيبا بنسب
فاتخذ على الشاب حداً وانك فيه بعدة ومحجب

وفتاف رأيت خضبي رقات مز داء المشيب طيب الطيب
خاضب الشيب في باض مبعين حين يبدو وفي سواد مريب
ليس تنقاد عادة لهواه وهو ينقاد كاتقياد الجيب^(٣)
طلعتي الخراب حتى حكاني ليس بيني وبينها من حبيب
سلستي سواد رأسي واحكن عوضتي ريش حكل سليب

(١) اي صيب يتناول صبغة يقر بها مشبه مطهر اما اللون الطوسي الذي حقه الله

(٢) حبيب اي مخلوق مصطب

(٣) الخيب ما يناد من الركاب

عوضتني خا معالي عليا يرض فيه سالوة للتعريب
 يستغث البهيم منه بمعدور لدى كل كربة مستجيب
 يتلنى المدعين عن الابواب بالشر منه والترجيب
 غرته الخلاق الزهر في السا من و اوحته بالتعريب
 ما سمي والعدة لمعد الا سق المصورين بالتعريب^(١)
 من رآه رأى شوهه تعي عن سماع الشاء والتعريب
 لودمي به مؤد ذككي ما له في ذكائه من ضرب
 يقط في الهذت در حركات لسكون القلوب ذات الوجب^(٢)
 أمي يرى ما أول ظن آخر الامر من وراء المظيب
 ثابت احوال في الزلال مهال لؤاله انياله العكيب
 ليس بطفه فان ريم منه معكم السود كان جد صليب
 احنت وصفه مساعيه حتى احنت كل شاعر وخطيب
 يمتته بنا المعاي فافضت من مضاه الى مضاه رجب
 بأبي انت من جليل تهيب مطلب الرؤف منه غير مهيب
 امجز الطالبيك شأوا بعيد لك ادركته بؤف قريب
 هاكها مدحة تنس بها ارحكان ما اورمت روائم نيب^(٣)
 نظم الفسحر درها غير مقو بر اذا الدر شين ماتتق
 يطرب السامع ايسر ما فيها وان أشدت بلا نظرب
 منك جاءت اليك يحمر بها الود على رمة بلا تعريب

رثاء ابنه الاوسط

سكاؤسكي^(١) يشفي وان كان لا يجدي لجودا قد ودى نظير كما عدي
 ألا قتل الله المايا ورميها من القوم حنت القلوب على عمد

(١) اي ما سمي هو وواحد اي المجد الاوسط شفرته حرمهم المرمع

(٢) اي انه لدى الخطوب يقط فيحرك همته عا بسكن بصطراب مقوب

(٣) اي ما حنت النياق الى اولادها (٤) يحط عليه

توحى حمام الموت اوسط حبيبي
على حين رشت الخيد من لحاته
طواه الردي عني قاضعي نزاره
لقد انحزت فيه المنايا وعيدها
لقد قل بين الهد واللحد لسه
الحق عليه انزف حتى احاله
وظل على الايدي تساقط نفسه
فيالك من نفس تساقط انفسا^(١)

فلعل كيف اختار واسطة القصد
وآنت من افعاله آية الرشد
بمبدأ على قرب غريباً على بعد
واخلفت الآمال ما كان من وعد
فلم ينس عهد الهد اذ ضم في اللحد^(٢)
الى صفرة الجادي من حمرة الورد^(٣)
ويذوي كما يذوي القضيبي من الرند
تساقط درر من نظام بلا مقد

عجبت لتلقي كيف لم ينفسر له
وما سرني ان بعته بتوابه
ولا بعته طوعاً، واحسن عصفه

ولو أنه اقصى من الطهر الصلد
ولو أنه التخليد في جنة الخلد
ليس على ظلم الحوادث من مُعد

واني وان مُتت بانني بعده
واولادنا مثل الجوارح^(٤) ، أجا
لكل مكان لا يبدؤ اختلاله
هل المين بعد السمع تكفي مكانه
لعبري لقد حالت في الحال بعده
تسكنت سروري كله اذ تسكنته

لداحكره ما حُت النيب في نجد^(٥)
فقدناه كان الفاعع الين الفقد
مكان اخيه من جزوع ولا جلد
ام السمع بعد المين يهدي كي تهدي
فيا ليت شعري كيف حانت به بعدي
واصبحت في لذات عيشي أخا زهد

(١) اي انه مات صبراً

(٢) كثر عليه روف الدم حتى احال لونه الوردى الى اصبرار الزهراني

(٣) فيا ليت من نفس تذوي فتذوي منها طوس كثيرة

(٤) البيت السابق - اي وان كان لي باحوته ملوة ذبي ما ذكره دانساً وساتو مع لذكره

(٥) الجوارح اعضاء الجسم

أرمجته العين والاتف والحشا
سأحقيق ماء العين ما سمعت به
أهبي حردا لي ، فقد جدت لثري
كأني ما استمتعت منك بصنقر
ألام لما اندي عليك من الاسى

الا ليت شعري هل تغيرت من جهدي ؟
وان كانت السقا من الدمع لا تجدي
بانفس مما تُسألان من الرغد^(١)
ولا شقة في ملعب لك او مهد
واني لأحبي منه اضاعف ما أبدي

محمد ما شئ ، تؤفهم سلوة
أرى اخوبك الدافين حكيهما
ادا لعب في ملعب لك نذما
عسا فيهما لي سلوة بل حرارة
وانت وان أفردت في دار وحشة
عليك سلام الله مني نجبة

قلبي ، الا زاد قلبي من الوجد^(٢)
يكونان للاحزان اوري من الزند
فؤادي مثل النار من غير ما قصد
يبيحناها دوني واشقى بها وحدي
فالي بدار الانس في وحشة الفرد
ومن كل غيث صادق البرق والرعد

من رثائه لابي الحسين يحيى بن عمر العلوي^(٣)

امامك فانظر اي نهجيك تهج
ألا أئهذا الناس طل ضرورك
أحكل أنان لنبي محمد

طريقان شتى ، مستقيم واهوج
بآل رسول الله فاحشوا او ارتجوا
فليل زحكي بالدماء مضرع^(٤)

(١) الرغد السقا

(٢) في هذه الايات وما بعدها يقول يا محمد ما من شيء يحسونه سلوة الا ويريدون حزنا على
حزون . انظر الى اخوبك اليائسين فادكر في كل حركة من حركاتها ويشند لذلك اسطرام
الاسى في نفسي قامت وان كنت وحيدا في القفر فاي بين الناس وحيد بالاسى

(٣) وهو حميد حميد الامام علي وكان قد قام على البابيين فقتلوه . وفي هذه القصيدة يثلج
تشجيع الشاعر لكل البيت

(٤) إشارة الى ان القليل من بيت الرسول

بني اصطفيكم يأكل الناس شلوك
 اما فيهم راع خلق نيتة ؟
 أبعد المصكني بالطين شيدكم
 نسا وعلينا ، لا عليه ولا له
 وكنا زجيه لكشف عاية
 لولاكم - عما قليل - مُفْرَج
 ولا خائف من ربه يتعرج
 تضي مصايح السماء فُتْرَج^(١)
 تصبح سراب الدموع وتنسج
 ماما ماما ماما تتلج

أيجي المني لمي لذكرك لفة
 لمن تستعد الارض بمك زينة
 سلام وريحان وروح ورحمة
 ولا يرح القاع الذي انت جاره
 ويا أنفي الأُ ترد تجنة
 غشاء على دار ظمت لنفوس
 مباشر مكواها الموزاد فيضج
 فتصح في اثوابها تتعرج
 عيك ، وعمدود من الظل سجع^(٢)
 يرف عليه الاخوان المطلع^(٣)
 سوى رَج من طيب رملك يارج
 طيس بها للصالحين معرج

الا ايها المبشرون بيومه
 اكلكم امي اطمان مهاده
 كائي به كالليث يجمي عرينه
 كدأب علي في المواطن قبله
 كائي اراده - والرحام تنوشه
 كائي اراده اذ هوى من حواده
 ونسب به جسماً الى الارض اد هوى
 احلت عليكم نعمة لا تفرج
 بان رسول الله في القدر مزعج
 واشتاله لا يزديه المبهج^(٤)
 الي حسن والمعن من حيث يخرج^(٥)
 شوارع كالاشطان تدلى وتخلج^(٦)
 وتقر بالقرب الطين المشج
 وحبها روحاً الى الله تعرج

- (١) نمرج نفس طفتها (٢) سجع اي لا حرب فيه ولا قر
 (٣) اي لا يرح مدقه يتألق عليه الاخوان
 (٤) كائي به في ساحة الحرب كالليث لا يستغفه زجر زاجر
 (٥) اي حو في شجاعته كعده الاسام علي
 (٦) تنوشه تطلبه والاشطان اشال . وتدلى وتخلج اي غد وغمره او يرسل وتحد

اجنوا بني العباس من شدائكم
واخلوا ولاية السود منكم وفيهم
نظار لكم ان يجمع الحق راحم
وانكوا على ما في العباب وشرحوا^(١)
وحرهم ان يفرقوا حيث لخصوا
الى اهل يوماً فتشعروا كما شعروا

بني مصعب^(٢) ما بلني واحد
واني على الاسلام منكم لخاصة
وفي الحرم ان يستدرك الناس امرهم
لعل قلوباً قد ظلمت عيولها
مدوا مساكنهم اقصعوا او فلبطجوا
يوثق شقاً بها الآن مرقع
وحلم متعكم نقد مديج
ستظفر منكم بالشفاء فتشجع

البصرة وما حل بها يوم دخلها اريج

وذلك ٢٥٧ هـ^(٣)

ذاد من مقلتي لذيد الماس
اي نوم من بعد ما حل بالصورة، ما حل من حاستر عظام
اي نوم من بعد ما انتهت الزنج جهاراً محارم الاسلام
ان هذا من الامور لامر كاد ان لا يقوم في الاعوام

هف نفسي عليك ايها الب
لام هف نفسي عليك يا قبة الاله
هف نفسي عليك يا غرضه الاله
هف نفسي لحمتك المتفاني
هف نفسي لآهك كمثل آهك الخيام
لام هف نفسي بطول منه غرامي
هف نفسي يبقى على الاعوام
هف نفسي لترك المستقام

(١) استروا بهي الماس منكم وشدوا على ما في داحلكم من عود

(٢) هو مصعب بن حبان البجلي

(٣) ثبتت هذه الثورة برعامة علي بن محمد احد المدعي نسب المهدي وكان قيامه في ايام
الكنفي. فتقدم امره واكتفح البصرة وما اليها ولم يتمكن المسيون ان يصبروا الا بعد مشقة
طويلة

بيننا اهلها باحسن حال
دحاوها كأهم قطع اليب
اي هول رأوا بهم ، اي هول
اذ وموهم بنادهم من بين
كم اعدوا من شارب شراب
صحوهم وصكائد القوم منهم
ما تذكرت ما اتى الزنج الا

اذ دماهم عيدهم باصطلام
ل اذا راح مدلمم الظلام
حق منه يشيب رأس القلام
وشال - من خلفهم وامام
كم افعدوا من طعام بطعام
طول يوم سكأنه الف عام
أضرم القلب أيضا اضرام

عرجا صاحي باصرة الزه
فاسألاها - ولا جواب لديها
اي ضوضاء ذلك الخلق فيها
اين فلك فيها ، وفلك اليها ،
اين تلك القصور والدور فيها
بذلت تالكم القصور تلالاً
وخلت من حولها ، فهي قفر ،
غير يدر وارجل بانسان
ودجود قد رملتها دعاء
وطشت بالفران والدل قسراً
فقرأها تسفي الرياح عليها
خاشعاً ، سكأنها باكيات

راه تعريج مدنف ذي سقام
لؤال - ومن لها بالكلام ؟
اين اسواقها ذوات الزحام ؟
مشتات في البحر كالأعلام ^(١)
اين ذاك البيان ذو الاحكام
من وماذا ومن تراب دكام
لا ترى العين بين تلك الامكام
نفت بينهم افلاق همام
ياي نلصكم الوحده الدرامي
بعد طول التجميل والاعظام
جاريات جهوة وقدم
ماديات النفور ، لا لا ينسام

اي خطيب ، واي وزه جليل
ثالثا في لوتك الامام

(١) اشارة الى ان كانت فرصة عظيمة

واحيائي منهم - اذا ما التفتينا
اي حذر لنا ، واي جواب
« يا عدي؟ اما عضمت لوحدي
اخذتكم اخوانكم ، وقدمتم
وهم ، عند حاكم الحكم (١)
حين تدعى على رؤوس الالام
دي الجلال العظيم والاكرام
منهم - ويحكم - قصود الثام (٢)

بأبي لتلكم العظام عظاما
وعليها من الملك صلاة
انفروا ايها العسكرام خفا
أبرموا امرهم ، وانتم نيام ،
صدقوا ظن " اخوة املوكم
ادركوا ثأرهم ، فذاك لديهم
لم تفرؤا العيون منهم بنصر
انقذوا سبيهم - وقل لهم ذا
حارهم لازم لكم ، ايها النا
ان قدمت من الدين فانتم
بادروه قبيل الروية بالفر
لا تطيلوا المقام عن جنة الخ
فاشتروا الباقيات بالمرحى الاد

وسقها الماء صوب الثام
وسلام مؤكّد بسلام
وتقالا الى السيد اللام
سوءة سوءة لنوم النيام (٣)
ودجوكم لنوبة الالام
مثل ردة الارواح في الاجسام
فاقروا حيونهم بانتقام
ك - حافظا ورعية للامام
س لان الاديان كالارحام
شرحكاه الدين في الالام
م ، وقل الاسراج بالالحام
لدا ، فانتم في عير دار مقام
في ، ويبعوا انقطاعه بالدوام

(١) اي يوم حساب امام الله

(٢) هذا البيت وما قبله خطاب من الله للمسلمين ثم يعود الشاعر في كل الايات التالية يبرصهم

عن مساعدة اهل البصرة والانتقام من من عدوهم

(٣) قصوا امرهم وانتم في حلة منهم

عتابه لابي انقسام التوزي اشطرنحي

يا اخي اين ربيع ذاك اللقاء ؟ اين ما كان بيننا من صفاء ؟
 ان مصداق شاهد كان يحكي أنك المخلص الصحيح الاخاء ؟
 كشفت منك حاجتي هوانك غطيت برهة بحسن اللقاء .
 تركني - ولم اكن سبي الطن - اسي الطون بالأصدقاء .^(١)

يا اسي ! هلك لم تنب لي من سه يك حظاً ككافر البعلاء .
 أفلا كان منك رد جميل فيه للنفس راحة من حنا .
 يا أبا انقسام الذي كنت ارجو له لدهري قطعت متى ارجاء .
 لا اجاريك عن عرورك ايا ي عروراً - وقيت سوء احزاء .
 انت عيى وليس من حزم مبي عض احفانيا على الافشاء .
 ما بأمثال ما أبيت من الام و يحل الفقى ذرى الملياء .
 لا ، ولا يكسب الخادم في الباء من ولا يشتري جميل الشاء .
 بس من حل بالحسن الذي از ت به من ساعة ورفاء .
 نذل الوعد للأحلاء صحفا و ابى بعد ذاك بذل الفشاء .
 فقد كايخلاف^(٢) يورق للعب ن وبأبى الإغفار كل الابهاء .
 ليس يرضى الصديق منك بشعر تحت مخمونه دفين جباء .
 يا اسي ! يا اخا الدماناة والرقبة والظارف ولحفا والدهاء .
 رما هالتي وحير عقلي اخذك اللاعبين بالأساء .
 عن تدابيرك اللطاف اللولقي هن اخفى من مستبرر آهباء .
 بل من السر في صير حبيب اذبه عقوبة الافشاء .
 غلط الناس لست تلعب بالشط رفح ليكن بانفس اللباء .

(١) اي ان حامي اليك كشفت لي منك عن ميثاق حلفي بدهاء اسي الطن بالأصدقاء .

(٢) روح من شعر المصفاة

لث مكر يدب في القوم اخفى من ديبب الخداه في الاعضاء
او مبر القضا في ظلم العي ب الى من يريد بالخوا
او مري الشيب تحت ليل شاب مستعير في لثة سحا
دب فيها لها ومنها اليها فاكتست لون رثة شحا

. . .

ظلة لامرئ يشتر في الخ مع ليش مشتر لفسا
دائماً يكر القضاير الوا رث ، والعمو دائب في انقضا
يحبب الخط صنه في يديه وهو منه على مدى الخورا
ليس في آمل العم له خط ، وما داق ما حل النعما
ذلك الخائب الشقي ، ومن كا ن يرى انه من السعدا
حسب دي رثة ورأي حاي نظرت عينه ملا عوا
صخة الدمى والخوارج والمر ض وإحراز مسكة الخوبا (١)

. . .

يا انا القسم الذي يس يخفي عنه محسوس خطة قوصا
تري كل ما ذكرت جلياً وسواء من فاض الانعما
ثم يخفي عليك اني صديق ربما عرف مثله بالقللا
لا لعمر الاله لكن تعاشي ت بصيراً في ليلة قرا
من تعاميت ، غير اعمى عن الحق نهاراً في ضحوة عرا
ظالماً في مع الزمان الذي انت حقوق العكرام للؤما
تقلت حاجتي عليك فاضت وهي صب من فادح الأعبا

. . .

ظلمت حاجتي فلا أدع بحقوقك فاسلها لككم القضا (٢)

(١) اي حبه صفة الدين وان يبرز ما يحفظ للنفس

(٢) ظلمت حاجتي فطلعت بك ولكنك تبتغها وتركتها للقضا

وقضاه الله احوطاً للناس من الأثمهات والآباء
غير ان اليقين اضحى مريضاً مرضاً بائناً شديداً الخطأ.

كنت مستوحشاً فظهرت نجما وعزى عليّ هيبك فالو
انت أدويت صدر جأث فاعذر ان تكن لفحة اصابتك من صد
والدي اطلق اللسان فصارت لم أخف منك غلظة حين مات
وانا المرء لا اسوم عساني ذا الحبا منهم وذا الحلم والمأ
ان من لام جاعلاً لطيباً لست ممن يظل روعاً فالو
زادني وحشة من الخاطا. (١)
م ، ولكن أصبت صدري بداء
على النفس ، انه كاللواء. (٢)
لي ، فعلاً قدحت في الاحشاء.
تلك تدعو الغاب باسم الهباء
صاحاً غير صفوة الاصفاء
م — وحول ملامة الحلاء
بتعاطى علاج داء عياء
م على مول خلاء قواء

في وحيد الغنية

وكان الشاعر يستحسنها ويستحسن مدحها

يا خليلي ائتيتني وحيداً
عادة رانها من النحن قد
ورهاها من مرعها ومن الحدين
فهي بردٌ بجذها وسلام
ما لما تصطليه من وحتيها
فزادي بها معنى حميد
ومن الطي مقلتان وحيد
ين ذاك السواد والتوريد
وهي للعاشقين جهد حميد
غير ترشاف ريقها فريد

(١) كنت انا مستوحشاً من الناس فظهرت لي من جس حقي ما زادني قنوراً منهم

(٢) ادويت اي امرضت

(٣) والذي احق لساني بتلك اني احفك انهم الهباء

مثل ذاك الرضاب أطلأ ذاك الـ
وعزير بحسبها قال : صعبا
يسهل القول انها احسن الاش
تحملي للخطر اليها
ظنية تسكن القلوب وترعا
تنشئ حبها لا تنفي
لا تراها - هاء - تحفظ عين
من هدر وليس فيه انقطاع
مذني شؤ صورتها نفس كا
وارق الدلال والفتج منه
فتراء عيون طورا ويحيا
فيه وشي ، وفيه حلي من النذ
في هوى مثلها يحف حليم
ما تماطى القلوب الا اصاب
وتر الغزير في يديها مضار
حيها أنها - اذا عشت الاء
واستأذنت قلوبهم من هواها

وحد ، لولا الاياه والتصريد^(١)
قلت : أمران ، يقى وشديد^(٢)
ياء طرا ، وبصعب الشديد
فشقي بحسبها وسعيد
ها ، وقمرية لها تعريد
من سكون الادعال هو هي تجيد
لك منها ، ولا يدر ورديد^(٣)
وسجور ، وما به تلبذ
فـ ، كاعاس عاشقها مديد
وراء الشها ، فكاد يبد
مستلذ ببطه والشيد
م مصوع يختال فيه التصيد
راجح حله ، ويموى رشيد
هواها منهن حيث تريد
وتر ارجف ، فيه سهم شديد
دار - ظارا وهم لديها عديد
يرقاها ، وما لديهم مريد

وحسان عرضن لي ، قلت : مهلا
حسبها في الميرون حسن حديد

من وحيد ، خلفها التوحيد
لها في القلوب حب جديد

(١) ان مثل ذلك الرضاب يضره نار الواحد لولا الفخ ، والتصريد التجميل

(٢) للزير المروء

(٣) لا تراها تشكف وتجد بها حق تحفظ حياها وتخليه اوردها تشفع

خلقت فتنة ، غشاة وحسناً
 فهي نفس ، عييد منها كبير
 في حيث انصرفت منها سرفيق
 من يني ، وعن شالي ، وقدأ
 ما لها فيها جميعاً نديد
 وهي بلوى ، بشيت منها وليد
 من هو ، وحيث حست تعيد
 مي ، وخلفي ، وأي منه أجد ؟

بعض مقطعات الحكيم

١

في الناس

عدوك من صديقك مستعاد
 فان الداء اكثر ما تراه
 اذا انقلب الصديق عدواً
 ولو كان الكثير يطيب كانت
 ولكن قلما استكثرت الا
 فدع منك الكثير فكم كثير
 وما اللعج اللاح سؤديا
 فلا تستكثر من الصالح
 يحول من الصدم او الشرب
 مينا ، والامر الى انقلاب
 مصاحبة الكثير من الصواب
 سقطت على ذئاب في ثياب
 يعاف وكم قليل مستطاب
 وتلقى اري في النطف المدأ^(١)

٢

في الحياة

ان الحيد لمذك دركا
 والشر بين الناس مشترك
 واخر الشقاوة فهو في الدرك
 والحير فيهم غير مشترك

(١) ان لعج البحر مع كثره لا تروي وتلقى الري في القليل من المياه العذبة

والى الخود مآل ذي لب والى السكون تعار ذي حرك
وغدا الرجال على مكانتهم - يتبادرون مطارح الشباك
والعين نصر ابن حبها لكنها تسمى عن الشرك

٣

في نفع الشدائد

عرفتُ مقادير الرجال بنسبة أفدتُ بها مُدّاً وان مُدّاً مفرما
كفاني لمري أيما الناس خبرني بكم بعد جهلي واغتراري مفرما
ألا طال ما حلت قلبي ظلاماً فكألف من إعطام من ليس مُعظما
فقد حلها عني الإله بجهنم أواني بها وشدي ، وما زال منها

٤

في قصر العمر

دمر يشيع سنه أحد متابع ، ما يتقضي أمده
والحال من حمد يساعدا طوراً ، وحس مقبر نكده
يوم يُكِيننا وآونة يوم يَكِيننا عليه غده
نُبكي على زمن ومن زمن عبيكازنا موصولة مُدده
وَرى مكارهنا عِلدة ، والعمرُ يذهب فانياً عُدده
أفلا سبيل الى تبحيثنا في سمرِ لا يتقضي أُنده
سكري شباب لا يدقه حرّم ، وعيش دائم رِفده
لا خير في عيش تُحورنا اوقاته وتقولنا مُدده
يُعطي العتي الايام ينقها وقصاصها ان يُقتري جَلده

القناعة بالصحة

إذا ما كساك الله سربال صحة ولم تخل من قوت مجل ويفرب
فلا تقبلن المترفين فانهم على حسب ما يكسومهم الدهر يسلب

اقما المرء بنفسه

وما الحبيب المودوث لا در دره بعثتسب الا بآخر مكتسب
إذا المود لم يشمر - وان كان شبة من المشرات - اعتده الناس في الخطب^(١)
وانت لصري شبة من ذوي الملا فلا ترض ان تمتد من اوضع الشب
ولمعد قوم ساوروه فانفس كرامه ولم يرضوا بأم ولا بأب
فلا تتكل الا على ما عطته ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
فليس يسود المرء الا بنفسه وان عد آبه كراماً ذوي حسب

حب الوطن

وحب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاهما الشباب هنالك
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم جهود الصبي فيها لحقوا لذلك

(١) إذا الفصن لم يشمر هذه الناس خطياً ولو كان امله من شجرة مشمرة

المتني

ابو الطيب احمد بن حسين

٥٣٥٤ — ٥٣٠٣

٩١٦ م — ٩٦٦ م

مصادر دراسته - نشأته - في حلقة سيف الدولة - في بلاط مصر -
 بين العراق وبلاد فارس - مرآة الخلق - عصبته -
 شهرته الادبية - شخصيته في شعره
 اطوار شعره

مصادر دراسته

- الوساطة للجرجاني
 الفهرست (لیدن) ١٦٩
 يتيمة الدهر للشاهي ج ١ ص ٧٨ - ١٩٤
 المصنف لابن رشتي ج ١ ص ٨٧ - ١٣٣ - ١٩٤ ومواضع شتى
 تذهة الالباء للانباري ٣٦٦
 وفيات الاعيان ١ - ٦٢ والرسالة الحاقية فيه (في - بيرة الحاقية)
 مفتاح السعادة (لغاش كدري روده) طبع الهند ج ١ ص ١٩٢
 الصبح المنبي للبديعي الدمشقي على هامش شرح المكبري
 خزانة الادب للحدادي (مصر ١٢٩٩) ج ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٩
 ومن الشروح شرح الواحدي والمكبري واليازجي

ومما كتب فيه حديثاً

- رسالة ابراهيم اليازجي في فيل شرحه للمتنبي
 ابو الطيب المتنبي لمحمد كمال حلي
 حصاد المشيم للمازني ١٨٩ - ١٢٧
 المتنبي لشفيق حبري مجلة الجمع العلمي مج ١٠ ج ١ - ١٢
 ذكرى ابي الطيب لمحمد الوهاب عزام
 مع المتنبي لطلح حسين
 الانس المقيد ٣٣٠ - ٣٩٣
 المقنطف . مج ١٢ - ٣٦١
 العدد الخاص بيوبيله الاثني من مجلات المقنطف ، والحلال ، والحديث ، والعصبة
 غير ما كتب في كتب التاريخ او دوائر المعارف لكتاب عرب ومستشرقين

نشأته الأولى

لم يكسب ينتصف القرن لراسع المعري حتى كانت لدولة البائية تشاوعها عوامل الانحلال . فكانت دار الخلافة بهداد يعي مود المتني ووفاته ، اي ايام المقتدر والقاهر والراضي والمنقفي والمستكفي والطيع تحت نفوذ بني بويه اصحاب السيادة في فارس ، وكانت حب والموصل وما اليهما في يد بني حمدان - ومصر واكثر الشم واحصار في يد بني طنج ، وسائر الاقطار انعيم من الامر . المستقلين . ولم يبق للخلافة من رونق ، وكثر الادعاء ، ولنازول حتى عمت الفوضى السياسية . بين هذه الاضطرابات السياسية القومية نشأ شاعرا ، وكان مولده في مدينة الكوفة بالعراق ، وفيه نشأ نشأته الاولى . وكان يتردد بين الداية والحضر^(١) ، وكسب من الاولى صلاتها وتزمتها المدوية ومن الثانية علومها ونقائسها الادبية . ولا تعلم من صباه كثيرا ، ولكن الثاني الذي ولد قبل وفاة المتني بربع سنوت والذي دون في كتابه الشجر « بئمة الدهر » احبار شعراء عصره ومن تقدمهم قليلا ذكر ان اياه سلمه الى المكتاب وودعه في القائل ، وانه توفي وقد تهرع ابو الطيب وشعر ويرج^(٢) . ونقل الخدادى من الى القائم الاصفهاني انه كان يختلف الى كتاب يد اولاد شراف الكوفة فكان يتعلم دروس الملوكة لغة وشعرا واعرابا^(٣) . ويدكر الديلمي الدمشقي في الصبح المبني انه تعلم القراءة والكتابة وانه اخذ احفظه من ملازمة الوراقين^(٤) (باعة الكتب) . وفي مقدمة شرح اليازجي للديوان انه اتي كتبت من اكاير علماء الادب منهم الرضاج و بن اسراج والافضل وابن دريد وابو علي الفارسي وغيرهم ، وتخرج عليهم خراج ماددة الزمان في صناعة الشعر فيستدل من هذا ان شاعرا تعلم القراءة في المكتاب على عادة الصبيان ، وكان دحكي محبا للاستزادة فلامر الوراقين يطالع دفاترهم وحضر حلقات العلماء في زمانه .

وهناك امر آخر تعلم عن صباه ، وهو تردده الى ردة الحياة واقامته في ابي ابراهيم . ويستنتج من مختلف الروايات ان تردده كان اولاً الى ردة الكوفة ، ثم انتقل وهو

(١) بئمة ج ١ - ٧٨ (٢) البئمة ج ١ - ٧٩

(٣) حرافة الادب ١ - ٣٨٢

(٤) الصبح المتني ١ على هامش العكبري ١ - ٦

حوالي السبعة عشرة من عمره الى بلاد الشام . وفي هذا الطور من حياته شي . من الغموض
اذ لا تراه مستقراً في مكان خاص ، فثارة في المدن ، وطوراً بين قبائل البادية ، يمدح
بعضاً من ذوي العزة ، والكنة لا يجد في مدحهم ما يروي طمأ نفسه التزامة الى العلى .

وهكذا يحس له الدهر فيشب نافعاً ثائراً ، ويتاح له ان يتصل في البادية بمقاتل
بني كلب ، ويدرك زعائنهم الى الشراء ، فيتمكن ببلاعته وحماة الشاب فيه من
تحريكهم تحريكاً يفت نظر الحكام ، فيعقب عليه بأسر والي حمص ويبقى في السجن
وهو في نحو التسعة عشرة .

ولم تتحقق حكم بقي فيه تماماً ، واكتننا نستنتج انه بقي فيه مدة عيرة بسيرة (نحو
سنتين) . وكان اول دعوته السجن يظهر الاستخفاف باهواله - ومن اقواله في ذلك الحين
ايات كتبها الى صديق له يدعى ابا دلف كان يتهمه وهو في السجن (١) .

كن ابا السجن كيف شئت فقد وحشت للموت نفس معقوف
لو كان سكاني فيك مقصداً لم يكن الدرة ساكني الصدف
على انه لقي في السجن عدداً شديداً ، فقد وصحوا القيود في رحليه وحظه (٢) . ولما
طال اعتقاله بعد صده فارسل الى لوالي قصيدة يستعلمه ويثبته اليه بصغر سبه قال منها -

اهالك رقي ومن شأنه	هات اللعين وعنى الصيد
دهوتك عند انقطاع الزجاء	والموت مني كجبل الوريد
دهوتك لما براني اللاه	واوهن وجلتي ثقل الحديد
وقد كان مشيها في السال	فقد صار مشيها في القيود
تعتل في وحب الحديد	وحذي قل وحب الحديد
وقيل عدوت على العالمين	بين ولادي وبين العقود
لما لك ثقل زور الكلام	وقدر الشهادة قدر الشهود

وهذه الايات نفتات رجل متصايق نفذ صبره وخاف منية الامر . ثم راح يستشير
عوائله والي ورحمته فقال

بيدي ايها الامير الاربب لا اتي * الا لاني قريب
او لاني لما اذا ذكرتني دم قلبي يسمع عبي يذوب
ان اكن قس ان رأيتك اخطأت عني على يديك اتوب

قال ابن خلكان ثم استأنه الوالي واطلقه ^(١) . ولكن من اي شيء استأنه ؟ ها
تضارب آراء المؤرخين . ومن خلكان يجعل ادعاءه السوء سب سجنه وقد تبعه في ذلك
كثيرون ، وهو قول يحنس الشث . ومن من معاصري ابن خلكان او من تقدمهم من
يزعم انه ذلك من قول له وقيل عيرت ^(٢) . من التعالي لحمل السب انه دعا الى
بيعته قوماً من رثتي نسله ولا ذكر النسل . قال : ويحكى انه نأ في صاء وقت شرفة
بقوة اذبه وحسن كلامه ^(٣) . وفي كلام الشثي إشارة بالشث في الحكاية ، وقد نقل
تدريزاً لهذا الشك ما رواه ابن حنن تلميذ المتني وشرح ديوانه اذ قال سمعت ابا الطيب
يقول لما لقيت بالمتني قول ^(٤)

انا قرب اشدى ورب اقواني ومقام اشدى وعبط الحسود
انا في امة تداركها الله عريب كصالح في قوم

ومن المصنف ^(٥) ، رعم ابو محمد عبد الكريم بن ابراهيم البهشلي ان ابا الطيب صني
متنياً لفطنته

ويتناول التلميذ صاحب الصبح المتني التتوي ١٠٧٣ هـ ، اي بعد المتني بأكثر من
سبعة قرون ، هذه المسألة وينقل بنا بعض حكايات عن سيرة لا يسع التأمل الا ان يتقدم
في قولها على علان ، اولاً لترخي المدة بينه وبين الشاعر ، وثانياً لما فيها من الاضطراب ،
وثالثاً لانه ليس في ما ذكره معاصروه ما يشبهها . والذي يصح ان يستنتج عليه من
الروايات المختلفة ان المتني وهو في اوائل شبابه ظهر في البادية على راس فئة من الاعراب

(١) وبيت الاعيان ١ - ٦٤

(٢) « « « « (٣)

(٤) البيهقي ١ - ٨٠

(٥) بيهقي ١ - ٨٠ وشرح المكهمي ٢٠١ ح ١

(٦) السبعة ١ - ٤٥

فاقعة على اولي الامر^(١) ، وانه كان نفضته وقصاحته يستهويهم الى عاياته من حب الظهور والزينة . ولكن امره لم يتم فالقي القبض عليه واودع السجن ثم خرج منه ، وما عم ان
لحق به اسم المتني^(٢)

بعد السكن الى اتصاله بسيف الدولة (٣٧٣ - ٣٣٧)

ولما اطلق سراحه احد بحول في اقطار البلاد الشامية مدحاً ، عياناً . بقي على هذه الحال بضع سنوات^(٣) ، حتى اتصل سنة ٣٢٨ بالامير العربي بدر بن عمر وكان يتولى الجيش في طرابلس ودمه ومدحه ، وقد رأى فيه ضالته المشددة من حكرهم ورجوة ومحد قومي . ولكن اتصاله به لم يطل^(٤) ، فقد دخت بينهما مكيدة حساد والمناوئين حتى اضطر الى تركه والرجوع الى ما كان عليه من التش في الاقطار . وله في هذه المدة من الشعر ما يكاد يبلغ نصف ديوانه واهم ممدوحه فيها -

بدر بن هار ٦ قهائد . آل اسحق الثورخي ٧ . اما يحيى الحفري ٣ . عبدالله بن حلكان ١ . شعاع الطائي ٢ . مساور الرومي ٢ المبيت السعدي ٢ . علي بن محمد التميمي .
 الامير محمد بن طنج وابو المشائر الحمداني ٦ ونحو ٢٥ ممدوحاً قصيدة قصيدة

وشعره في بعض هؤلاء من الطقة الاولى - كتصانده التالية

في الحد ان عزم الخليل وحيل

بقائي شاء لبس هم ارتحالا

لا اقتغار الالم لا يضام

(١) رجع الواحدى ٨٣ وتلقاه على حمزة واحتاج العصابة اليه

(٢) تلفت النظر عما اذا راي المشرق بلاشير اندي رى ان اوي الامر يوهوا ان اقبامه في بني كلب علاقه بحركة العرامطة (راجع ذرة المعارف الاسلامية - تحت اسمي)
 وتحقيق الاستاذ محمود شاكر حذا رواية الاسدي ٣٦٩ انه المتني لم يدع النبوة بن آدمي
 للنسب المعوي ١١١ لا حل ذلك حص ثم استنب (المصنف مع ٨٨ ج ١ ص ٦٩)

(٣) زاد في اثباتها الكوفة وبني فيها عدة بحرب حديثه

(٤) لكنه لم يكن اكثر من ستين الى ثلاث

افاضل الناس اغراض لهذا الزمن
لك يا منازل في القلوب منازل
اطامن خيلاً من فوارسها الدهر
بالي الشمس الجائحات غواربا

وغیر ذلك من القصائد العذرة التي يودّدها الخاص والعام في كل مكان
على انه ميل في هذه السوات ما يستحق الذكر وما زال هذا دونه يتنقل من
مكان الى آخر حتى الفته انذير الى اسطاكبة ، وكان فيها ابو العشار الحمداني والياً من
قبل سيف الدولة ، مدحه المتني . وحسن حفظه قدم اسطاكبة في تلك الاثناء سيف
الدولة ، فقدّم ابو العشار المتني اليه واثى عليه ، وكان ذلك من اتصاله بهذا الأمير
الشهير ، ومنه سعادت من جاوره ول وغير .

في هفنة سيف العروم (٣٣٧ - ٣٤٦)

كانت حلب أيام المتني عاصمة لامارة عربية تشمل الجزيرة وشمال سوريا ، أميرها علي
ابن حمدان اشدّ سيب الدولة ، وقد اشتهر هذا الأمير بمجاهدته في محاربة الروم حتى بلغت
غزواته عوارسین^(١) وكانت ساحة جهاده منطقة الثمور — في المدن واحصر الواقعة
على حدود الروم (الاناضول) ، ومنها اسطاكبة وزنطرة ومطيه والحديث وغورشنه
ومررش وغيره ، مما يرد ذكره كثيراً في شعر المتني . ولم يكن سيف الدولة موقفاً في
كل غزواته الرومية ، ولكنه احرز في تاريخ العرب مجد المجاهد اسكندر . والذي بلغت
الطرق تنازع امراء المسلمين اتفقهم يومئذ وتناحروهم على الياذة — فبنو حمدان في حلب ،
وامراء مصر الاخشيديّة ، ومتوبويه في بغداد كانوا في نزاع مستمر وعداوة متحركة .
وقد تمكن سيف الدولة بسعائه وعظمه على الاعداء ولكون امارته موثى الروح العربية
في ذلك العصر ، ان يجمع حوله حلقة من كبار الادباء والعلماء ممن كان يحل لهم العضايا ،

(١) البيهقي ١ - ١٧

تقدروا اسمه في جملة الادب . ومن هؤلاء ابن عمه ابو فراس ، ومعلمه ابن خالويه ، وابو الفرج
السقاء ، وابو عداة الخليل ، والوارث الدمشقي ، وابو بكر وابو عمال الخنديان ،
وابو الطيب اللقوي ، والسري الرفاء ، وابو علي الفارسي ، وابن مائة ، ثم ابو الطيب
المتني ، وانصوري ، والفارابي ، والاصفهاني صاحب الاعاني واسمهم .

ولما اتص به شمرنا قال اخطوة عنده والرعية الخاصة . جاء في الصبح المتني ان
سيف الدولة قرّنه واحاده اخواته السبية ، وماتت نفسه اليه واحده ، فسمه البراض فسموه
الفروسية والطرد والمثاقفة ^(١) وقد صعب المتني اميره في بعض عرواته واطهر من
الفروسية والشجاعة ما يذكر له : رويوا انه في إحدى تلك الفترات تراجع الجيش ولم
يثبت غير سيف الدولة وستة رجال احدهم المتني ^(٢) . وقد يثبت في هذه الرواية ولكن
مما لا شك فيه ان شعره بغيض بروح الشعمة والاقدام ، ولا زى في حياته ما يناقض
ذلك .

. . .

دخل المتني حقة سيف الدولة ، وميها من ذكرنا من كبار الشعراء والادباء ، فمظلم
على البعض منهم ان ينال ما ناله من الامير ، وزاد عيبتهم منه وكرههم له ما في نفسه من
صلابة وتسلط . وانك انلح في شعره ما كان يقاسيه منهم ، وقد اضطر ان يظلمهم
بقوافيه كقوله -

ازل حصد الحسد مي مكبتهم كانت الذي صيرتهم لي حشدا
وقوله -

اني كل يوم تحت ضني شومر ضيف بقاويني قصير بطاول
وقوله -

ياي اعط تقول الشعر بعنفه تحوز عنك لا غرب ولا عجم

(١) راجع للصبح المتني ٢ - ٥٤

(٢) « « « « « ١ - ٥٥

الى غير ذلك من سلات التحقير التي قضا نحو مها قصيدة من قصائده في سيف الدولة .
ولم يكن حساده يسكتوا عنه ، وحدثوا يكيدون له ويحاربون الايقاع به ، ولا سيما
يوفران الشاعر المشهور ^(١) من ذلك ما نقله السديمي من ابن الدهان في المسأخذ
الكندية : « قال ابو فراس لسيف الدولة ان هذا المتنبي كثير الادلال عليك ، وانت
تمطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مثني دينسار
على عشر شعراء ياتون ، هو خير من شعره ^(٢) » وفي خزانة الادب ان ما ناله في اربع
سنين ٣٥ الف دينار ^(٣) - فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل به .

سيف الدولة بعد ان خص الشاعر بالطلب ، وهدد ان نظام فيه نحو ٤٨ قصيدة مأمرة
(وهي لا تقى عن ثلث ديوانه) تولاه المحراب عنه واصفى الى اقوال خصومه فيه . ولم
يُجِد الشاعر استعصامه وتوبيه بالرجل عنه ، فتحرروا عليه حتى كان ما كان من ضرب
ابن حالويه له بالفتح في حضرة سيف الدولة . ورأى المتنبي انه لا يستطيع دعاماً وانتقاماً
في حضرة امير ناصبه ، وحصوم يتربصون به ، فتك حب بدوى السير الى اقطاع ^(٤) له ،
وفي نفسه ما عيها من العيظ ، وقصد الشام فالزلة . ثم طلبه كافور الى مصر فتركها اولاً ،
ثم رحل اليه ونفقه تسول له انه سبلغ هناك من الخدم ما يعيط الخاسدين - وقد صرح
بذلك الخاقاني

اها المسك ارحم منك نصراً على العدى وآمل عزاً ينحصب اليص بالدم
ويوماً يفيط الخاسدين وحلة اقم الشقا فيها مقام الشعم
وسكنه لم يبلغ ما كان يروم

في مصر (٣٥٦ - ٣٥٠)

مرء منا ان مصر كانت في يد الاحشيدية بني طنج ، وهم امراء يرجع نسبهم الى

(١) روى الاثر محمود : ذكر ان المتنبي كان يحب حرية تحت سيف الدولة وان سيف الدولة
ومعه مائة فارس ذلك المم اي فراس وكان سباً في السراية من ارجوين المصطفى مع ٨٨

ج ١ ص ١٣٤ (٢) راجع تصحيح المتنبي ٦٥ - ٦٥

(٣) خزانة الادب ١ - ٣٨٤ (٤) خزانة الادب ١ - ٣٨٤

«لارك فرغانة» - ولا هبط المتني مصر كان أميرها الخفيقي قاصراً ، وقيم الملكة الاستاذ
«كافور» ، وهو عبد اسود كان مولى بي طمع ، ولكنه كان - على ما يظهر - ذاهية فاستبد
بأمر مصر واصبح هو الأمر الباهي ، او كما قال شاعرنا فيه

يدبر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فاسوب

قال ابن خلكان وكان يدعى له على المنابر بمسكة والحجار جميعه والديار المصرية
وبلاد الشام (١) .

قصه شاعرنا كافوراً تنازعه عاطفتان - الاولى ما كان يشعر به من الغيظ لما اصابه
في حلب ، والثانية رعبته ان يحصل بواسطة كافور على ولاية . اما هيظه من سيف الدولة
فهم يصل الى حد البهض ، اد بقيت في نفسه بقية من الحب والوفاء له . وقد صرح بذلك
في بعض قصائده لكافور كقوله

فأو كان ما لي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معتم
رمي واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وسهمي

ولذا وصفت الشاعري شعره «بحال الرمر والاشارة كعصمه بين مدح سيف الدولة
حين فارقه ومدحه لكافور (٢)» . واما رعبته في الولاية والامارة فكان يبتغى اليها
تليحاً لم يخف على حد كقوله -

وما رعبتي في عسجد استعیده ولكنها في مفخر استعیده

وقوله

وعير كثير ان يزورك راجل فيرجع منكاً للعراقين واليا

وقوله

قالوا همرت اليه الفيت قلت لهم الى غيوت يديه والشايب
الى الذي تهب الدولات راحته ولا ين على آثار مرهوب

(١) وفيت الاميان ٢ - ١٨٨ . راجع سيرته في حطط المقرري ٢ - ٢٦

(٢) البهجة ١ - ١٨٨

الى غير ذلك من الايات التي تُشعر بما كان يتطال إليه او ما كان يحدث نفسه به .
وقد نقل السديعي انه طلب ان يوليّه صيدا من بلاد الشام ، او غيرها من بلاد
الصعيد (١) .

وبين هاتين العاطفتين - القبط والطبع - مدح كافور بـمشر قصائد هن من الخمر ما
نظفه وسياتي ذكرها .

هي ان اتصاه بهذا الامير لم ينله مراده . نعم قال منه كثيراً من الخلع والحوايز
والاموال ، ولكن الامر الذي كان يصر اليه ، تلك الامنية التي شلت عنه - ولا سيما
بعد ان وعده كافور بان يملكه جميع ما في نفسه (٢) - لم يأبس في وجهه بمدوحه غير الامراض
هنا ، فاضطربت روحه حتى صار يستقل وحده في مصر وتسمى الخروج منها .

ولخط ذلك منه كافور طلب ان هو اطلعه ان ينقلب عليه ، فطس ، وهو المستند
بحكم مصر دون مبيكها حقيقي ، فتمعه من الرحيل . وطل على هذه الحدة المزعجة سنته
الاخيرة في مصر لا يلتقي كافور لا ان يركب فيسير معه في الصحراء لئلا يوحشه (٣) . وله
في ذلك قصيدة غراء يصف بها حاله ويصف حتى اصابته ، مظهرها

منومكما يحل من الالم ووقع فعاله فوق الكلام

وهي من مدائمه وسيدد ذكرها - وكان في ذلك بعد اعادة لاهوت حتى تمكن
منه يوم عرفة سنة ٥٣٥٠ هـ ، فاصد العراق ووصف مسيره بقصيدة مظهرها

الا حكن ماشية الحيرني هدى كل ماشية الهيدني

وفيها بعدد الاماكن التي سورها ، ويصف شعاعته واقدامه بايات تنضح بالحسد
كقوله

لتطم مصر ومن بالمرق ومن بالعوام الي العتي

(١) الصبح المتبري ١ - ١١٥

(٢) ١ - ١١٣ ويات الايمان ١ - ٦٤ وفي السدة ١٠ - ٢٥ انه وعده

بولاية مصر فعالة (٣) شرح اليازجي ٥٢٨

واني وفيت واني ابيت واني عثوت على من عتا
ومن بك قس كقلبي له يشق الى العز قلب الثوى

ثم يحتسب هجاء كافور ، وله في هجائه بضع قصائد اوجعها اليه حب المتنبي والفشل

بين المراق وبلور فارسى - خاتمة حياته (٣٥٠ - ٣٥٤)

ترك مصر في اواخر ٣٥٠ هـ قاصداً الكوفة فوصلها في جمادى ٣٥١ واقام فيها ^(١) ، ثم ام بغداد . ولا نعلم متى كان ذلك بالضبط ، ولكننا نعلم انه بقي في المراق نحو ثلاث سنوات - والارجح انه قضى منها سنتين في الكوفة . وكانت بغداد يومئذ بيد مصر الدولة البويهية ، وكان وزيره المهلبى يأمل ان يقصده المتنبي ويمنحه اسوة بالكبراء الذين مدحهم ، ويحسب الشاعر توقعه هذا احمق كما قال الشمالي عن مدح غير الملوك ^(٢) ، او انه مره من صحافة المهلبى واستهتاره به ^(٣) ، فنقم الوزير ذلك منه وحرض عليه شعراء بغداد حتى نالوا منه وتنادوا في هجائه وتعمدوا وتنادوا ، فلم يجيبهم ولم يمدحهم فيهم ^(٤) . وقيل به في ذلك ، فقال ابي فرغت من اصبهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعراء -

ارى لتشاغرى عروا بدمي ومن ذا يحمد انداء الصالا
ومن بك ذا غم صر مريض يحمد صراً به الماء الزلالا
ومقولي -

واذا انتك مذمتي من ناقص نهي الشهادة لي بالي كامل

قال ابن رشيق ان المتنبي حين اُلقي بحجرات بن جراح البغدادي سكنت عنه اطراحاً واحتقاراً ، ولو اجهه لما كان هو بحيث هو من الامة والكبر ، لانه ليس من انداده ولا من طبقة ^(٥) .

(١) الصبح المتنبي ١ - ١٢٦

(٢) حكمة الادب ١ - ٣٨٦

(٣) البنية ١ - ٨٥

(٤) البنية ١ - ٨٥

(٥) البنية ١ - ٨٥

وجرت له مع أبي عبيد الله حدث ذكرها ابن حنكاه في سيرة الخاقاني وذكرها
البيهقي في الصبح المبني ، وسيرد ذكرها في كلامنا على اختلافه .

ولا لم يطب مقامه في بغداد فارتفعها ليلاً متوحهاً إلى أبي الفضل ابن العميد مراراً
للوزير المهدي ، فورد أرحام ومدح ابن العميد بأربع قصائد ، واحمد مودده عنه .

وكان صاحب بن عباد يطعم في زيارة المثني أياه في اصهان ، وأجوائه بحوى مقصوده
من رؤسا الزمان ، وهو ادراك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن قد استوفى بعد ، فكتب
اليه يلاطيه ، لكن المثني لم يقيم له وفاء ولم يحبه من مراده ^(١) فكان ذلك سبب عذوبة
الصاحب له والطمع فيه واشتد رسالة في مسرى شعره .

وسار شاعرنا إلى شيراز قصداً قصد الدولة فتلقاه بالترحيب . ونظم المثني فيه ثنائي
قصيد ، وحمل له الطاء ، ثم رجع من شيراز بقوة كثيرة تبلغ مئتي ألف درهم ، ما عدا
الطبع والغدايا والنفقة ^(٢) . وفي طريقه إلى الكوفة خرج عليه مالك الاسدي في نحو
عشرين من رجه وكان مع المثني ابنه محمد ودفتر من خدمه وحمل تحمل أمواله ونعمه ،
فحزرت بينهم موقعة شهت تقتل الشاعر وابنه وبعض أتباعه . هكذا قصي أبو الطيب
وعلى مقربة من سواد بغداد وفي رمضان من سنة ٣٥١ هـ حلت تلك البس التي شأت
تزعجة إلى المجد ، حريصة على مرور الدنيا ، طمعت صاحبها تارة على تخم الأموال والضرب
في الآفاق ، وطوراً على الوقوف في أبواب الملوك والأمراء طمعاً ، في « مفتر يستجد »
أوجاه يئانه . ولكنه أبى بالفضل وترك له بعثته من الحكم البالغة ما لا تزال السنة
الزمان تردده في كل مكان .

مزاياد الخليفة

برغم ما كان يظهر في شعر المثني من الترف والاستعداد ، ورغم بعض مساوئه التي
قلما ينجو منها الإنسان ، نرى له صفة عامة تتخلل جميع صفاته وتحتل به عند التأمل في دأبه ،
وإهم طواجرها - التعاطف والطمع بالمجد مقروني نشي . من عدم الكياسة . واليك بيان
ذلك :

(٣) الصبح المبني ١ - ٢٢١

(١) البيهقي ١ - ٨٦

تعاظمه او اعذاره بنفسه

٢ - يمكن المتني وحيداً بين الشعراء في هذه امرية ، والكند بلغ مـ ما لم يبلغه سواه حتى ولا ارقام - وفي اخباره شواهد لا تترك للشك محلاً - منها ما يلي

١ - انه لما اتصل بسيف الدولة اشقرط عليه ان لا يشده الا وهو قاعد وان لا يقبل الارض بين يديه ^(١) - وقد ذكر ابن حليكان به لما اشده قصيدته * لكن امرى من دهره ما تعودا * قال بعض الحاضرين يريد ان يكبده : لو شده قائماً لأجمع ، قال ابو الصب اما سمعت ارضا : اكمل امرى من دهره ما تعودا ^(٢)

ويظهر مما نقله النديمي ان سيف الدولة كان حياً يفتاط من تعاظمه ويخفو عليه اذا كبه ^(٣) - واصل ذلك علاقة بنجاح اعذاره في تعجز الامر منه ، كما ان امثله في مصر علاقة ما كان يراه كافور من تعاضبه في شعره ^(٤)

٢ - سوء سياسته وعدم مداراته - فانه بعد ان كان ايام حمولة يمدح اقريب والبعيد بصطاد كما قال المتني ما بين الكركي والصدليب ^(٥) ، احدث رعة الكرك تشد فيه حتى صار في ابد شهرته يترفع عن غير الملوك والامراء ، ويصير الى سواه ينظر الكرك الى الصغير - وكان ابو علي الفارسي يستثقله لما يأخذ به نفسه من الكرك ^(٦) : ومن شواهد ذلك ما جرى له مع وزير كافور ومع الوزير المهلبى والصاحب بن عباد وسواهم -

ومن رسالة الخاقاني بلخ ما كان يرى فيه زملاؤه من روح التشامخ - وهذه الرسالة كتبت في مساوى المتني ، وكانها من اديب بغداد الدين اعرام المهلبى به . قال صاحبها : لما ورد احمد بن الحسين المتني مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير ابي محمد المهلبى التحب رداء الكرك واذال ذبول التيه ، وبأى محتانه استكبراً ، وثنى عطية حدة وازوداراً ، فكان لا يلاقي احداً الا اعرض عنه ثيها ، ودحرف القول عليه قوباً - يجئ

(٢) وفيات الاعيان ١ - ٦٦

(٣) وفيات الاعيان ١ - ٦٤

(٤) الصبح لثي ١ - ٢١٠

(١) الصبح لثي ١ - ٤٧

(٣) الصبح لثي ١ - ٧٣

(٥) الليثية ١ - ٨٢

محباً إليه ان الأدب مقصور عليه ، وان الشعر بحر لم يرد غير مائه غيره . . . فغير جارياً على هذه الوثيرة مدة مديدة - الى ان يقول : وثقلت وطأته على حصى من وسم نفسه باسم الأدب . وساء معر الدولة احمد بن بويه ان يرد حضرته ، وهي دار الخلافة ومستقر العروبة انذاك ، رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان - وكان عدواً مهابتاً لغز الدولة - فلا يلقي احداً مملكته بساويه في صناعته . وتحمل الوزير المهلي رجلاً باعيب ان احداً لا يستطيع مساجته ولا يرى نفسه كفواً له . . . فنهدت له متعة عواره ومقلباً اطفاره .

ثم يذكر انه قصده على بطة سفراء في مركب رائع ، وان المتني لما رآه داخلًا وارى شخصه لكبي لا يقف له . ثم يصف كيف قبول هو بالترحيب والتكريم ، وان المتني لما دخل حاس في صدر المكان ، وامرض عن الخاتمي والى الا اردراراً واستكراً ، حتى كان ما كان بينهما من المناقشة والمباحلة . والرسالة طويلة تدخل في نحو ١٢ كراسة وقد نقل ابن خلكان قصاً منها ، وكذلك البديعي في الصبح المي^(١) .

وقال البديعي . كان الرجل سيى ارثي وسوء رية اخرجته من حضرة سيف الدولة ، وشدة تعرضه لعداوة الناس^(٢) .

ولا شك ان احد وحده لم يكن السب في عداوة ادياء حاب او بغداد له ، ولو كان المتني على شيء من اللطف لما وصل الى ما وصل اليه ، ففي طبعه كما قال ابن رشيق عطسة^(٣) ، وفي شعره ترى هذا الخلق ظهراً في كل ادوار حياته .

٣ - شعره بالنفوق

ومن رسالة الخاتمي المار ذكرها يظهر لك اثر هذا الشعور في نفوس البغداديين - قال الثعالبي كان يحاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبوب ، وهو مذهب تفرّد به رفعا نفسه عن درجة الشعراء^(٤) . من قوله في صباه -

(١) وفيات الاعيان ٢ - ٣٣٢ وعادش شرح المعكري ١ ص ١٤٤ - ١٧٣

(٢) البصيرة ١٣٣

(٣) الصبح المتني ١ - ١٣٣

(٤) البصيرة ١ - ١٣٩

أعطك شك تشيعي يا وكنا لا احد فوق ولا احد مثلي
وقوله -

ان اكن معجباً فمعجب حبيب لم يجد فوق نفسه من يريد

كدياب ولدت فيه وظهرت في صباه فراقته الى آخر حياته . وديوانه مشع به
الروح - ماتت جدته فاضطرب لموتها وراثها فلم يمالك عن ان يصيح في وجه الزمان

لئن لئن يوم الثامنين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رعباً
تقرب لا مستظلاً غير نفسه ولا قابلاً الا لحاقه حوصلاً
يقولون لي ما انت في كل بلدة وما تبني؟ ما ابني جل ان يسمى
حكان منهم عالمون بانني جلوب اليهم من مصادره اليها
واني لمن قوم حكان نفوسهم لها أنف ان تسكن اللحم والمصا
كدا انا ياديا اذا شئت فاذهبي ويا نفس ريدي في كراحتها قدما
فلا مدت بي سافة لا تغزني ولا صحتني بهجة تغل الطلسا

ومدح ابا سهل الانطاكى فلم يلبث حتى تغلب عليه طمعه فقال

ابدو فيسجد من بالسوء يدكرني فلا اعاته صفحاً واهوا
وهكذا كنت في اعالي وفي وطى ان الفيس غربت ايها كانا
محمد الفضل مكذوب على اثرى القى الكسي ويلقاني اذا حانا

وهذا الشعور بالتموت كثيراً ما يظهر في شاعرنا تظهر الشهامة البالغة حد التهور .
انظر اليه في مجلس سيف الدولة - في حو مشع بروح العدا له وحوله خصوم الداء
كالي عباس وابن حاور واضراهما ، وقد حملوا سيف الدولة على الاعراض عنه وسوء الظان
به ، فلم ينخفض له جناح ، ولم تستول عليه رغبة ، بل عاتب الامير ثم اشار الى من حوله
وقال بنفش تفيض كبرا

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسا بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي ينظر الاعلى الى ادني واسمت كلاني من به صمم
وجاهل مدته في جهه ضحكى حتى انته يد فراسة وهم

إذا رايت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث ينم
 كم تطدون لنا عيماً فيحزكم ويحزكم الله ما تكون والكرم
 ما أبعد العيب والتقصان من شرقي أيا القريب وذان الشيب والمهرم
 ومنها يلصق بزمه على الرجل -

لئن تركنا ضياعاً عن ميامننا لبعثن لمن ودعت قدم
 وهذه القصيدة شهرة وفيها تتعلق قصة هذا الرجل القريبة .

ومن أدلة شجاعته بل تهوره ما ذكره أبو نصر الحارثي للحالدين عن مقتلته ، والرجل شاهد ميان الشام قتيلاً مقتله وحادثه وقد حدثه من فانتك الأسدي ورجاله ونصح له أن يستصحب معه من يحميه ، فأجابه المتنبي رافقاً لا أرضى أن يتحدث الناس إلى سرت في خدرة أحد غير سيمي - معاذ الله أن أشغل مكبري بهم خطة عن . قال فقلت له قل : أن شاء الله . فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقصياً ولا تستعمل آتياً ، ثم ركب فكان آخر العهد به . ذكر ذلك البيهقي في حديث طويل ^(١) . وقد حاول بعضهم أن ينسب إليه الحروف والحذر ولكن سيرته لا تدل على ذلك ، وقد صدق الباقلائي إذ قال « وكان المتنبي من أهل الشجاعة » ^(٢)

طموحه إلى المجد

خلق المتنبي طموحاً إلى المراتب العالية طامعاً بالحصول إلى عهد الدنيا .

أهم شيء واليالي كأنها تطاردني من كونه وأطارد
 وحيد من الحلالن في كل بلدة إذا عظم المصنوب قل المساعد

صفة ظاهرة في كل حركاته وأقواله - ففد كان فتى في السابعة عشرة من عمره يجدشاً شاهد ميان بهذيانه في ذلك ^(٣) . وما الحركة التي سمن لاحلها الأ دليل على هذه النزعة

(١) الصبح المتنبي ج ١ من ٢٢٨ - ٢٣٩

(٢) الصبح المتنبي ١ - ٢٥

(٣) أمجاد القرآن ١٣٦

في نفسه . ولما فشل في أول عهده تحول بطره الى المال ، ولى وحوب حشده لا بجلاً او حباً ماله نفسه ، ولكن توصلاً به الى عيابه . ولئن تذكّر حادثة جرت له في الكوفة وهو حاكم رهاها الدبعي في الصبح المبني^(١) . وحلاصتها انه اراد ان يشترى بطيحاً من بائع فلما ماومه على الثمن جبهه اسامه واحتقره ، ثم جاء تاجر عبي قرّح به البائع وباعه البطيخ محرراً الى البيت فاجس^(٢) عرس عليه المتنبي . ولما رجع كله المتنبي في ذلك فقال اسكت — هذا يذكّرنا الف دينار . موقع في نفس شمره منذ ذلك احين حب المال والحرص عليه ، وان الناس لا يحترمون غير صاحبه . وفي شعره ما يدل على ما كان في نفسه من ذلك كقوله -

واتعب خلق الله من زاد هته	وقنر ع تشهي المس وحده
ولا ينحل في الجهد ماله كفه	فيحل محم كاه بالمال مقده
ودبره تدبير الذي الجهد كفه	اذا حارب الاعداء والموت رنده
فلا محم في الدب لمن قل ماله	ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقد ذكروا بعض حكايات من حرصه وحشده^(٣) ، ولكنها عند التدقيق لا تدل إلا على حرصه وحسن تقديره للمال وحرصه باحوال الدنيا . ولعل بعضها من تلقين حساده كقصته مع سيف الدولة ، رويت عن أبي الفرج البوصري في المتنبي ارباً رحلاً ذا كبر واما لا يدبره كما عن سائر الشعراء ، ثم تتغير الصورة بفتة فيظهر فيها دينياً جشعاً - كل ذلك في مدة لا تتجاوز الدقائق القليلة .

كلام يمكن المتنبي حشاداً للمال بخفة العقر ، وقد قال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله غلظة فقر فاسدي فدل الفقر

ولكنه كما يعرف قيمته وتقديره في اكرام الناس له . كان شاعرنا معجباً بنفسه حريصاً ان يعجب الناس بها ايضاً ، وراى في المال وسيلة لتلويح ذلك قصار بعد حروجه من السجن يحوب الاططار للحصول عليه ، وسكبه بقي حتى انصله سيف الدولة لا يتل من ممدوحيه

(١) الصبح المبني - ٨٣

(٢) القيمة ١ - ٨٥ والصبح المبني ١ من ٧٣ - ٨٣

الا الذي . اليسر . ورأى سني شبابه تطوى على الفقر والفشل قلب عليه الكدر من الدس
ولا سيا اولى الاسر منهم ، وكثر تشكبه من الزمان واشتداده عليه ، قصر ذلك في
شعره كما سيحي .

ولما اتصل بسيف الدولة اخذت اذني تنم . ، وقال عند مدوحه ما كان يصو
اليه من كرامة ومال ، فصبت معه وقصر شعره على ذلك الامير العربي يصب عرواته
ويمدح احلاقه . وما قبل الدنيا عليه لم يجدي في نفسه ذلك الكدر الذي طبع عليه ، فكثرت
حماده ومعذره . ولم يكن دمثاً او بين المريكة بل عنت عليه صلابه ورأى ، في ايدي
الى فتور الامير فخره واشتد داحد عليه ، فاضطر كما ذكرنا الى ترك حب وقصد مصر
طامعاً بالحمد عن طريق الامرة - وقد مر ما كان من امره في مصر ثم العراق وفارس
ولم يكن فشله في مصر كافياً للقضاء على آماله قضاءً معزماً ، ولكنه شلّ مطمعه
الى حين ، ودفعه الى استعظام القوى في الكوفة ومقداد محراً من ثلاث سنوات .

ثم تراءت له درس ورأى الفرصة السانحة فقصد عصد الدولة ورأى في حضرته ما
حدد آماله . ولا نعم ما كان يدور في خلده يومئذ ، وقد نال المعنى الوافر واصبحت
شهرة قلا الحافقي . يمدحنا المؤرخون انه ترك بلاط الدولة فاصداً الكوفة - لاي
غرض ؟ لا تدري . ولكن الديرعي يروي في الصبح المبني^(١) انه استأذن عصد الدولة
في المسير ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود اليه فاذن له . فما اندي كانت تسول له نفسه ؟
وما كان يؤمل ان يسه على يده هذا المثل السويهي الكبير ؟ ذلك ما اسدل عليه الحجب
حجاباً لا سبيل الى نفاذه .

عصيته ونسبه

في نفس المتنبي وفي شعره نغمة عربية شديدة . ولا عرانة فهو عربي بني يتشي الى
قبيلة جمنى من جهة الاب ومحمدان من جهة الام . زد على ذلك انه كان في عصر ضفت
فيه شوكة لعرب واصبحت اكثر البلدان الاسلاميه في ايدي امر . من الفرس والترك ،

فأوقد ذلك في نفوس العرب عيرة قومية رادها اضطراباً تلك المشادة بين الشعوبية
والعربية ، وما كان يرمي إليه العريقان من الانفراد بالذكر والفخر ، ولا نعلم هل كان
شاعراً من الذين شتكوا في هذه الحركة الكلامية أم لا ، ولكننا نعلم انه كان
متصفاً للعرب والحياة العربية . وقد ثوى هذا التمسك فيه اقدمته في البادية مدة طويلة ،
وتعود عادته ثم انقلبه سيف الدولة ربيع العرب في مصره . ولما يكثُر في شعره الفخر
بصله العربي ودم الاعاجم ، كقوليه وقد جرى ذكر ما بين العرب والاكراد من انقراض ،
فقال مخاطباً سيف الدولة

ان كنت عن خير الانام - فلا غيرهم اكثهم هذا فلا
من كسب منهم يا هم واذا انصاعين في الوعي اوانلا
وانصاعين في الدى العودلا قد صار مصطك القائللا

وفي قصائده لسيف الدولة تودد يكرر كثيراً ذكر العرب مفاخر آجهم كقوله

رفعت بك العرب التهاد وصيرت قم الملوك مواخذ البيرن
انصب لحرمهم اليك وانما انساب اصلهم الى عدنان

ومثل ذلك كثير في شعره . ومن امثلة تمسكه للعرب قوله يمدح علي بن ابراهيم

التونخي

احق فاب بدمعك المم احدث شيء عهداً بها القدم
وانما الناس الملوك وما تصاح عرب ملوكها عجم
لا ادب عديم ولا حسب ولا جهود هم ولا ذمم
نكل ارض وطنها امم نومي بعد كآبها عجم

وتظهر ترقته البدوية في مدحه للاعرابي ومقابلته ماخضرية ، وله في ذلك ابيات
مشهورة تذكر بعضها هنا وهي من قصيدته « من احاذر في ذي الاعارب »

ما اوحه الحضر المستعصات به كماوجه البدويات الرعايب
حسن الحضارة مجلوب نظيرة وفي البداة حسن غير محلوب
من المعير من الآرام ناظرة وغير ناظرة في احسن والطيب

لأدي طباة فلاة ما عرفني بها مصغ الكلام ولا صغ الحواجيب
وقوله -

ان الذين اقت وارتحلوا اياهم رديارهم دول
الحسن يرسل حيثما رحلوا معهم ويتزل حيثما تزلوا
في مقاتي وشا قدورها بدوية قتلت بها الحلال
تشكر المطامع طول هجرتها وعدودها ومن الذي تصل
ما اسأرت في القعب من لن نوحكته وهو المك والعمل

فالمتنبي يمثل في شعره عواطف العرب وحيالاتهم ، وهو كثير التحنان الى معيشتهم
فلور بنسبه اليهم (وقد دعا نفسه في قصيدته - معاني الشعب - « الفتى العربي ») . يرى
في فرسانهم منتهى الشجاعة وفي حسانهم عاية الحول . فتره من هذا القبيل " يخالف
ابا نواس رسوا من الدين ، اشروا الجوارى الاعمىات وانفسوا في اللهو معهن " .

وعلى ذكر الجوارى واللهو يقول انك لا تجد في حياة المتنبي او شعره ما يدل على
ميل الى ترف او عيش ، فقد عاش منذ صباه جادا رزينا لا يتم ما كان يتم به اكثر
الشعراء من شرب مدام او مغازلة حسان ، او انصراف الى المطربات من الاخلاق :
كقوله -

وعير فؤادي للفؤاني رمية وعير مناني للزجاج ركاب^(١)
تركنا لاطراف القنا كل شهرة فليس لنا الا بين اطاب
اعز مكان في الدنيا سرج ساج وعير جليس في الزمان كتاب

وخلاصة المعنى اني عير عرل بالنساء او محب للخمر قد قصرت نفسي على الجدد في طمان
الاهداء وتركنت ما تشبه الانس من الملاهي .

وكان حده مقرونا بالصدق والصراحة . قل ابن حنني ما عرفت المتنبي الا صادقا^(٢)

(١) وروجا ابن حي للزجاج (من ادوات الشطرنج)

(٢) الخصائص ١ - ٢٤٨

وهي لا بد من القول ان بعض المؤرخين يزعمون ان اياه كان سناً في الكوفة ^(١) .
وما قيل به

اي فضل لشعر يطلب الفصل من الناس بكوفة وشب
ماش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الحجا

على ان ادق دقق في ذلك نجد ان اهم اشقت ادى دوروا سيرة المتنبي يرون بهذا
الزعم مرور المشكك ، فالتعاسي مثلاً ، وهو كـ مؤبناً تحريث العهد بالشاعر لا بل
يكاد يكون ماصراً له ، لم يجد على ان قال « ولعل ان حبيب ابن ليثك بالبصرة ما
جوى على المتنبي من وقعة شعراء بعدد فيه واستحقهم له ، وكان حاسداً له طامناً عليه
زاعماً ان اياه كان سناً ، كوفة ^(٢) » وفي رواية الكشي « يشعر لشكه في صحتها .
ومش الشعالي ان حكاك فانه لم اورد هذا الخبر قال ويقال ان « اشعبي كان سناً
بالكوفة ثم تنقل الى التميم بولده ^(٣) » ويقول اللديني وكان والده الحبيب يعرف بعدان
السقاء ، ثم ينقل عن ابن حكاك ما ذكره عن ابن ليثك وطعمه على المتنبي ^(٤) . وفي
ايضاح المشكك للاصمعي انه كان في الكوفة يختلف الى كتاب فيه اولاد الاشراف ^(٥) .
فانما دقت في هذه الروايات لم نجد فيها حرجاً محروماً فيه ، بل لا نجد الا اقوالاً يصح ان
نشكلك فيها ، ويريدنا تشكيكاً ان سناً بالكوفة لا يحظى عدة يوضع اسمه في مكاتب
الاشراف ، ولا ينتقل به الى بلد بعيد ، فبرأه من ائمة القائلين . وسأنا هنا معرض
الدفع عن ولده وتبريه عن تعاضلي مهنة كاسدية ، ولكفنا لا نستطيع الا ان نظهر
شكنا بذلك اعتماداً على روايات التي بين ايدينا .

على ان ارجل كان على ما يظهر فقير الحال مغمور الذكر ، ومع ذلك لم يتخ عن
تسهيل وسائل العلم ولده ، فحشاً اولد (شاعراً) بين المكاتب والوراقين . ولما ترمع
وقال من الادب قسطاً ظهرت عليه بوادر الطموح الى المنى ، ورأى تطاول المهابث والموالي

(١) وفيات الاعيان ١ - ٦٥ والبيئية ٨٦

(٢) البيئية ١ - ٦٦ (٣) وفيات الاعيان ١ - ٦٥

(٤) الصبع المتنبي ١ - ١٧٨ و ٦

(٥) راجع خزائن الادب ج ١ - ٢٨٢

على اسبادهم ، وكثرة انفعين ، مدعرات في المملكة العباسية والامارات المختلفة ، حدثته نفسه ان يقوم بعراب البادية ، ومملكه هذا الوهم حتى حس وثلب . ولكن حب الرياسة واولاية بقي بدور في راسه ^(١) ، وهو القائل من قصيدة لكافور : -

ومزادي من الملوك وان كان لاني يري من الشعراء

شهرته الشعرية

ليس شعر عربي من الشهرة ما تاه شعر المتنبي ، فهو بعد الاثر في حاقت الادب شائع بين جميع الطقات . وم يكن حظّه في عصره باقل من حظّه اليوم . قال الثعالب « فليس اليوم محاليس ، يدرس امر بشعر الى الطيب من محس الانس ، ولا ، قلام ككتاب الرسائل اجري به من السن الخطباء في المحامس ، ولا حون المعين والقوالين اشمل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألغت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر حيد ورويته ، وتكلم الافضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح من مكابر كلامه ومثونه ، وتفرقوا عرقاً في مدحه والقدح فيه ، والنضح عنه والتعصب له وعليه . وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم قدمه ، وتفرده عن اهل زمانه تلك رقاب القراني ورقّ الملهي » ^(٢) . وبعد موت المتنبي « كثر من قرن ترى الواحد يبقول في مقدمة شرحه » وان الناس منذ عصر قديم قد ولو جميع الانصار صفحة الاعراض مقتصرين بها على شعر ابي الطيب ثابت ، يروى لسواه .

ومن دلائل شهرته ان كبار المفسرين في زمانه ومعه كانوا يستعينون بالفاظه ومعانيه ، ومنهم حصه ابن عباد ، وابو بكر الخوارزمي ، وابو اسحق الصائي ، وابو العباس ابراهيم الصبي ^(٣) . وقال ابن خلكان « واعنى العباد بديوانه شرحوه ، وقال لي احد المشايخ الذين اخذت عنهم : وقف على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره » ^(٤) .

(١) البيضة ١ - ٨١ (٢) البيضة ١ : ٧٨

(٣) راجع امثله ذلك في البيضة ١ : ٨٧

(٤) وفيات الاعيان ١ - ٦٣

ولما تناول النديجي شهرته نقل ما أورده من كلام الثعالبي وزاد عليه اسماء شراحه
ونقاده (مثبتاً بذلك كلام ابن حنكاه) ومنهم

ابن جني - وهو تليفه واول من شرحه

ابو العلاء المعري - وله في ذلك اللمع العريزي ومعهز احمد ، وكان من المعين
بالتنبي

الواحدي - المتوفى ٤٦٨ - صاحب الشرح المشهور

ابو زكريا الثريزي - ٥٠٢ - تليف المعري وشرح المصنفات والحاسة

القاضي ابو الحسن الحراني - ٣٦٦ - صاحب الواسطة بين المتنبي وخصومه

المكبري - ٦١٦ - صاحب الشرح المشهور

ومنهم ان فورجه البروجدي ، والصاحب بن عباد ، والمعري صاحب الاختصار ،
والخاقي ، والبيدي صاحب الابانة ، وابن لاني صاحب الاستدراك على ابن الدهان .
ويسوق النديجي اسماءهم الى آخر القائمة ثم يقول « سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها .
ولم نسمع بديوان شعر في اهالية ولا في الاسلام شرح مثل هذه الشروح لكثيرة ولا
تدوول في السنة الادبا » من نظم وثر اكثر من شعر المتنبي (١).

ولان رشيقي القديواني صاحب العمدة حملة مشهورة في المتنبي وهي « ثم جاء المتنبي
هلاً الدنيا وشغل الناس » . وطبعي انه لم يشغل الناس على غير طائل ، وه تصدئ له
خصومه او دافع عنه مريدوه الا لعلو مكائنه واهد صيته ، حتى اصبح عرضاً لاقلالهم
وهاية تقاسق اليه حياتهم

واذا رجعت الى قائمة شراحه وشأده العديدي نجدهم ثلاث فرق

١- الذين تحاملوا عليه وراموا الخط من قلده ، ومنهم الصاحب بن عباد والحاقي
والبيدي وابو هلال المسكري وابو العرح لاصفاني ، ولعل ذلك كان حياً
لاعمال ذكره في كتابه الاعاني

٢ - الذين لم يحوا بفضلهم وانما باكرامه ، ومنهم ابن حنبل وابن رشيقي والواحد
ولمري وابن وكيع والعمري وابن حنبل والبيهقي

٣ - استدلون الذين راموا التوفيق بين الطرفين ومنهم الحرجاني والعمالي وابن الاثير
وهم اي قنعة مذاحة لامل .

تدول هؤلاء : شعر المتنبي واليهوا في ذكر حسناته وسنناته - والحمد لله فيهم
ان يجذو المتأخر حدود المتقدم - حتى لم يتركوا زياده ، تريد : على انهم قصروا عنهم على
النقد العمري والبيهقي ولا سيما على السرقات الشعرية ، وهم في هذه الاحادة حط ودوام
لا طائل تحتهم . وقد احاد البيهقي في التيسير بين الممدوح والممدوم من ذلك وبحث في
هذه المسألة تحت المطايع المحقق (١) . وخلاصة ما ذكره ان المتنبي حسنت وسينات
وان حسناته تنحصر فيما يلي -

(١) دقة الاشارة (٢) حسن التخصيص (٣) حسن اختراع المعاني (التشابه
والاستعارات) (٤) وصف القتال وادواته (٥) حسن ضرب المثل

ويقبلها من السينات

(١) التسمية او الامام في الكثير من ابيانه (٢) شدوذه القوي (٣) تكملة
وتعريف (٤) حمه بين البليغ والصفاء في القصيدة الواحدة

وامثلة الوجهين كثيرة تجددها في الينسية والوساطة والصبح المتنبي وسواها . ولليارحمي
رسالة وافية في دليل شرحه (العرف الطيب) تناول فيها اقوال النقلة وعرضها عرضاً بليغاً
وقد اشتهرت اقوالهم في ذلك فلما جمع في مظانها ، على انه لا بد من القول ان ما
ذكره من حسنات وسينات يصدق على كل شاعر تقريباً وقد ورد معنا امثلة ذلك في
الكلام على اي قام والدعوي ، يمدد المورد اليه الآن تكراراً لا فائدة منه .

(١) الصبح المبني ٢٧٦:١ - ٣١٩

(٢) راجع قول ابن رشيقي العمدة ١ - ٨٧ . وقال السكري في الصاغة ١١٩ : لا اعرف
احداً كان يتقنع اليه غير مكثرت (٣) لا المتنبي

شخصية الشعرية

بقي علينا ان ننظر في شعر المتنبي من حيث انه مظاهر لشخصية تاريخية تتأثر بالموثرات الخارجية .

وهو عند التحقيق اربعة اطوار -

الطور الاول - يمثل عواطف الشباب ونفثت الالم من الزمان ، وقد نظم في انحاء مختلفة من بلاد الشام وفلسطين والعراق ، ويمتد من زمن الحداثة الى الزمنة والثلاثين من عمره .

الطور الثاني - شعره في حب . نظمه وهو بين الزمنة والثلاثين والثالثة والاربعين ، وهو يمثل (١) عواطف المصلحة واجهاد القومي كما يظهر في سيف الدولة (٢) عواطف الغور بالديا والفتن من الحساد كما تظهر في نفسه . شعره في مصر ، نظمه بين الثالثة والاربعين والسابعة والاربعين ، وهو يمثل عيظه من الماضي وتمايه الكمية باستقل ثم مرارته امثله .

الطور الرابع - شعره في العراق وفارس . نظمه بين السابعة والاربعين والحادية والخمسين ، في العراق وذكر يات سيف الدولة ، وما في فارس فديناش اهل لم يلبث ان يحمله الحمام . واليهك بين ما تقدم والتدين عليه من شعره .

عواطف الشباب ونفثت الالم من الزمان

رأينا في سيرته انه ولد طموحاً متهوساً بالمجد وانه طل بعد خروجه من السجن حتى الزمنة والثلاثين من عمره فقبح الحال يحوب الانقطاع معزطاً نفسه للاقطار والاهوال ، فلم يزل من الدنيا حراماً . في هذا الطور يكثر في شعره ذكر المجاهدة والاقدم والافخر ، وبوحولة ويقرن ذلك بدم الزمان واهله والسخط على اولي الامر من رؤساء واعوان ، حتى جد ابن رشيق اعم مزايه الامثال ودم الزمن ^(١) . وفيه نرى الكثير من الحكم النافذة التي تهيب بالشباب الى طلب العلى وتحمّل المشاق والبعد عن مواطن الذل والضم . فن قوله في الاقدام وتحمل المشاق

ومهد حته على قدمي
وصارمي مرتدراً تخدني
إذا صديق مكثرت جاسه
في سمة الحافين مضطرباً
تعمز منه العرامس الدل
عجزي بالظلام مشتمل
لم يُبَي في فراقه الخيل
وفي بلاد من اختها بدل

ومن هذا القليل يذكر حيره في الوادي ويصب مرة نفسه وشعاعته ويدم الزمان

اواناً في بيوت الندو وحلي
اعرض للمراح الصم تحري
واسري في سلام ليل وحدي
فقل في حاحة لم اقص ص
ونفس لا تحب اي حبيب
وقفة صبر - حوريت هي
واونة على قتد العر
واصب حر وحامي للهد
كأني منه في قمر صبر
على شعبي في شروى نقير
وعين لا تدور على نظير
شر منك يا دهر الدهور

ومثل ذلك قوله يصف حده وهو حرمه

مجدد حتى كفي حتمه
طاول ردييات بقصص دمي
برقني السرى بري المدي مرددي
وانصر من زرقه حور لاني
كأني دحوت لارض من خدي بها
واكرني الامس فيتها سني
ويص الشريجات يقطعه شي
اخف على لمركوب من نفسي جرمي
متى نظرت عيني ساواها علي
كأني بني الاسكندر المد من عزمي

وقال في اهل رماه مستحقاً بهم وامراتهم وهو في هذا الطور يكثر اللهج بذلك

ويقل فيه

فؤاد ما تسليه مدام
وما انا منهم بالعيش فيهم
اراس غيد انهم ملوك
خيلك مت - لا من قلت حلي
وشه التي منجذب اليه
وهو مثل ما تهب الشام
ولكن معدن الذهب رهام
ممتعة عيونهم نيام
وان كثر التجلل والحكلام
واشبهنا بدنياا الضم

وعلى هذا الوتر يضرب في قصيدته الشهيرة «يا بني الشمس احبكت غراباً» فيذكر
الزمان وتعامله عليه ويقول -

كيف الرجاء من المخطوب تخلصاً من بعد ما اشبه في تحللاً
واحدني ووجدن حزناً واحداً مشاهياً جملته لي صاحباً
ونصبتني قرض الرأمة تعيبي محن احدى من السيف مضارباً
اظلمت الدنيا فلما حلتها مستقيماً بطرت عليّ مصائباً

ولم تنتهي ثلاث قصائد مثل خوالج معه في هذا الطور افضل قليل - الاول في علي بن
احمد المري ومطلعها - لا افشاح الا لمن لا يضم - نقتطف منها هنا الايات التالية

يسمرماً ما مرض المرء فيه ليس لها عاق منه الضلال (١)
واحتال الاذى ورؤية جانيه عذاب تضوي به الاحسام
دل من يخط الدليل يعيش رب عيش احب منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت بيلام
ضاق درءاً بان اضيق به درءاً زمانني وامسكرمتي العسكرام
واقفاً تحت الخصي قد نفي واقفاً تحت الخصي الانام
اقراراً الله فوق شرار ومراماً ابني وظلمي يرام
دون ان يشرق الجدار ونجد والعراقان بالقب والشام

والثانية في ابي عبيد الله الخصيبي قاضي اطاكية - مطلعها اذضل الناس اعراض لذا
الزمن - يدم فيها الناس وامراءهم ، ويصف عزمه ودعائه وصحبته بالاعراب ومضائه في
طلب العلى ومنها

لا اقترى بلداً الا على عور ولا امرئ مجلق غير مصطنع
ولا اعاشر من املاكهم ملكاً الا احق بضرب الراس من وثن
قد هون الله عندي كل فائزلة ولئن العزم جد المركب الحشن
كم محض دعى في خوض هلكة وقتلة قومت بالظفر في الحين

لا يبعث نصيباً حسن برئه وهل تروق دفيناً جودة الكفن
فد حال ارحب وتحلفي واقتضي كوتها دهري وعطلي
مدحت قوماً وان عشا نظمت لهم قصائد من افات الخيل والحصن

والثالثة في عبي بن احمد بن عامر الانطاكي - وفيها تتجلى حوالج الشاب باحلي
ظواهرها . ترى نفسه تتعص كرهاً وتبها ، ويتعص لديث ما فيها من مطمع وآمال .
والقصيدة مشهورة نذكر منها على سبيل المثال المثالية الاولى

اطاعن حيلاً من هوارسها الدهر وحيداً وما قولي كد ومعني الصبر
واشجع مني ككل يوم سلامتي وما تننت الا وفي نفسي امر
تقرست بالآفات حتى تركتها تقول امات المرات ام دعر الدهر
واقدمت اقدام الأتي كأن لي سوى مهمني او كان لي عدها وتو
فخر انفس تأخذ وسما قل بينها ففتقر جارات دارهم العبر
ولا تحسن المجد رقبا وقبة والمجد الا الصيف والفكة البكر
وتضرب اعان المبرك وان ترى لك اعدوات الدود والعسكر المحر
وتركك في الدنيا دويلاً كذا تداول جمع المرو اغله العشر

• • •

وما يلاحظ هنا تلك المرارة التي صجبت كل ايام حياته ، وكان مشأها طعمه وما
تسبده من المشاق على غير طائل ، ولا سباً في هذا الطور من حياته . فكان شعره
الوجداني الحقيقي مهي الذي يهتد عن مواطن نفسه مظهراً لما في نفسه من كبرياء حوّلها
الغسل الى بقعة وسوء ضن . كقولها

ما لي وسدياً صلاي نحرها ومسدي منها في شذوق الارام
ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روئي رحمه غير راحم
فليس محروم اذا ظفروا به ولا لي الردي الجاري عليهم يأثم

شعره في مجلب

وهو كما ذكرنا يظهر في مطهرين كبيرين - (١) إحياء القومي والشعاع الحربية
(٢) شعور الشاعر بالفوز وحله على الحساد .

ترى روح الجهاد القومي والحربي في أكثر مدائح سيف الدولة ، ولا بدع فقد كان
سيف الدولة مجاهداً شجاعاً وكانت حياته حرباً متواصلة على الروم . وقد صرح المتنبي
واختار بنفسه عظم الحرب وأحوال الوقائع : رأى الحيوث في ساحة الحرب وخاض غمار
القتال مع المجاهدين ، فشهد الأبطال تشك بالابطال والبرسان تطارد الفرسان ، والسيوف
والرماح تصيب بدماء الأعداء - هط الأودية وصعد في العهود ودق مرارة الهزيمة ولذة
الظفر ودمع في وصف ذلك آية الإبداع . وقد مدق ابن الأثير إذ قال في الحكم على
شعره : « ده ، حاض في وصف معركة كان ساهم من نصالها واشمع من انصالها ،
وقامت دوائه للأحلام مقام أسلحه ، حتى تطن العريقين قد تفرلا والصلحين قد تواصلوا .
فطريقة في ذلك تصل ناسكه وتقوم بعدد ناركه . ولا شك ده كان يشهد الحروب مع
سيف الدولة بن حمدان فيصف لسانه ، أدنى عيده » (١) . وقبل أن نشد في ترجمة
كتاب الشعر لدرستور ذاكرأ وصف الحروب والوقائع ، والمتنبي أفضل من يوجد به هذا
الصف من التحليل . وذنك كثير في أشعاره ، وسلك يحكى عنه انه كان لا يريد أن
يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة (٢) .

ولقد ترك لنا من شعره الحربي كثيراً من القصائد الخالدة . يقف فيها معلماً عظيمة
الاسلام في شعص المدح ، حاملاً على أعداء الخلافة ، مثيراً للحماسة القومية ويشغل
كل ذلك من الحكم اللبقة ما يناسب المقام ويبعد الى اعناق النفوس . ولولا شهرة هذه
القصائد وتوفر طالاب الأدب على ندراسها وحفظها لآلينا بالأمثلة الكثيرة على شعر المتنبي
في هذا الطور ، ولكننا نجتري هنا بالإشارة الى القصائد التي مطلعها :

(١) المثل السائر ٤٧١

(٢) راجع مقالات على علم الادب لشعور ٢ - ٢٨٠

غيري بأكثر هذا الناس يتحدع
فدينائك من دبع وإن زدنا كره
ليائي بعد الطاعنين شكول
لكل امرئ من دهره ما تعودا
دروع الملك الروم هذي الرسائل
على قدر أهل العزم تأتي العزائم
الرئي قد شجاعة الشجعان
عقبى اليميد على عقبى الوعى ندم
ذي المالى فليعلو من تعالى

وسلمها ،، يجب على المتأدب درسه وحفظه والتأمل في روائع معانيه

أما شعور الشاعر ما مرر والتألق وحله لذلك على الحساد فيطهر في مثل قوله لسيف

الدولة -

أما السابق الهادي الى ما أقوله	أد القول قبل القائلين مقول
أعادي على ما يوجب الحب لامي	وأهدأ والأفكدر في تجول
سوى وجم احمد داور فانه	أذا حل في قلب فليس يحول
ولا قصص من حاسر في مودف	وإن كنت تبديها به وتبيل
وإن لتلقى الحادثات بانفس	كثير الرزايا عندهن قليل

وقوله -

أزل حسد الحساد عني بكبتهم	فانت الذي صيرتهم لي حسدا
أذا شد زندي حسن رايك ميم	ضربت بسيف يقطع الهام مفدا
وما الدهر الا من رواة قهائدي	أذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وقوله في ذلك كثيرة ، واشدها قصيدته الميمية وا حراً قليلاً - وقد نشأ هذا الشعور مع المتنبي ورافقه كل أيام حياته ، ولكنه يظهر على أشده في هذا الطور ، وفيه أكثر ما تركه المتنبي من هذه النعائات الاليسية .

شعره في مصر

وهو يمثل لما عواطف النفيظ من الماضي والأمل بالمستقبل ، وفيه تتجلى عقيدة المتنبي على أنها - من دقة في الإشارة ودروعة في المعاني وحال في التوقيع .

فيما ترى شعره في الطور الأول بهكت أكثر فيه التقيد السطحي والمصري ، وفي حلب يشكلت أحياناً استعمال العريب للدلالة على عزارة مله ، تراه في مصر صقيلاً حالصاً من هذه الشوائب جارباً على الطبيعة . فهو يمثل حياة ما خلفه المتنبي من البلاء . وقد أخطأ البديهي إذ قال « ان احسن شعره في سيف الدولة وقد تراجع شعره بعد ذلك » (١) ، فان المدقق يرى في « كأمورياته » من جلال المعنى وحال الصياغة ما يشهد انه بلغ به كمال النضج . واننا نجري في ذلك البارعي إذ قل « على انك اذا تفقدت تلك المعصية من ابياته فاكثر ما تجدها في اوائل شعره حين لم تستحكم فيه ملحكة العظم ولم تطرد له وجوه التعبير . وما احس المتنبي الا كان في صدر امره يتوخى طريقة ابي تمام ، فكان ينحو نحوه في الخوم على موارد الأعراب والتنقيص من الوعشي من حكم الجاهلية ، والتورك على الصيغ الشاذة والتعديق في اسلوب الخطاب » - الى ان يقول من شعره في حضرة سيف الدولة « انه كان هناك في محفل حافل بالعلماء والشعراء والمثقفين ، ولذلك لم يحسن تدوين حشد القرينة في مدح سيف الدولة والاكتثار من التنطش في الفاعله ومعانيه . ثم اذا انتقلت الى شعره في كافور وحدته قد عاد الى السهولة وارشاقة (٢) » .

ويكفي للدلالة على ذلك ان تراجع القصائد التالية

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا
فراق ومن فارقت خير مذم
من الجأذ في زي الاحارب
لود من الايام ما لا تود

(١) الصبح المتنبي ١ - ٨٧

(٢) ينصرف عن رسالته في دبل شعره للديوان ٩٦٦ - ٩٧١

اعالِب فيك الشوق والشوق اغلب
مُنَى كُن لي ان البياض خضابُ

فان هذه القصائد «الكافورية» من لُلس قصائده واملأها معنى واحملها ايقاعاً .
ومن بدائعه في هذا الطور ميبته المشهورة في وصف حاله في مصر ووصف حى اصاته ،
نصمها وهو في الخامسة والاربعين خُانت غاية النيات من حسن الانسجام ودقة التعبير
وحسن الاختراع ، وقد ادرجت في باب المختارات من شعره فلتراجع هناك .

الطور الصغير

ويملكه شعره في العراق وفارس ، وهو عموماً اعط من شعره في حلب وفي مصر . يشعر
فيه التأمل بقراحي زعمه الشعري وروحته احباً الى التصف والتكلف ، فكأنه بلغ
اوجه الشعري في الخامسة والاربعين من عمره ثم اُحد بالانقلاب البطي : قد يكون للسن
تأثيرها في ذلك وسكن بما لاشك فيه انه كان لعشه في مصر ، ثم ما لاقاه في بغداد اثر
في خضه شوكته ، وتحوي تلك النثرة الشعرية به .

خاتمة في شعره المكسي

اجاد المتني في كل انواع الشعر العربي من مدح وعزل ونثر ورناء ووصف وهجاء ،
وله في الرناء خاصة مكانة سامية تشهد له بذلك مرثيه التي تعد من افضل المرثي في
الادب العربي — ومنها

نعد المشرفية والعوالي

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب

الحزن يقلق والتحمل يردع

وكلاهما مشهورة فنجري اكثر ابياتها على السنة الادباء .

على ان المتني الحقيقي انه هو تلك الصورة التي نرسمها من قراءة حكمه ، وفهم علاقتها
بالزمان — تلك الحقائق الادبية والاجتماعية الدصمة المفقودة في ارشق الالفاظ ولس

الثعالب - نعم انها منتشرة في تضاعف قصائده ، متفرقة بين امراضه المختلفة ، ولكن لها علاقة حيوية بكل مقام يكون فيه الشاعر - واداً القينا عليها نظرة عامة وحاولنا ان نمتص منها صورة لشاعرة الكبير نجد فيها الوازناً مختلفة تنعكس عن شيء واحد وهو « نزعة الفطرية » - تلك الطبيعة التي كانت تحاول التعالي والحصول على القوة ، ثم لا تلبث ان تعود وهيا شيء من المرارة والالام -

كان المتنبي عرض كبير في الحياة - المهد - لاجله صهر عروده صغيراً ، ولاحله جاب الاقطار كبيراً ، ولاحله صعب الملوك وحشد المال حتى تعالى عن طقة الشعراء ، وسأوى نفسه بممدوحيه من الامراء - ولكنه فشل ، وفي سببه وعشله عرف الحياة واختبر حقيقة المجتمع الشرقي ، فنظم ذلك لنا حكماً عابية ادرك الناس صحتها ، فتداولتها اذن الزمان في كل مكان ، واصبحت على كرور الايام امثالاً يرددها الحس والعلم .

عرف المتنبي سراب الدنيا فسمى وراءه ، وطوى في ذلك السبي شبابه ودحولته . فاذا الدب سراب واذا السبي وراء الدب ماطل . على اننا لنحمد الاقدار على هذا السراب وهذا الدب ، فلولاها لما كان لنا شاعر الحكمة الكبير ، ولما تحدر اليها منه ذلك الميراث الادي الخالد .

المختار من شعر المتنبي

نفس غريزة شديدة المطامع تدفعها شهوة ادبها الى حب لمجد وانقوة ، فتدفع اليها
بغزم القدرس المقدم . ثم لا تلت ان مصطدمها مثل فتند على اعقابها دقيقة المعرفة
بمحوادث الزمان ، صائفة النظر في عوطف الازمان - تلك هي حكم المتنبي الليمه وحالها
نفسه الكبيرة .

ترغبات شبيهه

كم قتل كما قتل شهيد
ليض الفنى وورد الحدود
وهيون الامى ولا كميون
وتسكت بالثيم المعبود
در در النصف - ايزم تجرير ديوي
دار انة عودي (١)
محرك الله هل رأيت بدورا
طلب في يرفع وعقد
رايت باسم ريشها الهدى
تشت القوب قبل الحلود
يتش من في رشفت
هن فيه حلاوة التوحيد (٢)
كل حصاة ارتق من الحمر بقلب اقصى
من الحلود (٣)
دات فرع كانا ضرب لمر فيه
ورد وعود
حان كانداف حشر دجوحى
ايت جعفر بلا تحميد
تحمل المسك عن عذائرها اربح
وتقع عن شيب برود (٤)

(١) ايام مبادى اي ايتا الايام التي كتبت احرق فيها ديوي مرحا في دار انة عودي في

(٢) التوحيد موع من سر

(٣) الحمصانه الصائفة او الحبيبة ، والفرع الشمر ، والنداف المزاب

(٤) شيب برود اي شعر لطيف حبيب الله

جئت بين جسم احمد والشعر وبين الجفون والتهد^(١)

هذه مهجتي لديدك لئني
كل شيء من الدماء حرام
وسقيها لذي لعينك نفسي
شيب رأسي ودلّني وعولي
اي يوم سررتني بوصال
فانقصي من عدائها او فزدي
شره ما حلا انة المنقود
من قرالء وطريقي وتليدي
ودموعي على هواك شهودي
لم ترعني ثلاثة بصدود

ما يقامي بارض ثخلة الأ^(٢) كنفام المسيح بين اليهود^(٣)
مهرشي صهوة الحصان والكن قميصي مسرودة من حديد
ان فصي اذا قمت من الدهر بعيش ممقل التبعيد
ضيق صدري وطال في طلب الرزق قياسي وقل منه قهودي
ابداً اقطع البلاد ونجسي في بحوسه وهمي في مهود
عن عزيزا اومت وانت كريم بين طمس القنا وخفق السود
فرؤوس الرماح اذهب للنيط واشي نسل صدر الحقود
لا كما قد حيث غير حميد واذا مت مت عير فقيد
فاطلب الرزق في اقطر ودع الدل ولو كان في حضان الخلود
يقتل الساخر الحاس وقد يعجز من قطع رجلي^(٤) المولود
ويؤتى القتي الخش وقد غرض في مساء لئلا الصنديد^(٥)
لا تقومي شرفت بل شرفوا لي ونسفي غرت لا مجودي
وهم غر كل من نطق الضاد وعود الحاني وغوث الطريد
ان اكن معجاً لعجب عجيب لم يجد فرق نفسه من مزيد

(١) احمد اسم الشاعر

(٢) ارض محلة قرية لني كلب

(٣) الدجني حرقه يقطع به الراس

(٤) اي يوقى الشجاع بظاهره وقد حاس في دماء الاسنان

أنا قرب الندي ورب القواي وسام الندي وغيظ الحود
أنا في أمة - تداركها الله - غريب كصالح في ثود^(١)

وصف الاسد

وكيف صرعه بدر بن عمرو ، وذلك على ضفاف الاردن قرب طويلا

في الحدة أن عزم الخليل رحيل
يا نظرة نفت الرقاد وعادته
كانت من الكحل سولي أنا
أحد الحفاء على سوك مروة
واري تدألك العكثير محمدا
حدق الحسان من العراي محمدا
حدق يدم من القوائل عيها
الفارج الكرب الضام عثها
دقت مضاربه فمنا كاسا

مطر تريد به الحدود مغولا^(٢)
في حدة قلبي ما حيت ملولا
احلي قتل في فؤادي سولا^(٣)
والصبر الأ في نواك جيبلا
وردي قلب تدلر ملولا
يوم الفراق صباة وطيبلا
بدر بن صابر بن اصابلا^(٤)
والشارك الملك العزيز ذليلا
بدر بن عيش الرقاب تحولا

. . .

امعز الليث المبرر بدوطة
وقعت على الاردن منه بيلة
وزد اذا ورد البعيرة شاربا
متحضب بدم العوارس لانس

لبن ادحرت الصارم المصقولا
نضدت بها هام الرقاق قولا
ودد القرات زئير والنبلا
في عيلر من ليدته فيلا^(٥)

(١) صالح بني ارس في ثود دم يؤموا به وهم يصموا الى اقواله

(٢) لان المشراء عرموا على زوحيل حطن مطر الدموع على حدي فزاده محولا (يمكن مطر

الماء الذي يريد حصص الارض)

(٣) كانت هذه النظرة كل ما اسأله ويمكن ما اسأله كان الصبر في هلاكي

(٤) يدم عير - اي ان المشرح عيرنا من كل قاتل سوى نظرات الحسان

(٥) هذا الاسد دنت با ناس وتحضب بدماء العربان وكنت تراه في غايه كان عليه غايه من شعره

ما قولت حينئذ الا طئنا
 في وحدة اوهان الا انه
 يطأ الثرى متوقفاً من تيهه
 ويرد عفرته الى باقوحه
 وتطنئ - مما يرمح - معه
 قصرت مخافته الخطي فكانا
 القى مريسته ويرير دوما
 فشاها الحلقان في إقدامه
 اسد يرى عصبه فيك كليهما
 ما زال يجمع معه في دوده
 ويدق بالصدر الحمار كأنه
 وكأنه عرثه عين فادى
 أتب الكرم من الدنية تارك
 والعار صاؤ وليس بجذف
 سبق الثقا حكة بوثة عاحم
 حذفته قوته وقد كاذته
 قضت ميتة يديه وعنفه
 جمع ابن عمته به وبجائه
 وأمر بم فور منه قراره
 تلب الذي اتخذ اخراة حلة
 نطقت بسوددك الحمام نعيًا
 ما كل من طلب اعالي نافذا
 تحت الدحي ناز الفريق حلولا
 لا يعرف التحريم والتعليلا
 فكأنه آس يحس عليلا
 حتى تصير لرأسه اصليلا
 عها لشدة عيطه مشغولا^(١)
 دك الكمي جواده مشكولا^(٢)
 وقربت قرأ حانه تظفلا
 وتخافا في يدك المأكولا^(٣)
 متسا ازل وساعدا وقتولا
 حتى حسنت العرض منه الطولا
 يعني الى ما في الخفيض سبيلا
 لا يصير الخطب الحيل جليلا
 في به العدد الكثير قبلا
 من حنقه من خاف مما قبلا
 لو لم تصادمه جارك ميلا
 فاستنصر التلح والتجديلا
 فكأننا صادهته مغولا
 فها يبرول امر منك مهولا^(٤)
 وحكفته ان لا يموت قبلا
 وعط الذي اتخذ القرار خيلا
 وما تجشها الجياد صبيلا
 فيها ولا حكل الرجال حلولا

(١) وتطنئ نفسه لكثرة زهرته انه مشول بها

(٢) من شدة الخوف أصبح الجواد غير قادر على الحري

(٣) تشاها في الاقدام وتعاها في انت كرم تبدل ما تعيده لواءك

(٤) يشير الى اسد آخر هرب منه بعد هذه الحادثة

بعض مرانهم في سيف الدولة

وهو يصوره في شعره بصورة النطل القومي والمجاهد الأكبر ضد الروم

قال يذكر بناهم مرعش سنة ٣٤١

فدينك من ربح وان ردتنا كربا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا
قولنا عن الاكواخ غشي كرامة
ندم السحاب الغر في مطها به
ومن صحب لندبا طويلا تقلبت
وكيف التذاذي بالاصائل والضحى
ذكرت به وصلا كان لم أقر به
وقبلة العينين فتانة الهوى
فيا شوق ما أنقى ويا لي من النوى
لقد لمع البدر المشت بها وفي
ومن تكن الاسد الدواري حدوده
ولست أبا لي بعد ادراك العلى
فرب علام علم الهدى نعمة
اذا الدولة استحكمت به في مسير
تهب سيف الهدى وهي حذائد
ويوهب قاب الليث والليث وحده
ويجشى غاب البحر وهو مكانه

فانك كنت الشرق للشمس والعربا
فؤادا لمرقان الرسوم ولا لبسا
لم بان عنه ان نلنا به ركسا
ونعرض بها كفا طلعت منا
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
اذا لم يعد ذاك التميم اندي هبا
وميشا حكا في كنت قطعه وثبا
اذا نفتحت شيئا رونغها شيئا
ويا دمع ما اجزى ويا قلب ما صبي
وزودني في اليد ما زود الصبا^(١)
يملك ليله صعا ومطعمه عبا
أكان تراثا ما تناولت أم كسا
كتعلم سيب الدولة الطمن والصربا
كهاه فكان السبب والسكف والقلدا
فكيف اذا كانت توارية عربا^(٢)
فكيف اذا كان الليث له صعا
فكيف تن يقش السلال اذا هبا

(١) الصب حيوان معروف ويصرب به الثور في الهجرة . اي ان الليث الذي عرفنا حطني حائرا

(٢) فكيف لا تحاب وهي عربية كريمة الاصل (اشارة الى سيب الدولة)

وأنت حرباً لله صرت لهم حرباً^(١)
 فان شكاً فليحدث بإحسانها خطاً
 ويوماً يجود تطرد العقر والحدبا
 واصحابه قتل وأمواله تُهبى^(٢)
 وادبراً اذا أقبلت يستعد القرنا
 ويقتل من كانت عبيته رعا
 صدور العوالي والمهمة الثبا^(٣)
 كما يتلقى الهدب في الرعدة الهدبا^(٤)
 اذا ذكرتها نفث لس الجنبا

هنا لاهل الشعر وأهلك فيهم
 وأنت رعت الدهر فيها وربة
 فيوماً يحير تطرد الروم منهم
 سرايك تزي والد المستق هارب
 أتى مرعشاً يستقر العمد مقللاً
 كذا يترك الاعداء من يكره القا
 وهل رد عنه باللقان وقوة
 مضى بعد ما الثب الرماحان ساعة
 واحصته ولي وللعلم سورة

حرباً عليها مستهتماً بها صبا
 وجب الشجاع الحرب أورد الحربا
 الى ان توى إحسان هذا لذا ذنبا^(٥)

أرى كلنا بيني الحياة نفسه
 قلب الجبان النفس أورد القبا
 ويحدث الرقان والفصل واحد

الى الارض قد شق الكواكب والقرنا^(٦)
 وتفرع فيها الطير أن تلتقط الجبا
 نبي مرعشاً ثبا لأرائهم ثبا
 اذا حلرو المذور واستصعب الصبا
 وستة دون العالم الصارم الضبا
 ولم تترك الشام الاعادي له حبا

فاضت كأن السود من فوق بدني
 تصد الرياح المخرج عنها عفاة
 كفى عجباً أن يمج الناس أنه
 وما الفرق ما بين الانام وبينه
 لأمر أمددة الخلافة لعمدي
 ولم تفرق عنه الاستة رحمة

(١) ليه من الامر عين وأهلك يا حزب الله قد صرت حرباً لهم

(٢) المستق روم الروم

(٣) اللقان اسم مكان ، والرماحان اي رماح اندريس

(٤) الحكيمه يشير ان حرب المستق وأقدام سيقه الدولة فيكون ان حب الحياة يدفع الشجاع الى الحرب
 والحسان الى الحرب ، عابتهما واحدة ولكن من احسان دميم وعمل شعيع حميد

(٥) اصحت اي مرعش وسوره ياطح النجوم علواً وهو راسخ في احشاء الارض

ولكن نراها معه مع كريمة
وجيش بشي كل طود حكانه
كان فجوم الليل خافت مفارده
فن كان يرضي المؤم والكفر ملكه
كريم انما ما صب قط ولا سباً
خريق رباح واحمت غصاً رطباً
فدت عليها من عذته حجباً
هذا الذي يرضي المكدم والربا

وقال يدكر فوزه على الروم

في قلعة الحدث (بالناصرل) وكان المتني قد صحبه في هذه المعركة

على قدر اهل العرم تأتي الغزائم
وتعظم في من الصير صغارها
يكتف سيف الدولة اخيش همة
ويطلب عند الناس ما عند يده
يفندي أتم الصير عراً سلاحه
وما ضرها خلق بنو غالب
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعصر في عين العظيم العظام
وقد مجرت عنه الجيوش الخدام
وذلك ما لا قد فيه الضرائم
نور الفلا أحداثها والقشاعم
وقد خفت أسيافه والقوائم^(١)

هل الحدث الخمر تعرف لوبها
سقتها العرم المر قبل تزوله
بناها على والقنا يقرع القا
وكان م مثل الحرس عصحت
طريدة دهر ساقها ورددتها
نفيت الديلي حكر شيء أخذته
ونعلم اي الساتين العمام^(٢)
لما دنا منها سقم الجاجم
وموج الدنيا حول متلاطم
ومن جث القتلى طيا غمام^(٣)
على الذي ما عظمي والدهر رانم^(٤)
وهن لب يأخذن منك عوارم^(٥)

(١) لم ان الدمور ببر محاب ما مرها ذلك لان حيوة نسف يذبح القتي

(٢) وصفها بالخمره لا تلتفت به من دماء القتلى وكانت قد اميتت عظم دبل ذلك

(٣) التثام هي التناوب التي كانوا يتوقفون بها من الجن

(٤) اي كان الدهر قد سقط الروم فيها مرددا برما حرك دعم اعمه

(٥) نبت الليالي اي فكرها على ركة وعوارم اي طرمة يدوع عرته

إذا كان ما فتويه فعلاً مضارعا
وكيف ترجي الزوم والروس هدمها
وقد حاكوها والمنايا حواصمها
مضى قبل أن تُنتق عليه الحوازم
وذا الطمسُ أساسُ لها ودعائمها
فما ماتَ مظلوم ولا عاشَ ظالم

أنوك يجرؤون الحديد حكاما
إذا برقوا لم تُعرف البيص^(١) منهم
خمسُ بشرق الأرض والترب زحفة
تجتمع فيه حكلُ لسنٍ وأمة
فله وقت ذوب الشئ ناره
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا
وقفت وما في الموت شك لو اتفكر
تقر بك الأبطال كلهم هزيمة
تدورت مفرد انشاعة والنهي
صممت جناحيهم على القابضة
بصر بأتى هجمات والصر عائب
حقوت اريدنيبت حتى طارحتها
ومن صلب القنبح الحليل فاعبا

سروا بيجاد ما لمن قوائم
تياهم من مثلها والبنام
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
فما يفهم الحداث إلا القواجم^(٢)
فلم يبق إلا صارم أو صارم^(٣)
وفر من العوسان من لا يصادم
كأنك في حفن الردى وهو نائم
ووجهك وضح وشرك باسم
إلى قول قوم أنت بهيب عالم
توت الحوى تحتها وقواجم^(٤)
وحار إلى اللات والنصر قادم
وحق كأن السيف للرمح شاتم
معايحه البيص الخفاف اصوارم

نذتهم فوق الأحيد حكله
قدوس بك الحيل الوكور على الدوى
أفي كل يوم ذا الدمشق مُقتم
أينحكر ربيع الليث حتى يذوقه
وقد لجته يابنه وابن صهره

كما نُفرت فوق العروس الدرهم^(٥)
وقد كثرت حول الوكور المطاعم
قفاه على الاقدام للوجه لائم
وقد عرفت ربيع الليث البهائم
وبالصبر حملات الأمير القواجم^(٦)

(١) البيص البيوش . أي مدرعون بالحديد وعلى رؤوسهم حود الحرب

(٢) صبارم شجاع (٣) أي اهلك الجيش جيمه

(٤) لا حديد اسم حبل (٥) إشارة إلى عور سابق للمدح على مولاه

حفي بشكر الأصحاب في قوته الطي
ويقيم صوت الشرف فيهم
يسر ب إعطاء لا عن جهلة

تسرف عدنان به لا ربيعة
لك الحمد في اندر الذي لي لطة
واني لتمدو لي عطائك في اومي
على كل طير ليها برجه
ألا ايها السيف الذي ليس مصدا
هنيئاً لضرب الهام والمحد والدي
ولم لا بقي الرحمن حديثك ما دعي

وتفتخر الدنيا به لا العواصم
ديك معطيه واني فاضم
فلا انا مدموم ولا ت نادم
اذا وقعت في مسميه الساعم
ولا فيه مرتب ولا منه هاصم
وراحيك والاسلام انت سالم
وتعليقه هام لعدى بك دغم

وقال يمدحه ويعاتبه

عن حيف حقه منه ويظهر ما كان في نفسه من تحامل حاده عليه

واحر قلبي من قلبه شيم
ماي أكرم ح قد بري حدي
إن كان يحمنا ح لفرته
قد زرته وسيف عند مضدة
فكان احسن خاتر الله كلهم
فوت المدور الذي يسمته ظفر
قد ناب عنك شديد الحوف واصطلمت

ومن يحسي وحالي هذه سقم
وتدعي ح سيف الدولة لامم
فليت أد بقدر الحب نقسم
وقد نظرت اليه والسيوف دم
وكان احسن ما في الاحسن القيم
في طيه اسف في طيه ريم
لك المهانة ما لا تصنع البهم

- (١) معى يشكر اصحابه لانهم شغلوا رؤوسهم السيوف مع ثله
(٢) ربيعة قبيلة سيف الدولة . والعواصم هي البلاد المتاخمة للروم وعاصمتها انطاكية
(٣) اشارة الى عطايه من الحيول
(٤) شيم ارد
(٥) اليهم الحيوش

ألزمت نفسك شيئاً يس يلزمها
أكلما رمت شيئاً فأنشى هرباً
أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر

أن لا يوارىهم ارض ولا علم
تصرفت بك في آثاره المصم
نصاغت فيه بيض الهند والليم

يا أعدل الناس الا في معاملتي
أמידها نظراتك منك صادقة
وما انتفاع أخي الدنيا بما نظري
سيعلم الجمع من ضم غلسنا
اذا الذي نظر الاعى الى ادبي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ودم
اذا استوت عنه الانوار والظلم
بأنني خير من تسمى به قدم
واصحت كصالي من به هم

وجاهل مدء في حمله ضيكي
اذا رأيت نيوب الليث بارزة
ومعجزة مهجتي من هم صاحبها
ومرغمة سرت بين الحفظين به
الحيس والليل والبيداء تعرفني

حتى اتت يد قراءة ومع
ولا تظن ان الليث يتسم
ادركها بجوار ظهري حرم^(١)
حتى ضربت وموج الموت يلتطم
واليف والرمح والقرطاس والقلم

يا من يمز علينا ان نفادهم
ما كان اخافنا منكم بشكركم
ان كان سرركم ما قال حامدا
ويئسنا لو رميم ذاك مرفة
كم تطلبون لنا ميأ فيعجزكم
ما ابد السب والقصاص من شرقي

وحداثا كل شيء بعدكم مدم
لو أن امركم من امرنا أمم^(٢)
فما لخرج اذا ارضاكم ألم
ان الماكر في اهل النعم ذم
ويكره الله ما تأثرون والكوم
اذا القربا وذان الشيب والمهرم

(١) ي ورب مهجة هم صاحبت اقلاب مهجتي ادركتها بجواردي فتصبت عليها

(٢) امم . قريب

ليت العمام الذي عندي صواقه
أرى السوى يقتضي كل مرحلة
لئن تركي ضميراً عن ميامنا
إذا ترخت من قوم وقد قدروا
شرُّ اللاد مكان لا صديق به
وشرُّ ما قنصته راحتي قنص
بأي لفظ تقول الشرِّ رخصة
هذا عتابك إلا أنه ينة

يزيرون إلى من عمام الذي
لا تستقل بها وحدة الرثم
ليحدثن لئس ودعهم ندم
أن لا تقادهم فالراجلون هم
وشرُّ ما يعكسب الأيام ما يصم
شبه البراق مراه فيه والرحم
تحوز عندك لا عوب ولا حزم
قد ضين الدر إلا أنه حكام

بعض مرانم في كافور

قال سنة ٣١٦ وهي أولى قصائده في مصر وكان كافور قد تلقاه بمعاودة

وحمل إليه آلافاً من الدراهم

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
ثميتها لما قيمت أن ترى
إذا كنت ترضي أن تعيش مذابيا
فما ينفع الأسد الحياة من الطوى
حببتك قلبي قبل لحث من بأي
وحسب المنايا أن يعكس مانيا
صديقاً فأما أو عدواً مداحيا
فلا تشجيعن الشاق المذاكيا
ولا تقي حتى تكون ضواريا
وقد كان غداراً مكن أنت واقيا

(١) يشبه سيف الدولة بالدم وسخطه بالصراخ والدغم سطايا - أي بيت فضبه يكون على من عمرهم سطايا وهم لا يستحقون

(٢) صبر على وهو يشير إلى سمره وإلى أن المدح سبب على ذلك

(٣) يشير إلى أن سيف الدولة سوي هذه من التثني وسواء من صديك شمراء

(٤) لغة من قبل ومن وممها الحب

(٥) يحاط الشاعر به ويقول بشدة التي ما ورامد شدة أن تكون في حالة تحب الموت

شافياً لك أو أمية تتساها (٦) أعياء ذلك أي اعمره . ومداحي أي مداري

(٧) المتاع المذاكي أي يقول بكريمة (٨) الطوى أخوح

(٩) أي أي أحببتك يا قاضي قبل حثك لم في حلب فلا تكن غير وفي لي

واعلم أن البين يشكك بعده
 فإن دموع العين عذرت بها
 إذا الجود لم يوزق خلاصاً من الأذى
 وللنفس حلاق تدل على الفنى
 أقل اشتياقاً إليها القلب وبها
 خلقت ألوفاً لو رحمت إلى الصبي
 ولحسن بالقسطاط مجراً أزرته
 أيا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً
 أيا كل طيب لا أيا المسك وحده
 يدل معنى واحد لكل فاجر
 إذا كسب الناس المال بالندى
 ويرى كثير أن يزورك راجل
 فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً
 وتحتقر الدنيا احتقار محروب
 وما كنت بمن ادركك الملك بالمنى
 مدى بلغ الأستاذ اقضاء دية
 دعت قلباًها إلى المجد والعلو
 فاصح فوق العالمين يورنه

فكنت مؤادي إن رأيتك شاكياً
 إذا سكن إثر الفدرين جوارياً
 فلا الحمد مكسوراً ولا المال باقياً
 أكان سقاء ما اتى أم تساغياً
 رأيتك تصمي أود من ليس صامياً
 لعارقت شبي رجعت لقلب باكياً
 حياتي ونصحي والموى والقوافي^(١)
 إليه وذا اليوم الذي كنت راجياً^(٢)
 وكل سحاب لا انحص الفوادي
 وقد جمع الرحمن فيك عالمياً
 فانك تعطي في فداك المايل
 فترجع ملصكاً للعراقين والبا
 لائبك الفرد الذي جاء عالمياً^(٣)
 يرى كل ما عيب وحاشك فانيا
 ولحسن بدم اشى الواصيا
 ونس له لم ترض الأ التاهيا
 وقد خالف الناس النفوس الدواصيا
 وإن كان يدنيه التحكروم نالبا

وقال أيضاً مدحه

أود من الإيلى ما لا تود
 ياعدن رجاً يحتمن ووصله
 واشكو إليها بيننا وهي جندة
 فكيف محب يحتمن وصدده

(١) القسطاط مصر. ويريد بالبحر كنفود

(٢) أيا المسك كنية كنفود

(٣) قد تهب الجيش التارزي لسائل واحد يأتبك طالباً لمروءة

إلى حقي الدينا حيناً تدب
وسرع معلول فعلت تعيراً
رعى الله عيب فارقت وموقها
بواد به من بالقلوب كأنه
إذا سارت الأحداج فوق قنانه
وجال كاحداهن رمت بلوعها
واتعب خلق الله من راد هنة
فلا ينحلل في الجهد مالك كله
وذيرة تدوير الذي الجهد كله
فلا يجد في الدين لمن قل ماله
وفي الناس من يرضى بمسور عيشه
واصبر قللاً بين حسي ماله
يرى جسمه يكسي شهوة ترنه
وامضى سلاح قلل المر به
هي ناصر من جانه كل ناصر
أنا اليوم من غلونه في مشجرة
من ماله مال العكبر وقفة
نجر القنا الخطي حول حبابه
أبو المالك لا يغني بذنبك غفوة
فيا أيها المنصور بأجلد سعيه
تولى النجي عني فاحلفت عليه

فأطلي منها حيناً تدب
تكلت شيء في طاعتك ضد
معي كلها يولي نجفبه حده^(١)
وقد رحلوا حيناً تغار عقد^(٢)
تصاح منك القانين ورنده
ومن دونها قول الطريق وبعد^(٣)
وقصرها تشهي النفس وجده^(٤)
فينحلل مجد سكان المال عقد
إذا حارب الأعداء والمال رنده
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
ومركونه رحلاه والتوب جلده
مدى يشهي ب في مرادر احده
فيحار ان يكسي دروعاً تهده^(٥)
رجاء في السك الكريم وقصده
وسرة من لم يكتر السبل جده
لا والد منه بقية ولده
ومن ماله در الصبر ومهده
وتودي بنا قب لرباط وجده^(٦)
ولحكه يغني بعدك حقه
ويا أيها المنصور بالسعي حده^(٧)
وما ضرني لما رأيتك قدده

(١) رعى الله بقاءً فارقت وموقها بقاء (حسان) نسي حدودها من دموعها

(٢) بواو به من الخوى ما يظرب المصير

(٣) وحال صيغة المثال كاحدى هذه الحسان

(٤) عيشه أي عيشته ووجده ماله أي ذهب الناس من ماله وقصر ماله من ادراكها

(٥) يرى جسمه يكسي بالحرير فيص ان يكره الدروع بدل الحرير

(٦) ونجري بنا الخبول (٧) المدة الخط

لقد شبَّ في هذا الزمان كموله
ألا ليت يوم السيد يجزى حوله
وليتك ترعاني وحيوانٍ معرضٍ
واني إذا بشرت امرأ أريدُه
وما زال اهلُ الدهر يشتبهون لي
يقال إذا ابصرت حيث ورية
والقي القمَّ الضحك اعلم انه
فزارك مني من اليك اشتياقه
فان نلت ما أملت منك فوئما
روعدك فعلٌ قبل وعدٍ لأنه
فكن في اصطنامي محسب كعرب
إذا كنت في شك من السيف فانه
وما الصادم الهندي الا كعيره
وانك للشكور في كل حالة
فكل نوالٍ كان او هو كان
واني لفي بحر من الخير اصله
وما رعتي في عجمه استفيد
يخود به من يفضح الحرد حوده
فانك ما مرَّ الحوس بكوكب

لديك وشأت عند عيرك مُرده
فقاله والليل يجزى برده
فتململ اني من حسامك حده^(١)
قدانت اقاصيه وهران اشده
اليك فلما حلت لي لاح فرده
امامك رب رب ذا الجيش عبده^(٢)
قريب بدي الكلب المدانة مهده^(٣)
وفي الناس الا فيك وحدك زهده
شرحت بماء يعجز انطير ورده
نظير فعال الصادق القول وعده
ومن لك تقرب الحرد وشده^(٤)
فام تنيه وام تعدة
اذا لم يفارقه الجواد وعده
ولو لم يكن الا الباشاة رفته
فلحظة طرف منك عندي نده
عطائك ارحم مداه وهي مذه
ولكنها في مفرج استجده
ويجده من يعصم اخده حمده
وقانك الا ووحوك سمده

(١) حيران اسم جبل اي ليشك كنت تراني وما بعد مقابل حيران لتعلم معني وعلمي
(٢) وكذا اجرت حيث على الطريق كان غالي لي اتى هذا الجيش ان تذهب هذا لمن
انت تقصده ، وكذا رايت وما صفا كما احب انه قريب العهد شقيل يدك المدانة
(٣) التقريب نوع من عدو الفرس
(٤)

ومن مدائحه

مَنْ الحَادِرُ فِي رِيِّ الأَعَارِبِ
 إِنْ كُنْتَ تَأَلُّ شَحْكًا فِي مَارِفِهَا
 مَا أَوْجَهُ الحَضَرِ المُتَجَنِّتُ بِهِ
 حَسَنَ الحَضَارَةِ مَحْلُوبٌ بِتَطْرِيفِ
 إِنْ المَذِيءُ مِنَ الأَوَامِ نَازِلَةٌ
 أَفْذِي ظِلَاءٍ فَلَاقُ مَا عَرَفْتُهَا
 وَمَنْ هَوَى كُلِّ مَنْ أَيْتَ مَوَهَّةً
 وَمَنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَلْبِي وَعَادَتِهِ

لَيْتَ الحَوَادِثُ بِعَنِّي الَّذِي أَخَذْتُ
 فَمَا الحَدَائِثُ مِنْ رِجْلِهِ بِأَنْفَعِ
 تَرَجَّرَحَ المَلِكُ الأَسَافُ مُكْتَوَّلًا
 يُدِيرُ المَلِكُ مِنْ بِصَرٍ إِلَى عَدَنِ
 بِصَرَفٍ الأَمْرُ تَبَاهٍ طِينُ خَائِفِ
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ النَيْثَ قُلْتُ لَمْ
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ

- (١) الحَادِرُ أولاد مقر الوحش تشبه النساء خيال مبرحاً، يكون من هؤلاء الدويات الحسنان
 حمر الخيل والثياب والأراكيات على الباقي الحمر (هي الأكرم الباقي)
 (٢) «رعاب الطويلات استلذات الحمر» (٣) النظرية التكلف والصنعة
 (٤) يقصد بـ«مدير ساء الحضر» والآرام «الظباء» الدويات
 (٥) التسمية أي الظلي ويراد به التزيين
 (٦) لَيْتَ الحَادِثُ أَدَثُ تَرَجَعَ فِي مَا سَلَفَتِي مِنَ الشَّابِّ وَنَادَى مَا أُعْطِيَ مِنَ العَقْلِ وَالشَّعْبَةِ
 (٧) أي شأناً حاصلاً على عقل الكهولة قبل أن يكون كهلاً
 (٨) يذكر الأورد على حقه الذي يقتضيه وساطته ولو لم يكن النقش الذي فيه
 (٩) قالوا هجرت أنظر تركت سيف الدولة فقلت أي أنظر مدي كأمور السكينة

ولا يزوح هذور به اهدأ
وأحدث انفع مال كنت أذوهُ
لما رأيت صروف الدهر تقدر بي
وكيف اكفر يا كافور نمتها
انت الحبيب ولصكتي لعدو به
ولا يقرع موفوراً ^(١) بنحسكوب
ما في السواق من جري وتقريب ^(٢)
وفين لي ووقت صم ^(٣) الاثايب
وقد بلغتني يا حكمل مطاوي
من ان احكون حبا غير محبوب

وقال يمدحه سنة ٣٤٧

مراق ومن فارقت فير مذموم
وما منزل الذات عندي عليل
سجئة نفس ما توالى مليحة
رحلت فكهم فاك باحسان شادن
وما رنة الثرط المليح مكانه
فلو كان ما لي من حبيب مقنع
رسي واتقى رمي ومن دون ما اتقى
وألم ومن يثمت غير ميتهم
إذا لم يخل عنده واحكوم
من الصم مرميا بها كل مخرم ^(٤)
علي وكم بك باحسان ضيفم ^(٥)
باجزع من دبة الحسام المصمم
هذرت ولكن من حبيب مضم ^(٦)
هو كاسر كفي وقوسي واسهمي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم
ومادى عنده بقول عدائه
أصدق نفس المرء من قبل جسمه
وأعلم من علمي وأعلم أنه
وصدق ما يقفاده من توهم
وأصبح في ليل من الشك مظلم
وأعرفها في فعله والتحكلم
متي اجزيم حلقاً عن الجهول يندم

(١) أي لا يذور واحد لجزوع به غيره ولا يلبس احداً بغيره عبد المطلب

(٢) وجدت انفع مال جري الخويل

(٣) الثوب في رأيت راجعة الى الخيل أي لا رأيت خيل غير الدهر في وقت لي بحالي عن مواطن
الندم وكذلك وقت لي الرماح

(٤) مليحة من الصم أي حائفة حته - مخرم طريق في الجبال

(٥) رحلت فكهم حسناء فكهم علي وكم بطل

(٦) الحبيب المفتح كتابة عن المرأة والحبيب العمم عن الرجل (يقصد سيف الدولة)

حزيت مجود التارك المتسم
 مجسر كصدر السميري المقوم
 به الخيل كبسات الخيل المرمم
 ولكها في الكف والطرف والعم
 ولا كل فعل به غنيم
 سوانق حيدر يتدب مادهم^(١)
 الى خنق رحير وخنق عظيم
 فقف وقفة قدامة تتلم
 ضجبت الساعي او قليل التذكروم^(٢)
 وكان قبلاً من يقول لها اقدمي
 الى لوات الفارس المتشم^(٣)

وان بدل الافدن لي جرد فارس
 واهوى من الفتيان كل سبيد^(٤)
 خطت تحتها الميسر لعدة وحاطت
 ولا حقة في سيفه وسامه
 وما كل هاور لاهميل بفعل
 قدى لان المسك الكرام فانها
 امر مملو قد شغف من وره
 اذا منعت منك السياسة نفسها
 يضيق على من رآه العذر ان يرى
 ومن من كانور اذا الخيل اجتمعت
 شديد ثبات الضرب والقمع راص^(٥)

وأمل عراً يخفض البص بهم
 أقيم الشقا فيها مقام اشهم
 مواطر من مير الصحاب يظلم
 بقلب الشوق المشام المتشم^(٦)
 كان بها في الليل حملات ديلم^(٧)
 هم تر الا حوراً فوق مناسم^(٨)
 من الليل واستدرت رطل المقلم

اما المسك ارحم منك نصر على العدى
 ويوما يفيظ الحاسدين وحالة
 ولم ارج الا اهل ذاك ومن يوذ
 فلم تكن في مصر ما سرت نحوها
 ولا لبحث خيلي كلاب قبائل
 ولا أنمت آثارنا عين قناب
 وسماها لبيداء حتى تفتت

وابلج يصمي باختصاصي مشيرة
 عتبت بقصديه شيري ولومي

(١) السبيدح . شرف شجاع

(٢) ابو المسك اي كانور . جعل الكرام جراداً وهو داعم في معدتهم

(٣) رآه على رآه (٤) الضرب ابر اي شديد الثبات جعله اشداد الوعى

(٥) اي ولولاك لما قطعت انصار حتى سحب خيلي كره ب . مثله كأي من حصص عتات المديان

(٦) الفائف هو دي يتبع لاثرب يعرف صاحبه

فاساق اليّ العرف غير معكدر
قد احترتلك الاملاك فاخر لهم بنا
عاجن وحدي في الودي وحده بحس
واشرفهم من كان اشرف همه
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها
وسقت اليه الشكر غير محجور
حديثاً وقد حكمت رايتك فاحكم (١)
واين كمت منهم كمت منعم
واكثر اقداماً على كل منعم
سرور محبة او مسافة مجرم

ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها
ولكن ما يصي من الدهر دئت
رضيت ان ترضى به لي محبة
ومثلك من كان اوسيط فؤاده
وصدت نثيها انتفارك فاعلم
فجئت لي بقطر البادر بضم
وقدت اليك النفس قود السليم
فكفني عني ولم انكلم

مرثية في ابي شعاع واثك الرومي

وكان من المشهورين بالكرم وقد توفي بمصر سنة ٢٥٠

الحزن يبقا والتعطل يردع
يتنازعان دموع عين مسهله
الثوم بعد ابي شعاع فامر
ابي لاجين عن فراق احبي
ويريدي غضب الاعادي قسوة
اصفر حنة لاهل ار فاعل
وان بمالط في الحقائق نفسه
ابن الذي اهرمان من بياحه
تختلف الآثار عن اصحابها
والدمع بينهما عصي طبع
هذا يجيها بها وهذا يرحع
والليل معي والكواكب ظلم (٢)
وتنشر بصي فالحام فاشعم
ويلمن بن عبد الصديق فاحرع
عما مضى منها وما يتوقع
ويسومها طلب العدل فتطمع
ما قومه ما يومه ما المصراع
حياتاً ويدركها العناء فتنع

(١) اي قد احترتلك واستصنتك عن كل اسوء فاحسن اي احساناً يلهجون به

(٢) الثوم بده لا بالغ الغيب والابن بطون كانه مذكور من التبع وكواكب عرجاء لا تحسن

لم يرض قلباً ابي شعاع مبيع
 صكنا نطن دياره مبيعة
 واد المسكارم والصورم والقبا
 المحد احسر والمكسر صفة
 والناس ازل في زمانك مبرلاً
 برت حشون استطمت معة
 ما كان منك الى حابل قلب
 ولقد اراك وه تلم معة
 وبدي صكان نوالها وقتالها
 يا من بديل كل يوم حنة
 مارت نغاهها على من شاعها
 فظلت تنظر لا رماحك شرع
 بالي الوحيد وحيله متكاثر
 واذا حصلت من السلاح على السكا
 وصلت اليك بد سوا عندها
 من المعادل والحافل والسرى
 ومن اتخذت على لضرب حليقة
 قبحاً لوجهك يا زمان فانه
 ايقوت مثل ابي شعاع فانتك
 ايقيت اكذب كاذب ايقيت
 ولئى وكل غشالم ومنادم
 من كان فيه لكل قوم ملجأ

قل الملك ولم يسه موضع
 ذهباً قلت وكل دار بلقع
 ورسات اموج كل شي يجمع (١)
 من ان يمش لها الهمة الادروع
 من ان تعابشهم وقدرك ارفع (٢)
 فلقد تضر اذا تشاء وتنفع
 ما يقرب به ولا ما يوجع
 الانفاها عنك قلب اصم
 فرض يحق عليك وهو تدفع
 انى وضيت محلة لا تفرع
 حتى لست اليوم لا تخلق
 فبا عرك ولا سيوفك قطع
 يسكي ومن شر اللاح الادمع (٣)
 حشاك دمت به وغدك تفرع
 دري الاشهب والغراب الانمع (٤)
 فقدت بعقدك نبراً لا يصنع
 ضاموا ومثلك لا يسكاد بضنع
 وحده من كل قسح يرفع
 ويميش حاسده الحصي الاوكم (٥)
 واحذت اصدق من يقول ويسمع
 بعد اللزوم مشيع ومودع
 وليفه في كل قوم مرتع

- (١) كما ان يرضى ملاي الذهب والدمون والكمه بعوده ثم يترك فيه شئت ولم يجمع في
 حيازة غير المسكارم والسلاح و شيول (٢) الناس في ردت من قدر من ما تعيش بينهم
 (٣) يقصد بالوحيد التقييد وقوله بالي للتفدية
 (٤) وصلت اليك يد الموت التي يتساوى بها المظم والخمر
 (٥) الحصي الاوكم يقصد به كافر أو

ان حلّ في قبرس ففيها رثها كسرى قد بلّ له الرقاب وتضع
او حلّ في روم ففيها قبصر او حلّ في عرب ففيها نبع^(١)
قد كان اسرع فارس في طاعة هرباً ولحكنّ المنيّة اسرع
لا قلت ايدي الفوارس بعده رجماً ولا حمت حواداً اربع

وقل يرثي والده ميف الدولة ويعزبه عنها

سنة ٣٣٧

نعدّ الشرفيّة والموالي ونقتسب المنون بلا قتال
ونزسطّ الدوايق مقرراته وما ينعمين من خسر الليالي
ومن لم يعشق اديب قديماً ولكن لا سبيل الى الموصل
تصيفك في حياتك من جيب نصيفك في منامك من حبال
رماني الدهر بالارزاء حتى فزدي في مشاء من سال
فصرت اذا احابتي سهام^(٢) فكثرت النصال على النصال
وهان لما ابالي بالاريا لاني ما انتفعت بان ابالي
وهذا اول الساعين طراً لاول ميتة في ذا اعدال
كان الموت لم يجمع سمس ولم يخطر لمخروق يبال
صلاة الله خالقاً حنوط على الوجه المحكّن بالجمال
على المدفون قبل القرب صوفاً وقبل اللحد في كرم الحلال
أطاب النفس اركب متة موقاً غشه البواق والحوالي
وزلت ولم تترى يوماً كريباً قسر النفس فيه بالزوال
دوق العر فوقك مسطر^(٣) وملك عليّ اسك في كمال^(٤)
سقى مثواك عادي في النوادي بطير نوال كفتك في النوال^(٥)

(١) اي انه عظم يظهر عظته اسما حلّ في العرس او في الروم او العرب

(٢) عليّ اي سيف الدولة

(٣) سقى قبرك معاب هائل يشبه حودك فكك

يرُّ مفرِّك المائي فيصكي
وما اهداك للحدوى عليه
بميشك هل سالت فان قني
تولت على الكراهة في مكان
تجبت هك راحة الخزامي
ددار كل ساكنه عريب
حصان مثل ماء الزمن فيه
يعلمها تطسي الشجعي
اذا وصفوا له د شعري
ويست كلامات ولا اللواني
ولا من في حيازتها تجام
مضى الامراء حوليسا حدة
وو كان النساء كن قدما
والخ من قدما من وجدة
يدفن بعضنا بعضا وقتي
وكم من مقلد السوامي
ومنصر كان لا بغضي لخطب
أسيف الدولة استعد مصر
وانت تعلم الناس التمري
وحالات الزمان عليك شني
رأيتك في الدين اري ملوكا

ويشغل البكاء من السؤل
و أنت تقدرين على قبال
وان جانبك ارضك غير مال
نعدت عن التامى والسؤال^(١)
وتقع منك اداء الطلال
بعيد الدار منبت الجبال
كنوم السر صادق المقال
ورودها نظامي المالي^(٢)
سقاء اسنة الاحل الطوال
تعد لها القود من الحال
يكون وداعها نفس النذل
كان المرو من رف الزال^(٣)
انزلت النساء على الرجال
قيل القعد مفقود المثل
اواخرنا على هم الاولي
كحيل بالحنادل والرمال
وبال كان يفكر في الهزال^(٤)
وكيف بشل صبرك للرجال
وخوض الموت في الحرب السعال
وحالك واحد في كل حال
كأنك مستقيم في محال

(١) تولت في مكان سدت فيه عن ريج الشمال وريج الجنوب (بني القدر)

(٢) يدأوجا طيب الامراض ولكن ابنها طيب المالي

(٣) لم تكن من الدمة فيسر ورواها اهل السون والفتاح ولكن الامراء مشر حفاة ورواها

سكاغا احيارة كانت من وير السام

(٤) وكم من كانت نفس دلا لا اصحت مكتنحة اقرب وكم رجل كان لا يمس راسه

لخط اصبح منك في القدر وكم من كان ينكر كثيرا في صحته اصبح الاكن باليا بتأثير الحام

فان تقى الاتام وانت مهم فان المك بعض دم الغزال^(١)

وقل بصف حتى اصابته ويعرض بالرجل عن مصر

فلومك يجر من السلام
ذرائق والهلاكة بلا دليل
فاني استريح بذي وهذا
ولا اسي واهل الخيل صبا
ولم صار ود الناس خبا
وصرت اشد فيمن اخطبه
يحب الماؤون على التصا
وانف من اخي لاني وامي
أرى الاحداد تغلب كثيرا
وست وقائع من كل فضل
عجبت لمن له قد واحد
ومن يجد الطريق الى العالي
ولم ار في ميوب الناس شيئا

ووقع فعاله فوق الكلام^(٢)
ورجعي وامحير بلا لسان
وأقرب بالاناقة والقيام
وليس قري سوى مع لسان^(٣)
حررت على انعام بانعام^(٤)
للمي انه بعض الاتام
وحب اخيهين على وسان^(٥)
إدانا لم احده من الكرام
على الاولاد احلاق النعام^(٦)
من أعزى الى جد مهم^(٧)
ويبر نبوة التضم الكرام^(٨)
فلا يذر المظي بلا سام^(٩)
كنقص القادرين على العام

. . .

- (١) ليس من العرب ان تقوى الناس وانت مهم وان المك وهو من دم الغزال يفضله كثيرا
(٢) يحط صاحبها بقول ان من قوامه على ركوب الاسود هو اهل من ان يصل اليه اللام
(٣) وليس لي راد سته . اشارة الى ان اسما لا مع به
(٤) حبا اي حدا
(٥) الرزم حس لظفر . يقول العاقل يحب لاجل تصالي الود يسه وبني محبوبه ان اجاهل فبهم
بالهيئة المارحة
(٦) اي ان الاحلاق اللينة قد ثبت الاصل الكريم فيجني الولد لثيما
(٧) اي لا اقمع ان اسب اي حد كرم بن ادرك الفصل معني
(٨) اي عجت من الشب القوي الذي اذا هزم له الامر العظيم رجع منه رجوع السيف الذي
(٩) من لا يذنب اسمه اذن بمهاده في سبيل العالي
لا يقطع

أقمت بارض مصر فلا وراني
وملأ العرش وحكن حني
قليل عائدي سقم فؤادي
على جسم ممتنع القسام

تجبت في الركاب ولا اعاصي^(١)
من لقاء في كل عام
كثير حاسدي صلب مرامي
شديد السكر من غير المدام

وزائقي كأن بها حياء
بذلت لها المطارف والحشايا
يضيق الخلد عن نفسي وعنها
كأن الصبح يطردها فتجوي
أراقب وقتها من غير شوق
ويصدق ومدها والصدق شر
أبنت الدهر مدي كل ينثر
بحر بحر حار لم يبق فيه
يقول لي الطيب اكاث شيئا
وم في طنبه اني حواد
تعود أن يُعثر في السرايا
فأمسك لا يطال له فيرعى

فليس تردد إلا في العظام^(٢)
فصاتها وفتت في عظامي^(٣)
فتوسمه بأنواع السقم
مداهها ماربعه سحام
مراقبة المشوق المستهام
إذا القاك في الكرب العظيم
فكيف وصت انت من الزحام^(٤)
مكاث لليوف ولا السهام
ودائك في شرايك والعظام
أضرب بحسه طول الطام^(٥)
وبدخل من ققام في قسام^(٦)
ولا هو في العيق ولا اللجام^(٧)

(١) تجب في ركوب أي تسير في الليل ، ويريد بهذا البيت أنه أراد الامة منه

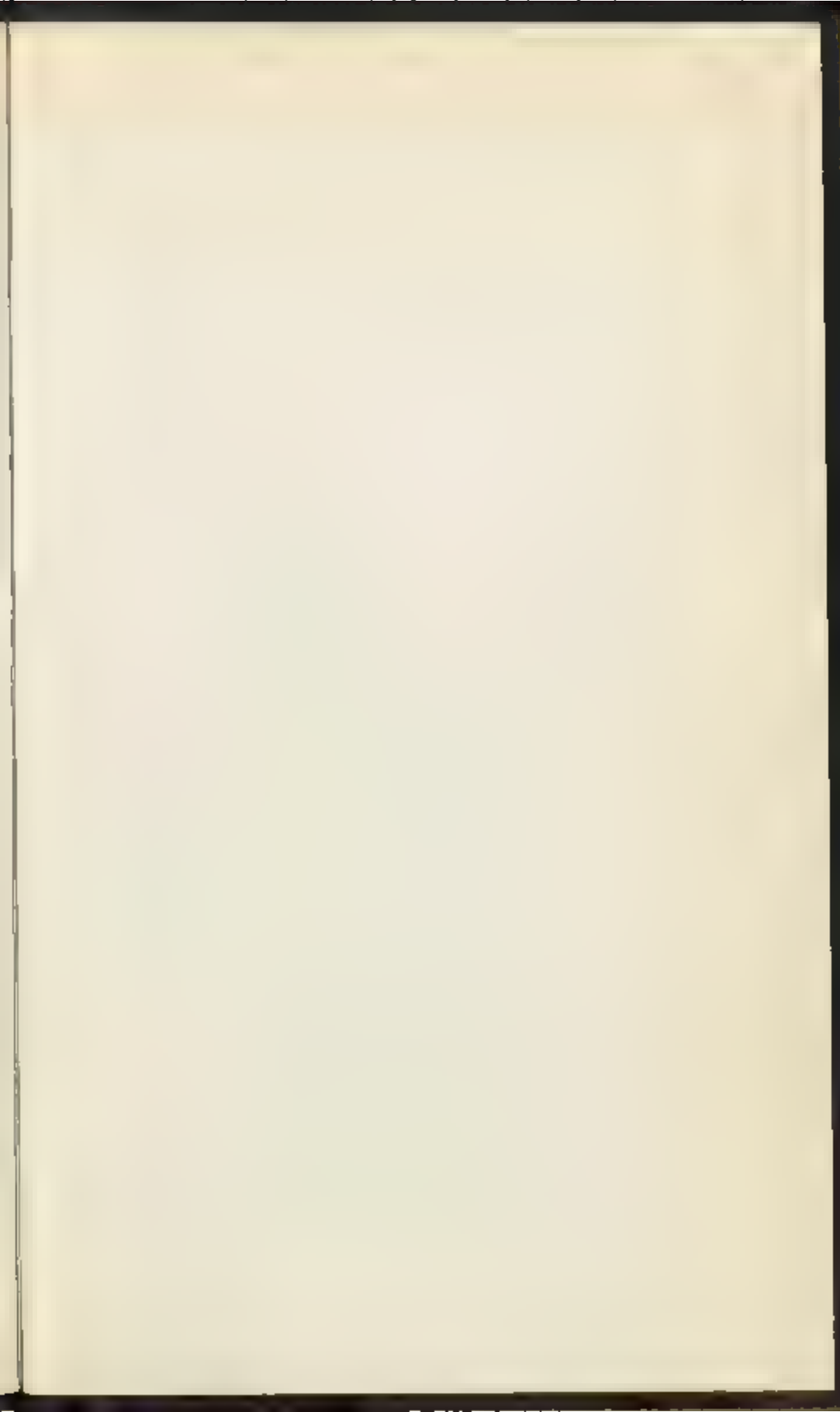
(٢) اشارة الى الحمى (٣) المطارف اودية الخضر والحشايا الفرس

(٤) يريد سات الدهر الحمى وسات الدهر شدائده فيقول : احب الحمى من كل نوع من انواع الشدائد فكيف لم يذهب ردها من رسول الي^(٥) (٥) حاد الطام

(٦) تعود ان يثير الدهر من الحوش ويخرج من عمرة الى عمرة من معركه الى اخرى

(٧) فأمسك لا يرحى له الحرس فيرعى وهم تقدمه الصبي فيكون يكره تجب منجس في الامر

وقد شبه حاله مع كافور بحاله هذا الجواد



المعري

ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان

٣٦٣ - ٤٤٩ هـ

٩٧٥ - ١٠٥٨ م



مصادر الدراسة

- ترجمة الآباء للآباء ١٢٥
 كتاب لاصف والتحرى - سكيل الدين ابن العديم
 وهو منشور ضمن كتاب اعلام السلا للطباح ج ١ من ص ٧٨
 معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٦٢-٢١٦
 رقيه دار من المراسلات بين المري وداعي الدعاة
 وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧ (تحت حرف احمد)
 ترجمة المري للذهبي منشورة في ديل رسائل المري (اكسفورد)
 مفتاح السعادة لاطش كاري راده ج ١ ص ١٩١-١٩٢
 رسائل المري (طبع اكسفورد)
 النزهات مطبعة المحروسة (مصر ١٨٩١) ويويباي ٣ ١٣ هـ
 مصر ١٧٢٤
 شرح لنسوخ على سقط لزند مطبعة الاسلام (مصر) ١٣٢١ هـ

ومما كتب عنه حديثاً

- ترجمة مسهبة لانسكلية الاستاد مرغوليوث في مقدمة رسائل المري
 ترجمة للاستاد سكلوب في دائرة المعارف الاسلامية
 ذكرى الي العلماء المذكور عليه حديث
 اعلام السلا للطباح ج ١ ص ١٢٥-١٨٠
 المرحون الاممي «مري» نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩١٥
 ورسائل وتوجت شتي في كتب الادب والتاريخ لعرب ومستشرقين منها
 ترجمة وشرح بعض النزهات «دون كزير في Z M D G المجلد ٣٠ و٣١ و٣٨

توطئة تاريخية

ذكرنا في فصل سابق ان اعادة بني حمدان كادت انهاء سيف دولة في حروب متواصلة وان هذا الامر كان كثير السوء على الاديان والامم ، وقد اضطروا كل ذلك الى الاعاق والتشديد في جمع الاموال من دعيته . ولما مات جده ابنه ابو لهي ثم ابنه ابو الفوارس ، وفي ايامهما تفاقمت الحطاب واصبحت دولة حبيب يومئذ شاعرا معترصا لاربع قوى رئيسية -

الاولى - الحمدانية وكانوا قد ضعف امرهم وحلت السيطرة تخرج من ايديهم

الثانية - الفاطمية اصحاب الامر في مصر وكان هؤلاء مطامع في حب ، فلم يأثروا جهدا في دس الدسائس وارسال اخيوش امتعهم

الثالثة - قبائل البادية ، ومنهم المرداسية التي كان لها شأن يذكر في هذا الاضطراب السياسي

الرابعة - الروم ، وعادتهم على مارة بني حمدان معروفة . حتى انهم لم يبق كانوا ايام سيف الدولة يُعَدُّون اعداء المسلمين عموماً ، اصبحوا ايام مصري - نسب تعدوا من امراء المسلمين - عوناً لبعض هؤلاء الامراء على رخص وسلباً في توسيع شقة الخلاف بينهم . من ذلك انهم ناصرُوا ما الفصل بن حمدان على الفاطميين ، وكان هؤلاء يناصرون حبيب^(١) . وهم استنجد حمدان بمقرئ ولواؤهم الى الفضل . فكأن بين المسلمين حروب داخلية ادت الى تدخل روم وانجبارهم الى احد الفريقين ، مما زاد الخراب في تلك الفوضى السياسية . ريثك تلجج في شعر اندري شين^(٢) من ذلك فقد قال في مدحة له لاحد الامراء

ايعدنا بالروم فاس وانما هم ست ولبس اريقق سوام

(١) دين حروب الامم بفروداوري (اسدور ١٩١٦) حو دت ص ٣٨١

كأن لم يكن بين لخاص وحارم كتبت بشعين العلا وخيام^(١)
 كتاب من شرق وغرب تألث فرادى ناهي الموت وهو توام

ويؤخذ من هذه الأبيات أن بلدة الشاعر كانت في يد أمير مدني نروم ، والارحح
 إنما كانت قد استقلت يومئذ من حلب ، وإن أعداء ذلك الأمير كانوا يتوعدونه باستنعاد
 الروم عليه ، فنظم الشاعر قصيدته مشيراً إلى رأس الأمير وإلى انهزام كتائب الروم بين
 هذين المكانين ، وإليهم لذلك لا يخشون بأسهم ولا ياتون يومئذهم .

فأدبنا إلى الأحوال السياسية التي نشأ فيها أبو العلا ، زاهت كثرة الاضطراب
 والفتن والأهوال ، ولا شك أن ذلك كان شديداً التأثير في أحوال السلاسل الاقتصادية
 والاجتماعية ، فشتت فيها الفضة والفساد وبرزت في أرواحها روح لاشمية ، روح
 التشكك على المال والامارة ، يعكس ذلك حياً في شعر شاعرنا الكبير .

مُلْ أقدامكم بالشر أمة امرت بعير صلاحه امرؤها
 ظموا الزينة واستحاروا كبدها فعدو صلاحها وهم امرؤها

. . .

ولد المعري في المرة وفيها نشأ ولعمري من كتب التاريخ أنه أصيب بخدري
 وهو في الرابعة من عمره ذهب بنظره . على أن عام لم يكن في أول الأمر كلياً ، فإن
 النصوص كلها تشير إلى أن الخدري ذهب يدري عيبه وشي بنهاه بوض . ويقول
 الأنباري أنه كان صريعاً أعمى ولم يكن إلا كما توفهم من لا علم له^(٢) . وقد روى
 ابن المديم من بعض أهل الأدب حكاية نقلها عن رجل اسمه أبو منقذ أنه رأى أبا العلا
 وهو صبي دون الدوخ فقال في وصفه - وهو صبي دمحم الخلق بخدور الوجه وعلى عينه
 يياض من الجدري وكأنه ينتظر ما حدى عينه قليلاً^(٣) .

(١) انحصار حرقب المرة ، وحارم بلدة قرب أنطاكية . بشعين العلا أي من بعم الفلا
 لكثرتهم

(٢) طبقات الأدباء ٤٢٥

(٣) الأنصاف والتعري (في اعلام النبلاء ج ٢ - ١٠٦)

والذي يترجح سبب من ذلك ان الشاعر لم يفقد بصره تماماً الا بعد بضع سنوات من مرضه . على ان ما فقدته من ماصرته استعاض عنه بمجدة بصيرته ، فقد اجمع المؤرخون على شدة ذكائه وقوة حافظته ، ولهم في ذلك اقصيص وروايات معروفة ^(١) .

والمرتى من بيت علم ورئاسة ^(٢) — فايده من العلماء ، وحدته وابو حدة وجدته كلهم تولوا قضاء المرة . وقد بقي القضاء في بني اخيه الى ان دخلها الافرنج سنة ١١٩٢ ^(٣) . اي الى ما بعد موت الشاعر ماكثر من اربعين سنة .

ومن آله (آل سليمان) فضلاء وعلماء وشعرا لا يتسع المقام لذكرهم ، وكانت الغتارى (مى . يستعد من ياقوت وابن العديم) في بينهم على المذهب الشافعي اكثر من مثني سنة .

في وسط علمي ديني كثر الوعد بشأ شاعراً فاعند العلم والادب اولاً عن اميه ثم عن حماة من علماء المرة ، ورار في حديثه بعض المدح الثمينة المعروفة بالعلم كانتاكية واللاذقية وطرابلس ، واحد اعلم من علمها ومي وحده في مسكنها . ويؤخذ من رسالته الى حله في انهم من سبيكة امه لم يقصد بعد المشرق احدأ احتداء العلم ^(٤) . بقي في ذلك بضع سنوات ثم عاد الى المرة ، والظاهر انه بدأ حياته العملية كسائر العلماء والشعراء (في قرض لشعر بالامراء) ولكنه لم يكسده بعمل ذلك حتى عدل عنه . فليس له في سقط الزند الا بضع مدائح فيمن يرحى طائزهم ، كسعد الدولة بن حمدان وسواه . وهذه المدائح من اول شعره ، اما سائر مديحه ففي نقبه او ادياء من طبقته اختصهم بالوداد والاطراء .

ولا يبلغ خمسة والثلاثين من عمره (اي سنة ٣٩٨) قام برحلة اولى الى بغداد ، ولا نعرف كثيراً عن هذه الرحلة . ثم رحل اليها ثانية سنة ٣٩٩ واقام فيها سنة وسبعة اشهر ^(٥) وهنا لا بد من ان نقول لمساذا رحل الى بغداد ولماذا لم يقيم فيها طويلاً ؟ والذي

(١) راجع ترجمته في معجم الادباء ، وفي الاضاف والتعري (طباع ١ - ١٠١)

(٢) مفتاح السعادة ١ - ١٩١ (٣) معجم الادباء ١ - ١٩٦

(٤) رسائل المعري (اكسورد) ٣٢ (٥) ابن حنكس ١ - ٦١

يؤخذ من مراجعة شعره ورسائله ومقابلتهما بأقوال المؤرخين ان الاضطرابات السياسية في حلب والمهنة اهابت به الى ترك وطنه وقصد بغداد ^(١) . وكان يسوي الاقامة فيها واستخدام مواهبه في سبيل العلم ، واصبته لم يوفق الى اميسته ففي رسالته الى حاكم ابي القاسم التي كتبها الى اثر رجوعه من بغداد يقول : « وكنت طأنت ان الايام تسبح لي بالاقامة ، فاد الضربة احمداً يعرفها ، والعدد اشح نكراهه ، والعرايب اضن بشمرتة » . الى ان يقول : « فلما بنت الصروس الطاب ، وتوت العنود تحت اتراسك ، ومنعت الفلوع الذرع ، وخيب رائداً سحاب ، وكذب شاماً بوق ، عدت اجرتها ليمس ^(٢) ودكر وجرده ثمالة » . ثم يقول : « ولما فتني المقام بحيث اخذت ، احضت على افرادي يحطلي كالخطي في السكاس النع » ^(٣) .

ولمسا في طبع المري من الأنفة منه من ان يحصل رزقه في بغداد في طريقة المداحين المستعدين من الشعراء ، فكان ذلك من الاسباب التي جعلت في رجوعه . فقد ذكر في الرسالة الأنفة الذكر ان اهل بغداد قبلوه بالاكرام واسموا احبوا بتأهه الرحيل اظهروا كدوف بال ، ثم يقول : « وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب ، ما اوقت منه قطرة في طلب ادب ولا مال » . وتظهر انفة الشديدة ايضاً في ما جرى له في محس الشريف المرتضى ، وكان هذا بعض المتشي ، وكان المري يتصب له . طوى يوماً بحضرته ذكر المتشي فتأه المرتضى ، فقال المري لو لم يسكن المتشي من الشعر الا قوله « انك يا مازل في الدلوب مازل » فكفاه فضلاً ، ففضب المرتضى وامر فحسب برجله وأخرج من محسه ^(٤) ، وقال لمن بحضرته اراد هذا الاعى قوله

واذا انتك مدمتي من ناقص فهي الشهادة لي ناي كامل

وفي شعره كثير مما يشير الى هذا الصنع فيه ، كقوله من قصيدة كتب م الى ابيه
الى حامد الاسفراييني عند دخوله بغداد

(١) ويرى مدمتي نه ذهب الى بغداد سقياً من امير حلب بفارسته اياه في وبع .

(٢) من سرب لن رجع ان ما كان عليه وشير م ي رجوعه الى وطنه

(٣) راجع رسال امرى (اكسورد ٣٠ - ٣٢)

(٤) معجم الادباء ١ - ١٧٠

ولا اثقل في حاد ولا تشب
ولو عدوت انما عدم واقصاع
ومما كنهه في بقداد يخاطب اهل بلده
المحوسا بين العرات وحلق
انتمكم اني على العهد سالم
فصبرت محسودا بفضل واحد
يد الله لا احزنكم محال
روحهم لنا يتدل نسول
على بعد انصاري وقلة الي

رجل عزيز النفس مثله بأنف من السؤال ومن الترتب الى كبار القوم في مصر كان
التلف هو حادثة الاديب الى الورق، لا تستغرب ان تصيب به احد في عصمة الخلافة حتى
تجدله الى ان يقول

تمت ان الحمر حلت لشوة
عادهل اني ما اراق على شعاً
مقل من الاهل بمر واسرة
وكما جدي في سيف دجلة لم أشم
سيفلني ربي الذي لو طيبته
توهني كيف اطمانت في الحال
ربي الامني لا ابس ولا مال
كفي حزناً بين مشيت وقلال
له دقة ولما كاد حبال
لما زاد والدنيا حظوظ واقبال

وبرهم ما في قصيدته التي ودع فيها بقداد من مدح لاهل تلك المدينة ، فان في
قصائده الاخرى التي قالها في مدح ما ينتم على ما كان يشمر به من ضيق ومن لحنان الى
وطنه . (١) وفي قصيدة بحث بها الى القاضي التتويحي يدكر ان الذي احب به ان تركها
رجاؤه ببقاء والدته ونقاد ماله

اناري عنكم اموان ، والدته لم القها وثرا . عاد . موفوتا

اما والدته فانت قبل وصوله الى المعرة فجرح لدهك ورثها رثاء ابن معجوع .

ولما عاد الى المعرة لزم منزله وعاش فيه على طريقة العلاء المتشبهين . ويظهر من
بعض رسائله انه فسر كثيراً في ذلك ، فقد قال من رسالته لاهل المعرة : فوجدت اوفى
ما احسسه في ايام الحياة مرة فحملني من الناس كبحر لا يرى من موانع انعام وما

(١) ولا يستبعد ان يكون اكثر ذلك في اثناء رحلته الاولى

أَكُونَتْ نصيحةً لغيري . فاجتعت على ذلك واستغفرت الله فيه بعد صلاته على نفر يوثق
بخصائلهم ، فكلهم رده حرماً ، وعدته دائماً رشحاً ، وهو امر ليس بفتح الصاعقة ولا
رييب الشهر والسنة ولكنه عدي الحقف المتقدمة ، وسيل الفكر الطويل الخ (١) .

على ان رعد المعري لا يعني انقطاعاً عن العمل ، بل ترفقاً من حطام الدنيا وعروها .
فالويل كان كثير العمل حريصاً على التلميم والتأليف — وفي هذا الطور من حيث انه نظم
لزوجياته وصف اكثر كتبه ورسائله (٢) وكان مقربه محبة الطلاب يقصدونه من كل
الآفاق (٣) ، والى ذلك شجر في النجوميات

يوزرني اناس هذا ارضه بن
من الدلاد وهذا داره الطيس

وقد حرج منهم اثثة وقضاه رؤساء في العلم : منهم الخطيب ابو زكريا لتريزي
وابو المكارم الاهري وابو قاسم ابن يحيى الانصاري وابو طاهر الانصاري وابو انقاسم الشوحي
وسواهم .

وبرعم تقشقه ولزومه موله كان له من الوعاهة اسمى مقام : قال ابن الدديم * وما
زال حجة اني لعلاء في علاه وبحر قصه موداً نوراً والامراء . وما علمت ان وزيراً
مذكوراً ووصلاً مشهوراً مرّ بامرأة النعان في ذلك العصر الا وقصده واستفاد منه (٤) .
وما يدرك على وجهه ما يقوله ياقوت والذهبي (٥) من ان اهل امرة لما اشتد عليهم صالح
ابن مرداس لم يجدوا بداً من ابعاد المعري مستشفين فيهم ، فقصد الامير ولما دخل عليه
قال الامير انت ابو الملا ؟ فقال انا ذلك . فرمعه الى جانه ، وبعد ان حاطبه المعري
بأمرهم قال له اني قد وهبتها لك ايها الشيخ .

وما اصبحت امرة وحلب تحت سطوة الفاطميين بذل له يستنصر الفاطمي ما بيت

(١) رسائل المعري (اكسفورد) ٣٦

(٢) من اراد ان يعرف عدد مؤلفه فيراجع معهم الادباء والاصناف والشعري ، ولا تكن نذهي .

عن القطبي (٣) ابن خلكان ١ - ٤٩

(٤) اعلام النبلاء ٤ - ٣٤٤

(٥) مجموع الادباء ١ - ٢١٦ ورسائل المعري (اكسفورد) ١٣٥

المال بالهبة فلم يقبل منه شيئاً ، وكذلك داعي الدعة لما عرف ترعد المعري ودعة دخله كتب إلى نائب القاصي بحسب ما يجري ما تدعو إليه حاجته وإن يصاعف رُمته ويرفع منزلته عند الخاص والعام ، ومنتفع من قبول ذلك ^(١) وبني المعري وداعي الدعة رسائل ومكاتبات تستدل منها على ما كان شامراً من منزلة الرفعة عند دعاء ذلك العصر .

ويؤيد كل ذلك ما ذكره الشاعر لدرسي ناصر حسرو الذي رار امرأة سنة ١٣٦٦ ي قبل موت المعري بشر سنوات ، فوصفه بقوله « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلدته ودو هي ، يفتق على الفقراء ، والجزئين ، مع انه هو (اي المعري) سكانا يعيش عشة الزهد والتفقت » ^(٢) .

وفي شعر المعري ورسائله ، قد برز شهادته بناصر حسرو ، كقوله في اللوميات مشيراً إلى ما يعتقد الناس من حسن حاله

من بي لا أقيم في بلد ذكر فيه مغير ما يحب
يُطعن في اليسر والديانة والعلم وبني وبينها جمع
ومن قصيدته

تفهم يا صريع اسير شري انت من مستقل مستقل
يُستدل به الرسل قدراً من المال إلى اديب اسمه صريع اليبي ، ويأله المأذرة على قلة ما ارسل اليه .

وكذلك في قصيدته

ابسط عذري منهم ام يحضي لما هو حضي من الخ عتاب
يمتد بقية من ان هدية التي ارسلها اليه اقل من قدره وكان المعري يومئذ في الحـين من حموه فقال
فيا ليتني اهديت حنين حقة مضت فيا فيها صحتي وشي

(١) الاتعاف والشعري ١ - ١٩٤

(٢) ١٢٦ من Encyc. cl. arab. من فصل بلاستاد مكشور

وقلت له - فاترك ثلاثين اسرداً متى ما تكثف ثقتك غير ما
 فعل الذي اعدت بكفيه ايقة لاساع طهر حان او اشراب
 وفي البيت الثاني اشارة الى ان احدى ثلاثين درهماً فقط

وشبه قوله في رسالة ارسلها الى علي « وقد رشت شي من ليفة ، نفسي من قلته
 كل المشقة » (١)

وما يؤيد ذلك ذكره ابن العديم بما قرأه بخط الى الفرج محمد بن احمد بن الحسن
 الكاتب الوزير « وروى في انشاء لولده الحسن يذكر فيه رحلته سنة ٤٢٨ الى الحج
 ومروءة عمره العشر ، ويذكر احتياجه في الصلاة ومن قوله فيه « وقصر همه على اذنب
 يميده وتصيب لعمه ، ومعلمه بفضل عليه ومترقده صعلوك يحس اليه » . قال وله دار
 حصة يؤم ومناش بكفيه ومروءة ، واولاد اح يحسونه ويقرؤن بين يديه وبدرسون
 عليه وسكنون به ، وورائق برحمه مشاجر ، ثم يفتق على نفسه من دخل معاشه نفقة
 طفيفة ، وما يوصل منه بقرقه على ابيه واولاده واللائد به وللقرء ، وانف صدين به من
 امره » (٢)

وبما قصده الخطيب التعريفي ليقرا عليه دفع اليه صرة فيها ذهب ، وقال اثر من
 الشيخ ان يدها الى بعض من يراه ليشي لي ما تدعو اليه الحاجة مدة مقامي للقراءة
 واتوفر رديك على الاستئصال . وعلم المعري ان هذا الطالب كان قدراً وخد الصرة وخياها
 وتقدم الى وكيله ان يحوي للخطيب ما تدعو اليه الحاجة مدة اقامته بالمرة ولما اتم دروسه
 وهم بالانصراف ودع الشيخ ، ودفع اليه صرقة بيمينها . ولما اصر عليه الخطيب قال
 لمعري لا تسيل في رد الصرة علي ، وهذا دهلك بعينه (٣) .

وهذه قصة نقلها الصدقي في مكتب البيان عن ابن سبط الحوري عن رجل دخل
 مرة يوم لمعري وقد وشي بشعرنا الى محمد بن صالح ابنه زنديق - قال : فامر محمود

(١) وسائل المعري (اكسورد) ٣٥

(٢) الاصاب والتعري ٤ - ١٥٢

(٣) ٤ ٤ ١٥٢

بحمله إليه ودمت حين فارت ليصلوه ، فأتولهم أبو العلاء دار الضيافة .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ولكنها إذا قرئت عما ذكرناه عن جاء أبي العلاء وحسن حاله في المعرة - ، لا سبيل إلى الشك فيه - ترجح لدينا تصديقها .

ومع كل ذلك فحسب كثير الذين يترجمون للمعري من قدماء ومحدثين يذهبون إلى فقر شاعرنا ، وأنه كان يعيش من وقف له لا يتعدى الثلاثين ديناراً يعطي نصفه لحامه . فكيف يجمع بين قولي - بين وجهة المعري وكفه من جهة ، وفقره وزعمه من جهة أخرى ؟ - والجواب أن المعري بعد أن استقر في المعرة وعسكب على العلم والتهام قصده الطلاب من الآفاق وكانت بكثرة الأُمراء ، فغلب شأنه وحسب حاله . ولكنه لم يكن يستعمل من ماله إلا لآثر اليسر ، ويسبق الباقي في سبيل اللاتين والعروى . وهنا سر العظمة في حياة المعري الزهيدة . عاش عيشة الحكما المتورعين عن الدنيا ، ولكنه لم يكن في ذلك كافي المنفعة واضراره من الحريصين على أسأل القليل على حطام الدنيا ، من قبح ما سير اعتقد بحكمة القاعة ، وحسن ما كان يفضل منه اقتناعاً بشرف لأحد .

زندقته وإيمانه

اختلف الناس في المعري من ناعت أياه بالنسب وحسن العقيدة ، ومن ناسب إليه الضلال والإحاد . وحسب ذلك ، يحدونه في لزومياته من اسقد الموحى إلى الزعماء والرؤساء ، وما يهاجم به حيان بعض المذاهب والمقائد الدينية . فمن اتهموه في دينه ياقوت وابن الخوازي والصالح الصفدي وجرارهم الدهي فقال « مات متعبداً » بحتم يدين من لاديات نسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا بكرمه » .

ومن ذهب إلى أنه صحيح العقيدة أبو الحسن الهكاري وابن العديم صاحب « الانصاف والتعري في دفع التحري عن المعري » . ومنهم السلفي فقد لحص أقوال الناس فيه ثم حتم ذلك بقوة - فهي الحقبة كان من أهل العصر ، فقرأ القرآن بروايت وصحح الحديث ، الشام على ثقت . وله في التوحيد وأمثال السورة وما يخص على الزهد

واحياء طرق الفتوة وامروءة شعر كثير (١).

• • •

ولا يزال الدس الى اليوم مختلفين في هذا الامر ، على انه لا بدّ قس الحكم على المعري من ان يلقي نظرة على عصره وعلى ما كان له من الأثر في نفسه . فقد عاش شاعراً ما بين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس المعري - اي في اذن الحركية الفكرية عند العرب . في ذلك العصر تم نقل العلوم اليونانية ونسج بين اسمين كثيرين من المحدثين والفكرين والفلاسفة ، فكثرت تضاد وكثير من ابدن الشرقية الاخرى مراكمات عدية احتكت فيها « الروحانية » السامية التي حملت الى الناس الايمان بالتوحيد والعبادة والآداب الدينية ، « العقلية » اليونانية التي حملت اليهم البحث المنطقي والنظريات العلمية . وكان من جراء ذلك الاحتكاك اشتداد الفرق الكلامية وتضاد الممارع الفكرية بين مناصر للمصوح الدينية او مصادر لها . ومن الانصاف هنا ان نقول ان هذا الدرع بين العقل والعقل كان يضمن او يشتد مانسة الى الاحوال الاجتماعية او السياسية . على ان العصور الوسطى مدينة للغة العربية في انها (اي العربية) اتسمت يومئذ بالتفكير العلمي ، فكثرت الموشل الذي جعلت فيه ثمار العقول القديمة .

ولا شك ان هذا النزاع الفكري احدث في العقول ميلاً الى الطار النقدي في الكون واخياة والدين والمعاد ، فتمسك الشك الى عقول بعض المفكرين ، واستولى عليهم روح لا مكار ، فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم ودين ، ومادوا بالروح الى المادى . الاولية في اخياة الروحية والاجتماعية . ومن هؤلاء شاعرنا - فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب توفا الى المعرفة وادى بلوع الحقائق ، وفي نفسه اصعدت « تقايد » لدين بأحكام العقل ، واضطرب ومار يتنفس طريقه توخلاً الى ما يشعني اوامره ، فلم يوفق قائم التوفيق : كان الايمان اساس حياته ولكنه قضى الحياة حائراً انتقاداً حرج الشك وانتاثراً . ومن هنا هذا الاختلاف في الحكم عليه .

(١) راجع القول في عقيدة المعري واختلاف الناس فيه ١ اعلام النبلاء من ١٦٣ الى ١٦٧ والدم في رسائل اكسبرود من ١٣٠ - ١٣٥ وراجع مقار السادة ج ١ - ١٩١ و١٩٢

على أننا إذا دققنا في حياته وشعره وحاولنا أن نحترق الضباب الذي يحيط به رأينا
يظهر لنا في طورين مختلفين تفصل بينهما مدة اقامته في بغداد .

فالطور الأول طور الشباب ويمتد الى سنة ١٩٠٠ هـ . وفي هذا الطور زاه مسلماً
حقيقياً ، ورغم ما قد نتم عليه بعض اشعاره من روح التفكير ، لا زاه يختلف في تعارفه
العادي عن سائر المؤمنين .

والطور الثاني طور العزلة . يتبدى . عقب وجوعه من بغداد ، ويمتد الى آخر حياته
وفي هذا الطور يقف موقفين رئيسيين

١ - تجاه الآخرة - وهو هنا حائر يجمع في نفسه التفكير الفلسفي والعاطف الدينية
الموروثة جماعاً غير محكم - فتارة تراه مؤمناً وطوراً مشاككاً - ولهذا نجد في
شعره بعض المتناقضات ، وسيأتي معنا تفصيل ذلك

٢ - تجاه الحياة والانسان . وهو هنا صريح ثابت الرأي يذنب عليه التذم والمراة ،
ويلخص هذا الموقف بالمبادئ التالية

ان الصيغة ثابتة لا تتحول (وهو مدعى الفلاسفة الطبيعيين)

ان الانسان فاسد بطبيعته ولا يمكن اصلاحه

ان الطمع اساس كل تصرفاته ومعتقداته

ان للمدى انا هو حسن الاخلاق وشرف المعاملة (لا مجرد الغرض والدين
والايمان)

ان حقيقة الحياة هي القناعة والبساطة

ان الوجود كله الشقاء فالافضل ان تتعاضد منه بعدم التامل

وله في المرأة آراء لا تخرج عن آراء عصره ، وسيظهر لنا كل ذلك في تحليلنا لشعره

شاعريته وشعره

للمري مقام فريد بين شعراء العربية - لا من حيث أسلوبه وفنه - ولعلكن من
حيث روحه ونظيره الى الدنيا . وقد رأينا ان حياته الفكرية تظهر في طورين مختلفين .

وفي هذين الطورين تظهر حياته الشعرية ايضاً - الاول يتناول شعر الشاب منذ بدء عهده بانظم الى اعتزاله ، ويدخل فيه ايضاً بعض ما نظمه بعد ذلك . وقد دون لنا هذا الشعر في سقط الزند - والثاني شعر الغزلة ويشتمل لنا في ثروياته او ديوانه المعروف بلزوم ما لا يلزم . ولنتقدم الى تحليل كل من هذين الطورين

الطور الاول - سقط الزند

في هذا الطور نجد امرى جادياً في - من المتقدمين من الشعراء ، ويكثر في شعره ذكر النياق والرحيل والاحبة . ولكي تعرف مقدار ذلك نقول خذ الجزء الاول من سقط الزند فهو يشتمل على اكثر من ثلاثين قصيدة ، وفي اكثر من ثلثها نجد القصيدة مقدمة يصف بها المظايا او يتكلم العزل على الطريقة القديمة . اما الجزء الثاني من الديوان فاذا استثيت « درميانه » رأيت نصفه على هذا النوال القديم

ومن امثلة وصفه المظايا قوله يذكر سرىها في الليل

واسود لم تعرف له الانس والاد	كسائي منه حلة وخمارا
سرت لي فيه فاجيات مياهما	نحم اذا ماء الرحكات غارا
غرقن ثوب الليل حتى كاني	اطرت بها في جانيه شرارا

الى ان يقول -

اذا قُتِدْتُ في مقل تنوفة	حسنت مناجا اوطنته مشرا
تظن عطيط النوم نعمة زاجر	تقطع قيدا او تبث همارا

ثم يقول -

وايست تحس الارض منها بوطاة	تفزع سرىا او تروع صوارا
قدوس افاحيص القطا وهو هاجد	فتسني ولم تقطع عليه قرارا

ويصح مقدمته على هذا النسق البدوي في نحو عشرين بيتاً ، ثم يتقدم الى المدح ويصف بأسه في الحرب ، ثم يتناول وصف خبئه وكما في اثني عشر بيتاً لا نقول اذا قرأناها

الا ان ناظمها فرس من فرسان البادية (١) .

وقس على ذلك عشرات من قصائده . وقد بلغت النظر متابته لاني غام في وصف
المركب الذي حمله الى الأنبار ، وتشبيهه اياه بالناقة السريعة ، كقوله من قصيدة مطلعها
« يا ثاق جدي فقد امنت انالك لي »

على نخاعة من العرصة أريدها رب القدوم بأوصال واضلاع
تطلى بقار وم تحجب كأن طليت انزل من دماري العيس منبعا (٢)
ولا تنالي عجل ان الم لها ولا تهش لأخصاب وامراع

اما عربه فظهر الصاعقة قليل اومن ولا ينظر بمن كان كالعري هزل خارج من
قلب متأثر بحال الحبيب . فن قوله في ذلك

له ايامنا المواضي لو ان شينا مضى يمود
ابى ودادي لكم رمان الين احداثه حديد
لم ير من بذلة ولكن يبلى على حبه الجديد

فانظر الى هذا الحبيب الذي لم يقادم العهد عليه وقابله بشعر محر صادق الحب
متم القلب . ومن غزله

ما يوم وصلت وهو اقصر من نفس باضول هيشه علي
هلقت حبل اشمس منك يدي وحديدتها في الصمم كالسلي
واردت ورد الوصل من قمر فصدرت عنه كوارد الآل
وطابت عندك راحة وعلى قدر اتقدي كال ادوالي
وصلت في ابدي مسي ولم تكن المية لي عي مال
ما رات بلغ ما هم به حتى هممت بكوكب مال
ان فات سلوان الحياة فكل الناس بعد محبة مال

(١) راجع هذه القصيدة في سقط الزند ١ - ١٧٥

(٢) تطلى بطر كانه حواءه عرق مائل من دماري الابل (دماري مؤخر الالف) ومعري الا ان
امود . ووب القدوم اي التجار . بجاة ناقة مريضة

الى آخر الابيت واكثرها على هذا النسق من قلة الضلالة وليس عزل المري بقليل في شعره ، ولكنه قتيلاً دون قول المتنبي او العتري او ابى تمام - فاهيت بشراء الحب المعروفين ولا نرى الا ان المري كان يجري فيه جرياً صديماً متبعاً فيه طريقة من تقدمه في النظم .

وبما يلازم ذكر المطايا والحبيب ذكر السيف والرمح والدرع ، وله في ذلك اقوال كثيرة قدل على سهارته الفوية في الوصف كقوله

وكل ابيض هندي به شعل	مثل التكر في جابر متحدر
تسيرت فيه ارواح قوت به	من الصراغم والفرسان والحرر
روض المايا على ان لدماء به	وان تحامن ابدال من الزهر
ما كنت احب حماً قل مسكه	في الحمن بطوى على ثار ولا نهر
ولا طلفت صبر السمل بمسكه	شي على الدج و - مي على السم

وبما يبرز في شعره ذكر لصواري والطيور ، فهو كثير التمثيل بالذئب والضبع والاسد والارم والعلما والحمام والنعام والدر والوعس والعراب

ومثل ذلك كثرة ذكره للنعوم والافلاك والصاح والطلام ، ومجترى منه ما يلي وهو من قصيدته « ارى النقاء تكبر ان تصادا »

لي الشرب الذي بطأ الثريا	مع الفضل الذي بهر العبادا
ولو ملأ الهى مينيه مني	اير على مدى زحل وزادا
وقد اثبت رجائي في ركاب	جلت من الزواع له بدادا
اذا اوطنتها قدمي سهيل	فلا سقيت خناصرة الهاددا ^(١)
كان ظلامه من بسات نعش	يرون اذا وردن بنا النجادا

. . .

وبما يلاحظ في شعر المري موماً كثرة استشهاده بالحوادث الماضية ورجاله . ففي

(١) خناصرة عن الشام

الكون والبعث ، وكلامه في ذلك ثالث صريح ، كقوله يرد على الدهريين القائلين ان العالم قديم وأنه لا بعث ولا حساب

ص الذي قال البلاد قديمة
و... يوم تقوم هجوده
بالطم كانت والاثام كنسها
من بعد إبلاء المظالم ورفتها

وعلى كل حال اننا من التشكيك ايضا اننا من البيت طبع بها شبهة قبل ردوعه من بغداد .

بقي عليه ، مما ان نذكر درجته وهي قصيدة في وصف الدرع يصورها على امر رجل اسن فترك نفسها او على لسان رجل رها . وقد مضى على من درع تحطت سيفاً ، او رجل يسبح دوماً ، او رجل حانه آخر في درع ، او فارس سب من درع بيه اي عت ذلك مما له علاقة بهذا الموضوع .

وان الذي يطالع هذه الدرجات يعجب من رجل كافي العلم ، يصرف الى موضوع كهد موضوع ، فبدل جهده ويكده نفسه في وصف ومحرات وعبارات لا طائل تحتها ، وليس لها قل علاقة بنفسه او حياته . ولا بدنا ان نقول فيها الا انها في الارجح اداة استعمال ، لاظهار مقدرة النبرة .

المزروعات

بمورد هذا الميون عريش - حارة من ابواب الشمر المصروفة (المدمج و ثاء والفهر وما عليم) - واصراف قاضيه الى نقد الحجة . وقد نظم كنه ، كما عرفنا سابقاً ، بعد رجوع معري من عداد ولزمه معوله في امرأة ، وند فهو ينسب لنا نصج القوة الشعرية في الشعر وطراة له سبعة في الكون والعبارة . على ان مع ذلك فما يختلف من حيث الصاعة عن شعره السابق ، فانت ترى الشاعر هـ - في هذا الحزب الفكري الاستعادي - شديد ، يكتب صاعة وقد قيد نفسه بقييد شديد بدور ما لا يلزم ، فاضطر الى كثير من القوالي الغريبة والافراط المأضة . وقد يستغرب الذي يطالع ديوانه من جمعه بين انقضاض : حيناً تراه يتجنب كد المعس ويسس له طعة القيساد فيأتي شعره من الطبقة الاولى مثانة وعذوبة كقوله

يرتخي الناس من يقوم بهاء تاطق في الصكنية الحرام
كذب لظن لا امام سوى العقل مشر في صمعه ولسان

وقوله -

قوا فلان جيد صديقه لا يسكن به في لدية جيد
وهيرهم نال الامرة بالحا وتقيم مصالته متصيه

وقوله

يا محلي عليك هي سلام سوف لمحي وبهر دوعود
ايحسون ان اعود اليهم لا ترجوا فاسي لا عود
ولمحي اي اتقرب صوط ولردي اي افرد صود
دعي حها تدوم اللبالي فمحوس لمشر وسعود

وهذا الضرب من شعره كثير . ومنه ما لا يجاريه فيه الا اقبون كقوله

رويدك قد غررت واثت حر صاحب حيلة يعط الداء
يكرم فيكم الصفاء صحا ويشرم على حمد مساء
يقول لكم غدت بلا كساء وفي لدائم رهن العكساء
اذا فل الفتي ما عنه ينهي لن حيتي لا حمة مساء

وقوله -

يسوسن الامور بنير عقل فينفذ امرهم ويقال مساء
وف من الحيدة واف متي ومن رهن رئاسته خداسة

وحيناً يهيم في اودية العرائب اللغظية فيتمسف ويأتيك بالمكدود المتكلف كقوله

تري الهم لا شيء سوى الاكل هه له جسد ما استطع حراً ولا يردا
يقول الصا مستقل الطير بعد ما هلا فرساً واحتاب مادية مردا
ولا تترك الايام مردى لطيف من الأدم تختار الكيات ولا مردا

ولم يلق منها غاردا الثمر خلاصاً وقد بلغت احداها القمر الفرد^(١)
وقوله

لعمري ابيك ما خالي بخال
فان اطل القليل يكن هيثاً
اذا ورد البقر على احتياحي
ولو كان الكثر لقر مندي
لثاني ولا شهدي به
يحيي المسيح بنير شفر
اغت طيعه بالمدف
واهن «صبيب المستط^(٢)

وقوله

فقد لاحت مخايل صادقات
من بك «مريديت سارت
تروق العين بالدمع الولاف
باشباو ذنين الى علاف

وادة تمت ان الولاف هو العرق اللامع لمعين وان علاف اسم رجل من قضاة تنسب
اليه الرحال ، طلت ما جناه عليه قفيدة ولا سجا في قوته شاء سبي الى علاف
ومن هذا القليل قوله

فامنع ضعيفك ان مراك ولو
وارفع له شقراء ترمح في
تورا ولا تصرفه «كهر
دهماء مثل تارن المهر
ي امنح الضعيف ولا تصرفه بوجه عوس وارفع «تاراً تتأجج في الطلام
وقوله

صفت الأذى والخاصرة هتتا
انكنت مطراً ليس فيه نخوف
وتأدى ظلام لا سبيل الى الحشر
لربك ما اولى بئناك بالاشر
وان بتسكت مشرفن بعد ما جنت
بكل فيسطر قص «اكثر من عشر^(٣)

(١) ايم الشيخ الحرم . الطمر الثوب البالي . الماذبة الرد الدرر . مردى مهلك . الكبت
والرد من غير الاراك . غاردا القمر الخمار في طهه ياض
(٢) المستوف القليل . والمستط المستقل
(٣) السوق الشرب ساء . والخاصرة شرب السحر . الاشر القطع . بتكت اي قطعت . مسيط
قلادة ظفر

وقوله

كبرت فأصبحت للراشدين كثرت بعد لحي دليلا
كبرت في زل هذا الزمان كثرت يحدّ قليلاً قليلاً

وإذا تأملت هذين البيتين لا تجد فيها إلا تكلفه الجناس بين كبرت الفعل وكبرت الجار والمجرور (أي كدبين) في البيت الأول، وبين الفعل أيضاً ولمظة بورت (بمعنى القاس) في البيت الثاني.

وامثال هذا الكلام المصروع حكثير جداً في شعر شاعرنا، فلا هم إذا جاء القسم الوافر منه صعباً ممهاً حتى على أهل الأدب. وإذا أردنا التدقيق في أساب صوته وإهامه وحدتها ترجع إلى ما يلي -

- ١ - شدة انحناء الياء ولا سيما حاس والطاق والتورية
- ٢ - كثرة الاشارات إلى احداث الزمنية وإلى مجال التدريج - المشهور منهم وغير المشهور

٣ - استعماله لأرايد الكلام وشواقه

٤ - اضطرابه إلى لقواري العربية، ومنه ما لا يلزم.

فإذا ضفت إلى ذلك ما في مواضعه القديمة الاخلاقية من معان محددة هي بطبيعتها صفة المتناول، تمت السر في هذا لإهام العام من معانيه.

ولا نذهب إلى ما ذهب إليه بعض اعلام الحائين من أن المعري كان يقصد ذلك ليخفي اعراضه^(١) عن العامة. فإن شاعرنا كان صريحاً، وله في لزومياته كثير من النقلة المر الذي بلغت به الصراحة بعد مدى كعص ما ذكرنا له آنفاً، وكقول

افيقوا افيقوا يا غواة قاعاً دياتكم مكر من القداء.

او قوله

(١) راجع ذكرى أبي العلاء للذكور طه حبيب ص ٢٦٧

قد حجب نور والحياء وأما ديننا رياء
يا عالم السوء ما طنا إن مصليك اتقيا

وقوله

هفت الخيفة والنصاري ما اعتدت ويهود حادث والمحرس مضلة
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

وقوله

في البدو حُرّاب اذراو مسومة ولي الخوامع والاسواق حُرّاب
مهلّا تسترو بالدول أو التعداد واسم أولئك القوم أعراب

وقوله

ملّ المقام فكم اعشر امة امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية واستعازوا كبدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وقس على ذلك مئات الايات في ديوانه

ويتأثر المعري في لُزوميّاته بدقة تشابيه ودروعة حكمه : أما دقة التشبيه فيه فننتج الخيال وحسن التعبير من النفس ، وأما الحكم فلما في طبعه من صدق التأمل في الحياة والموت . ويختلف عن المتنبي أن حكم المتنبي ناشئة من نفس رجل حاض عمرات الحياة صعباً وراها ، أما حكم المعري فناشئة من نفس حكيم مفكر عرف الحياة فزهدا . وليس من الانصاف أن نقره من هذا القليل إلى العتاهية ، فإن المعري من دقة التأمل وصدق التضحية ومعرفة الكون ما لا نراه لشعر القصور والنشور : كان أبو العتاهية واهظ بالموت ، والمتنبي خطيب الحياة ، أما المعري فحكم الموت والحياة .

الموافق الشعرية في اللزوميات

تتناول اللزوميات مشأ الإنسان ومصيره وما بينهما . ولأشهر فيها موقفان رئيسيان (١) تجاه الميبيات (الله والبعث والحساب) . (٢) تجاه الإنسان والضيعة . واليك بيان ذلك -

الغيبات

هنا نرى موقفه مضطرباً ، ويمكن اضطرابه اضطراب مؤمن يحارل ان يجمع بين العقل والنقل ، فيقع في شيء من الارتباك . ومن الخطأ ان نحكم عليه من شعره بالجهود فان الشواهد فيه على ايمانه بافه وشكله من اشكال الجهود كثيرة ، بل هي اكثر من اعدادها . ويتضح ذلك من الائمة التالية

قال مستهزئاً بالتمنع ومشتاً قوة الله

مق يزل الامر السماوي لا يُفقد
وان طلق الاسلام خطب يخفه
اذا عظموا كبريان عظمت واحداً

وقال

والله حق وابن آدم جاهل من شأنه التفريط والتكذيب

وقال

الله لا ريب فيه وهو محتجب
مادر وكل الى طمع له حدا

وقال

فلك يدور محكمة وله بلا ريب مدير

وقال

اما الحياة فلا ارجو فوافها
رب السماك ورب الشمس طالعاً
نكني لاهمي حائف حي
وكل زهر في الطلاء غزاج

وفي الحشر يقول -

اذا كنت من فرط السقاء معطلاً
الخاف من الله العقوبة آجلاً
فيا جاحداً اشهد انني غير جاحد
والزعم ان الامر في يد واحد

ويقول

ان ادخل النار في خافي يحمل عني مثقات الطاب
يقدر ان يسكنني روضة فيها زامي بالمياه العذاب
ومن ذلك هذان البيتان المشهوران

قال المجمع والطبيب كلاهما لا تحسر الاحقاد قت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر اوصح قولي فالحساد عليكما
ويلي حد البيتين حمة ابات كلاهما على هذا النمط .
وه مثل ذلك قصيدة مطلوها

عجبي للطبيب يلحد في الحاق من بعد درسه التبريحا

وليس الذي ذكرناه الا زرداً مما في اثناء الديوان من هذه المعاني الابدانية . ولعلكم
شاعرا في هذا الموقف كما قلنا مضطرب متعبد - تراه آونة مزمناً صريح الايمان - ثم
تراه وقد خشيته الشكوك والارواح . فهو بين مد وحرر لا يستقر على حال واحدة
ومن شبكه هذه الامثلة القليلة ، وهي قل من كثرة

اما الجسوم فلثواب لها وعييت بالارواح انى تلك

دفنهم في الارض دفن تبقي ولا علم بالارواح غير ظنون
وروم الهى ، قد طوى الله عليه بعداً حروناً او شبه جنون

قد قيل ان الروح تأسف بعدما فتأى من الحسد الذي قنيت به
ان كان يصحبها احبا فلعلمها تدري وتأنى للزمان وعيه
او لا فكهم هذيان قوم هاجر في الكتب ضاع مداده في كنه

تقدم الناس في شوقنا الى اتباع الامل والاصدقاء
ما اطيب الموت لشرائه ان صح للاموات وشك الثقاء

أما اليقين فلا يقين وأما اتهمى احتمادي أن أض واحدما

أما القيامة فالتنازع شائع فيها وما لحينها أصحار
وبما يكاد يكون انكاداً قوله

قلتم يا خالتي حكيم زعمتموه بلا مكان ولا
قد صدقتم كذا نقول زمان إلا فقولوا
هذا كلام فيه غي معناه ليست لنا نقول

وقوله

ضحكنا وكان ضحك ما سفاقة ونحن لسكان البسطة أن يسكوا
يخطئ صواب الزمان كأننا وجاح ولكن لا يعاد له سبك

وقوله

حد المرأة واستجده محوماً نسر عظم الأري النشور
تدل على الحياة بلا ارتياب ولكن لا تدل على النشور

على أن ادركت في هذه الحيرة وهذا التناقض ، وراحصاً كل ما قاله المعري بهذا
الصدق ، ثم «ارضناه بسيرته واقوال الناس فيه ، ترشح لدينا أن شعراً لم ينقطع من
الإيمان بالله وبالأخرة . ولكن صورة الله في نفسه لم تكن صورته في نفس المؤمن
المعادي ، وإن كان نظره إلى ما وراء الطبيعة نظراً « لا درياً » متأثراً باللام .

الطبيعة والحياة البشرية

ويتلخص ذلك في بي :

الأديب ورؤسها - الشعب ورعاؤه - الإنسان وطبيعته ومصيره

وفي كل ذلك تراءت النظر مستقر الرأي مقتنعاً بصحة ما يقول ، وإلى القدر .

زبدة هذه النظريات .

الاديان

إذا قبل الإسلام سائر الأديان فهو عند المعري مفضل على الجميع - وإنك ل ترى المعري في بعض مواقفه يتعرض للجدل ، فيهاجم اليهود والنصارى والعرق الإسلامية المختلفة (كالمعتزة والمرحئة وبعض الشيعة والصوفية) ، وله فيها اشعار كثيرة لا ينفع لها المقام (١) ومع كل ذلك كله في الدين نظر عام يشمل كل الأديان على السواء وهو يتناول الدين من وجهتين (١) لمقائد والعروض أو هيكل الدين (٢) المضائل والأعمال أو روح الدين . أما الأولى فيحصل عليها حقة شعواء فيحذر انسان من الدين والمداهم ، ويرغم ان انتبه من هذه الوجهة أداة لتعلمها الرؤساء لحطب الدنيا اليهم

١٢١ هذه مداهم انسان لحطب الدنيا الى الرؤساء

واقواله في ذلك لا تحصى فتستعمل بالاشارة اليها والى ما ذكر منها في غير هذا المقام

وأما الوجهة الثانية فهي الدين الحق عنده . وعلى قدر استهزئه بحجرات الاقدمين واورثهم لمذهبية ترى تقاطعه بروح الدينية التي يراد بها انتزاعه عن خشع والظلم والشهوات ، وبذلك يشارك المصلحين الروحيين في كل مكان وزمان . ومن اقواله في هذا الباب

الدين حمر التي الدلت عن يسر في صخر واقتدار منه ما عمو

.....

ما الخير صوم يذوب انصافون له ولا صلاة ولا صوف من الحسد
وامسا هو ترك الشمر مطرأ ونفضك الصدر من عل ومن حسد

.....

الدين تصافك الاقوام كاهم واي دين لآتي الحق ان وحده

فادين عنده ترك الشر وانصاف الجميع ، ولا دين لمن يرفض الحق . وقد كرر هذا المعنى كثيراً في رؤوسياته ، ونجدرى . هنا بقوله التكمي فيه

توهمت يا مفرور انك دين مليّ بين الله ما لك دين
غير الى ليت احرام تنسكاً ويشكرك جار بانس وخدين

وقوله

سبح وصدق وصف فكة زائر سبعين لا سبعا قلت بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطاعه لم يلف بالمناك

الشعب وزعماءه

ولا يختلف بطوره هذا عن نظاره الى الدين ورؤسائه ، فهو يهاجم الامراء والحكام واصحاب الرعدة السياسية متهاً ايهم بالهل والحشع والاستعداد

عشأ ملوكهم عرو وزو واصحاب الامور جباة حرج

ول مقام فكم اعاشرة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظفروا الرعية واستعجزوا كيدها وعدوا مصالحها وهم امراؤها

سرس الانام شياطين مسأمة في كل مصر من الوالين شيعان
مق يقوم لهم يستفيد لنا فتعرف العدل اقبال وميطان

ومع اشدقه على لشعب لا يرى فيه غير الفساد العام كقوله

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
وكل حي فوقها ضالم وما بها اظلم من فاسها

كلنا غدور ييل الى الظلم وصفر الايام للتكمي
ورجال الانام مثل التواني غير فرق التانيث والتذكير

عشْ بَخِيلًا كَأَهْلٍ عَصْرِكَ هَذَا وَقَدَالَهُ وَنَ دَهْرِكَ أَهْلَهُ
قَوْمُ سُوءٍ فَالْشَّلُ مِنْهُمْ يَعْمَلُ اللَّيْثُ قَوْمًا وَاللَّيْثُ بِأَكْلِهِ يُبْلَهُ

وقس على هذا القول كثيراً من الأمثلة التي تمكس لما بينته أو نظره الأسود الى اهل
زه انه عموماً ، لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم او عني وفقير

هم الساع اذا هتت فرائنها وان دعوت لخير حوتت سُئرا

وكذا انه يهاجم الرجال بعتهم بالجشع والعدو والنوم كدسك يهاجم النساء فينعتن
بالضعف والرياء والحياة والمسكر ، ولا يرى لهن الا الاحتجاب التام والقوام المقل
والانصراف الى شؤونهن . وانك ترى سوء طنه حين اد يقول

فوارس فتشع اعلامٌ مهيّر لقيتك بالأساور مُعلّات

ودون - والحوادث فاجبت - لاحداهن لاحدى المكرمات

وهذان البيتان من قصيدة تنيف على التسعين بيتاً في كل بيت منها دم لمرأة وتحقير
لشأنها . ومشها في اللزوميات كثير . ولا بدري ما الذي حمل المري على الازدراء بالمرأة
وصحها بكل الشوائب ، ولكنه ولا شك جاري عصره ، بل غادى في هذه لاره الى الحد
الاقصى - على انه مطلق على الوادات واودى بين خيراً .

الطبيعة البشرية

اب الطبيعة الشرية فزعدة هذه لا امل باصلاحها ، والانسان مسير بقوتين قوة
داخلية هي العريزة الوحشية التي لا يمكن تهذيبها

والله حاول ان يهذب اهلها فاذا البرية ما لها تهذيب

لم يقدر الله تهذيباً لاهلها فلا ترومن للاقوام تهذيباً

ولا تصدق بما الزهان يطله فتستفيد من التصديق فكذباً

وحبنة الناس الفساد فصل من يسر يحكمته الى تهذيبها

وقوة خارجية هي قضاء جار يدفع الانسان امامه فلا ارادة له ولا اختيار لكن كيف
 نجمع بين « حكمة الله » كما نراها في شر المري وبين جدوت القضاء ؟ وكيف نوفق
 بين القدر والحساب ؟ مسألة فلسفية دقيقة لا نرى الشاعر يوضحها او يهتم بتطبيقها تطبيقاً
 صحيحاً ، وانما هته من ذلك ان يصف ما يشعر به او يتوهمه ، ولذا لا يتنظر ان نراه
 هنا متشقق الخواطر مطرد الفكر .

ومن هذا القيل ذكره ثاقل والقل ، فالك نراه يهيب بالناس الى رفض الشرائع
 ناسياً اليها كل اسباب الفتن والاضطراب كقوله

ان الشرائع القت بيذا رحناً وادومتنا ادايد الطرادات

ولا يرى من هادر غير العقل

كذب الظن لا امام سوى العقل مشجراً في صبحه والمساء

تثروا بامور في دياتهم وانما دينهم دين الزناديق
 نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باسكرام وتصديق

اذا رجع الحبيب الى حده نهارون بالشرائع واورداها

ولكن اي عقل تشع واي عقل زفرض ؟ هنا لا بد من الحذر . والمري يتقدم بتأثير
 التأمل الفلسفي الى تقديس العقل دون النظر الى عاقبة ذلك التقديس ، وهو بذلك هدام
 ونعم الموعول العقل ، على شرط ان يستخدمه فيما يفيد - في تهذيب الشرائع ورفضها
 الى مستوى الكمال الممكن ، لا في التخلص منها تبها لتزمات الفوضى . والذي يلوح له
 ان المري لم يكن فوضوياً ، ولم يقصد الهدم المطلق ، بل قصد الاصلاح الاحتمالي . على
 انه اندفع الى ذلك متأثراً من طبيعته ومن الفساد الذي حوله ، فلم يسلك طريقاً يصح
 ان نسميها طريق الهداية العملية .

وليس من اثر واضح للفوضى في شعره الا حمله على البسل ، ودعوته الناس الى العناء
 واتقوله في ذلك معروفة بذكر منها هذين البيتين

لو ان كل نفوس الناس رائية كأي نفسي قناعت من خزيها
وعطّلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

كلمة ختامية

وهنا لا بد ان نسأل: ما العوامل التي أحلت المعري هذا المحل الرفيع في تاريخ الادب
المعري وخلدت له هذا الاحترام في نفوس المتأديين ؟ والجواب عن ذلك

- ١ - صراحته في مهاجمة ما كان يراه فاسداً
- ٢ - صرفة الشعر الى مواضع عمر نية اخلاقية لم يسبق اليها
- ٣ - تعاطفه الحكمة على نفسه واظهاره مبادؤها في حياته
- ٤ - زهده الحقيقي وترفعه عن اغراض الدنيا .

نعم قد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكري الذي حمله احياناً الى اقصى التطرف وجعله
هداماً لا يحسن البناء . ونحرجه النفوي الذي دفعه مراراً الى ركوب اخشن المراكب توصلاً
الى معانيه . على ان المعري رغم ذلك الشذوذ وذلك التعرج هو تلك الشخصية التي
تجمع بين الاخلاص والشدة - الاخلاص في خدمة الحقيقة كما تتراءى له ، والشدة في
مهاجمة أهل الفساد . وهو بذلك يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا في تاريخ الادب
المعري اذ ليس لاحدهم مها تامة مسكنة القبة ما للمعري من ال نظر الى الحياة التي تسع
حوله ومحاربة نقدها . كان الشعراء قبله لا يرون في الحياة الا انفسهم ولا يرون في الادب
الا ما يوصل الى اعراضهم ، فجاء المعري ينظر الى البيئة التي تحويه محادلاً روحها واصلاح
شؤونها . على انه لم يرق فيها عبر اوحه الفساد والظلام ولم ينفذ - الى بحالي الحال التي
ترى وجه الطبيعة والحياة - لجاء شعره قائم اللون كأنما هو مصاح تبعث اشعته اليها من
قراء زجاجة سوداء .

المختار من شعر المعري

قارب في خضم مضطرب تتقاده الرياح وتقرسى به الأمواج — ذلك هو المعري في نظره إلى الحياة *

ظلمات من كل جانب ، وعقل مفكر يحاول ان يرى من ورائها ما لا يرى ، فيرتد خائباً قائلاً على الدهر وجوده ، قائماً على الحياة مسرعتها ، مهيباً بالناس : إلى الفناء إلى الفناء ، فما الوجود الا شقاء في شقاء *

قُبْهٌ مِنْ سَقَطِ الزُّنْدِ

فِي الْمَرَاثِي

قال يوتي والده

تَقَمْتُ الرِّصَا حَتَّى عَلَى ضَاكِكِ الْمَرْزِ	فَلَا جَادِي إِلَّا صَوْسٌ مِنَ الدَّجَنِ
فَلَيْتَ فَنَ إِنْ شَامَ شَيْءٌ يُسَمِّي	فَمِ الطَّمَنَةُ التَّهْلَاءُ قَدَمِي بِلَاسِنِ
مَكَانُ تَنَابَهٍ أَوْاسٍ يَسْتَمِي	لَهَا حَسَنُ دَكْرِ بِلَصِيَانَةِ وَالسَّهْنِ (١)

إِنِّي حَكَمْتُ فِيهِ الْبَيْلِي وَلَمْ تَزَلْ	رَمَاحُ الْمَيَا قَادَرَاتٍ عَلَى الطُّغْنِ
مَضَى طَائِفُ الْحَثَانِ وَاسْتَفْسَ وَالْكَرَى	وَسَهْدُ الْمَيِّ وَالْجَلْبِ وَالْدُّسْرِ وَلِرْدُنْ
فَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَجُفُّ وَقَارُهُ	إِذَا صَارَ الْحَدُّ فِي الْقِيَمَةِ كَالْمَهْنِ (٢)
وَهَلْ يَرُدُّ الْخَوْضُ لِرُويِّ مَادَرَا	مَعَ النَّاسِ أَمْ يَأْتِي الرِّحَامُ فَيَسْتَنِي

(١) كرهت الرضا حتى على ضالك المرز . صوف يعني في مطبوعه كان اسمه سـ .
 مصونات في حدوده (٢) أحد اسم جبل . والدهن الطعن

حيث زاده من جوافه وساحه . ويض الجباداع الى البخل والحد^(١)

على ام دثر غضة الله احا . لاجدر انثى ان تحون وان تحي^(٢)
كصاب دجاها فرعها ونهاها . عبا لها قامت له الشمس ياطسن
راها سليل الطين والشيب شامل^(٣) . لها بالثريا والساكين والوزن^(٤)
زمان تولت واد حواء بنتها . وكم رأت في إثر حواء من قرن

جهلنا فلم نعلم على الحرم ما الذي . يراد بنا والعلم لله ذي المن
اذا غيب المراء استر حديثه . ولم نجبر الافكار عنه عما ينفي
تضل العقول المبريت رشدها . ولم يلم اراي لقوي من الأمن^(٥)
وما فارتت شخصاً من الخلق سامة . من الدهر الا وهي افتك من قرن
وجدنا اذى الدنيا لذيداً كما . جى النحل اصناف الشقاء الذي نحي
فما رغبت في الموت كدراً سيرها . الى الورد خس ثم يشرين من أجن^(٦)
يصادفن صقراً حكل يوم وليقه . ويلقن شراً من حاله النجبن
وخوف الردي آوى الى الكهف اعده . وكلف نوحاً وانه حمل السفن^(٧)
وما استمدته روح موسى وآدم . وقد وعدا من بعده جنتي عدن

أمولى القواني سم اراك انقيادها . لك الفصحاء العرب كالعجم الذكن
هنيئاً لك البيت الجديد مؤسداً . بينك فيه بالعبادة واليمن

(١) في هذا بيت وما قبله نصف امام الموقر وقول : هل يموت وقاره يوم القيامة (يوم يصبح
حبل احد كانهض) وهل يتسرع مع الناس وراحمهم الى اخره . ان هذه ذراده حواء وساحه في
حين ان السائل يذهب اصحابه الى الخدر الشديد

(٢) ام دثر كناية عن الدنيا . ونحي هلك

(٣) شبه الدنيا بالخمسة في قلة الوعاء وقال اخا مدينة وآها آدم وهي شابة وعلامات شبيها هذه
النجوم - بالثريا والمطالك والوزن

(٤) المبريت العوية . و دهن النقص والصعب

(٥) لما رغبت في الموت كدراً سير حبه ايام حتى فصل الماء فتشرنه فسداً آمداً

(٦) اشارة الى قصة اصحاب الكهف وقصة نوح

مجاورة سُكُنْ في ديار ببيتهم
طلعتُ يقيماً من حينة عنهم
فإن تعهدي لا أرل مثلاً
من الحلي سقى لدير ولا سكن
ولن تحديني يا حينة سوى لظن
فاني لم أعط الصحيح فاستعي

أمرًا برع كنت فيه كاتب
وما اكثرت شي عليك ديانة
يواميك من رب العلا الصدق ما وضا
فياقور وافر من تراك لبنا
لا طقت اطاق الناصرة فاحتفظ
سأبكي اذا غنى ابن ورفاء هجعة
ونادية في مسمي كل قبعة
وأحسن بيك الحزن حيا فان امت
وسعدك لا يهوى العزاد مسرة
امرأ من الاكرام طاعمو وارثي^(١)
لو ان حماما كان يشبه من يشي
اشجرا وتلقاك الامانة بالأمس
عليه وآو من حذرك الحسن
بلؤلؤ المجد الحقيقة بالخرن^(٢)
وان كان ما يعنيه ضد الذي اعني^(٣)
نمرود باللعن المعري عن النحر
وأفكك لم اسلك طريقا في الحزن
وان كان في وصال السرور فلا يهي

دالته المشهورة

يؤي صديقه ابا الخطاب الحلي وكان اديبا وفقهيا وقد مات شاعر

عبد محمد في مبي واعتقادي
نوح بالك ولا ترثم شاد
وشية صوت النعير اذا قيل بصوت الشجر في حكن ناد
أسكت تلحككم الخدمة ام عنت على فرع عصه المساد
صاح هندي قبورنا قلا رحا فاد القور من عهد عاد
خفف الوطء ما ظن اديم له رضى إلا من هذه الاحداد

(١) اخبر ما حول الخطم في مكة والركن وكن البيت انعام

(٢) انك ابا الفخر كالأصدة وهو فيك كاللؤلؤة

(٣) المعري من المعنا

وقبض بنا وان قدم الحمد هوان^(١) والآب والاحداد
 سر ان اسطعت في الهواء رويداً لا احتيالاً على رعات العباد
 ربّ طير قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد
 ودفين على بقايا دفين في طويل الازمان والآباد
 فاسأل الفرقدن عن احسا من قبيل وآسا من بلاد^(٢)
 كم اقام على زوال نهار ونارا للنداح في سواد
 تعب^(٣) كلها الحياة فما اعجب الا من راع في ارياد
 ان حرنأ في ساعة الموت اضما ف سرور في ساعة الميلاد
 خلق الناس للبقاء فضأت أمة يحسبون للفساد
 ينقلون من دار أمارا لى الى دار شقور او رشاد
 ضجة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

أنت الهديل^(٤) أبعدن او يعدن قليل الغراء بالإسعاد
 ايه لله درككن^(٥) فانت اللواتي نحن حفظ الوداد
 ما نيتك هالكاً في الاوان الحال اودى من قل هلك إباد^(٦)
 بيد الي لا ارتضي ما فعلت وطواقكن^(٧) في الاحياد
 فنتن واسترن جميعاً من قبيص الدجى ثياب حداد
 ثم مردن في المآتم وأنسدين بشحو مع الهواني الخراد

قصده الدهر من الي حمزة الأروا سر مولى حمى وخذن اقتصاد^(٨)
 وفقها اوصكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر رياد^(٩)

(١) فاسأل عن السكوكيين عما عرفاه وشهداه من احوال الناس

(٢) باب الهديل الحام

(٣) اشارة الى الخرافة ان الحمام لا تزال تيكبي على هديلها الذي ملك قديماً

(٤) ابو حمزة اسم الفقيه الرقي . قصد الدهر منه رجلاً صالحاً . قلت

(٥) في اللغة مناهة تورية فاللعان ملك الخيرة ، واللعان الالام ابو ابيهم وهو المراد . ورياد

هو الدسة المشهور وكان شاعر ملك الخيرة

فالمعري بعده للعجائزي قليل الخلاف سهل التباد
انفق الامر فاسكتا يطلب العلم بكثمة عن اصله وانتقاد
ذا بنان لا تفسد الدهر الاحمر رهدا في المعد المستاد

ودعا اليها الحفيان ذاك الشخص ان الوداع أسر زاد
واضلاء بدمع ان كان ظهراً وادفاء بين الحثي والفتاد
واحبوا الاكفان من ورق المصحف كبراً عن انفس الأبراد
واتلوا العش بالقرعة والنسيح لا بالنجب والتعداد
اسف عير فافع واجتهاد لا يؤدّي الى غناء اجتهاد
طالما اخرج الخزن جوى الخز نر الى غير لائق بالداد
مشد فانت الصلاة سلباً و فأنمي على رقاب الحيات
وهو من سمرت له الانس والجن بما صح من شهادة ^(١) صد

كبر اصحت لي محاك بعدي يا حديراً مني بحسن انتقاد
قد اقر الطيب منك بمجز وتقصى تردد العواد
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجدان لا ماد حتى المباد
عهد الساهرون حولك للتوبيخ وبع لأعين العهد
كنت حل الصا لما اراد الين واقف وفيه في المراد ^(٢)
ورابت الوفاء لاصحاب الاول من شبة العكرم اخود
وحلت الشباب غفاً فيا ليتك ابلت مع الانداد
فادهباً حير ذاهبين حقيقتين بقيا روائح وغواد
ومرث بر أنهن دموع لهن السطور في الانشاد

(١) ان اخرون قد يخرج الانسان عن صوابه كما يدل ما بين من مرث الجن وديك لا عرفت عليه
ما بين من مرث الجن وديك لا عرفت عليه
ما بين من مرث الجن وديك لا عرفت عليه
(٢) الصير في اراد راجع الى الصبا

زحل^١ اشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد
ولناد المريع من حدائق الدهر مظفر وان ملت في انقاد
والثرب رهينة ، فتراق الشمل حتى تند في الافراد
كل بيت لهم ما تبني اور^٢ قاء والسند ارفع المعاد
بان امر الاله واختلف النسا من فداع الى صلال وهاد
والقى صاع^٣ ويكفيه جل^٤ التدر ضرب الاطنا والارناد^(١)
والدي حارت العدة فيه حيوان مستعدت من حماد
والليب^٥ اللب من ايس يعتر^٦ يكون مصيره للمعاد

قصيدته الحكمة

في رثاء صفر بن علي بن المهذب

احسن بالواجد من وجدو	صو ^١ يبعد النار في زندقو
ومن الى في الرزة غير الاسى	كان يصكاه ^٢ ينتهى جهده
فلينرف الجمن على حمر	اذ كان لم يفتح على ندو
والشي لا يكلو مداحه	الا اذا قيس الى يذو
لولا غضى نجر وقلأه	لم يث ^٣ ما يطيب على رندو ^(٢)
ليس الذي يسكى على وحله	مثل الذي يسكى على صدو
كان الاسى فرضا لو ان دي	قل ل اندره فلم نغدو
هل هو الا طالع ^٤ للهدى	سار من القرب الى سعدو

يا دهر^٥ يا منعر^٦ ايمعاده وخلف المأمول من وعدو

(١) والاسان راحل بنيه قل السدر من ان يبشي الخيم - اي انه قليل الاقامة في الدنيا فيجب ان لا يتم جاء والسدر شجر النبق

(٢) اي ان الرند خص به ثناء فانه سائر الاشجار التي لا طيب ما

أي حديد لك لم تُبَلِّدْ وأي أقرانك لم تُودِهْ^(١)
 أدى ذوي الفضل واضددهم يحصمهم سيلك في مده
 ان لم يكن رشد التي نافعاً فيه انفع من رشه
 تجربة الدنيا واعمالها حشاً ما الرهد على رده
 والقلب من اهوائه عائد ما يعد الكافر من رده^(٢)
 ان زمان يرايه ي صيرني لروح في رده^(٣)
 مكاننا في كنفه ماله ينفق ما يختار من نده
 لو عرف الانسان مقداره لم يقفر المولى على صده
 امس الذي مر على قربه يعجز اهل الارض من رده
 اضحى الذي احل في سه مثل الذي هوحل في صده
 والواحد المرد في حشفه كالحاشد المكث من حشفه
 وحانه الهاكي لا يانه كحانة الهاكي على ولده

ما رغبة الحي بآسائه بما جنى الموت على خده^(٤)
 ومجده افسائه لا الذي من قبله مكان ولا بعده
 لولا سجاياه واخلاقه لكان كالعديم في رده
 تشتاق اير بعوس الوري وبما الشوق الى ورده^(٥)
 قدعو بطول العمر اموالها من تهاى القلب في رده
 يُسر ان مد نقاء به وكل ما يكره في مده
 كم صان عن قبله خده سلطت الارض على خده

(١) توده. غلظه (٢) اليد الضم

(٣) ي لكثرة شلاق زرايا الدهر ويري عيه صرث لا ادبي به بل ارداد شطاً ومرحاً .
 والقد سجد يد من حلد يوثق به الاسير

(٤) كعب يفتخر احي بآسائه من الموت وهو الذي فتك بحداده

(٥) كما ان شعوس تشتاق اير لاهل ورده كدلكه لاسان انا هو حلاقه وسجاياه

وحامله تقل الذي جيد
ورب ظنان الى مورد
وكان يشكر الضعف من عقده
والموت لو يعلم في ورده

فيا انا المفقود - في خسة
جاءك هذا الحزن متجدداً
سلم الى الله فكل الذي
لا يعدم الاصر في غابه
ان الذي الوحشة في داره
لا اوحشت دارك من ثمنها
كالشهب ما سلاك عن فقدك^(١)
اجرك في الصبر فلا تجده
سالك او سررك من عبده
حقاً ولا الابيض في عنده^(٢)
تؤسه الرحمة في حله
ولا خلا عابك من أسده

اسئلة من وصف وفخره

قال متبرماً من بخداد ومتشوقاً الى وطنه

مناني الأوى من شغلك اليوم اطلال
وانقضت فيك النحل والنحل يانم
حملت من الشامين اطيب جرعة
فسقياً لكس من فم مثل خاتم
كان الخراسي حنت لك حلة
أقلم ذات القوط والسنف أنني
وفي النوم مضى من خيالك محال^(٣)
واعصي من حنت الطلع والصال^(٤)
واوردتها والقوم بالفقر ضلال^(٥)
من الدثر لم يهجم بتقييله خال^(٦)
هلك بها في اللون والطيب سر مال
يشغني بالزائر اهل ريسال^(٧)

(١) يزي احا العقيد ويقول ان في اولاده الخمسة ما يليك من فقدك

(٢) الاسمر الرمح والابيض السيف

(٣) يحاط الحسية ويقول ان الدارل ملك حالية وسكن حيانك كثير لحوال في يومنا هذا النوم

(٤) واسعت لاحلت اسفن واحبت اشجار البادية لانك بدوية

(٥) اي حملت من الشام والجريرة اطيب جرعة واعيا (اي رسالتك)

(٦) الخال هنا الخائل اي المدلل بظم شأنه

(٧) انظم هذه الفتاة التحلية في ادتها بالقوط والشعب ان لي فدا حصصاً يتهددي ورر اري كالام

غيا دارها بالخزن إن مزارها
بكت فكان البعد نأدى فريده
تحلى النقا دُرِّب دما وألوه
وعت لنا في دار ساورة قينة
فقلت تقني كيف شئت عا
قريب ولكن دون ذلك أهول
علم لقد الحقد قلب وخلخل^(١)
وولت أصبلا وهي كالشمس مطال
من الورق مطراب الاصال مبال^(٢)
فتأوك عدي يا حمامة إهول

تثبت أن الحمر حلت للشوة
فادخل أني بالعراق على شفا
مقل من الالهين يسر ولسرور
طويت الصبا طهي السجل وزادني
مضى سالت بعداد عي واهلها
ادا عن ليبي عن ليبي وزائد
وما يلادي كان النجم مشربا
فيا وطني ان قاتني بك سابق
فان استطع في احشر آتت زائرا
وكم ماحد في سيف دجلة لم أشم
من المر ترار المراسع مرض
سيطاني رزقي الذي لو طلته
اذا صدق التجد افقرى العم للفتي
تحملي كيف اطمانت في الحال
رزي الاماني لا انيس ولا مال
كفى حزنا بين مشق واللال
زمان له بالثبير حاكم وإسجال
فاني من اهل الرصاص سأل
خقوق فؤادي كلما خفق الآل^(٣)
ولو ان ماء الكرخ صباء بزيال^(٤)
من الدهر غلنهم لساكنك البال
وهيات لي يوم القيامة اشغل
له يارفا والمرء كالزنج مبال^(٥)
من الحبل قذاف الجواهر مفضل
لا زاد والدنيا حظوظ واقبال
مكارم لا تكري وان كدب الحال^(٦)

- (١) بكت الحبيبة لدارها وفطرت دموعها على قدمها مدار القلب (الاسوار) والمنجل يادبان
العريدي في البعد علم شجالت مع الدموع
(٢) وعنت لنا في هذ المكان نسبة من احمام
(٣) (٣) الآل الراب
(٤) ماء يلادي احبيب ولو ان ماء بعداد كالصماء
(٥) سيف دجلة اي سط دجلة . وكم من كرم هناك لم اقصده ولم اطعم بجرده
(٦) ادر حدم الحظ احدا اخترع له الناس (الم) من المكازم ما ليس في محايله . وقد تلاعب
في جد وهم وحال تلاعبا يديا ظاهر التكلف

وقال في الشربف موسى بن اسحق مجيباً اياه عن قصيدة

مالاني فأنّ ييض الاماني فنتيت والظلام ليس نفاي
ان تناسيتا وداداً أفس فاحملاني من بعض من تذكار
رُبّ ليل كأنه الصبح في الحس وان كان اسود الطليان
قد وكضنا فيه الى اللول وقف النجم وقفة الحيران^(١)
كم اردنا ذلك الزمان مدح فقلنا بدم هذا الزمان
فكأني ، قلت والبدد طفل وشاب الظماء في عنوان
لياتي هذه عروس من الزنج عليها قلادة من جمان
هرب النوم عن حقوني فيها هرب الامن من فراد الطليان
وكان الهلال يهوى الثرى فما للوداع معتقن
قال صبحي في لجنتين من الجندس والبيد اذ دعا العرقدان
نحن عرقى فكيف بقدا نجمان في حومة الدحى عرقان^(٢)
وسهيل كوحنة الحب في اللو ن وقلب لحن في الحلقان
مستبداً كأنه العارس المأم يدو ممرض الفرجان
يسرع اللح في اجرار كما تسرع في الدح مقلة النضبان
خبرته دما سيوف الاعادي فسكت رحمة له الشمران
قدمه وراه وهو في العجز حكا لبست له قدمان^(٣)
ثم شاب الدحى وحاف من المعر فتلى المشيب بالزمران
ونضبا جره على دمر الواقع سيعاً فهم بالطيران
وعلى الدهر من دماء الشهدى هنى ونجسه شاهدان^(٤)

(١) تكلف الطائفة بين المعري والوقوف فقال كم حرياً فيه الى اللول والنجم في اللين واقف حائراً (يصف الليل بالطول)

(٢) قاله صبحي وقد دحا في احشاء الظلام وانقر دحى عرقى فكيف بقدا العرقدان وها عرقان

(٣) حاف سهيل عجمان يقال له قدما سهيل - هو معكوس الحال يشي اعز اكمن لا قدما له

والشمران غسان (٤) الدمر الواقع اسم مضم - قال ويروح على الدهر من دماء الشهدى الامام علي وانه الحسين شاهدان

فهما في اواخر الليل جريا ن وفي أولياته شققن^(١)
وجمال الالوان عقب جدود كل حدة منهم حمل اوان

يا ابن مستعرض الحقوق سدير ومسير الخويع من عطفان^(٢)
أحدر الحمة القديم هم الاعراض في حكل منطق والمعاني^(٣)
والشخص التي خلق ضياء قبل خلق لمزيخ والميران^(٤)
قبل ان تحق السموات او توثق من اعلا كهن مبدوران
لو تاتي لطعها حمل الشهب تودى عن ولسه الشرطان^(٥)
و ارد المالك طمأ لها ما ذ كبر القسوة قبل الضمان^(٦)
او عصاها حوت السجوم سقاء حتمه صائد من اخذان
انت كالشمس في الصياء وان جا وزت كيوان في علو المكان^(٧)
وسجاياء عتيد اعجزت في الوصف لطيف الامكار والادهان
وحوت في الانام اولاده التة عرى الارواح في الامدان
اقلوا حاملي اعداؤك في الاعمد مستكين بالعدوان^(٨)
يضربون الاقران صرماً بيمد السعد تحماً في ححكهم كل قران
وجلوا عمرة الوحي بوجوه حلت اهي مبدن الاحسان
قد اجينا قول الشريف بقول واثننا الخفي من المرجان

(١) عدان شادن في الدعوان الكادب والصادق اي حمرة التي ترى اول الصبح وكذلك الشفان اي حمرة او الصفرة التي تقي في افق المغرب جد عروق ويرسم احام من آثار ما اريق من دم الشهبان (يريد بذلك اما تلوح مدى الدهر)

(٢) يا ابن السير الذي عرس صغره بواقعة بدو واد هذه العتبات

(٣) يريد بالحمة الدين هم موضوع كل ثناء اهداء المقرة بمرقة - التي وهابت ودهنة

ولحسن وحسين (٤) المزيخ والميران من السجوم

(٥) شرطان كوكبان مصيطان من برج الحسن يقال لما قرأ الحسن

(٦) يقصد بالسك الحروف بالارجح (٧) كيون اسم برجل

(٨) يقصد باعداؤك السيوف وبالعدوان القدود

أيها الدرُّ انما فضت من بحر حلى الطريق للجريان
ما أمرؤ القيس بالمصلي اذا جا راء في الشربيل سكيت الزمان^(١)

وقل من قصيدة يفتخر وبذم الزمان

ألا في سبيل الجهد ما انا فاعل
أعندي وقد مارست كل حبة
تعد دوي عند قوم حكمة
كأنني اذا طلت الزمان واهله
وقد سار ذكرى في اللاد فن لم
يهم ليالي بعض ما انا مضر
وطني وان حكمت الاحير زمانه
وعدو ولو ان الصباح صادم
واي حود لم يحسن لحامه
وان كان في اس العتي شرفه
ولي مهن لم يرضي كنه مقلي
ندي موطن يشاقه كل سيد
ولما رايت الجهل في الناس فاشبا
فواعجا كم يدعي الفضل ناقص
وكيف تنسام الطير في وكنتها

خفاف وإقدام وحزم ونائل
بصدق واش او يحيب سائل
ولا ذنب لي الا العلا والفواضل
رحمت ومدي للانام طوائل^(٢)
بغناء شمس ضواها متحكما
ويقتل رضوى دون ما انا حامل^(٣)
لا تر عما لم تستطعه الاوائل
وأسرى ولو أن احلام جعائل
وتضو يمانى اغفلته الصباقل^(٤)
ما السيف الا غده والخمائل
على أنني بين السماكين نازل^(٥)
ويقصر عن ادراكه المتناول
تحاملت حتى صن أني جاهل
ووا أسماكم يطهر النقص فاضل
وقد نعت للعرقدين الحدائل^(٦)

(١) اصلي هو الذي في الساق . وسكيت الزمان الاحمر

(٢) كأنني اذا فقت امر الرشد عادوني فصبحت وفي قومهم علي ثارات

(٣) رضوى اسم جبل بالمدينة

(٤) قومه من النخبة . والصو الياء السيف الياء . والصباقل الذين يصطادون السيوف

(٥) السما كان نجا من مروفان

(٦) شبه منه بالعرقدين في هو المقام وقيل اذا كان مثني تصب به الخبائل ما قولك قيس

يتنافس يومي في أمسي تشرفاً
وطال اعترافي بأثرمان وصرفه
فلو بان عهدي ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائي بالحن مادر
وقال الشهي للشمس أنت خفية
وطاوت الأرض الدماء ساهقة
فيا موت رر أأ الحيسة دمية

وتحمد اسماري علي الاوائل
فلست أهلي من تقول الفوائل
ولو مات زندي ما سكته الاوائل
وعبر قد ما لمهاقه باقل^(١)
وقل ادحى يا صبح لونت حائل
ودحت الشهب الحصى والجنادل
وما نفس حذني ان دمرك هائل

املن من لزوميات

وفيها تظهر زعمته الى المنازوم من اهل الانسان والزمان

١

أولو الفضل في اوطانهم قروا
وحسد العتي من ذلة العيش أنه
وما بعد مر الحس عشرة من صا
تواصل جبل النسل ما بين آهم
تساب هموم إذ قتاب خالد
وزهدني في الخلق معرفتي بهم
إذا نزل المقدار لم بك للقطا
على الولد يبغي والد ولو انهم
وربك بعداً من منك وزادهم

تشد وتنأى عنهم القروا
يروح بادق القوت وهو جبا
ولا بعد مر الاربعين صبا
وبني ولم يوصل بلامي با^(٢)
معدري فما ادعني الثؤما^(٣)
وعلي مان الماينة هاء
نروض ولا للثغدرات^(٤) اء
ولاة على امصارهم خطاء
عليك حقوداً أنهم نجاء

(١) الطائي هو حاتم المشهور بكرمه . ومادر دهن من بي حلال معروف بالحن . وقس هـ
الخطيب احمالي مشهور . وادل يصرب به اذل في المعى

(٢ و ٣) يريد جدير البيت ان حبل المنى انقطع فيه (أي انه لم يتزوج) وان التزوج كالتواها
عدوى تعيب الناس بعضهم من بعض أما هو فتحي طيباً منها

(٤) المحدرات لا سود في آحادي

٢

إذا كان علم الناس ليس نافع
فأضرب الله فينا بالذي هو كائن
وهل يأتي الإنسان من ملك ربه
وقد بان أن النعم ليس بفاعل
ومن كان ذا جود وليس بمكفر
فأيقروا أفقر يا غواة فأننا
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا
يقولون إن الدهر قد خان مونه
وقد كذبوا ما يعرفون انقصاءه
ولا دافع فأنفسهم للبقاء
فتم وصاعت حكمة الحكماء
فيخرج من أرض له وساء
له عمل في النجم البهاء
فليس ينجو من العكر ما^(١)
ديانكم^(٢) مكر من القدماء
وهادوا وماتت سنة الزمان
ولم يبق في الأيام غير قساة^(٣)
فلا تسمعوا من كاذب أهله

٣

يرتجى الناس أن يقوم أمام
كذب الظن لا يتم سوى القيل مشيراً في صمته والمساء
فإذا ما أطلعت حب الرحمة عند المير والارساء
أما هذه المداها^(١) أما
فأنفرد ما استطاعت فاعاقل الصا
ناطق في الصكيلة الخرساء^(٢)
بغذب الدنيا إلى الرؤساء
دق يضعي ثقلاً على الحساء

٤

يحنن مرأى لي آدم
ما فيهم بر ولا ناسك
أفصل من انفصلهم صخرة
وكلمهم في الذوق لا يثذب
الآ إلى تقع له يجذب
لا تظلم الناس ولا تكذب

(١) المكثرة أي الكثير المال

(٢) لا يبعد بالديانة ما لا يأن الخلفي بل الظن والطوامر والظنوس المدرجة التي هي من وضع الإنسان
(٣) ذماء بقية الروح في الجسد
(٤) إشارة إلى القول بظهور المهدي

٥

من لي أن لا أقيم في بلد
أذكر فيه بغير ما يحب
يظن في السر والدبابة والمعلم وبينها حب
كل امري علي واحدة لا حقر يتقى ولا رجب
اقررت بالهزل واذهمني همي قوم قامي وامرهم عجب

٦

قد قيل ان الروح تلسف بعدما
تتأى عن الجسد الذي غلبت به
ان كان يصحبها الحى فطلب
تدري وتفظن للزمان وعقبه
او لا فكهم هذيان قوم ظاير
في الكتب ضاع مداده في كتبه

٧

انا صائم طول الحياة وانما
فطري الحرام ويوم ذاك أعيد
لوان من ليل وصبح لونا
شعري واضفني الزمان الأبد
والناس كالاشجار ينطق دهرهم
هم يطلق مشر ومفد
قالوا فلان جيد اصدقه
لا يكذبوا ما في البرية جيد
فاميرهم نال الامارة بالحسنا
ونقيهم بصلاته منصبة
كن من تشاء مهتفا او خالفا
واذا دزقت غنى فانت السيد

٨

لا تدؤي بالعداوة منكم
فيعحكم عندي نظير محمد
أبيض ضوء الصبح ناظر مدلج
لم نحن اجمع في ظلام سرمد
ان السيوف تراح في اهداها
وتطل في تعب اذا لم تنمد
روح اذا اتصلت بشخص لم يزل
هو وهي في مرض المناه المكند
ان كنت من ريع فيا ريع اسكني
لو كنت من لخب فيا لخب اخند

٩

نور يا عرب وأمد ان ترى احداً
لقد من الزرع ما يكفيك من عرض
وما ألوئك بل أوليك مدرة
قال حواء راعوا الاسد مخدرة
ومن انهم بظلم فهو عندهم
هم الماشر ضاموا كل من صبروا
لو كنت حافظ اثر لهم ينبت
الا مسيفاً واي الخلق لم يختر
وحاول الرق في العلي من الشعر
اذا حطمت ذمال القوم في الحجر
ولم يفادوا نسلم ربة الوبر^(١)
كجالب الشعر مفقراً الى هجر^(٢)
من حنسهم واباحوا حكل مختور
ثم اقتربت لما اخلك من حجر

١٠

العالم العالي^(٣) برأي معاشر
دعت رجال ان سيراته
هل الكواكب مثلك في ديننا
والدور في حكم الخواطر محدث
والخبر بين الناس رسم دائر
طبع خدعت عليه لبس زائل
كالمالم المادي يحس ويعلم
نقى القول وانها تتصكلم
لا يتفق هاند او مسلم
والأولي هو الزمان المظلم
والشر نهج واليرة تلم
طول الحياة وآخر متعلم

ان جازت الأمراء جاء موثرو
ان شئت ان تكتفي الخيام فلا نص
أحسن بدنيا القوم لو كان الفتي
اعنى واحور يستضم ويكلم^(٤)
هذي الحياة الى المية سلم
لا يقتضى وأديه لا يحلم^(٥)

(١) أي حافوا الاسد في عربها واقلقوا سائر الحيوانات في اوحرها

(٢) هجر بعد مشهور شره

(٣) يريد بالعدم العالي عالم الافلاك والعالم المادي عالم الانسان والطبيعة

(٤) يكلم أي يقضي

(٥) اديه لا يحلم أي حده لا يبعد والمعى لو كان الاسد لا يصير الى ذوال

واحو السمادة بينهم من يسلم
حكيماً يهاب وجاهل يتعلم
علت فاض يجرهم يتألم^(١)

ينشبه الطامي بطاغر مثله
في الناس ذو حلم يسيه نفسه
وحكلاهما تمس يجرهم شيمه

١١

حملت لمن هو فوق اركاننا
مرفين - وقت ذاهب ومكاننا
فيه فكيف يالزم فيما كانا
لحكه يترق الامكانا
فيكل وهو بخافد الامكانا
ما الدهر اضحكنا ولا ابكانا
ولو استطاع لكلنا لشكانا
فينا وقارب شرنا ازكانا
نفأ على حال ولا تركانا^(٢)

اركان دنيساننا عرائز اربع
والله صغر للبلاد واعلها
والدهر لا يدري باهو كان
والمرء ليس يزاهد في غار
والحمي تخلق جسمه حركاته
نسكي وضعك والقضا ملط
تشكو الزمان وما اتى بحرية
متوافقين على المطالم ركبت
يخني بنا الفتيان ما اخذنا بنا

١٢

جاءوا في الزمان او العود
وقد عرفوا اداه وجربوه
على ما حكا مروده ليوم
يعلمه التدثيث افرجه
وان خفوا اودي وتسيوه
وكم نصع الصبح وكديوه
على آثار شيء رتوه
وأبطلت الهي^(٣) ما ارحوه

قد احل الانام نغير شك
وودوا العيش في زمن خوون
وبشأ ناشي^(٤) الفتيان ما
وما دان انقي محباً ولعن
لعل اموت خير للديا
أطاعوا ذا الخداع وصدقوه
وجاءتنا شرائع كل قوم
وعثر بعضهم افرال بعض

(٢) الفتيان الليل والنهار

(١) آس اي ربيع

(٣) الناشء الحدث البايع

(٤) الهي

فلا نفرحُ إذ رُحمت فيهم فقد وقعوا الدنيء. ورُجوه^(١)
 صعب دهرنا دهرأ - وقدمأ رأي الفضلاء ان لا يصحوه
 وعيظ به بشوء وعيظ منهم فعدب ساكبه وعدبوه
 وهل ترجى الكرامة من اوان وقد علب الرجال مذلوه
 وهل من وقتهم أنى وأطى على نبي ادهب قلبوه
 أحلوا مكثراً وتنتهوه وعابوا من أمل وأثبوه^(٢)

(١) وجه عطيه وهذه

(٢) أكثر الي . تصدوه اي حذوه

ابن الفارض

ابو القاسم (ابو حفص) عمر بن علي بن مرشد

٥٧٧ — ٦٣٢ هـ

١١٨١ — ١٢٣٥ م



مصادر درمسته شعره ونهروقه

- الشمع لابن السراج الطوسي ليدن ١٩١٤
 رسالة القشيرية دار الكتب المصرية ١٣٣٠
 كشم المحبوب للمحمودي ترجمة Nicholson ١٩١١
 الاحياء للقرطبي وجماعته فوارف المطارف للسهروردي مصر ١٣٠٢
 وفيت الاميان لابن حلكان الطبعة الميمنية
 الحطاط والآثار للقرطبي مطبعة النيل ١٣٢٥
 حسن المحاضرة للسيوطي ١٣٢١
 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مصر ١٣٥١
 قوانين حكم الامراتي لابي المواهب الشاذلي مطبعة ولاية سروريا ١٣٠٩
 شرح الديوان للبوريني والبابلي مصر ١٣١٠
 (نشر الدخاح) مرسيليا ١٨٥٣
 الثانية الكندي شرح الفرعاني (١٢٩٣ هـ) والفتاوي (١٣١٠)
 الثانية الكندي تحرير Von Haasman فيينا ١٨٥٤

Nicholson, *St. Ishaq and Islamic Mysticism* Cambridge, 1921

Massignou — *Encyc. of Islam, Tasawwuf*

ابن الفارض والحب الالهي محمد مهملني حلي مصر ١٩١٥
 ومقالات شق لادبا. عرب ومشرقين

نشأته

يرجع بن قزوين بنسبه الى بني سعد^(١). ووالده حموي الاصل قدم مصر بنصره ، وكان يشتغل العزوض للنساء على الرجال بين يدي حكمه عنت القاض^(٢) ويستدل انه (الولد) كان رجل فاض وجهه يتصدر بحسن الخطبة وانعلم ، حتى مثل ان يكون قاضي القضاة فمتنع ونزل عن الحكم . وعزل الناس ونقطع ان قد تعلى بقاعة الخطابة في الجامع الازهر لى ان توفاه الله^(٣) .

ولي مصر ولد شاعرا ، ولا شئت انه كان بولده يد كبرية في ثقافته وفي تكبير ترماته العسية . قال ابن المرد الحنلي - ففتا تحت كذب اميه في عذاب وصحية وعادة ، بل زهد وقناعة وورع ، وأسدل عليه راسه وقناعه . مما شب وترعرع اشتغل بعبقه الشامية ، واحذ الحديث عن ابن عساكر^(٤) .

وقد ظهر فيه منذ اوائل شباه ميل الى التدني والتلذذ بالتحريد الروحي على طريقة المتصوفين . فكان يشتد والده في الانفراد للمادة والامل . ويظهر انه كان في حل المقطم مكن خاص يعرف بوادي المتضمنين يجتنب اليه المتحدرون^(٥) ، ونسب الى بن القاض الحلاء فيه ، فتردد وتجرّد وكان قوي الى ذلك المكان احيانا^(٦) . ثم انقطع عنه ولزم به . وله تولى ابوالد طاد ابود الى التحريد والسياسة الروحية او ساوئ طريق الحقيقة فلم يفتح عليه شيء^(٧) (اي لم يكشف به من المعرفة ما يستفي به ولعله يريد هذا من يوح اليه من الشر شي) ثم قبض له رجل من الاتقياء اشار عليه ان يفهم مكة . فقدمه . واقام فيه محاورا نحواً من ١٥ سنة - وهناك بعى الماسك بقعدة بصحت شاربته وكتلت مواضعه روحية . ثم د الى مصر ، وكانت يومئذ تحت سيادة الايوبيين ، وقد كانوا كل العاية بفتح المدارس والمعاهد فيها ، لتحلّدت في ايامهم الروح الدينية والتعظيم

(١) قبيلة السبعة حليلة مرسعة التي العربي

(٢) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩ (٣) من نسخة في الديوان ص ٧

(٤) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩ . وان عساكر هذا خبر المافظ الشهير صاحب التاريخ الكبير

(٥) الديوان ٩ (٦) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩

(٧) الديوان ٧ . شذرات الذهب ١ - ١٥٠

السبية . حدث ذلك على اثر انتصاراتهم على الصليبيين ، تلك الانتصارات التي وطدت
مركزهم في مصر والشام واحتجازهم ، وتوكلت لهم في تاريخ الشرق الاسلامي ذكرى خالدة .
والذي يلفت لبطول عظم الايوبيين على السنة كان مقروناً به يد عدد الصوفية^(١)
في مصر ، فكان المصنف يومئذ كان يعتبر مطهراً من مظاهر التشييع الا ... ولذلك
ترى الجمهور يكرمونه مشايخ الطرق ويمطون شتمهم ، ويزي الحكام والامراء ، يقولون
لهم « الخواص »^(٢) . وبذكر المقريري ما ملخصه^(٣) : ان صلاح الدين حوّل سنة ٥٦٩
بصرى قادراً للصوفية كانت قنلاً لوزراء الفاطميين ، ووقف لهم وقتاً كبيراً ، فكانت اول
خاتمة عمت بديار مصر ، وعرفت بدورة الصوفية ، وكان مسكنهم من الصوفية
يعرفون بالعلم والصلاح وتروى بركنهم وولّى مشيختها الاكابر والامين قال : واخبرني
الشيخ احمد بن عبي القاصر انه ادرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة
ليشاهدوا الصوفية عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة ، كي تحصل لهم العسكرة والحيد
مشاهدتهم . ثم بعد موكلهم العظيم ويقتب على ذلك بقوله « انه كان من اجل ما يند
القاهرة » وقد بقي الامر كذلك الى اوائل القرن التاسع الهجري

ولا يستمر ادن ما نسمعه من اكرام الناس لابن الفارض وقد رجع من مكة شيعياً
متصوفاً وشاعراً كبيراً ، حتى كان اذا مشى في المدينة ترددهم الناس عليه يلتصقون منه
الركبة والدعاء ، ويتصدون تقبيل يده^(٤) . قال ولده^(٥) « وكان اذا حضر في مجلس يظهر
على ذلك المجلس سكون وهبة ، وسكينة ووقار . ورأيت جمعة من مشايخ الفقهاء
والفقراء (المتصوفة) واكابر الدولة من الامراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس يحضرون
مجلسه وهم في عاية ما يكون من الادب معه والاتصاف له . واذا خاطبوه فكأنهم
يخاطبون ملكاً عظيماً » . وقال ابن الدرد الهلبي^(٦) « فادع بقاعة الخصة في جامع الازهر ،
وعكفت عليه الامة وقصدوا لزيارة من لحاظ ولحاح ، حتى ان الملك الكامل كان ينزل
لزيارته » .

(١) راجع التتبع في حسن للمعاملة ١ من ٢٤٣ - ٢٥٤

(٢) سمعوا بكاء وهي درسه معاه البيت ويصعدون بحالات خاصة بوقائهم

(٣) المخطوط (بولاق) ٢ - ٤١٥ (٤) الديوان ٩

(٥) الديوان ٦ (٦) شذرات ذهب ٥ - ١٥٠

قلنا لا يستغرب ما رواه ولده ، وما دفعه صاحب شذرات الذهب عن مثالة شعرتنا الدينية والاجتماعية ، على انه لا بد من القول انصافاً للتدريج ان ابن خلكان الذي ادرك الشاعر وترحم له ^(١) لا يذكر شيئاً من هذا القبيل . وكل ما يعوقه من ذلك سمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قسم التعمد . فهو يزكي قول سمعته وولده ومن نقل عنهما انه كان معروف بالصلاح والكرم وسلوك طريقة التصوف على انه يسكت عما ذهبوا اليه من تعظيم الخاصة ولما له . ولا يلزم عن سكوتهم انكار ما ذهبوا اليه ، ولكن فيه ما يجوز لنا التعمد بما قد يكون من قبيل الغلو او التعمد .

شعره

يجمع مؤرخوه على انه كان ورعاً وقوراً طيب الاقوال والافعال . والذي يراجع سيرته وبتتبعهم روح قصائده يتعالى به في نفسيته ثلاث مزايا بارزة

انه كان شديد لتأثر (وخصوصاً الجمال) الى درجة الانفعال العصبي ، يسهره جمال الشكل حتى في سخافات . ومن ذلك ما يروونه من تأثره بحسن بعض الجمال ، او بؤنية حسنة الصنعة رآها في دكان مطر ^(٢) . وقد يسهره جمال الاذن - فاذا سمع انشاداً جميلاً استنطقه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس . نقل عن ولده ان الشيخ كان ماشياً في السوق بالقدرة مرأى على جماعة من الحرسية يضربون الناقوس ويهتفون . فلما سمعهم صرخ صرخة عظيمة ، ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق ، ورقص جماعة كثيرة من المارئين . وتواجد الناس الى ان سقط اكثرهم الى الارض . ثم طلع الشيخ ثيابه ورمى بها عليهم وحل بين الناس في الطامع الازهر ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وفي وسطه لاسه . وقام في هذه السكر (الدوة العصبية) ملقى على ظهره مسجى كاليت ^(٣) .

ومما يذكر من هذه السكرات او الوحات الثواخدية انه كان مرة جالساً في الطامع الازهر على باب قاعة الخطابة ، وعنده جماعة من الفقراء والامراء ، وجمعة من مشايخ

(١) كان من حنك ، في الرابعة والعشرين لا توفي ابن الفارض

(٢) الديوان ١٤

(٣) شذرات الذهب ٥ - ١٥١

الاعمام الجودى بالخامع وغيرهم . وكل ذكروا حالاً من احوال الدنيا مثل الطشت او
الفرش قد لوا هذا من زحم (اي وضع) العجم . فيما هم يتعرضون في ذلك ويفيخون
« زحم العجم » رفع المؤذنون اصواتهم بالاداء حلة واحدة فقال الشيخ « وهذا زحم
العرب » وتواحد ، وصرح كل من كان حاضراً حتى صار له ضجة عظيمة (١) .

فلما حل كان شديد التأثر العصبي وسرى اثر ذلك في شوره ولا سيما في قصيدته
السكرى نظم السوك . والظاهر ان للطريقة الصوفية وما يلازمها من رياضة وأدب
وقاملات روحية تأثيراً يئاً من هذا القيل . وقد روي في كتاب كشف المحجوب كثير
من اخبار الصوفيين الذين ماتوا لشدة وجدهم (٢) .

٢ - مبداه الى الحلوة والتشف . وهو ظاهر منذ حديثه في ما ذكرناه سابقاً من
اختلافه الى رادي المستظفين وظاهر ايضاً في محاورته بمكة ، وما روي من قيامه « ودينها
بستانس يوحشتها » . وقد عثر من ذلك بقوله -

وانعدني من اربعي بعد اربع . شائي وعقني وارنيامي وصقني
فلي بعد اوطاني سكون الى العلا . والوحش لدي اذ من الاس وحشي

وكان ايام البيل يتردد الى المسجد المعروف بالمختفى في الروضة ، ويحب مشاهدة
البحر (اي نهر النيل) مساءً (٣) . وفي ذلك ما يشير الى حبه التأمل والحل الطبيعي وانعد
من ضجيج الناس ومتاعهم .

وقد قرن كل ذلك بمهر المرس نقشاً وصيماً حتى نقل من رنده انه كان للشاعر
اربعينيات (٤) يجيبها بالصيام والتأمل . وكانت تدك طريقة اعتمدها بعض المتصوفين ولهم
في ذلك الحديث الذي يرفعونه الى النبي « من احص في تعالى العادة اربعين يوماً ظهرت

(١) الديوان ١٥

(٢) كشف المحجوب (تدوّن نكسون من العاربية الى الاسكائيرية) راجع في الصفحة الاسكائيرية
الصفحات ٢٠٦ - ٢١٠ (٣) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠

(٤) الديوان ١٢ وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠ . ومعنى الاربعين اربعين يوماً

ينابيع الحكمة من نفسه على لسانه^(١). وقد عقد الشهود في فصلاً في هذه الطريقة^٢ وطايعها وكيف بدعها المرید . وما يطلب منه ، ولما راعه من يريد التعشق في ذلك^(٣) .
 وخلاصته ان شيخ الصوفية متفقون على ان ساء امرهم على اربعة اشياء - قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس . فمن استطاع ان يحتمل الجوع انتفاء المرع الاعلى الذي ينسبه له الجوع فله ذلك . ولا يتحتم عليه الانقضاء التام عن الطعام والشراب طيلة الاربعين يوماً بل لاكتفاء ما قليل القليل من حذر وملح او ما شاكل ، ولقيام ما تنطله الحيرة من رياضة روحية حتى يفتح عليه ويكشف شيء من اسرار الالهية .
 ويظهر مما روي ان شاعرنا كان يقوم بهذه الرياضة الزهدية احياناً وله في ذلك يشير في قوله

في هواكم رمضان عمره^٤ يقتضي ما بين احبب وطبي

ومما حاول عرلة الاحرار التي يروونها من تقشفه وصيامه . فأننا لا نرى محيلاً عن القول ان الرجل كان متصوماً وكان يصنع طريقة عمل الورع والزهد^(٥) ، وقصائده ولا سيما الثانية الكندي فاضح بذلك نضجاً لا سبيل الى انكاره .

٣ - كرم سميت وحسن مشرته . قد يكون في امره ما كان في شاعرنا من حدة التأثير وليل الى الطريقة الزهدية ، ويكون مع ذلك سيرة العشرة قليل الحيرة . اما ابن الفارض فقد اجمع العكس على بقته سمو الخلق من دقة واباس وكرم وتروفع عن حطام الدنيا^(٦) . فهو لم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعاً بالحصول على المال او شرف المقام ، بل كان التدين طمعاً فيه يرميه عن الشهوات والاطماع الميعة . وقد عرف الناس ذلك فأكرموه ورموه الى مصاف الصالحين .

ومن مزايا الدرزة السجاء . روي انه ركب مرة مع مكابر الى جامع مصر واشترط المكابر ان تكون امرته « على الفنونح » اي قدراً ما يفتح على الشمر من العطايا . قال

(١) عوارف المعارف (عاش الاحياء) ٢ - ٢٢٣

(٢) « « « الفصل الثامن والعشرون

(٣) راجع قصته مع سلطان الملك الكامل . المديوان

(٤) ابن حلكان في ترجمته ، وشدوات مدح - ١٥٠ -

ارابي - وكان يوافقه - وتعا فارس من حجة الامير غر الدين فامسك الي فقال لي قل
لشيخ هذه سنة دينار يقلها من الامير على الفتوح . فقلت ذلك للشيخ . فقال نحن ركنا
مع المكري على الفتوح وامر له . فرجع الفارس الى الامير وبعده بذلك . فبعث
اليه مثلاً ، فقال اعطها مكراري . ولا وصلت الى جامع اعتذر الشيخ الى المكري
ودعا له (١) .

وكان شديد المؤامدة لعمه . قل لولده (٢) حصلت مي عفوة انحصرت بسببها باصاً
وظاهراً حتى كادت روحي تخرج من جسدي ، خرجت هائلاً كالفارس من امر عظيم
قمة وهو مطالب به ، فطمت لقصم وقصمت ، واطن سياحتي وانا اسكي واستغيت
واستمر قائم يهرج ما بي وقصدت مدينة مصر ودعت حاميه عمرو بن العاص ، ووقفت
في صحن الجامع حائساً مدعوراً ، وجددت البكاء . والتضرع والاستعارة ، فلم يتهرج
بالي ، فقلت علي حال مزيج ، اجد مثله قط ، فصرحت وقلت

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسى فقط

قال فسمعت قائلاً يقول بين السماء والارض ، اصبح صوته ولا ارى شخصه

نحو الهادي الذي عليه جبريل هبط

ولا فنصير انه لا يجوز التقيد بمثل هذه القصص ولا استناد اليها في الحكم على
شاعرنا ولكنها تريبنا على الاقل رثي الذي ترجموا له ، او كيمية تأثرهم باحلاقه . والقصة
الاحيرة ترجع الى ايام الشاعر فقد رواها ابن حنكاس عن بعض اصحابه وانه ترم يوماً وهو
في حلة ببيت الحريري « من ذا الذي ما ساء قط » فسمع البيت الثاني من قائل لم يرد
شخصه . ولا يذكر ابن حنكاس دقائق القصة كما يرويها ولد الشاعر . وايس بالعبير
ان يكون ابن القارض كما ذكرنا وان يومه الانفعال العبي انه بسمه صوت شخص لا
يراه . فما ذلك الشخص الا نفسه الواحدة ، التي كثيراً ما كان لوحد يهصلب عن العالم
المحسوس .

فرح كائن لعارض شديد لأحاسيس والتألم ، كثير الحارة والتألم ، ورع . ترفع
من حطام الدنيا ، محب . ضمن الصعبة كثير الخير ، لا يشرب ان تفيض معه بمقائد
الوجد والهيام ، وان ينال من معاصره ومن تنعم جميل الذكر والاكرام .

امر الصوفية في شعره

مرمما في القسم الاول من هذا الكتاب شيء من الطريقة الصوفية ومبناها ، فلا
فلا لزوم لاعادته هنا . على انه لا بد لنا للدرس ابن الفارض ونهض شعره ، من الطرقي
الصوفية ومصلحتها العامة فنقول -

• القلب صان ، صان ، متروح في عالم السكوت ، وباب مفتوح الى اخوان الخس
المتسكة عالم ذلك وشبهه . تعلم الاوياء ، ولا يبي . يأتي من اسباب الاول ، وعلم
الحكمة (العبد . والعلامة) . في من الثاني . وسفر بين الطريق الى الحكمة . يدعون
في اكتساب العلوم واحتلام الى القلب ، وباب الاوياء (الصوفية) . فيعلمون في حلاه
القلب وتطهيرها وتصفيتها وتصفيلها فقط حتى تتلأل فيها حبة الحق نور الاشراف ،
وهذا هو الكشف (١) .

• صوفية ذو محاهدة تطهير القلب من لادان والانفراد بذكر الله ترفلاً الى
الحصول في الاعم الدور في - او الاتحاد الكامل بالحق الاعلى .

وفي خلال هذه المحاهدة تمر نفس الصوفي في تطورات شتى ، منها ما يدعى مقامات ،
وصف ما يدعى حوالا . ويزاد مقامات قيام العبد بين يدي الله والانقطاع اليه ، ولزوم
العبادات والمحاهدات والرياضات الروحية . ومكة اوضح هي المسالك التي يتدرج فيها
نحو عاقبة مشودة ، كالقوة - والورع - والزهد - والفقر - والصبر - والشوكل -
والرضا وغير ذلك (٢) .

واما الاحوال فهي ما يحل بالقوب من صفة لادكار - او هي اختبارات النفس اذ

(١) مصحح من الاحياء امر في ٣ - ٢٩

(٢) من اردت معنى هذه الالفاظ من الوحدة الصوفية فليرجع الى المعجم ص ١١٥ او كتاب قوانين
حكم الاشراف لابي لمحمد الشاذلي

تمر في شئى المقامات . ومن ذلك القرب - المحبة - الحروف - ارجاء - الشوق -
الأنس - الطمانينة - المشاهدة - اليقين^(١)

والصوفية مصطلحات يستفردون من ترددها في اشعارهم ، وقد افرد لها ابن السراج
الطوسي في الشئع دأاً خاصاً ذكر فيه عوا من ١٥٩ نوعاً ، ثم شرحها شرحاً وافياً فبيدها
من شاء .^(٢) وإنما يجزئى هنا بشهرها واكثرها تردداً في الشعر الصوفي وخاصة في شعر
ابن الفارض - ومنها

الجمع والتفرقة - فالجمع هو اتحاد اواحد بالله عن - بيل الوجد^(٣) ، والتفرقة تطلقه
بالبشرية -

والاول من طريق القلب والشئ من طريق النفس - فقال الجمع قوله

لست صلاتي مالم أقم اقيمتها وشهد فيها أنها لي صلت
كلاهما مصل واحد - حد الى حقيقته بالجمع في صحن وحدة
العدم والبقاء - العدم رؤية حركات العبد والبقاء رؤية عبادة الله كقولهم

ونلاني ان كان فيه اثنتان لك مثل به خلعت هذا كما

وقوله -

ان كان في تعمي رضاك عبادة - ولك القاء - وحدت فيه نفاذا

الحب وهوى - وما يتعلق به من كمال - والم - ومحول - وشوق - وهجر -

ووصل - وتثبت - وعدل وغيره من الواجهة الصوفية وهو الموضوع
العام في شعر ابن الفارض ، والامثلة اكثر من ان تحصر هنا

(١) راجع معانيها في اللغ ٥٤ - ٧٢ (٢) اللامع ٣٣٣ - ٣٧٦

(٣) في جامع البديع (١٩١٧) ص ٨٧ ان كل واحد من الموجودات يشق الخير اطلاق
عنه عزير ، وان الخير اطلاق يتجلى لعاشقه وان غاية القرب منه هي قبول تحببه على اكمل . في
الامكان . وهو الحق الذي يسبه للصوفية بالاتحاد

الوحد - ان ينقطع القلب عن العلاقات الدنيوية فيشاهد ويسمع ما لم يكن يشأ له
من قل

يا انا المذل في من الحق مثلي هام وجدأ به مُدْمِتُ خاكاً
لو رايت الذي ساني فيه من حال - ولن تراه - ساكاً

القص والنسب - وهما حالان شريفتان لاهل السعادة (الصوفية) . اذا قبضهم الله
حشهم عن تدول الساعات حتى الاحكل والشرب والكلام ، واذا
سلطهم ردأهم الى هذه الاشياء حتى يتأذب الخلق بهم .

وفي رَحْمَتِ السَّطْرِ كَأَيِّ رَحْمَةٍ به استطعت آمال اهل بساطتي
وفي رَهْمَتِ الفَضْلِ كَأَيِّ رَهْمَةٍ ففعلت احاط العين بي اجلّت

السكر والصحو - (الفشية والحضور) والسكر عية القلب من مشاهدة الخلق ،
ومشاهدة للخلق بلا تبع ظاهر على المد (ويختلف عن العشية فانها تظهر)

تمذهب اخلاق الدماي فيبتدي بها طريق الغم من لا له عزم
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائفاً ولك الحكم

والصحو رجوع القلب الى ما عاب عن عينه لصفاء اليقين ، ويختلف من
الحضور بان هذا دائم والصحو حادث

المحور وصحور الجمع - وهما حالان تتلوان السكر والصحو . فالمحور صفة السكر ثانية

بعد الصحو الاول يتلوها صحو الجمع وهو الرتبة العليا وفيها يتم الانحداد
بافه وادراك تنسوى الطوالع وتجتسم الاضداد فيصبح العابد والمصور
واحداً ، وهكذا الرسول والمرسل ، والمحب والمحبوب ، والحاضر
والماضي ، والليل والنهار ، والصمة والدلت -

فلا وجود واحد - وليس هنالك زمان ، او سابق ذوات ، او اختلاف
اديان ، او انا وانت وهو ، بل روح واحدة هي حقيقة الحقائق التي
تحتل بمظاهر مختلفة في الوجود الحسي .

ففي الصحو بعد المحور لم اك عيرها وداتي بذاتي اذ تحلت تحت

فكل الذي شاهدته فعل واحد مجرد لعكن بحجب الاكثة
اذا ما ازيل السر لم ترَ غيره ولم يبق بالأشكال إشكال ربة

واذا برزت انوار التوحيد على قلب العارف (الصوفي) كشف سلطانها سائر الانوار

وفي جنبها نعت السعادة بالشفقة ضللاً وعقبي عن هدايَ به عقل
وقلت لرشيدي والتشكك والتقى تحنوا وما بيني وبين اهوى خأوا

الكشف - بيان ما يحفى على العظم فيكشف عنه للعارف كأنه رأي عين

وما رحوا معنى اراهم معي فان نأوا صورة في الدهن قدم لهم شكل

. . .

فالداعي لما يث الآن مر حيث اهديت لي هدى من سكا
وقتبس الانوار من ظاهري بهر صعب وماطلي مآراكا

التعريف - ما تجرد للقلب من شواهد الالوهية اذا صف من كدورة الشرية

اربيبه هي منكم كما صنم من عدله في أدني
أو لم يبه الهى من عدله زاوياً وجه قول النصيح ذي

. . .

ولقد خلوت مع الحبيب وبيدا سراراً من السيم اذا سرى
واح طرقي بطرة أملتها فعدوت معروفاً وكنت منكراً
عدت بين جماله وحلانه وعدا لسان الحال عي نخوا

الطباع - كلام مريب يقرحه اللسان عن وحد يفيض من قلب الواجد كما يفيض

الماء القزير اذا جرى في مجرى ضيق . كقوله -

خمر ولا كرم وآدم لي اب وكرم ولا خمر ولي أمها ام

وقوله في حالة الاتحاد -

وَأَنَلُوْا طُومَ الْعَالَمِيْنَ لِفُطْرٍ وَاجْلُوْا عَمِيَّ الْعَالَمِيْنَ لِحُظْرٍ
وَأَسْتَعْرِضِ الْآفَاقَ نَحْوِيْ بِحُطْرَةٍ وَاخْتَرِقِ السَّعَاطِقَ بِحُطْرَةٍ
فَنَ قَالَ أَوْ مِنْ طُلٍّ أَوْ صَالٍ أَمَّا بِتُّ بِمَدَادِيْ لَهُ بِرُقِيْقَةٍ
وَمَا سَارَ فَوْقَ الْمَاءِ أَوْ طَارَ فِي الْهَوَا أَوْ اقْتَحَمَ الْبُرْعَانَ الْأَبْهَتِيْ
وَمَنْبِيْ يَوْمَ قَامَتْ عَيْشِيْ لَطِيْفَةٍ لَزَدَتْ إِلَيْهِ نَعْمَهُ وَأَعْيَدَتْ

اسلوبه الشعري

نشأ ابن الفارض في عصر زلت فيه الأناقة البدئية ثراً ونظماً أعلى درجاتها . فهو
عصر القاضي العاضل ، والمعاد الأصمعي ، وابن التوايضي ، وابن النيه ، والهاء ، زهير ،
وابن سناء ، الملت ، وابن السامعي ، وسواهم ممن عاصروا شاعرنا أو سبقوه قليلاً . وقد
عُرِفَتْ هذه الطبقة جميعها ، برأها الشديد بالصناعة اللغوية وتكلفت أنواع الدبج . ولم
يشذّ عنهم ابن الفارض ، بل لعله ائتمهم شأواً في ذلك . والتألق البدعي عام في جميع
قصائده بل في أكثر أبياتها . وأكثر ما يظهر في ما يلي -

الجناس (في أنواعه المختلفة) - ومنه

التام - بيت شعري هو كفى ما قد جرى مذ جرى ما قد كفى من مقالي

والملق - جنة عندي ربها انحلت أم حلت حبشها من حقي

المشتق أو شبه - دارُ خالد لم يدرك في حُلدي أنه من يَأْ عها يلق عي

وكثيراً ما يعني بجمع عدد من ضروب الجناس في بيت واحد - كقوله

رباينت بانث كذا من طويلع نسلع رسل عن حنة فيه حلت

ففيه الملق والمعرف وشبه المشتق

فذاك هوى أهدى اليّ وهذه على المرد اذ منت عن الرد اعنت

وبه شبه المشتق والتام والناقص

الطاق - علي بن هاتيك الحيام ضنية عليّ مجعبي سمحة نشتي

. . .

وبسط طوى قبص التناقي بطله لنا بطوى ولي بدعد عيشة

. . .

مي له دل الحصور ومه لي من النوع وقوة المتضعب

الطبي والشر - فصفي وسقي ذا كأي مواذي وذلك حديث النفس عنها برجمة

. . .

فقلبي وطرفي ذا نني حالها مسي وذا مفوي بلين قوام

. . .

ومعدي ومهدي لم يحل ولم يحل وروحي وحدي والغرام عوامي

وقد يحمله الشعب بهذه الصناعة على جمع بضعة من انواع الديدع - كقوله

وقالوا جوت حمرأ دمورك قلت من امور جوت في كثرة الشوق قلت

نحوت ضيف الطيف في حفي الكرى ترى اخرى دمي دماً فوق وحقي

ففي هذين البيتين جناس وطباق ومراعاة نظير وبجاز مرسل

وقوله

اي صبا اي صبا هبت لب سخرأ من اين ذباك الشدي

ذاك ان هالفت دبان الكلا وتحوشت بحودان كلبي

فلذا تروى وتروى داصدا وحديثاً عن نشة الحبي حبي

ففيه من الجناس التام والمعرف ، وفيه التناصب ، والطاق ، والطبي والشر

ومن مزايا أسلوبه . توهم التناقض . وهو ان يوهك بوجود تناقض في المعنى ،
والحقيقة غير ذلك . كقوله -

ما دين ضال المنعني وظلاله ضلّ التيم راهندي بضلاله

. . .

فلي بعد اوطاني سكوت الى العلا والوحش اندي اد من الانس وحشي

فلعل قار حواشي ان تنطمي هوب وارو ان لا تنطمي

وقلت برشدي والنسك والهوى تحاورا ما بيني وبين الهوى خلوا

ومن اجابا سعى لمن يينا سعى واعدوا ولا اعدوا لمن دانه العدل

ومنها اطف المارة والاشارة رحالة الحرس - ويؤكد بكون مذهبه العام . ولا بدع فوضوعه حتي والفاظه رفيقه مأروفة ، وهو يجمع بين سلاسة البهتري وصنعة الي قام جمعا اطيما قد يعلو به من كليهما . نعم تلك صفات الشعر العربي في كل زمان ، وسكن لابن الفارض نفس حاصر بتاز به - طبع روحي ينمكس على اسلوبه فيجبه الى القلوب برغم ما فيه من عيوب سياقي ذكرها . وو اردنا التذليل على ذلك لانيثا ، كثر ديوانه وانما نكتفي هنا بقوله -

يا اعدت سعاد من حبي حشني وسالقر اذيتها تنطف

فسمت ما لم تسمي ونطرت ما لم نظري وعرفت ما لم تعرفي

وقوله

زدي افرص الحب بك تحبوا وارحم حشا بظي هواك تسقرا

واذا كنتك ان ارك حقيقة فاعم ولا تحمل حواشي ، لن ترى

ومن حسنة دقة الوصف والتمثل . ونظهر في بلاغة تشايبه ، ووضوح رسومه المصورة كقوله -

خافيا عن عائد لاح كما لاح في برديه بعد الشرطي

فتشبه ما صر اليه من التحول فثر الطي في الثوب يدل على دقة في اوسم تدكر الشاعر . وقوله يصف شبرع الحمال الاسنى في كل شي . -

تراه ان عاب عني كل حارحة
 في نعمة العود والسوى ابراهيم ادا
 في مزارح عرلاب الخنثى في
 وفي مفاط ادا. العمام على
 في كل معنى لطيف واثق بهج
 تألفا بين الحنان من المزعج
 ورد الاصال والا صباح في اللج
 نشاط نور من الازهار منقج

الى آخر هذه الايات المشهورة .

وقوله يشبه تواحده بحال الطفل الذي يسكن من شد القباط ويحن الى الخلاص منه
 فينأغي ويهز فيجد في ذلك ما يسكنه وينسيه شد القباط - (الثانية ١٣)

ويُنْيِك عن شاني اريد ون نشا
 ادا ان من شد القباط وحن في
 بنه فيلعي كل كثر اصابه
 يسكن بالتحريك وهو نهد
 وجدت يوحد حدي عند ذكرها
 لبدأ بالهام حكومي ووصة
 نشاط الى تعريج المراط شدة
 ويصني من ناعاء كالتنصت
 اذا ما له ايدي مربيه هزتر
 تحير قال او بالحن صيت

وقس على ما ذكر كثير من لطائفه التي يشرح بها حاله فيصعب تأنيد الحب او جمال
 المحبوب او ضلال العذل ، وما اى ذلك ، يدغ فيه الطبقات العليا من الحيدل الشعري

. . .

عجوب اسلوبه

على ان في شعر ابن الفارض عيوباً لا يجوز الاضاء عنها انها
 تكرير المعاني - وذلك لطبعي في قصائد تدور على موضوع واحد ، وما اشبهه في
 ذلك بالي التمهية . على ان شعرة لا يكتفي بتكرير المعنى بل كثيراً ما يكرر العبارة
 وقد يكرر البيت في اماكن شتى . كقوله -

اخذتم مؤادي وهو معدي فما الذي يضركم لو كان ضدكم المكل

فقد جاء في قصيدة اخرى -

اخذتم فؤادي وهو بصي فادى بصركم و تشوه بحلتي
 وورد هذا المعنى مراراً في مواضع أخرى
 وقوله

كم لال الشك لولا انه ان عبي فيه م تنأي
 وتوه في موضع آخر

كأنني لال الشك لولا تأوهي خفيت علم نهد العيون لؤذيتي
 وقوله

ليت شعري هل كفى ما قد جرى مد جرى ما قد كفى من مقلتي
 وقد ورد أيضاً بقوله

قد كفى ما جرى دما من جفون بك فرحى فها جرى ما كما كا
 وقوله

فلو سبط حسبي رأيت كل حوهر به كل حسن به كل حنة
 ومثله

ولو سبط حسبي رأت كل حوهر به كل قف فيه كل حرام
 وقوله عن العبد

وسمها ميت ودمي عليه واكفائه ما ابيض حراً لفرقي
 ومثله

سهدي حي في حربي مخلد ونومي ها ميت ودمي ه عمل
 وقس على ما ذكر ما لم يذكر

وقد تجد قصيدة من قصائده تخلو من غلظة سائق الطعن ، والتقدم اليه ، يحمل

السلام إلى الاحباب ، وإن يذكر لهم صبيًا صريعًا يحيل اللحم إلى درعة أطفا .
ويكثر في شعره التقص من العذال واللائين ، وذكر ربح الصب التي يحملها بحمل
أخباره أو أخار الحبيب .

ومن عيوبه القموض - وهو له بعد اشارته وشطحاته ، حياء ، و تصعه في الصنعة
خذ قوله مثلاً

تاب بدر التام طيف حياءك اطرق بيضتي اذ حشاك
فتركت في سواك لعين بك قرأت وما رايت سواك
وكذاك الخليل قلب قلبي طره حين راقب الافلاك

ومعنى الايات - ظهر لي النور قائماً عندك مشعاً بغيرك ، و ظهر لي - و لك لان ميني
لا تشاهد الا جمالك . وكذا ابرهم الخليل كان يرفق السجود دحناً عن معشاه العظيم .
وفي هذا التركيب من التصف ما ترى .

وه من هذا القبيل ما يلتفت النظر . واعدض منه شطحاته وهي راجعة الى غرائب
ما يصفه من احواله الصوفية وهذه لا يفهمها الا ركب هذه الطريقة او المطلقون على
اسرارها .

اما عبوس الصديق معروف وهو يشارك فيه كل هل الهدمة ، ورمب قاقهم احياناً
لحارته الجمع بين عدة ضروب في معنى او بيت واحد .

• • •

وبرعم مقدرة الغربة وشاعريته المتدرة لا يحلو ديونه من هموات اعرابية او اعرابية
سكوره -

لو طويتم نصح جار لم يكن فيه يوماً يأل طياً يأل طي
وصحيحه يا لو طياً يا آل طي

وقوله يصركم و تنعوه بحسني - الصواب لو تنعونه

وقوله تاب بدر التام طيف حياءك - وصوابه من طيف حياءك

وقوله "لعل أحيائي بمكة يردوا" بذكر سيبي ما نحن الاضالع
وصوابه يردون

وقوله "ان لما في كل جرعة نذل" وصوابه نصلاً وقد يجوزونه بتقديم
صير الشأن فتصبح فانه الخ

وهو يسكت من استعنه لمة "اكلولي الداعيث" كقوله

وان كثروا اهل الضبابه او قلوا وقوله وان مزحوه عدلي
وما الى ذلك مما يلاحظ في تضائيف ديوانه .

ومن تساهله اللغوي قوله -

لم يرق بي منزل بعد النقا . وهو لطيف على ان من راق يتعدى رسماً يقال راقى ذلك
وليس ما ذكرناه بالذي يتعذر به ابن الفارض ، فقد مرّ ممسكاً على المتن
وغير المتن . وقبلنا بخلو ديوان من مثل هذه المفعولات ، واكثرها المحافظة على الوزن .

محرر

عرف ابن الفارض بأنه شاعر الحب . والندس في ذلك طائفتان ، اهل الظاهر ، واهل
الباطن . اهل الظاهر هم القائلون بأنه لا يخرج عن سبيل العشاق او العريبي الذين وصفوا
الحال الانساني (ولا سيما جمال المرأة) وتأثيره في نفوس المحبين . وقد مرا اليه بعضهم ولهم
بسماع افتاء من جوابه انه كان يرقص لذلك ويتواحد^(١) ومعنى هذا الظاهر يفترض حبه
وسمعه او على الاقل لا يتعزضون لما في ذلك من رموز صوفية . ذكروا ان بعضهم في
عصر الحافظ ابن حجر كتب عن الثانية شرحاً ، وارسله الى بعض عظماء صوفية الوقت
ليقرطه ، فاقام عنده مدة ، ثم كتب اليه عد ارسائه الجواب اليه

سارت مشرقه وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

« فبين ما في ذلك ، فعل : مولانا اشرح اعني درجاع الصنائع واستد واختر وحاس
والاستعداد ، وما هذالك من اللذة والبديع ، ومراد بخاصه وراء ذلك كله » (١)

ومن نظر الى الديوان نظراً ظاهرياً ابن ابي حجلة . وقد قال في وصفه (٢) وهو من
ادق الدروب شعراً ، واعضاها درأ برأ ونحر ، واسرعها الى القلوب جرحاً ، وكثرتها على
الطلول نوحاً ، اد هو حسانر عن نغمة مصدر ، وعاشق مبحور ، وقبيل بحر الدوى
مكسور .

ولا يقصد ابن ابي حجلة بالمشق هنا النوع الصوري الذي يرمي الى الجمل الاعمى ،
اد لمعروف عنه انه كان من سببي الاعتقاد ماين العريض (٣) ، بل يقصد ما يذهب اليه
كثيرون من ان عرله عرل عادي كعزل ابن ابي ربيعة ، وعاس بن الاحنف ، والهاء
زهيد وسوهم . ولا ينكر ان شهرة شاعرنا قائمة عند الجمهور على هذه الوجهة الظاهرية ،
فهم يخطون قصائده ويرددونها لضربها على اوتار العرام ، ولاها تلاثم ما يشعرون به من
خوالج اوحاد والهام . على ان شعور الجمهور لا يحتم عيناً ان يضرب اليها كذلك . ومما
حاشا ان تضرب صفحاً من تصوفه فان من قصائده ما لا يفتر الا تفسيراً باطلياً او
رموياً (صوفياً) . ومن ذلك قصيدته الحمزية ، واليك مثلاً منها -

ولو حُلِيتُ سرّاً على اكبر عدا	نصراً ومن راودها بسمع الضم
وبو ان ركبا يشموا ترب ارضها	وفي الركب ملسوح لما ضربه السم
تقدّم حكل الكائنات حديثه	قديماً ولا شكك هناك ولا رسم
وقامت به الاشياء ثم لحكمة	بها احتجعت عن كل من لا به فهم
وهامت به دوحى بحيث قازجا	اتحاداً ولا جرم تخلسه جرم
وقالو شرت الائم كلاً واي	شرت التي في تركها عدي الائم

والذي يقرأ هذه القصيدة ويتفهم معانيها ومرامها ، ثم يقابلها بحمريات ابن نواس
مثلاً يرى فرقاً واضحاً براء ما قد يتوهم من تشابه الصفات في الحرف المراسية والعارضة

• • •

(١) شذرات الذهب ٥ - ١٥١

(٢) الديوان ١١

(٣) ٤ ١٥١

واهم من هذه الحجرة وسمى تصوراً تازيته الكدوى « او نظم السلوك » التي مطبوعها
سقتي حبر حب رحة مقاتي وكامبي بح من عن الحسن حن
وهي قصيدة فريدة في لادب العربي ، وكما يقول المستشرق العلامة هاسر في مقدمة
ترجمته « اما اسمي ما وصل الياس هذا الفيل في ادب الشرق والعرب ^(١) . ويقابلها
« بشيد الانشاد » في النور ، فقول « هي نشيد انشاد العرب في الحب الصوري ولان
قصرت عن « نشيد الانشاد » في الصور الطبيعية ، فانها تعوقه في الرموز التصورية ^(٢) .

...

والمروري انه لم يطعمها عن حد نظم اشراء اشراهم بل كانت تحصل له حداث
يفيب فيها عن حواسه ودق امل ما فتح الله عليه منها ، ثم يدع حتى يعاوده ذلك
الحال ^(٣) .

ويصوب ولده هذه الميونة يقول « كان الشيخ في عاب اوقافه لا يزال دهشاً ،
ودهره شاحصاً ، لا تسمع من يكتبه ولا يراه : فتارة يكون واقفاً ، وتارة يكون
قائداً ، وتارة يكون مضطجعاً على حبه ، وتارة يكون مشعياً على ظهره مسجياً كالميت .
ويؤثر عليه عشرة ايام متواصلة ، وقل من ذلك واكثر ، وهو على هذه الحالة - لا يأكل
ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك - ثم يستيقظ وينبث من هذه الغيبة ، ويكون اول
كلامه انه يلقي من قصيدة « نظم السلوك » ما فتح الله عليه ^(٤) .

وعلى ما رووه من عيشه يعيش المستشرق الأستاذ نكسون بقوله « ما لا نرى لزماً
ان نشك في صحة ما رووه ففي التاريخ ما يذكىه - هذا بلايت Bible فقد قل عن
نفسه ان سكرة روحية كانت تفتشه كلما امس القلم او المرة - وسات كاترين اوف
سيانا كانت تلي احاديثها على كتبها وهي في حالة الوحدة او الغيبة (Ecstasy) . وكان

(١) مقدمة الترجمة XX (فيينا ١٨٥٦)

(٢) (٣) الديوان ١١

(٣) مقدمة الترجمة VIII

خلال الدين الرومي ، اذا عاص في بحر المحبة ، اسك بصعود في داره واحد يدور حوله وفي خلال ذلك ينظم وعليه (١) .

فليس من الغريب ان تأخذ « الحال » شاعراً رقيق الشعور شديد التأثير كابن الفارض .
والذي يتأمل تأليته المعجبة يرى فيها آثار تلك الحال ، كقوله -

ودأبني منها ذهولي ولم أبق	عليّ ولم انفُ العاني نظمتي
فاصبحت فيها والم لا حياً بها	ومن ولّيت شغلها عنه الهت
ومن شغلي غني شغلت قلوبها	فقضيت ردى ما كنت دري منقلي
وما لكت في نفسي بها متذذاً	لنشوة حبي والخاصن حربي

وقوله -

بشعرها فسكرني بطرف تجلي	ويسمها ذككري سمع نظمتي
ويحصرها للنفس وهي تصوراً	فحبها في الحسن وهي نديتي
فدمعت من سكرني بنير مدامة	والطرب في سرّي ومنّي طرقتي

وإذا يشير الى انه نظم كثيراً منها على اثر تواجد او « حال » ان المعاني تتكرر فيها على طرق شتى . ففي نفس الشاعر شوق مستر يحمله الى العلى ، وكثيراً ما يحجب عنه ابواب التأمل المنطقي . على انه يثير شعوره فيظهر في أبيات او قطع قد تختلف لفظاً ما نظم قبلاً ولكنها لا تختلف مضمناً . ومن ذلك « نظم ما نظمته في الجمع والاتحاد والعنا والصحو وما شاكل من هذه المعاني التي كانت تشغل عقله فاذا عاب تصارعت الى حاطره قائل لسانه . واذا امّرض ان الصنعة الدنيوية فيها تعارض ذلك لتطهرها التدقيق في التركيب وامتلاك الحواس في اختبار الاتحاد المناسبة ، فمنا قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه ليس بمعتم . واذا كان رحن كابن الفارض مشغ الروح بالتأملات الصوفية ، وكان مع ذلك واسع الاطلاع على لغة عصره الشعرية يخزن في ذاكرته الكثير من اوضاعهم واساليبهم ، لم يستعمل عليه حتى في حال ذهوله ان يث شعره بواسطة تلك الاوضاع والاساليب .

فالتأني الكرمي شديد، لوحده الروحاني . فيها نغم بذلك الحب الاسنى الذي يملك
على الدظم حوسه فيسكوه وينقله من عالم المادة الى عالم الروح . فيها ترى ذلك العراك
المستمر بين الصلاح والشر وذلك القرز الهاني الذي انما يتال مشهده خلال الاهي —

وما هو الا ان ظهرت لناظري ماكمل اوصاف على حسن اوت
حليت لي ادموى غثيت بينها وبسي فكانت منك اجمل زينة

وما الحب الحقيقي الا الذي ينتهي بتلاشي ارادة المحب او اتحاده في حقيقة المحبوب

وعنت من افرود نعمي بحيث لا يزاحمني ابداء وصف محضرتي
وها انا اندي في اتحادي مداني وانهي اتمني في تواضع رعتي

اما الحال فهو الحال المطلق الذي يتعالى في كل ما هو جميل في الطبيعة والانسان
وصرح باطلاق الحال ولا تقل بتقيده ميلاً لزحف ربنه
فكل مبيع حسنه من جمالها معار له من حسن كل مبيعه

وحب الحال هو حب الله نفسه وهو عند ابن الفارض اعلى من مادة الدنك ومن
عبادة المثقلين انفسهم بطواهر التقليد والنقل

وطب بالهوى نفساً فقد شئت انصرف العاد من المبدأ في كل أمة
وقر بالعلي والخير على ناسك ملا بظاهر اعمال ونفس تركت
وجز متغلاً لو حب طبع مؤتملاً يقول احكام ومقول حكمة
واحر بالولا مبراث ارفع عارقه عدا هذه ايشار تثير هذه
وقه ساحاً بالشعب اذبال عاشق يوصل على اعلى المحرقة جوت

على ان الحال الانساني لا يمكن مشاهدته الا بعد التحرر من اثرات العقل والحس

الى ان بدا مني لصيني بارد وفان سا فخري وبانت دحني
هاك الى ما احجم النقل دونه وصلت ولي مني اتصالي ووصلني
واستار لبس الحس لما كشفها وكانت لها اسرار حكمي ارجت
دفعت حجاب النفس عنها بكشفي النقاب وكانت من سؤالي محبتي

ومتى شاهدت النفس المتحررة الحال الاسنى تاورت لديها الاسماء والصفات واصبحت

هي والوحد الالهي شيئاً واحداً ، فرأت في كل الاشكال معنى واحداً

ترى صور الاشياء فحلى عليك من وراء حجاب اللس في كل يخلق
تحدثت الاضداد فيها لحكمة فاشكالها تدور على كل هيئة

وكل الاديان مظاهر لدين واحد حتى عند الاوثان ليس عبادتهم في الحقيقة الا انحاء
نحو الجلال الالهي المطلق

فما قصدوا عيري وان كان قصدهم سوي وما لم يظهروا عقد بية

وشيوخ مثل ذلك في شعره أشبه البعض بالحلول^(١) وكهروه ، حتى قال المناوي
وهو من المدافعين عنه^(٢) - « واحاصل انه اختلف في شأن صاحب الترجمة (ابن الفارض)
وابن عربي ، والعميد التلمساني (وهاب وهاب) يهددهم من الكفر الى القبطانية ،
وكثرت التصانيف من التبريق في هذه القضية » على ان شعرنا يدافع عن نفسه فيقول

وكيف وباسم الحق ظل تحققي تكون اراجيب الضلال عيقتي
ولي من اصح الرؤيتين اشارة تراء من رأي الحلول فقيدي
وفي انذكر ذكر اللس ليس عسكر ولم اعد من حكمتي كتاب وسنة

فابن الفارض لا يتمدد في شعره الطريقة الحدلية ، ولا يدخل في مضال فلسفي يدهمه
بالادلة والذرائع ، بل هو يصور الوحد بالوان الحال المطلق ، ويندفع من عواطفه حلة
صداها ولحمتها الحب المسكور ، حلة تلبسها النفس فتحتجب عن علاقاتها المادية ، وتعلمو في
لوح النضا الى حيث تترج بروح الكون . وفي ذلك المقام تصل الى الوحد فلا ترى
فيه الا شكلاً واحداً ولولاً واحداً وقوة واحدة .

الحب هو نشيد ابن الفارض وهو - سواء نظرت اليه من جهة الظاهر او جهة الباطن -
حب سام يرفع النفس الى المثل العليا ، ويكشف عن حال الوحد الاعظم .

وما مني ، وعتب ، وربي ، ولسي ، وليلى وسواهن عنده الا مرايا تعكس لنا نور
المحبوب الالهي

والتوحد ، والشوق ، والوصول ، والمحرم ، والعدل ، والتعذيب ، والنذل ، والدجل ،
والموت ، والفقر ، والرفاء ، والظلم ، والعتاب ، والرضا واضراب هذه الاوضاع العريضة
الا اختارات نفس شديدة الاحساس في سبيل نحو مصدر محال
وما مرايع الحجاز الا زمر المرايع العنوة ، وبذلك تراء يردد ذكرها في اكثر
قصائده ، فيقول مثلاً

يا ساكي البطحا ، هل من هودجر احيا ٣ يا ساكي البطحا

. . .

لا تسبي عن هوى مرتقي عدوتي تيمس ربع شتي

. . .

قسماً بمكة وانفدم ومنى البيت اخراى ، اياً سبى
رثمت ربيع الصا شيع الى الأ واهدت منكم فراها

نبت هي عاصفته الحاضرة التي تدور في اكثر قصائده . ومهما علا المشككون فانه
في تلك الصفحة ما يدر قولنا بصوفية شاعرنا وبنية حسنة .

المختار من شعر ابن الفارض

نفس رقيقة ترتفع على احنعة الحب الى العلى ثم تذوب في الفضاء الواسع تاركة وراءها نغماً لطيفاً يوحى به الشعر فيطرب السامعين

بأنيته المشهورة

سائق الاطمان بطوي اليد طوي	منعاً عرج على كشدن نسبي ^(١)
وبذات الشيخ حتي ان مر	ت مجيذ من غريب الطرح حي ^(٢)
وتلف وأجر ذكرى منهم	مهم أن ينظروا مصداً الي
قل تركت اصلاً فيكم شعاً	ما له بمبراه الشوق في
حامياً عن عاتق لاح كما	لاح في برذيه بسد الشرطي
كهلال الشكر لولا أنه	أن عيني عينه لم تسأي ^(٣)
مبلاً لنساي طرفاً جاد إن	صنوه الطرب أن يسقط خمي ^(٤)
بين اهليه غريباً نازحاً	وعلى الاوطان لم يقطع لي ^(٥)
نسر العكاشح ما كان له	طارى الكشح قبيل التأخير طوي
في هواكم ومضان غمره	ينقضي ما بين احبائه وطوي ^(٦)
حائراً في ما اليه امرؤه	حائراً والمروء في الصفة عبي
يا هيل الود أني تنكرو	في كهلاً بعد عرواني فخي
وهوى الساذج عمري عادة	يحب الشيب الى الشاب الأحي ^(٧)

(١) طوي الاول مصدر طوى ، والثانية اسم قبيلة

(٢) ذات الشيخ موضع ، الخرج مشطف الوادي ، والحي (الثانية) اي سلم

(٣) هو في الغناء كالهلال الذي لم تثن رويته ولولا انبه له راب عيني داته (عينه)

(٤) ساكب دموع طرف يورد اليك ، وإن جل نعم « الطرف » عند سقوطه بالمر

(٥) لي اي عطف

(٦) بين سر وروح (٧) الاحي اي الاسود الشعر

ومنى اشكُ جواحاً بالحشا
عجباً في الحرب أدمى بأساً
هل صحتم أو رأيتم أسداً
وضع الآتي بصدري حكمة
مقهي من شتم أجانعكم
رجع اللابي عليكم أنساً
أبينه مني منكم كما
ظل يهدي لي هدى في زعمه
ذات اروح اشتاقاً فمي
فهوا صبي - ما أجدى البكا -
أو حث سأل وما اختاره
بل أيسروا في الهوى أو احنوا

زيد بالشكوى اليها اخرج كي
ولها مثلاً في الحب كي^(١)
صاده لخط هياؤ أو ظمي
قال ما لي حيلة في ذا الهوى
وبمصول الشيا لي دوي
من رشادي وكذاك العشق مني
صمم من عذلي في أذلي^(٢)
ضل كم يهدي ولا أضفي لتي
بعد نقاد الدمع احرى عروني
عين ماء هي إحدى مبني
إن تزوا ذاك به مناً مني
كل شيء حسن منكم لدي

روح القلب بذكر المعنى
لم يرق لي منزل بعد النقا
آه واشوقي لضامي وجهها
فبشكل منه والاحاظ لي
جنة مندي ربها أملت
دار خلل لم يدور في خلدي

وأعده عند صمي يا أنبي
لا ولا مستحسن من بعد صمي^(٣)
وظلما قلبي لذيالك اللهي^(٤)
سكرة وأطرباً من سكوتي
أم حلت - عجلتها من حنتي^(٥)
أه من يسأ عنها يلق مني

خاطبة الخطب دع الدعوى فا
بالرقي ترقى الى وصل رقي^(٦)

- (١) كي حياناً
(٢) نصير لي وهو صورة في باطن الشفة أو ماء الشر
(٣) هي عدي حنة سواء أهدت أم غارت بالحب ويشير بالجملة الثانية إلى الساء
(٤) رقي اسم فتاة ويكنى جاعن الجمال الأسنى
(٥) هل هبت هبته عن حماكم كما صممت أدي عن سماع عذله
(٦) رقي اسم فتاة ويكنى جاعن الجمال الأسنى

رُحْ مَعًا وَأَقْتِمِ نَصْعِي وَإِنْ
 كَمْ قَتِيلٌ مِنْ قَبْلِ مَا لَه
 أَيُّ تَعْدِيدٍ سِوَى الْعَدْلِ
 إِنْ تَنِي رَاضِيَةً قَتَلِي حَوِي
 مَا رَأَتْ مِثْلَكَ مِثْنِي حَسَا
 نَسْتُ أَقْرَبُ فِي شَرِّ الْهَوَى
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ كُنْتُ مَا قَدْ حَرَى
 سِرُّكُمْ عِنْدِي مَا أَعْلَى
 مَظْهَرًا مَا كُنْتُ أَهْضِي مِنْ قَدِيمٍ
 يَا أَصْبَحَانِي قَدَى يَنْشَأُ
 يَلْبُوا رَوْحِي بِأَرْوَاحِ الْعَبَا
 أَيُّ صَبَا أَيُّ صَبَا هَجَّتْ لَنَا
 ذَاكَ إِنْ صَالَتْ رِيَانُ الْعَسَلَا
 فَمَا تُرَوِي وَتُرَوِي قَا صَدَى
 سَائِلِي مَا شَأْنِي ؟ فِي سَائِلِ الدَّمْعِ
 قُنْبٌ لَمْ تُقْنِبْ وَسَلَى أَلَمْتُ

شَتَّ أَنْ تَهْوَى فَيَقْبَلُونِي نَعْمِي
 قَوْدٌ فِي جَنْبَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ (١)
 مِنْكَ عَذِبٌ حَيْثَا مَا بَعْدَ أَيٍّ (٢)
 فِي الْهَوَى حَيٍّ أَتَجَارَأُ أَنْ تَنْشِي
 وَكُشْلِي بِكَ صَا لَمْ تَرِي
 مِثْنَا مِنْ نَسْبٍ مِنْ أَبِي
 مَذْجَرِي أَقْدَ كُفْيٍ مِنْ مَقْنَعِي (٣)
 عِزِّ دَمْعٍ عِنْدِي عَنْ دُمْعِي (٤)
 حَبِيبٌ صَا مِي طَلِبٌ
 وَابْعِدْ يَدَا لَمْ يَقْصُ حَيٍّ
 فَبِرِيَا يَبْعُدُ الْمَيْتُ حَيٍّ
 سَحْرًا مِنْ أَيْدِيكَ الشُّدْيِ ؟
 وَتَحَرَّشْتُ بِحُذَانٍ كَلِمَةٍ (٥)
 وَحَدِيثًا مِنْ قِتْلَةِ الْحَيِّ حَيٍّ (٦)
 سَائِلِي مَا شَأْنِي ؟ فِي سَائِلِ الدَّمْعِ
 قُنْبٌ لَمْ تُقْنِبْ وَسَلَى أَلَمْتُ

هو الحب

هو الحب فاسلم بالحناء ما الهوى سهل
 ومث خالياً فالحب راحة عسا
 ولحسن لدى الموت فيه صباة
 نصحتك طمأ بالهوى والذي ادى
 فان شئت أن تحبها سيذا فت به

فما اختاره مضى به وله عقل
 وأولهُ سقمٌ وآخره قتل
 حياة لمن اهوى علي بها الفضل
 يخالفني فأحقر لنفسك ما يحلو
 شيدا والا فالعرام به اهل

(١) أي هذا التعذيب (٢) أي هذا الذي لا بد لك من الكلال والصبر وتحوشت سبب الخوداد لي وادي
 الحبيب . ولذا قامت تروي صاحب المعشوق وتروي الحزن الصادق (الحي) عن وفاة علي
 (٣) يا من تحبني عما أصابي اطر الى الدمع السائل تجد فيه حواني . وتمت ودمع وري اماء وتيات

فتنُّ لم يمَّت في حبه لم يمَّشْ به
تلك ديار الموى وأجمع الجيا
وقل اقتيل الحبِّ وقيت حبه
تعرض قومٌ للفرام وأعرضوا
رضوا بالاماني وأثأوا بحظوظهم
ودون أجتناء النحل ما جنته النحل
دخل سبل الناسكي وإن جنوا^(١)
والدعي هيات ما الكحل الكحل
بجانهم عن صفتي فيه واعتوا
وخاضوا بحار الحبِّ دعوى فما أثأوا

. . .

أحبة قلبي والحصة شامي
مسي عطية منكم علي بنظرة
أجائي أنتم أحسن الدهر لم أسا
إذا كان حفي المجر منكم ولم يكن
وتعذيبكم عذب لدي وجودكم
وصدي صدي محكم وعليكم
أحدثت فزادي وهو بعضي فما الذي
نأيتهم فيعير الدمع لم أذ وأبى
فسهدي حي في جفوني خلد
هو طل ما بين الطلول دمي فين
نباهة قومي إذ رأوني متبها
ومادا عني عني يقل سوى هذا
وقال لسا الخبي عت^(٢) يذكر من
إذا انعمت نعم علي بنظرة
وقد صدئت مني برؤية غيرها

لديكم إذا شئتم بها أقص الحل
فقد نعت بيني وبينكم الرسل
فكروا كما شئتم أيا ذلك الخل
بماذ فذاك المجر عندي هو الوصل
علي يا يقضي الموى لكم عدل
أرى أبدأ عندي مرارة تحلو
يضركم لو كان منكم الكل
سوى زفوة من سر نار الجوى تملو
ونومي بها ميت ودعني له قل
جفوني جرى بالسفع من سفح وبل^(٣)
وقالوا عن هذا الفتى من الخل ؟
بنعم له شغل نعم لي بها شغل
جفاا وبعد المر لئلا الدل
فلا أسدت سدي ولا أملت حن
ولثم جفوني تروها للصداء يحاو

(١) أحب الجمال الاسى والتادي فيه (على طريقة الصونية) هو اصل الطرق فسر به ولو خالعت اهل الطرق الاخرى

(٢) موى مدر دمي بين طلول الاحبة يجري من حموي لذلك وابل من الدموع

(٣) حنا به أي اسدوا ذكر من جفاا

وقد علموا أنني قليل لحاظها
 حديثي قديم في هواها وما له
 وما لي مثل في عرامي بها كما
 حرام شفا سقمي لديها رحيب ما
 ظلي وإن ساءت فقد حسنت به
 ولي همة تطو إذا ما ذكرتها
 جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
 فنافس بذل النفس فيها أنا الهوى
 فتن لم يجد في حار نعم بنفسه
 ولولا مراعاة الصيانة خيذة
 لقلت لئلا الملاحاة أقبلوا
 وإن ذكرت يوماً فغفروا لذكرها
 وفي حبها بعث السعادة بالشقا
 وقلت لرشدي والتشكك والتقي
 وفرغت قلبي من وجودي علماً
 واهبوا إلى العدال حلاً لذكرها
 فإن حدثوا منها ففعلني سامع
 تخافت الأقوال فينا قايماً
 نشنع قوم بالوصال ولم تصل
 فما صدق التشنيع عنها لشقوتي
 وكيف أرتجي وصل من لو تصورت
 ترى مقاتي يوماً ترى من أحبهم
 وما يحوا معنى أراهم معي فإن
 فهم نضب مني ظاهراً حيث أسروا
 لهم ابدأ مني حنو وإن جفوا

(١١) فأن لها في كل جادحة نصل
 كما طعت بعد وليس له قبل
 عدت فتة في حسنها ما ما مثل
 به قصت لي في الهوى ودمي حل
 وما حظ قدر في هواها به أعلو
 وروح بذكرها إذا رخصت تقار
 فاصبح لي عن كل شغل بها شغل
 فان قبلتها منك يا حبذا البذل
 ولو جاد بالدينا اليه انتهى البخل
 ولو كثرُوا أهل الصباة أو قلوا
 إليها على رأي وعن غيرها ولوا
 سُحوداً وإن لاحت إلى رجبها صلوا
 ضللاً وعقلي عن هداي به قتل
 تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا
 ليلي في شغلي بها متها اخلوا
 كأنهم ما يفتنا في الهوى دسل
 وكلبي أن حدثهم ألسن تسلوا
 برجم ظنون بيننا ما لها اصل
 وارجف بالسوان قوم ولم أصل
 وقد كذبت عني الارجيف والنقل
 حماها المني وهما لهافت بها السبل
 وبمضي دمري ويجمع الشمل
 نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل
 وهم في فؤادي باطناً ايها حلوا
 ولي ابدأ ميل اليهم وإن ملوا

(١١) الأصل فإن لما صلاً وسكنهم يجرحون الاعراب بتهديرهم ضمير الشأن فكأنه يقول قد
 لما الخ (١٢) مثل الثانية معدل مثل أي منع أو ريب

١٥ القنيل

ما بين معتزك الاحداق والنهج
 ودعت قبل الهوى روحي لا نظرت
 لله اجساماً عينيك ساعرة
 واضلعت نجلت كادت تقربها
 وادمع عمت لولا النفس من
 وجداً فيك اسقام خفيت بها
 اصحت فيك كما اميت مكتنباً
 اهلوا الى كل قلب بالفرام له
 عذب بما شئت غير اليمد عنك نجد
 وخذ بقية ما ابقيت من رمي
 من لي بالثلاف روحي في هوى رشاً
 من مات فيه غراماً عاش مرتقياً
 محجّب لو سرى في مثل طرته
 وان ضللت بليل من ذوائه
 وان تنفس قال المسك معقفاً
 يا ساكن القلب لا تنظر الى سكي
 تشارك الله ما احلى شمائه
 يهوى لذكر احد من ليج في عذلي
 وارحم العرق في مسراه متباً
 تراه ان غاب عني حكل جارحة
 في نقة الدود والنبي الزخير اذا
 وفي مساح غزلان الحماثل في

انا القنيل بلا ثم ولا مرج
 عيني من حسن داك لمطر الهج
 شرقاً اليك وقلب بالفرام شج
 من الهوى كبدي الحرى من العوج
 ناله الهوى لم اكذب انجو من اللجج
 عني تقوى بها عند الهوى حجبني
 ولم اقل حراماً يا ارسى انفرجي
 شغل وكل لسان بالهوى ليج
 اوى محب بها يرضيك بهج
 لا خير في العجب ان اتقى على المهج
 حارب الثبائل بالارواح بمقج
 ما بين اهل الهوى في ارفع الدرج
 اغنته عروته الفرا من الشرج^(١)
 اهدى لسني الهدى صبح من البج
 لمار في طيه من شره ارحمي
 واربع مؤاذك وأحذر فتنة الدمع
 فكم اماتت واحيت فيه من صبح
 جمعي وان كان عذلي فيه لم يلج^(٢)
 لتفرد وهو مستحي من الفلج
 في كل معنى لطيف رائق هج
 تألفا بين أخان من المزج
 برد الاوائل والا صباح في الداج

(١) اي لو سرى في ليل امود كشره لكان من ممره يود يديه عن الشرج

(٢) اي يجرى سميان يسبح كلام المادل لانه يذكر الحبيب وان كان (سمي) لا يدل الدل

وفي ساقط انداء النعام على وفي صاحب اذبال النسم اذا
 اهدى اليّ سعيّاً طيب الاربع وفي التثاميّ تفرّ الحساس مرتشفاً
 ريق المدامة في مستزود فرج لم ادر ما غربة الاوطان وهو معي
 وباط نور من الازهار منتج وخاطري اين كنا غير متزعج

قلبي يحذّني

قلبي يحذّني بانك متلفي لم أقض حق هورك ان كنت الذي
 ما بي سوى روعي وبازل نسي فلان رضيت بها فقد استغثي
 يا مانمي طيب المسامر وما عني عطفاً على روقي وما ابقيت لي
 فالوجد باق والوصال محاطلي لم اخل من حيدر عليك فلا تضع
 وأسأل نخوم اليل هل زاد الكرى لا عروا يا شجرت بفض حفرها
 وبها جرى في موقف التوديع من ان لم يكن وصل لديك فمد به
 فالطل منك لدي ان هو الوفا اهنو لانفاس النسم تملأ
 فلعل فار جواغي بها يا اهل ودي انتم املي ومن
 عودوا لا حكتهم عليه من الوفا وحياتكم وحياتكم قسماً وفي
 روعي فداك عرفت ام لم تعرفي لم اقصر فيه اسى ومثلي من يفي^(١)
 في حذر من يهواه ليس عسرف يا خيبة المسمي اذا لم تسيف
 ثوب السقام به ورجلي التلطف من جسمي المضي وقلبي التذلف
 والصد فان واللقاء مسوفي سهري متشابع الجبدل المرحف
 حفي وكيب يزور من لم يعرف حيني وسكت بالدموع الذرف
 ألم التوى شامت هول الموقف^(٢) اسلي وماطل ان وعدت ولا تني
 يحلو كوصل من حبيب مصف ولوحه من نقات شداه تشوّي
 ان قنطي ، واود ان لا تنصي ناداكم يا اهل ودي قد كني
 كرمأ فاني ذلك الحبل الوفي عمري بغير حياتكم لم اظف

(٢) الموقف يوم الحساب في الآخرة

(١) انقص الاول اودى . والانية اموت

لو أن روعي في يدي ووهتها
لا تحسولي في الهوى متصعاً
أهيت حبكم دغاني أسي
وكتمة عبي ملو ابدية
ولقد اتول لمن تحرش بهوى
انت القليل ماي من احته
قل للذول اطلت لومي طامع
دع ملك تميفي ودق طعم الهوى
روح الخفاء محب من لو في الدجى
وهواه وهو أيتي وحكي به
لو قال تبها قف على جور النضا
لا تسكروا شفي « يرضى وان
قلب الهوى فاطمت امر صابتي
مهي له ذل الخضوع رسمه في
ألف الصدود ولي فؤاد لم يزل
لو احموا يعقوب ذكر ملاحه
او لو رآه عائداً أيوب في
كل الدور اذا تجلى مقلاً
ان قلت عندي فيك كل صابة
كملت حاسة فلو اهدى النسا
وعلى تعش واصفيه بحنه
ولقد صرعت لحد صكالي على
أهد أخني وعني محدشه
لأرى عين السمع شاعد حسنه

لندشري بقدمكم لم أنصف
كفي بحكم خلق بعير تكف
حتى عمري كدت منه احتي
لوجدته أخني من اللطاف الحفي
عرضت نفسك لالا واستهدف
فاقر نفسك في الهوى من تصطني
أن ابلاد عن الهوى مستوقي
داد عشقت وعدك دك عت
سفر اللثم نلت بايدراً أحف
قدماً اككاد حبه كالمصعب^(١)
نوفت بمثلاً ولم اتوقف
هو بالوصل علي لم يتعط
من حيث عيه صابت نهي مهي
عز السوع وقوة المستضعف
مد كمت غير وداده لم يالف
في وجهه نبي الجبال اليوسي
سنة الكرى قدماً من البلوى شي
نصو اليه واكل قمر اهيب
قال الملاحه لي وكل الحن في^(٢)
للدر مد تمامه لم يحف
يفي الزمان وفيه ما لم يوصف
يدر حسه طمدت حسن تصر في
وانه على سعي حلاه وشف
معني قانعني بذاك وشرف^(٣)

(١) البقي اي قسيمي . والمصعب القرآن الكريم

(٢) اي وكل الحس في

(٣) عيني محدشه لأرى جماله عن طريق السمع وقد جعل السمع عيناً عن طريق الجوار

يا أختَ سعدٍ من حبيبي حنتي
قسمتُ ما سم تسمي ونظرت ما
ان زار يوماً يا حشائي تقطلي
ما للزوى ديبٌ ومن اهوى معي

ورسالة اديتها بتلطف
لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي^(١)
كيفاً به او سار يا عين أذرفي
ان غاب عن انسان عيني فهو في^(٢)

زدني بفرط الحب

زدني بفرط الحب فيك فخيّر
واذا سألتك ان ادرك حقيقة
يا قابُ انت وعدتي في حبيهم
ان العرام هو الحياة فت به
قل للذين فقدوا قلبي ومن
عني خذوا ولي اقتدوا ولي اجمعوا
واقعد خارت مع الحبيب ويمس
والباح طرقي نظرة املتها
فدهشت بين جماله وجلاله
فأدرك طاطلك في محاسن وجهه
لو ان كل الحسن يكتل صورة

وارحم حشي بطلبي هوانك تسفرا
فاسمح ولا تجعل حواني بن ترى
صداً خفاذراً ان تضيق وتضجرا
صباً خطك ان تموت وتعدرا
بدي ومن اضحى لاشعالي يرى
وتخذثوا بصباقتي بين الوردى
مر ارق من النسيم اذا سرى
فقدوت معروفاً وكنت منكراً
ومدا لان الحال عني يخبر
تلقى جميع الحسن فيه مصوراً
وراء حكان مهلاً ومكثراً



(١) اي الفتاة المنتهية الى قبيلة سعد حيث حملت في رسالة الحبيبة واكتك لم تسمي بها ولم
تدري ما سمعت وعرفت اما (٢) اي في القلب

محتويات الكتاب

ص	ص
٢٩	٧-٥ نظرة عامة في الادوار السياسية
٣٠	في العصر العباسي
العرب في الامصار	٧ التنافس بين العناصر
٣٢ الاقتراح بالزواج	١٠ تحزؤ الخلافة
٣٣ تعريب الامم المطلوبة	١١ الامارات المستقلة في بلاد عارس
٣٤ حضارة بغداد	١٢ الامارات التركبة
٣٥ الحماية والمصادرة	١٣ الاحادات العربية
٣٧ امثلة من بذخ العاسيقين ملابس	١٣ الدولة العاطمية
الموفق والمكتمل	١٤ الدولة الاندلسية
٣٧ جواهر المقندر	١٥ تأثير هذا التحزؤ في الادب
٣٨ بذخ لم جعفر وام المستعين	١٦ الحركات الهدامة الداخلية
الهادي والرشد والوائق	١٦ حركات الخوارج
الولائم والافراح والمساكن	١٧ حركات العلوية
٣٠ العمران الزراعي والتجاري	١٨ الزيج
١٣ بعض صور اجتماعية يمكنها	١٨ القرامطة
الاحب - الجوالي والنلمان	١٩ الخشاشون
١١ مجالس الشراب	٢٠ العوامل الهدامة الخارجية - غارات
١٥ التائق في الفنون المصرية	الروم
انقشار المدارس والطوم	٢١ غارات الصليبين
١٦ ظواهر الحركة الفكرية العامة	تطور الحياة الاجتماعية
مجارى الحركة الفكرية	٢٣ الحضارة في فجر الاسلام
١٧ مصادرها الرئيسية - اليوناني	٢٤ الدولة الاموية

٥١ المصدر الفارسي

٥٢ المصدر الهندي

٥٥ البخاري الفكرية الكعدي - الفلسفة
الكلام -

٥٧-٦١ المعتزلة - بشأنها - مبادئها

٦١-٦٣ الاشعرية وتعاليمها

٦٣-٦٧ التصوف ، نشأته - مبادئه

خصائص الشعر العباسي

٧٠ الشعر الوجداني والموضوعي

٧١-٧٤ التجدد في صناعة الشعر - رقة

المباراة

٧٥-٧٨ التمن في المعاني

٧٨-٨٠ البديع اللغوي

٨١ التوسع في المصطلحات النغمية

٨٢ امراء الشعر المولود

٨٤ ابو نواس - مصادر دراسته

٨٥ بينته وعصره

٨٧-٩٠ ميله الى الشعبيية

٩٠-٩٣ مقامه الادبي واسلوبه

٩٣-١٠١ شعره - المقلد والمجدد

١٠١-١٠٨ شخصيته ونظيره الى الحياة

المختار من شعره

١٠٩ دح منك لومي

١٠٩ دح الربع ما للربع فيك نصيب

١١١ ذكر الصبوح بسحرة فارثاها

ما زلت استل روح الدن في لطف

عاج الشقي على رسم يسائله

١١٢ خفيت عليك محاسن الحر

١١٣ ودار ندامي عطاولها وادجلوا

وكتيان صدق قد صرعت مطيهم

١١٤ قدوت على الذلات منبتك السحر

يا شقيق النفس من حكم

١١٥ اذا خطرت منك الموم فداوها

١١٦ لا تحشمن بطارق الحدان

اني مشقة وما بالعشق من باس

١١٧ اذا التقي في النوم طيعاها

بعض اقواله في جنان

١١٨ يا دار ما فعلت بك الايام

وعظمتك واحطة القتيار

١٢٠ سحر الله للامين مطايا

انت يا ابن الربيع الزمتني النسلك الفخ

١٢١ اياوب وجهه في التراب حقيق

خل جنيتك لوام

الم ترني ابحت الاله نفسي

ايا من بين باطية ورق

دب في لواء سقلا وعلوا

١٢٢ ابو العتاهية - مصادر روايته

١٢٥ نسبه وزندقته

١٢٧-١٣١ حياته الادبية - انصرافه

الى الزهد

١٣١-١٣٤ رسالته الشعرية

١٣٤ ابو القاسم و ابو نواس

١٣٥ حكمه

١٣٨ شاعريته

١٣٩ مزايا شعره - السهولة

١٤٠ رشاقة التعبير

١٤١ سرعة الخاطر

١٤٢ هيبوب شعره

المختار من شعره

١٤٥ نصبت لنا دون التفكير يا دنيا

بكيك على الشباب بدمع عيني

لذوا الموت وابنوا للخراب

١٤٦ طلبت المستقر بكل ارض

احوي مرأيا بقبور

١٤٧ حق متى يستغري الطمع

١٤٨ متى تنقض حافة المتكبر

بليت وما تلي ثياب صاكا

١٤٩ نعي نفسي الي من الليالي

لن طلل اسائه

١٥٠ الا هل الى طول الحياة سبيل

١٥١ اتدري اي ذل في السؤال

تأدت بوشك لرحيلك الايام

١٥٣ سكن يبقى له سكن

١٥٣ الدهر ذو دول والموت ذو علل

١٥٦ ابراهيم - مصادر دراسته

١٥٧ قوطبة تاريخية

١٥٩ اهم مدوحيه

١٥٠-١٦٣ شخصيته - منقراه - امجابه

بنفسه

١٦٤ خصائصه الفنية

١٦٤-١٧٠ التائق البديعي

١٧١-١٧٥ تقنيته المنوي

١٧٦-١٨٢ شغفه بالامراب ودوامي غرضه

المختار من شعره

١٨٣ السيف اصدق انباء من الكتب

١٨٧ من سجايا الطلول الأتجيا

١٨٩ على مثلها من اربع وملاص

١٩١ اهن عوادي يوسف وصواجه

١٩٢ دية صحة القياد سكوب

١٩٣ فلت تستجير الدمع خوف نوى قد

١٩٥ الحق ابلج والسيوف عراد

١٩٧ اجل آتيا الربيع الذي خف آله

١٩٨ كذا فليجل الحطب وليفدح الاسر

٢٠٠ دموع اجابت داعي الحزن هتج

٢٠٢ البصري - مصادر دراسته

٢٠٣ قوطبة تاريخية - اطوار حياته الثلاثة

٢٠٥ مدوحه

ص

٢٠٧ وله بالحر

مذهبه العباسي

شعره في ديوانه

٢٠٨ رأي النقدة في أسلوبه

٢٠٩-١١٤ مواضعه الشعرية

٢١٠-٢٢٠ مزبته الفنية - الوصف

٢٢٠-٢٢٣ غزله - حنينه الى وطنه

المختار من شعره

٢٢٤ ايذك ما يفتك يسري لؤبنا

٢٢٦ سلام عليكم لا وفاة ولا عهد

٢٢٨ انا انقي ان يكون رشيدا

٢٢٩ انقي هوى نك في الضلوع واظهر

٢٣١ اتم تر تغليس الربيع المبكر

٢٣٣ صنت نفسي عما يدنس نفسي

٢٣٥ قل للسحاب اذا حدثه الشال

٢٣٧ ميلوا الى الدار من ابلى محبتها

٢٣٩ أأفاق صب من هوى فأفبقا

٢٤٠ رحلوا فاي غزوة لم تسكب

٢٤٤ ابن الرومي - مصادر دراسته

٢٥٥ سيرته

٢٤٦-٢٤٨ حاله مع محدويه

٢٤٩-٢٥٠ حاله مع الزمان

٢٥١-٢٥٦ عقلية واثرها في شعره

٢٥٦ شعره وشاعريته

ص

٢٥٧ القول بالوحدة في قصائده

٢٥٨ مزاياء الفنية - طرول النفس

٢٦١ استيقا المعنى وتقضي الاغراض

٢٦٣ دقة احاسه - مجازة المرسل

المختار من شعره

٢٦٧ كنى بالشيب من ناء مطاع

٢٧٠ شاب راسي ولات حين مشيب

٢٧١ بكأؤ كما يشفي وان كان لا يجدي

١٧٣ امامك فانظر اي مهجيك تنهج

٢٧٥ ذاد من عقتي ليلد المنام

٢٧٨ يا اخي اين ربيع ذاك اللقاء

٢٨٠ يا خليلي تيسني وحيد

٢٨١-٢٨٤ مقطعاته الحكيمة

٢٨٦ المتنبي - مصادر دراسته

٢٨٧ نشأته الاولى في العراق فالشام

٢٨٨-٢٩٠ اسباب سجنه وتلقيبه بالمتنبي

٢٩٠ تردده في الانطار الشامية

٢٩٠ في حلقة سيف الدولة

٢٩٣ في مصر - عند كافور

٢٩٦ بين العراق وقارس

٢٩٧ مقتله

٢٩٨ مزاياء المخلقية - تعاظمه

٢٩٨ صو - سياسته

٢٩٩ شعوره بالتمروق

٣٠٦ طموحه الى الجدد

٣٠٧ عصيته العربية ونسبه

٣٠٨ شهرته الشعرية

٣٠٩ شراحه ونقاده

شخصية الشعرية

٣١٠ مواطن الشباب ونفثات الالم

٣١١ الجهاد والبطولة - في حلب

٣١٢ النبط من الماضي والامل بالمستقبل

في مصر

٣١٣ شعره في العراق وفارس

المتنبى في حكمه

المختار من شعره

٣١٤ كم قتيل كما قتلت شهيد

٣١٥ في الحد ان حزم الخليل رحلا

٣١٦ فدينك من ربيع وان زدتنا كربا

٣١٧ على قدر اهل العزم

٣١٨ واحر قلبه

٣١٩ كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

٣٢٠ اود من الايام ما لا تود

٣٢١ من الجأذ في ذي الاعارب

٣٢٢ فراق ومن فارقت غير مذمم

٣٢٣ الحزن يخلق والتمثل يردح

٣٢٤ نمد الشرفية والموالي

٣٢٥ طومكها يحل من اللام

٣٢٦ المعري - مصادر دراسته

٣٢٧ تولدة تاريخية - عصره

٣٢٨ - ٣٢٩ بيته - رحلاته - طبعه

٣٢٩ - ٣٣٠ ترجمته وجاهه وكرمه

٣٣١ زندقته وايمانه

٣٣٢ القراع الفكري في عصره واثره في

الشاعر

٣٣٣ طوره الاول وطوره الثاني

٣٣٤ - ٣٣٥ شاعريته وشعره - صلط

الزند - لثروياته

٣٣٦ - ٣٣٧ صلاته ونطقه

٣٣٨ دقة تشابهه ودعوة حكمه

٣٣٩ - ٣٤٠ المواقف الشعرية - التمييز

٣٤١ الطبيعة والحياة الشعرية - الاديبان

٣٤٢ الشعب وزمائه

٣٤٣ الطبيعة البشرية

٣٤٤ اسباب شهرته

المختار من شعره

٣٤٥ تقمت الرضا حتى على ضاحك المزن

٣٤٦ غير مجر في ملتي واعتقادي

٣٤٧ احسن بالواجد من وجده

٣٤٨ مقاني الفرى من شعصك اليوم اطلال

٣٤٩ طلائفي فان بيض الاماني

٣٥٠ الا في سبيل الجدد انا فعل

امثلة من لثروميته

- ٣٨٥ اولو الفضل في اوطانهم غرباء
 ٣٨٦ اذا كان علم الناس ليس بتافع
 • يرتجى الناس ان يقوم امام
 • يحسن رأي بني آدم
 ٣٨٧ من لي ان لا اقيم في بلد
 • قد قيل ان الروح تأسف بعدما
 • انا صاتم طول الحياة
 • لا تدأوني بالداوة منكم
 ٣٨٨ يا غراب واقفد
 • العالم العالي برأي معشر
 ٣٨٩ اركان دنيانا غرات اربع
 • قد اختل الايام بنور شك

٣٩٢ ابن المارض - مصادر دراسته

٣٩٣ نشأته

٣٩٥ شخصيته

٣٩٦ اثر الصوفية في شعره

٤٠٣ اسلوبه الشعري ومزاياه الفنية

٤٠٦ عيوب اسلوبه

٤٠٩ غزله

٤١١ نبوته والثانية الكبرى

المختار من شعره

٤١٦ سائق الاغلمان

٤١٨ هو الحب

٤٢١ ما بين معترك الاحداق

٤٢٢ قلبي يحدثني

٤٢٤ زدي بفرط الحب

من مؤلفات صاحب الكتاب

الدراسات الأدبية

في

العالم العربي

دراسات تحليلية في أكثر من أربعين صفحة كبيرة تناول العوامل الفعالة في النهضة العربية الحديثة وظواهرها الأدبية . وهي أول محاولة علمية لهم الأساس التي يقوم عليها بدء أدبنا الحديث

تطور الأساليب الشعرية

وهو عرض تاريخي أدبي في نحو ١٥٠ صفحة كبيرة للنثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الإسلام إلى النهضة الأخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لسبعة من أمراء الأقلام ولكثير من نصوصهم الانشائية

المختارات السائرة (الطبعة الثالثة)

مجموعة من روائع الشعر والنثر عما دأب في الاقطار قديماً وحديثاً وجرى على اللسان لسوء طائفة وحال مبانيه . وهي مرتبة بحسب المواضيع ومصدرة بدراسات في الفنون الأدبية وخصائصها الرئيسية (في نحو ٣٥٠ صفحة كبيرة

الدول العربية وآدابها (الطبعة العاشرة)

وهو موجز في تاريخ ادب يتناول الدول العربية وما نشأ فيها من الآداب . وفيه تراجم أشهر الشعراء والكتبة من اقدم العصور الى الوقت الحاضر — مقرونة بأمثلة من اجود ما روي او نشر لهم

وهناك مؤلفات اخرى تطلب فانها من صاحبها او من المطبعة الاميركانية في بيروت او من دار العلم للتلايين (بيروت)

اخطاء

نأسف لو وقعنا في الكتاب ودرجوا من الفارسي المادة الى اصلاحها قبل الشروع بمطالعتها


صفحة	سطر	الخطا	صوابه	صفحة	سطر	الخطا	صوابه
١٦	٢	توفي سنة ٣٩٠	سنة ٣٢١	٢٠٠	٥	مها	منا
٤٩	١	شرا	شرقا	٢٣٩	١١	الى سعيد	ابو سعيد
٥٢	١٤	اليوناني	المصدر اليوناني	٢٤٦	١٩	حالة مدوحيه	حاله مع مدوحيه
٨٩	٣	بالملا	بالعلا	٢٧٣	٩	يويجاناها	يويجانها
١١٨	٧	وقد نهزت	ولقد نهزت	٢٧٤	١٥	علي	علي
١٣٢	٣	ارم	ارام	٢٩٧	١٢	امنه محمد	ابنه محمد
١٤٠	١٨	ذئقة	ذائقة	٣٢٠	١٧	خوض	خوض
١٦٠	٢١	ذريبي	دميبي	٣٩٩	١	كثير الحفاوة	كثير الحفاوة
١٧٢	١٦	قبل الموت	فوت الموت	٤١٤	٩	القطابية	القطابية
١٨٠	٢١	يرجعن	يرجعن				

وهناك سقطات مطبعية اخرى اكثرها من باب التقيط واحسنها ما يلي —

صفحة	سطر	خطا	صوابه
٢٥	٨	الحواري	الحواري
٤١	٩	فير مير	فير مير
١١٢	١١	اتسي	اتسي
١٣٥	١٥	فاستمدتي	فاستمدتي
١٨٧	١٧	والشيبيا	والشيبيا
٢٠٠	١٤	الحود	الحود
٣٤٦	١	خارم	خارم






Bookkeeper

Deacidification for Libraries and Archives

September 2009

NYU - BOBST



31142 00228 2260

PJ7553 .M3

Umaru' al-